المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

المراجع

تفسير القرطبي	تفسير الجلالين
الرحيق المختوم تأليف صفي الدين المباركوفي	سوره التوبه هدف السوره ومقاصدها مقاله في موقع الكلم الطيب

تفسير ابن كثير	تفسير البيان في مقاصد سور القران
تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور	مقالةعلي الصلابي عن كنز الذهب والفضة

تفسير البيضاوي	المصباح المنير
تفسير فتح القدير	تفسير الظلال للسيد قطب

تفسير السيوطي	تفسير محمد متولي الشعراوي
تفسير الطبري	تفسير السعدي

تفسير البغوي	التفسير القرآني
تفسير النسفي مدراك التنزيل وحقائق التأويل	مقال في موقع اسلام ويب عن مقاصد سورة التوبه بتاريخ ١٠اغسطس ٢٠١١م

التفسير الوسيط	تفسير الطوسي
ماهر المعيقلي /تدبر ايات القران	تفسير الكتاب العزيز للواجدي

مقاله لعبد القادر شيبه الحمد في مكتبه الالوكه بتاريخ ٢٦يونيو٢٠٢٠م	اعجاز القران للامام ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني
تفسير احكام الآيات /عبد العزيز الطريق	برنامج تدبر في سوره التوبه

القران تدبر وعمل	ايسر التفاسير أبو بكر الجزائري
إشراقات براءه	موسوعه التفاسير

التفسير الحديث لدروزه	تفسير الصابوني
تفسير مقاتل بن سليمان	لطائف الإشارات

تفسير الكشاف	تفسير السمعاني
تفسير زهره التفاسير	تفسير من وحي الله لحسين فضل الله

مفاتيح الغيب للرازي	احكام القران لابن العربي
تفسير ابن عطية	التبيان في تفسير القرآن

تفسير ابن حزم	تاويل اهل السنه للماتريدي
سلسه ختمه تعارف سوره التوبه جازم شومان	تفسير الكريم المنان في تفسير القران لابن سعدي

تفسير المختصر في التفسير	تفسير محمد الحسن الشنيقطي
مقاله محمد احمد دهمان في موقع مكتبه الالوكه بتاريخ ١٢نوفمبر ٢٠١٤م عن رساله المسجد	مقاله عبد الله محمد العسكر في مجله دعوه الحق العدد ٣٠٤صفر ١٤١٥هجريه عن وزاره الاوقاف و الشؤون الاسلاميه المغربيه

تفسير الكاشف محمد جواد مغنيه	تفسير مجمع البيان
تفسير الأمثل للشيخ الشيرازي	تفسير ابن باز لقوله تعالي الذين يكنزون الذهب و الفضة...الخ

من هدي القران ابو الحسن الواحدي النيسابوري	الاسلام سؤال وجواب عن كنز الذهب والفضة
الدروس المستفاده من سوره التوبه مقاله لايمان	نفحات قرانيه في سوره التوبه محمد صالح

الزغوي في ١٥نوفمبر ٢٠٢٢م	الشاوي٣٠مارس٢٠١٣م

علمتني سوره التوبه مقاله لاحمد الجوهري عبد الجواد ١٦نوفمبر٢٠١٧	مقاله في موقع جريده اليوم السابع ٩نوفمبر ٢٠٢٤ ل حلمي عبد الشافي بعنوان حينما تضيع القيم وتقتل المبادئ
ملتقي التفاسير	امير محمد المدري غزوه تبوك دروس وعبر

ابن كثير البدايه والنهايه	سيره ابن هشام
سير اعلام النبلاء	السيره الحلبيه

سبب غزوه تبوك..اسلام ويب..مركز الفتوى ٨ اغسطس ٢٠٢١م	موقع طريق الاسلام..مع الحبيب صلي الله عليه وسلم سبب غزوه تبوك ٢٤اغسطس ٢٠٢٠م
تفسير روح البيان	تفسير المراغي

التفسير الموضوعي لمجموعه مؤلفين	ماهيه العقل
تفسير طيبه	مجالس الذكر لعبد الحميد بن باديس

كتاب الفوائد لابن القيم	مدراج السالكين لابن القيم
محاضره في موقع مكتبه الالوكه عن مقاصد سورة التوبه للشيخ عبد البديع ابوهاشم جمعها ابنه محمد عبد البديع بتاريخ ٨يناير٢٠١٨م	خواطر دعويه في موقع اسلام ويب بعنوان (اسالك الثبات في الأمر) بتاريخ ٢٥مارس ٢٠١٩م

تفسير ابن عثيمين	الموسوعه الحديثه
أوضح التفاسير	عذاب من يكنز الذهب والفضة موقع اسلام اون لا ين

ادخار الذهب هل يعد من الكنز المذموم اسلام ويب الفتوي ٢٠مايو٢٠١٠م	مقال مجدي محمد مدني في موقع أضاءت بعنوان مفهوم وضوابط الاستثمار في ضوء القران والسنه ٢٤ابريل ٢٠٢٢م
دراسه في موقع الجزيره نت مال ورمضان كيف نبني ثروه وفق المبادئ الإسلامية	مركز براق للأبحاث والدراسات ٢٠١٦م مفهوم الا نفاق في القران وأثره على النجاح الاقتصادي

موقع ملاحق الحلبي ملحق الدين للحياه قصه ايه ٨فبراير٢٠١٩م	احمد مصطفى استثمار المال في الاسلام القاهره مكتبه وهبه ١٤٢٤ه
د/رفعت السيد /منهج الادخار والاستثمار في الا قتصاد الاسلامي الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية	د/ صالحي صالح السياسيه النقدية والمالية في إطار المشاركه في الاقتصاد الاسلامي المنصوره دار الوفاء للطباعه والنشر والتوزيع ١٤٢١هجريه

تفسير الصحيح الميسور من التفسير بالماثور (بشير ياسين المتوفي٢٠٠٦م)	كتاب التبيان لابن القيم
التفسير العظيم	الدرر في مقاصد السور

تفسير ابو السعود	لسان العرب
المعجم الوسيط	الأسس والمنطلقات لابي بكر بن عاشور

تفسير ابن تيميه رحمه الله	تفسير العز عز الدين بن عبد السلام
البرهان في تناسب السور	تفسير الطنجاوي

رؤائع البيان دكتور حسن النعيمي الفرق بين الايه (٥٥)من سوره التوبه والايه(٨٥) من نفس السوره	كتاب (الا في الفتنة سقطوا) تاليف عبد الحميد كشك
حسام النعيمي	موقع قناة اتقان المتشابهه

كشف المعاني لابن جماعه	احمد الكبيسي في موقع تدراس القران الكريم عن

	قوله تعالي (فلا يعجبك أموالهم ولا أولادهم
سلسله وقفه مع ايه لمؤلفه عقيل الشمر فى موقع دين الحق	برنامج حديث القران عن النبى صلى الله عليه وسلم موقع دين الحق عن تفسير قوله تعالى (يايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

اسرار التكرار للكرمانى	الدرر السنيه الموسوعه الحديثه شروح الأحاديث
موقع الاستاذ محمد على اسماعيل مقاله عن النفير فى سبيل الله	مطالع سوره التوبه تأليف د/محمد خير

تفسير سوره التوبه تأليف عثمان الخميس	البيضانى
تفسير المنار لمحمد رشيد رضا	تفسير سعيد حوى

محمد قطب التطور والثبات فى حياه البشر	محمد قطب منهج التربيه الاسلاميه

محمد قطب دراسات قرانيه	محمد محمد حسين حصوننا مهدده من الداخل
محمد المبارك العقيده فى القرآن الكريم	محمد مبارك نحو انسانيه سعيده

محمد ابو زهره المجتمع الإسلامي الإنسان فى ظل الاسلام	عمر عبيد حسنه مراجعات فى الفكر والدعوه و الحركه
عماد الدين خليل حول اعاده تشكيل العقل المسلم	عبد الحليم محمود التفكير الفلسفي فى الاسلام

ابن تيميه اقتضاء الصراط المستقيم	ابن حزم الأخلاق والسير فى مدواه النفوس
احمد امين التكامل فى الاسلام دار المعرفه بيروت	مجموع فتاوى ابن تيميه

▪

بسم الله الرحمن الرحيم

(سوره التوبه)

هذه السوره مدنيه بالإجماع وآياتها ١٢٩ايه وهي من السبع الطوال حسب الراجح وان ذهب البعض للقول أنها من المثانى وهي التاسعه حسب ترتيب المصحف للسور وأما من حيث النزول فهي السوره ١١٤اي اخر سوره نزلت فى القران الكريم

وتاريخ نزولها فى السنه ٩للهجره ومن المعلوم أن نزولها لم يكن دفعه واحده وانما نزلت على مراحل وبالوقوف على الأحداث التى تزامنت مع نزول ايات هذه السوره العظيمه والتى تفهم من خلال.ما تتناوله السوره من مواضيع وقضايا تطرحها حيث نجد أن أهم الموضوعات التى تتناولها الايات

/١

البراءه من المشركين والأمر باعطاءهم مهله لإصلاح أوضاعهم وتصفيه أعمالهم

ومنعهم من دخول المسجد الحرام والنهي عن مولاتهم ولو كانوا ذوي قربي

/٢

تحديد قواعد التعامل مع الاخرين اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا وحدود الاتصال بالآخرين وأسس المرونة والانفتاح فى ذلك مع الحفاظ على القيم بالثبات والتمسك المبادئ من خلال توضيح حكم كل فئه من تلك الدول وحدود الاتصال والأسس العقائدي والسياسي والاقتصادي

وتحديد العلاقه مع كل الطوائف في السلم والحرب بادراه ذلك وفق قواعد محدده ترتكز على تقدير الموقف بشكل متزان منطلقا من عقيده الاسلام واراده نشر الخير وتنميه الجوانب الإيجابية ومحاصره الشر والتعامل بمسووليه وحفظ حقوق الإنسان وتحديد قواعد اللجوء السياسي ومبدأ الولاء والبراء

/٣

الحث على الجهاد والتحذير من التخلف عن القيام بواجب الجهاد

٤/فضح المنافقين وكشف مكائدهم

/٥

تقسيم مكونات الشعب الذى يحكمه القران فى جزيره العرب الى عده شرائح

الاعراب وهم غلاظ وقساوه وفيهم جفاوه هذه هي طبيعتهم

وهم قسمان كافر منافق ...ومومنين وهم قله حيث أن الأغلبية يتصفون ب الكفر والنفاق

.وهناك مجتمع المدينه منهم المنافقون ...ومنهم المهاجرون والأنصار الذين سبقوا للإيمان

وقد ورد هذا التقسيم فى إطار الحديث عن موقف شعب دوله الاسلام من الأمر الذي أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج فى معركه العسره حيث ذكر حكم شريحه أخرى خلطت عمل صالح واخر سي وذكر حكم

المخلفين وذكر واقعه مسجد ضرر الذى بناءه شريحه من المنافقين الذين كانوا يصرون على محاربه الاسلام

/٦

النهي عن الاستغفار لموتي المشركين

٧ختم بنعمه ارسال الرسول لهذه الامه

ومن هنا نستطيع أن نتواصل الي تحديد تاريخ مراحل نزول اياتها بوجه تقريبي

هي :ـ

أن منها مانزل قبل الخروج لمعركه تبوك وقتال الروم معركه العسره كما يفهم مما تتناوله النصوص التي وردت تتحدث عن الأعداد لهذه المعركه فى شهر رجب سنه ٩هجريه

منها مانزل أثناء المعركه ...ومنها مانزل بعد الرجوع من المعركه كما يفهم من قصه الثلاثه المخلفين

وأما الآيات التى ابتدأت بها السوره فهي اخر مانزل منها حيث أنها نزلت قبل موسم الحج فى ذي القعدة أو ذو الحجه من العام ٩هجريه وكذلك منها مانزل بعد ذلك وهي تلك التى تتحدث عن أهل الذمه وأحكام وقوانين وقواعد تنظم أوضاعهم داخل الدوله الاسلاميه فى إطار الحديث عن قواعد القانون الدولي الإنساني للحضاره الا سلاميه بعد الوصول الى العز والتمكين

فضل سوره التوبه وخصائصها:----------

السوره فيها تربيه للرجال على مواجهه المواقف برجوله المومن القوي الذي يصمد أمام التحديات والصعوبات و المخاطر بثبات دون تردد

فيها غرس ثقافه القران التى تبعث على الحركه فى اتجاه العز والنصر بالتمسك بالجهاد وقيم الاسلام والموالاه فى الله والمعاداه فى الله ثقافه تغرس فى أعماق النفس أن محبه الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله هي المحبه العظيمه التى لايمكن الانتقاص منها أو التفريط بها مقابل اي غرض من الأغراض الدنيويه

ثقافه تجعل المؤمن يلبى نداء الحق برغبه وإرادة مشفوعه بعمل تنفيذي وإصرار متطلع الى هدف معروف ومطلوب وهو إرضاء الله تعالى

ولهذا كان عمر يكتب (تعلموا سوره براءه وعلموا نساءكم سوره النور)

فخص الرجال بهذه السوره لأنها اضافه الى ماسبق فإنها تكشف لك أصناف الرجال فلا تقع فريسه الاعداء ولأنها تتضمن احكام تربويه تغرس الشجاعه والحلم وهو ما يحتاجه الرجال بينما خص النساء بسوره النور لأنها فيها التربيه على العفه والشرف ومن هنا ندرك حقيقه ان الاسلام يربط بين قواعده فى الدعوه والتربيه فلا يمكن الفصل بين هذه المكونات فى كل قاعده أو ايه قرانيه فهي مثلما أنها تحتوي ايات تنظم أحوال الناس فإن هذه الا يه تتضمن أسس تربويه ودعويه ولهذا فمن الخطأ الفصل بين هذه المكونات فالحاكم عندما يطبق قواعد الشريعه ا لاسلاميه فى حياه الناس عليه أن لايغفل عما فيها من جانب متعلق بالدعوه الذي يوصل الى الناس المعارف الدينيه وكذلك جانب تربوي يشكل ماده بناء البواعث للسلوك

اسماء السوره:------

سميت السوره (التوبه براءه الفاضحه والمقشقشةوالمخزيةوالمنقرةوالبحوث والمثيره والمبعثرة و المشددةوالمدمدمه العذاب) المصدر (ابن عاشور)

وهذه الأسماء تعود للاتي

/١

براءه لأنها ابتدأت بإعلان تبروا الله ورسوله من المشركين الذين نقضوا العهود مره بعد أخري وتضمنت احكام متعلقه بانهاء تلك المعاهدات وامهالهم اربعه اشهر لتصفيه أعمالهم وفيها البراءه من الشرك وأهله والتأكيد على الو لاء لله ورسوله ولتسميه الصحابه لها بهذا الاسم فقد ورد أن البراء كان يقول اخر ايه نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله)الايه ١٧٦من سوره النساء واخر سوره نزلت براءه

٢

الفاضحه لأنها فضحت أمر المنافقين فقد ورد أن ابن عباس سئل عن سوره التوبه فقال الفاضحه مازالت تتنزل ومنهم من ظن أنه لن يبقي منا أحد إلا ذكرته

٣

سميت المقشقشة فقد ورد أن رجلا سال ابن عمر عن سوره التوبه فقال ابن عمر وهل فعل بالناس الافاعيل الا هي ماكنا ندعوها الا المقشقشه)

بصيغه اسم الفاعل وتاء التأنيث من قشقشة وهذا يستعمل لمن براه من المرض

هكذا فهم الصحابه رضي الله عنهم ما فى السوره من أحكام فالتسميه التى كانوا قد اطلقوه لقبا عليها يدل أنهم كانوا يفتشون عن امراضهم لقد فعلت بهم الافاعيل أنهم يفتشون فى ماضيهم خوفا أن تنزل فيهم ايات لاجل أن يسارعوا الى التوبه من الأخطاء قبل انكشاف أمرهم فكان لها دور فى الخلاص من سلوك الكفر والنفاق

/٤

سميت الحافره)

هذا ماروي أن الحسن البصري أطلق عليها هذا الاسم لأنها حفرت مافى قلوب المنافقين فاظهرته للمسلمين

/٥

سميت المثيره

هذا ما روي عن قتاده أنه سماها بذلك لأنها اثارت عورات المنافقين واظهرتها

/٦

المبعثرة لأنها بعثرت اسرار المنافقين واخرجتها للعلن

٧

سماها السيوطي المخزيه لقوله تعالى (وان الله مخزي الكافرين)

/٨

وسميت البحوث لان المقداد سئل هل يستطيع أن يقعد عاما بدون غزو فقال لو فعلنا أتت علينا البحوث يقصد سوره التوبه

٩/سميت المدمدمه سماها بذلك سفيان الثوري لأنها كانت سبب هلاك المشركين

١٠/ المشدده سماها السيوطي في الاتقان لقوله تعالى (يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

/١١

سميت العذاب لأنها وعدت الكفار بالعذاب الأليم

/١٢

المنقره بكسر القاف المشدده لأنها نقرت عما فى قلوب المشركين من نوايا الغدر بالنؤمنين والتمالؤا على نقض العهد وهو من نقر الطائر إذا نقر بمنقاره موضعا من الحصي ونحوه

/١٣

التوبه وهذا هو الاسم الشائع والغالب وهذا يعود للاتي

لان السوره تتحدث عن التوبه باشكالها وانواعها توبه الاقلاع عن الكفر وتوبه من الأخطاء ويدخل فى هذا الاتقان والإحسان ولهذا نجد السوره ورد فيها لفظ التوبه (١٧)مره فهي أكثر السور تذكر هذا اللفظ حيث ذكر في البقره ١٣مره والنساء ١٢مره والمائده ٥مرات وهذا يعود الى أن أهم مقصد من مقاصد السوره هو الحث على التوبه وبيان مقاصدها والحوافز عليها حيث نجد أن السوره

تتناول التهديد والوعيد ثم تعقيب ذلك بالدعوه للتوبه حيث تبدأ بالمشركين بالأمر بقطع العهود معهم وتهديدهم بـ القتل ثم تفتح لهم المجال للتوبه

وهكذا تحاور المنافقين وتهديدهم وتكشف خفاياهم ودساسهم ثم تفتح المجال لهم بالتوبه ثم نفس الحال مع ا المؤمنين بل حتى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار تتناول توبه الله عليهم وهكذا نجد السوره تدعوا الى التوبه باستمرار الى نهايه السوره بأسلوب متنوع فى النداء

المقطع الاول

اولا :-

أن أول مايشد الإنتباه هو أن السوره افتتحت بقوله تعالي (براءه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين)

بدون البسمله وهذا مااجمع عليه العلماء عدا واحد وهو ما جعل الغافلين يتخذون من ذلك اداه للتهريج بالقول سرقت البسمله منها سوره النمل لأنها وردت فيها البسمله مرتين في المقدمه وفي قوله تعالى (أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم)

وهو ما لايجوز أن يصدر عن مسلم مثل هذا التهريج ولايصح أن يتخذ المسلم ذلك ماده للدعابه وهو يتنافي مع اسلامك الذى يوجب عليك التعامل مع القران بآداب وتعظيم ولهذا كان من المعيب أن تغيب على الناس الحكمه

من هذا الافتتاح بدون البسمله فهو بالاضافه الى اعتبار البعض أن السوره متممه لسوره الانفال لان كلاهما يتحدث عن احكام العهود والمواثيق الدولية والجهاد وقواعده ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفتتح السوره بالبسمله أثناء قراته وهو ما يوجب التوقف عليه فإن هنالك حكمه متعلقه بذلك نوضحها من خلال الآتي

الأمر الأول

جرت العاده عند العرب فى الجاهليه أنهم عندما يرسلوا كتابا فيه تهديد ووعيد ونقض عهد أنهم يرسلوه بدون مقدمه ولهذا عندما كان مضمون السوره البراءه من الكفار وأعلمهم بإنهاء العهود لهذا كان افتتاح السوره بدون البسمله مناسبا

الأمر الثاني

لما ذكرت سوره الانفال قضيه الولاء والبراء واختتمت بذكر (وأولى الارحام بعضهم اولىببعض في كتاب الله...الخ

فى إطار تناول موضوع الولاء والبراء حيث أنها اختتمت بحكم اولويه الأقارب بالمولاه والارث فى حاله أن يكونوا مؤمنين وفى الأمور الفرديه اي الإرث وحتى لايفهم السامع أن الايه ناسخه لمبدأ عام كان افتتاح السوره بالبراءه لان قضيه الولاء والبراء من أوجب القضايا العامه التى ربى عليها القران المسلمين فجعلت السوره كأنها متممه لسوره الانفال لازاله اي لبس حول مفهوم الولاء والبراء التى تعد قضيه عامه تتجمع فيها المعاني الاعتقاديه الإ يمانية والمطلوبات العمليه من وجوب حصر التآخى والتناصر والتازر بين المسلمين فقط فالمتامل فى نصوص القرآن كلها يجد مجئ قضيه الولاء محموله على ادوات الحصر ومع وجوب حصر الولاء فى أهل الإيمان فالإسلام لايسمح بمولاه أهل الكتاب الذين حملوا المشروع الايماني قبل مجئ الاسلام فكيف يسمح بمولاه المشركين ولهذا بعد ذكر الولاء في سوره الانفال تأتي السوره بهذه الاستهلاله (براءه من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين)

فالبراءه تعني تبروا وقطع للمولاه والعصمه والأمان واصل برء يدل على التباعد من الشي ومزايلته ليفهم المسلم بان البراءه توجب المفاصله والتجافي بين المسلمين وغيرهم على اساس العقيده الافى الضروريات الحياتيه وحاجاتها العاديه مما لادخل للاعتقاد او لاينبني على أمر ايماني يحتم البراء والمفاصله والتجافي والمباعده بين المسلم والكافر ولهذا كان افتتاح السوره بدون البسمله كأنها متممه لسوره الانفال فابتدات بقوله تعالى (براءه من الله ورسوله..الخ

للاخبار ببراءه الله ورسوله من الشرك وأهله وافعالهم ومن العهود التى أبرمت معهم نتيجه ضروره مرحله معينه وان هذه المرحله قد انتهت بنقض المشركين العهود وانهزامهم فى المعركه وسقوط دوله الشرك بانتصار المسلمين ولهذا فإن المرحله الجديده مرحله التمكين توجب على المسلمين البراءه من المشركين فتضع المومنين أمام هذا ا لأمر الايماني الذى يوجب على النؤمن أن يعلن المفاصله والتجافي والمباعده بينه وبين المشركين ويقطع العلاقه السابقه لأن المؤمن يطيع الله ورسوله والله يقول لهم انه يجب قطع العلاقات مع المشركين فلم يعد لهم مكان فى الجزيره العربيه

فالايه تهدف الى ترسيخ معاني الولاء والبراء فى عقول المؤمنين وقلوبهم بحيث يحصر الولاء فى أهل الإيمان وان اللازم أن تقيم الامه حياتها وعلاقاتهم على اساسها ومستلزماتها فهذا هو موضوع الرساله التى تهدف الايه أن تنقلها للجميع أنه يجب إنهاء جميع مظاهر الشرك فى جزيره العرب وتحطيم كافه الأصنام وازاله كل سلطان أو قوه لاتدين بالإسلام فى جزيره العرب وأنه يجب إنهاء التعامل بجميع العهود المطلقه مع المشركين بعد نقضهم لها وتحديد مهله لها وهي اربعه اشهر أما العهود الموقته فيجب الالتزام بها الى نهايه مدتها ما التزم أهلها بعدم النقض لها مباشره بالاتيان بما يخل بها أو معونه الاعداء وتقديم اي مساعده فالايات تضع قواعد القانون الدولي فى

مرحله التمكين حيث أن المرحله توجب المفاصله والتجافي والمباعده بين المسلم والكافر فلم تعد الضروره موجوده للتعامل معهم ولهذا فإن المخالفه لهذا الحكم النهائي يخالف أمر ايماني يحتم البراء والمفاصله والتجافي والمباعده بين المسلم والكافر فكان هذا مؤثرا له وقعا عميقا وعنيفا فى نفس المسلم يدفعه الى المباعده عن المشركين وعدم التعاطف معهم فالله يقول لهم أنه برئ من هؤلاء وكذلك رسوله برئ منهم فالرحمه ليس هذا مجالها مع هؤلاء الذين ارتكبوا أبشع الجرائم بحق الاسلام والإنسانية وبحق ربهم وأمانه موقع الكعبه فيهم حيث أنهم قاموا بتدنيس الكعبه بالاصنام وغيروا ماكان عليه الناس من الحنفيه السمحاء والتوحيد الذي بنيت الكعبه على أساسه من قبل ابراهيم وإسماعيل الذي أخبره الله أن الرئاسه والسلطة والقياده لاتنال للظالمين فقال تعالى (لاينال عهدي الظالمين) فى معرض الحديث عن بناء الكعبه وتشيدها لتكون مرجعيه للناس وامنا لقد أعدها الله لتكون مركز قياده الامه الاخيره امه الشهاده التى أعد لها المسكن الملائم اي العاصمه التى تنطلق منها والمرجعيه لقياده العالم جعلها وسط العالم

لهذا كان الافتتاح بهذا الأسلوب مثلما يفتتح العهود وصكوك العقود بادل كلمه على الغرض الذي يراد منها فى قولهم هذا ما عهد عليه فلان وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان الموقعين على هذا

ولهذا كان مجئ هذه السوره بدون البسمله مناسبا مع الغرض الوراد فيها وهو أنه لم يعد للمشركين مكان فى الجزيره العربيه بعد سقوط دوله الشرك فمنعهم من الحج ليس مخالفا لتعاليم الاسلام لان الكعبه بنيت للمسلمين الموحدين المتطهرين أما هولاء فهم نجس

الأمر الثالث

هذه السوره تضمنت البلاغ الاخير للبشريه وقد افتتحت بدون البسمله للدلاله على عدم الامان وعدم الرحمه فى مثل هذه الأمور فلم يصح أن تبدأ بالبسمله لأنها تفضح الكفار والمنافقين وتهددهم بالقتل

ولما كانت البسمله امان والسوره احتوت على ايه السيف التى ليس فيها امان والسوره تفضح المنافقين وتكشف مكائدهم وهم لاامان لهم لهذا فإن عدم مجئ البسمله مناسبا لبيان أن حربهم مع الله بلا رحمه وأنه ليس أمامهم ا لا التوبه وترك الشرك فأريد بهذا أن يشعر السامعين بخطوره الموقف فليس أمامهم خيار أما الاسلام او القتل فهم محاصرون بين هذه الخيارات فليس هنالك مجال للشرك فى جزيره العرب فلا يقبل منهم جزيه كما هو حال الوثنين فى فارس الذين كانوا مشركين لعبادتهم النار فهذا حكم خاص متعلق بمسألة الأحكام النهائية فى هذه المرحله لتنظيم أوضاع الدوله الاسلاميه التى أصبحت تسيطر على جزيره العرب وبدأت معركتها مع الروم حيث كان نزول السوره قبيل غزوه تبوك وهم يستعدون للخروج برساله الاسلام الى خارج الجزيره العربيه والانفتاح بها علي العالم كله

ولهذا كان مناسبا مجئ هذه الأحكام والتشريعات التى تنظم أوضاع الدوله الاسلاميه من الداخل بعد سقوط نظام الشرك الذى كان يهيمن علي مكه المكرمه التى كانت بمثابه العاصمه لدوله الوثنيه المشركه فى الجزيره العربيه لان القبائل كانت تدين بالتبعية لمركز القرار وهي مكه التى كان فيها أصنام حول الكعبه ترمز للالهه التى تعبدها كل قبيله ولهذا كان لابد من قانون وقواعد تنظم أوضاع العقود المبرمة مع تلك القبائل وفقا للتغيرات الجديده بعد سقوط مكه فى يد دوله الاسلام وصار لهم العز والقوه والغلبه وبعد انهزام الشرك والمشركين كنظام سياسي ولم يبقي له إلا جيوب من المتمردين والمعاندين هنا او هناك اقصد بعض القبائل أو حالات فرديه محاربه ل لاسلام وهناك قبائل ببنها وبين المسلمين معاهدات لمن كانوا قد دخلوا فى حلف مع قريش أثناء عقد صلح الحديبية امثال جماعه من بنو بكر وهم بنو خزيمه بن عامر من بنو بكر من كنانه لم ينقضوا عهدهم الذى كان فى الحديبيه مع قريش حلفاءهم ولم يشتركوا مع بنو بكر في عدوانها على خزاعه حليفه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي ادي الى نقض العهد ودخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكه فى فتح مكه حيث كان مده العهد عشر سنوات فأمر الله المسلمين فأمر بالوفاء به الى نهايه مدته بشرط الاينقض العهد ولايتامر ضد المسلمين أما

البقيه فقد اعطاءهم مهله اربعه اشهر والبعض ذهب أنهم مدلج

فكانت هذه الأحكام لاجل ازاله الانظمه التى تعرقل التطور وازاله الأفكار التى تقف عائقا أمام المضى قدما ف المرحله مرحله بناء يحتاج الى تعاون الجميع تعاون وتضامن بين سواعد أبناءه وهو ما يتطلب ازاله السواعد التى تعمل فى الظلام فى مجال التخريب والنسف والتدمير من جهه ومن جهه أخرى كان لابد من اعاده ترتيب أوضاع المحيط الذى تعيش فيه دوله الاسلام المنتصر فى المعركه ولهذا فإن تحديد اليوم الثاني وشكل النظام وتجمع القاطنين فى جزيره العرب من حق دوله الاسلام ولهذا كان مجئ ايه السيف كشرط امان لهم أن أرادوا البقاء فى جزيره العرب بأن يدخلوا الاسلام والافان قتلهم حق مشروع للمسلمين فقد أراد الاسلام تأمين العمق الاستراتيجي للدوله الاسلاميه حتى لايجد من يتوجه بسلاحه إليه من ظهره وهو يواجهه عدوه الخارجي فى المعركة التى بدأت بمعركه تبوك

فالمساله تحتاج الى تطهير كل معوقات التطور التى خلفتها الجاهليه فالايه تهدف الى تربيه المؤمنين وتزيدوهم بالاستراتجيه التى يجب اتباعها بعد الوصول الى هدف التمكين من خلال بيان اهميه القضاء على جيوب المتمردين والمعاندين الرافضين الانطواء تحت رايه الاسلام ودولته لأنه إذا حصل التهاون والتساهل بشأن هذه البؤر فإنها سوف تشكل خطرا كبيرا يتمثل فى ثوره مضاده تنقض على دوله الاسلام وتعود به الى العهد البائد

ولهذا فإما أن يندمجوا فى المجتمع المسلم واماان يصفوا أعمالهم خلال مده اربعه اشهر ويتركوا ارض التوحيد

ثانيا

(براءه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض اربعه اشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين)

بالوقوف على الايات نجد أنها تضمنت الآتي

/١

اعلان براءه الله ورسوله من الشرك وأهله ويسقط عهدهم مع المسلمين لأنهم نقضوا الميثاق مع رب العالمين فالا يه تعني إنهاء جميع العهود التى كانت قائمة بين المشركين والمسلمين .ويلاحظ هنا إطلاق البراءه فى هذه الا ستهلاله اي البراءه المطلقه من المشركين بدليل استنكاره بعد ذلك أن يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله

/٢

أن هذا الاعلان قد حدد مده اربعه اشهر لتصفيه أعمالهم وتجارتهم وتعديل أوضاعهم وتصحيح حركتهم فقال تعالى (فسيحوا في الأرض اربعه اشهر)

/٣

التهديد والوعيد للمشركين أنهم فى قبضه الله ولن يستطيعوا الإفلات والهرب منه وأنه سوف يذلهم بالاسر و القتل والذل والهون فى الدنيا والعذاب فى الاخره وهذا فيه

الدرس الاول

ابتدأت الايه بهذا الإعلان الذى فيه توجيه الداعيه الى اختيار الخطاب الذى يتناسب مع الزمان والمكان الذى يعيشه والنوازل التى تحدث والقضايا التى تثار وتظهر فليس خطاب مرحله الاستضعاف والركود مثل الخطاب ايام الاستعلاء ولاخطاب العز والتمكين كالخطاب فى حال الانهزام والتبعيه وبالرجوع الى الأحداث التى نزلت فيها الايات نجد أنها نزلت بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم فى تبوك حيث أن المشركين كانوا متشوقين الى سماع قتل وهلاك الرسول صلى الله عليه وسلم وجيش المسلمين

حيث استغل البعض تسامح الاسلام معهم فرغم أن المسلمين انتصروا على المشركين وتم فتح مكه إلا ان الاسلام لم يقم بالتضيق عليهم ولهذا فإن هذا التسامح شجع هولاء على التفكير بثوره مضاده فكان لابد من اصدار تشريع يفك ارتباطهم بالماضي وكان لابد من القضاء على جميع بؤر الفكر المشرك وعاداته وقوته التى يستمدها من بقاء بعض القبائل على الشرك وكذلك لعدم منعهم من أداء شعائر الحج وفق تلك المعتقدات الفاسده ولهذا ابتدأت الآيات بهذا الإعلان الذى فيه التهديد والوعيد للمشركين وعدم الامان وانهاء جميع العهود التى كانت قائمة بين المسلمين والمشركين اعلان البراءه المطلقه بدليل استنكاره بعد ذلك أن يكون للمشركين عهد عند الله ورسوله

فكان هذا الأسلوب فى الخطاب مناسبا فى علاج قضايا المرحله وجوابا للمشكله العصريه التى ظهرت مع خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم حيث ظهر أن هنالك جيوب تتربص بدوله الاسلام من داخلها يجب تطهيرها وازاله كل مقومات الحياة لهذه الجيوب فالحق يواجه كل مرحله بسلاح يناسبها ويفلها ولهذا فإن الداعيه الناجح هو الذى يفقه المرحله ويفهم العصر فيحدد حاجاته ويقف على سنن التغيير والمدافعه فهذا اصل معتبر فى الشرع يويده تنزل القرآن على حاجات الناس والمناسبات وتغيير الفتوي والأحكام بتغير الازمنه والامكنه والاحوال والعوائد بناءا على اعتبار المرحله والواقع فالتعامل مع المشركين بعد فتح مكه غير الذى كان قبل فتح مكه لان الإسلام ربط التعامل بقوه التأثير على المقاصد التى جاءت بها الشريعه من حفظ الدين و النفس والمال والعقل والنسل فهذه الأحكام ثابته لايقبل التهاون فيها وهناك أمور لاتوثر على مقاصد الشريعه فى وقت من الأوقات ولكنها قد تشكل خطرا مهدد للمقاصد والأهداف فى مكان أو زمان اخر

ولهذا فإن الآيات تدعوا المسلمين الى فهم المرحله والواقع لانهما يؤثران على الأحكام والقرارات والأهداف والا ستراتيجيات ولذلك كان إنهاء العهود لمواجهه هذا الواقع الذى ظهر أنه يهدد دوله الاسلام وأنه يشكل عائقا أمام عمليه التقدم كما اتضح جليا بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم فكان لابد من مواجهه الجاهليه والعمل على إزالتها والقضاء عليها كجيوب وك معتقد ولهذا كان إعلان الحكم النهائي لتغيير واقع الكعبه والجزيرة العربيه حيث روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بأن المشركين يستعدون لموسم الحج فكرهه ان يراهم وهم يحجون عرايا ولهذا ارسل ابوبكر على الحجاج فى ذلك الموسم ليعلم الناس مناسكهم وأمره أن يقرأ عليهم براءه واتبعه بعلي بن أبي طالب يعلن فى الناس أن لايطوف حول البيت عريان ولايحج العام المقبل مشرك

الدرس الثاني

هذا الدرس متعلق بسؤال السائل لماذا لم يتم الغاء العهود مباشره بعد الفتح

فما فائدة هذا التأخير الذى ارتبط بغزوه تبوك ؟

اضافه الي ماسبق بيانه في الدرس السابق فإن هذا يهدف الي الآتي

الأمر الأول

(اهميه الانطلاق من الواقع)

عليك أن تدرك أن الأحكام المرحليه تهدف الى ترتيب الخطوات فى حركه الامه لتحسين الظروف وازاله العوائق من طريقها فالإسلام كان يواجهه جاهليه اعتقاديه تصوريه مدعومه بسلطه ماديه ذات قوه ولهذا كان لابد من مواجهه هذا الواقع بالدعوه لبيان اهميه تغيير المسار الى الاتجاه الصحيح والعمل على مواجهه بقايا النظام الوثني بالقوه لان تلك السلطه شكلت عائقا أمام التقدم والتطور فكان لابد من إزالتها لأنها تحول دون حريه الناس بالالتحاق بالدين

الأمر الثاني

أن الأحكام المرحليه مهمه حتى يكون تغيير حركه المجتمع بشكل صحي فهذا هو الأسلوب الذى يضمن سلامه الحركه واتزان السلوك أثناء التقدم بالمضى قدما فى عمليه التغيير وبما يضمن الحفاظ على القدرات والنشاط فذلك يتطلب أن تكون الحركه بخطوات مدروسه النتائج ومتتابعه وهادئه لا أن تقفز بخطوه واحده لان ذلك يولد التطرف والبعد عن الهدف والنتائج وضياع المعالم الداله على الطريق

الأمر الثالث

جعل الاسلام هناك نوع من القواعد ثابته لاتتغير فى تعامله مع نفسه وداخل الدوله ومع الدول الأخري ورعاياتلك الدول وهذه القواعد الثابته هي تلك المتعلقه ب التعاملات الموثره على مقاصد الشريعة وفى العبادات

وهناك أمور جعلها تخضع للظروف والمتغيرات الموضوعيه لكل مجتمع ولهذا نزل القرآن منجما لتكون هذه التجارب نماذج تسهل عمليه اختيار الأحكام التى تناسب المرحله ولأجل معالجه المشاكل بأسلوب علمي وتقديم الحلول المناسبة وليس لتبرير الواقع كما يفعل البعض كأمر واقع وانما لاجل الوصول الى الحلول العلميه الصحيحه مع احتفاظنا بجوهر الدين الذى يكفل تغيير الواقع نحو الأفضل إذا كان منا حسن تنزيل الأحكام على الواقع فالمشكله فى التقدم لاتكمن فى سهوله طرح الحلول عن طريق النقل وانما فى التعمق باستخلاصها عن طريق البحث فى ظروف معينه وزمن محدد وتفكير علمي متطور نحو الأفضل وبالتالي فلا يمكن أن يتجاهل المسلم الواقع للامه وانما عليه التعمق فى البحث والتحليل لهذا الواقع الموضوعي لتقديم الحلول المناسبة المستمده من جذور المنهج الإسلامي وأصوله مستخلصه بتفكير علمي واجتماعي واقتصادي وسياسي وديني بما يتناسب مع الواقع لان نقل الوصفات الجاهزه فى قوالب جامده تعني أنها غير متطورة وتسبب بخروج المجتمع عن الواقع لعدم فهم المرحله حيث شاهدنا اليوم انفصال بين الفكره والعمل فى أغلب حركه الجماعات الإسلامية لأنها نقلت لنا وصفات جاهزه تعود الي مرحله تاريخيه كانت مشاكل المجتمع الإسلامي محصوره حول الصراع بين علماء الامه والفلاسفه وغيرها من الأمور حيث نجد من يتحدث عن طاعه ولي الامر وينزل النصوص الورداه في القران الكريم لاجل خدمه الحكام الذين أصبحوا يمارسون الاضطهاد والاستبداد والظلم باسم الإسلام

فاللازم أن ندرس واقعنا ونبحث عن الحلول من التراث من خلال استخلاص الدروس عن طريق التعمق بدلا من نقل الوصفات كردود فعل عصبيه لحوادث عارضه

الأمر الرابع

(تحديد الاهداف العامه والمرحليه)

أن ندرك أن الأهداف تختلف من مرحله الي أخرى حيث أنها تفرض نفسها فى مرحله من المراحل على طريق التقدم متقيده بالامكانيات الواقعية والقوي الموضوعية التى يعتمد عليها التنفيذ الممكن المتحرر من الاماني المجرده ولهذا فإنه لابد من تحديد الأهداف في كل مرحله الأهداف الاساسيه والعامه والإستراتيجية والأهداف

المرحليه والأهداف الخاصه فى كل بلده او مكان والانطلاق على هذا الاساس فالمجتمع يتطور ويتغير ولهذا فإن الحلول التى تطرح فى كل مرحله من المراحل لايمكن أن تكون حلولا دائمه وإلا فإنها هي الأخرى تصبح حلولا جامده وغير متطوره وتتحول بمرور الزمن الى مواقف متخلفه

ولهذا فإن وقف الاجتهاد الفقهي والنظر الي ماطرحه الفقهاء فى مرحله ما من تاريخ الاسلام على انها مقدسه وبمنزله القران أوجدت ازمه دستوريه تعيشها الامه اليوم حيث اننا مازلنا نحكم بنظريه الظرف الطارئ وحكم الضروره التى اباحت وقف العمل بقاعده اختيار الخليفه بعد صفين لاجل الحفاظ على وحده الامه فهذه الظروف هي التى جعلت العلماء يتركون العمل بالحكم الأصل للضروره التى تكون موقته بقيام حاله الضروره كما قال تعالى

فمن اضطر فى مخمصه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم ..الخ

ولهذا فإن فهم الواقع وحسن انزال المفاهيم على الوقائع أمر فى غايه الاهميه للتطور والتقدم وان يكون ترتيب الأولويات وتقدير الأصلح والامكن لماذا؟

لان التقدم حركه الى الامام حركه ظروف موضوعيه فى اتجاه مستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية وثقافية افضل وهذه الظروف تتأثر بسلوك المجتمع كما توثر فيه وهي تتحرك بعمل ارداي لايحقق غاياته المقصوده الا إذا انبعث من إدراك يصقله العلم وتهذبه الخبره حتى تتوجه حركته وفق تخطيط مقدر ومحسوب وصولا الى الهدف فاستبدال أسباب الظواهر السلبيه باخرى ايجابيه مضاده يتعدي مجرد المشاهده لاسباب ظاهره التخلف والإخلاص باستبدالها ويستلزم إدراك كيفيه احداث ذلك الى جانب الاخلاص فى اراده أحداثه فالتخلص من التخلف يحتاج الى جهد شامل ينبثق من إدراك قادر على ربط نقطه الانطلاق بهدف الوصول فخ لال ذلك تظهر مفاهيم واراء ضروريه تستمد ضروريتها من موضوعيتها ومن توسطها العضوي بين الانطلاق و الهدف وهذه الضروره هي أن نسلم بأن حقيقه وجود جيوب للمشركين فى جزيره العرب التى تمثل عمق الدوله الاسلاميه يشكل خطراً يهدد التطور الذى.بدء بنشر الاسلام فى العالم كله بعد غزوه تبوك فكان لابد من القيام بالمعالجة العلميه لمرحله هذا الانتقال حتى لاتتعثر الخطوات الايجابيه وتتوه الانجازات المحققه فى خضم المشاكل التى ينشاها العلاج السطحي ويخلقها التطور المراهق وايضا لابد من مواجهه التحديات بـ التقدير الصحيح للقدره للتعامل مع هذه الظروف لان اساءه التقدير الناتج عن مشكله الاستعلاء على الظروف الموضوعية والتقدير الساذج للقدره الذاتيه يخلق اعتقادا وهميا بإمكانية التعامل مع الغير على اساس هذا الا ستعلاء وتلك القدره الناتجه عن الانفعال الذاتي المشوه بالاعجاب بالنفس فتودي الى الاصطدام بالواقع وفقدان القدره على التغيير ولهذا لابد أن نقوم بترتيب الأولويات لنضع النقاط على الحروف فيكون التركيز فى بدايه الامر على الأهداف التى تتطلبها مرحله الإنقاذ الأساسية فإذا تم اجتياز مرحله الإنقاذ الأساسية يكون الانتقال الى مرحله التحسين والاستقرار ولهذا نجد أن الايات تأتي بهذا الحكم الذى فيه اعلان البراءه من المشركين لا ن المتغيرات التى حدثت بعد فتح مكه وسقوط دول الشرك ولأن رساله الاسلام قد بدأت معركه نشر الدين فى العالم كله فى معركه تبوك فكان لابد من اعاده ترتيب أحوال الدوله الداخليه فلا يمكن أن يتعايش الاسلام مع الشرك كفكره ومنهج وكنظام داخل الدوله الاسلاميه فالحرب طيله السنوات السابقه مع المشركين كانت لا جل إعلاء كلمه الله التوحيد لا اله الا الله ولهذا كان لابد من إنهاء كافه التعاملات مع المشركين وعليه الدخول فى الإسلام إذا أرادوا الامان فهذه الخطه انطلقت من دراسه الواقع وبما يتناسب مع المرحله التى وصلت إليها الدوله ومتطلبات مرحله الاستقرار التى تتطلب ضبط الأهداف والوسائل بناء على فهم الواقع حتى يكون استخدام سرعه التطور الممكنه بالقدر المناسب الذى لايفوت الفرصه فى التطور الناتج عن السعي البطي او الوقوف فى نفس المكان فالاستقرار لايمكن أن يتحقق فى ظل الفوضى الفكريه فاي دوله طابع حالها عدم الا ستقرار فإنها تكون سهله السقوط ولهذا نجد الاعداء والدول الاستعمارية تشجيع الفوضى فى دول الاخرين وتعمل على نشر الفوضى وجعلها تسود فى الدول المعاديه لها لأنه كلما زادت هذه الفوضى كلما استغرقت قوي

الدول الوطنيه وكان ذلك مصدر قوه الاستعمار الذى تزداد قوته كلما غرقت الدول الأخرى فى الفوضى لانه يمنع من الاستقرار للدوله ويكون عامل ضعف لها

الدرس الثالث

أن الانذار النهائي القرآني اروع ماعرفته البشريه للدلالة على انسانيه العقيده العسكرية الحربيه فى الاسلام فالا يه تحدد المهله للكفار باربعه اشهر وهي مده كافيه ويقرر قواعد سياسيه تضمن حقوق هولاء الكفار وتحدد قواعد التعامل مع الدول الأخرى المهزومه فى عصر كانت القوه والغلبه هي التى تحكم العالم حيث يحرم المهزوم من أبسط الحقوق ويعيش مستعبد ويتم الاستيلاء على امواله والفتك به دون سابق إنذار لكن الاسلام الذى بين للمسلمين.ان التمكين والعز لايعني الافساد فى الأرض قد قرر حقوق هذه الشعوب فأعلن البراءه ليأخذوا حذرهم فقال تعالى (فسيحوا فى الأرض اربعه اشهر) حيث نجد أن الخطاب انصرف عن المسلمين الى مواجهه المشركين فلم يقل فليسحوا فى الأرض ..بصيغه امر الغائب ولكن جاء بصيغه المخاطب للمبالغه فى الا علام .بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفله وقطعا لشان اعتذراهم بعد م الاستعداد فكان هذا الالتفات وتلوين الخطاب لغرض التهديد وقطع الأعذار

حيث إن الأمر بالسير فى الأرض مفرعا على البراءه من العهد مقرونا بالاربعه الاشهر علم منه أن السير يرد به من دون خوف فى أي مكان كان فهذه المده امان لهم وفي هذه دعوه للتفكير في ضعفهم لانه استخدام فعل ا لأمر فسيحوا مع أنه يمكن أن يذكر ذلك علي سبيل الاخبار كان يقول فلكم أن تسيحوا ونحو ذلك فأراد بهذا اظهار كمال القوه والغلبه والظهور لدوله الاسلام وعدم الاكتراث لهم فهم فى قبضه الله اينما كانوا ولهذا اتبعه بلفظه السياحه للتعبير على السير وهذا يشعرهم بضعف سيرهم لان الإسلام كان قد ظهر وصار له قوه وغلبه وظهور فأراد بهذه الكلمه أن يقرع آذانهم ويوقظ قلوبهم للعناية بما بعدها فقال تعالى (واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين)

يلفت انتباهم الي حقيقه أنهم في قبضه الله ولن يستطيعوا الإفلات من العقاب فأراد بهذا أن يفتح أعينهم الي حقيقه أنهم مقهورون فهو يدعوهم الي التفكير الدائم في الزمن بأنه يمر بسرعه فعليهم اغتنام الفرصة فى هذا الوقت ليتركوا الشرك ويغيروا اتجاه المسار فالتفكير بالزمن من أهم الحوافز التى تدعوا الى التوبه وايضا التفكير بالضعف وانك في قبضه الله من أهم الحوافز التي تدفع الي التوبه لأن من أهم أسباب العناد والا نحراف هو تضخيم الذات وتحويلها الى محور اهتمام الشخص واغتراره بالمكانه والجاه والسلطان موانع تحول دون توبه الإنسان لكن من علم أنه ضعيف وأنه فقير وأنه بلا ايمان كائن حقير ومقهور سوف يعود الى الله وسوف يذله ويفضحه على الملاء فى الدنيا والاخره فإنه إن كان عاقل سوف يعود تائبا الى الله ويطلب منه تعالى المكانه الكريمه والمنزله من خلال الإذعان والاستسلام والخضوع لله تعالى ولهذا وضع اسم الجلالة موضع المضمر فى قوله (وان الله مخزى الكافرين)فلم يقل وأنه مخزى الكافرين لتربيه المهابه وتهويل أمر الا جتراء على الله وهو الإذلال بما فيه فضيحه وخزى وعار وكذلك نجد ايثار الاظمار على الاظهار في قوله (مخزى الكافرين) فلم يقل أن الله مخريهم الذين وصفهم بالكفر بعدما وصفهم بالاشراك للاشعار أن عله الفضيحه هو كفرهم فأراد بهذا أن يلفت انتباههم الى العواقب والى المستقبل الذى ينتظرهم فالنظره الى المستقبل من أهم الحوافز على التوبه لان العاقل عندما ينظر للعواقب فمن الطبيعي أن يوثر الاخره على الدنيا وبالتالي يسارع الى التوبه والطاعه قبل فوات الاوان فالله يقول لهم كيف تغفلون عن مستقبلكم الذى فيه سعادتكم أو شقاءكم فأنت من ترسم مستقبلك وتخطه بيدك وعملك وانت تعيش فى الدنيا لفتره محدوده قصيره جدا ثم تعود الى الله وهناك يكون المستقبل أما الجنه او النار فلن تستطيع الإفلات من عقاب الله اذا اصريت على العناد هكذا نجد أن الخطاب القرآني بهذه الروعه يغزو أعماق النفس لاجل استجلاب استجابتها للتوحيد بقناعه تامه وبارداه حره

ثالثا

تمضى سياق النصوص فى بيان الأحكام والتشريعات النهائيه المتعلقه بمرحله التمكين والعز وقواعد العلاقات مع الاخرين احكام تتناسب مع المرحله التى وصلت إليها الدوله الاسلاميه فهذه الأحكام متعلقه بمرحله الا نتقال.من مرحله الإنقاذ الأساسية التى ابتدأت بفتح مكه وسقوط نظام الشرك الى مرحله الاستقرار التى ابتدأت بتدشين مرحله نشر رساله الاسلام فى العالم الخارجي ابتداء من معركه تبوك فكان لابد من اعاده ترتيب أوضاع الدوله الاسلاميه الداخلية فقال تعالى (براءه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض اربعه اشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين) أعلمهم بالبراءة وبالوقت المحدد لهم لتصفيه أعمالهم وتجارتهم باشعارهم أنهم لاعهد لهم ثم عطف على ذلك بقوله (واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

عليك أن تدرك أن التخلص من التخلف يتطلب جهود كبيرة وشاقه ينبثق من إدراك قادر على ربط نقطه الانطلا ق بهدف الوصول يصقله العلم وتهذبه الخبره المطلوبه وهذا يحتاج تجاوز السلبيات التى تعيق فهم وإدراك طبيعه المرحله ولهذا نجد ألايه ابتدأت بهذه الاعلان (واذان من الله ورسوله الى الناس)

والاذن يعني الإعلام لان اصل إذن يدل على العلم والإعلام وهو اعلام من الله ورسوله الى الناس كلهم اي الكافر والمؤمن بعد أن أعلمهم بالبراءة وبالوقت المحدد للمشركين لتصفيه أعمالهم وتجارتهم فجاء هذا الإعلان الذى علق الاذان على الناس بينما علق البراءه فى الايه السابقه بالذين عاهدوا من المشركين وذلك لأن الايه ا لبراءه متعلقه بالمعاهدين والناكثين منهم أما الاذأن فهو لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد والناكث وغير الناكث والكافر والمسلم فأراد بهذا أن يصل بنا هذا الاعلان الى الشعور بضروره التخلص من الشرك وأهله بأن نسلم بحقيقه أن الشرك والمشركين عوائق أمام التقدم والتطور ويشكل خطر1 أمام التقدم والاستقرار حيث وان الوصول الى الشعور بضروره الخلاص من الشرك وأهله أمر مهم لاحداث التطور

الأمر الثاني

تهدف الآيات الى اعاده تشكيل العقول والمدراك واقامه حياتهم على اساس الولاء والبراء والذي على أساسه يتم بناء العلاقات كقاعده توجب العمل على تغيير الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية و الفكرية فى الجزيره العربيه التى تعيق عملية التقدم والتطور وتشكل خطر1 يهدد استقرار الدوله ولهذا كان اضافه الاذان الى الله ورسوله ليغرس فى النفوس القبول بالأمر بقطع كل العلاقات مع المشركين باعتبار أن هذا الأمر حكم شرعي ليس هنالك مجال للنقاش بشأنه فهذا هو الحكم النهائي الذى يجب الالتزام به فى هذه المرحله والتشريع لايكون الا من الله ورسوله ولهذا كان تعديه الكلام بحرف الانتهاء (الى الناس)

اي كلهم لأنهم المقصود بالبلاغ الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فأراد بهذا شحن اراده الجماهير بطاقه الحماس على خلع كل ولاء للقبيله والعشيره والجنس واللون والعمل على ازاله العقبات التى تقف عائقا أمام المضى قدما نحو الأفضل قبل أن يتعظم شأنها فتصبح تيارات جارفه لاتجد أمامها من يقاومها بشكل فعال ولهذا جاء التصريح بفعل البراءه مره اخرى دون اظمار لان المقام مقام اطناب لاجل أن يفهم السامع ذلك ولأن البراءه فى الأولى هى من العهد أما الثانية متعلقه بعدم مولاه المشركين

ولهذا ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم ابوبكر ينادى فى الناس أن لايحج العام المقبل مشرك ولايطوف ب البيت عريان ...الخ

ثم أرسل علي بن ابي طالب بعده ينادى فى الناس بذلك يوم النحر حيث فيه يكون اجتماع الناس فاختيار هذا التوقيت مهم لان نجاح المهمه لاتتوقف على قيام فرد واحد بتطهير الطريق من العقبات الموجوده وانما يتوقف على تجاوب اكبر قدر ممكن من الغير وعلى عدم القاههم بعقبات جديده فى وسط الطريق الوعر فاستناف الشعب مسيرته نحو المستقبل يقتضى تطهير الطريق من عقبات الماضي فاي تقدم يجب أن يعمل او لا على ازاله اثار الماضى البغيض وازاله الحواجز التى صنعها اتباع الشيطان لتعطيل الطاقات

الأمر الثالث

أن البراءه هنا لايقصد بها الاستفزاز وانما يراد بها فى الحالتين الايقاظ ليفهم الناس طبيعه المرحله المقبله التى انتقلت إليها الجماعه المسلمه ومستلزماتها ولهذا قال تعالى بعدها (فإن تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم)

فالبراءه لايقصد بها الاستفزاز وانما يقصد بها الايقاظ ولهذا يدعوهم الى التوبه فجعل شرط المواطنه والا نتساب لهذا الوطن هو ترك الشرك وأهله

وتغير المسار من الشرك الى الاسلام ويحذرهم من الأعراض وان توليتم بالاستمرار فى الشرك فكان الترغيب بالتوبه من الشرك والتحذير من الاستمرار بالشرك بأسلوب فيه الالتفات من الغيبه الى الخطاب بقوله فإن تبتم بعد قوله إن الله برئ... لفتح أبواب الرحمه لهم بعد أن بدأت السوره بإعلان البراءه بالترغيب بالتوبه وكذلك فإن هذا الأسلوب لزياده التهديد والوعيد الشديد لمن أصر على الاستمرار فى السير فى طريق الشرك ف المهله الاربعه اشهر لاجل أن لايباغتهم من جهه ومن جهه أخرى لاجل التفكر والتأمل فى ما هم عليه لاجل أن يعودوا الى الله تائبين .ولهذا قال بعدها (واعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم)

فقد جعل الانذار بالبشاره على سبيل الاستهزاء بهم وهذا فيه وعيد عظيم لأنها بشاره بعذاب اليم موجع وجاء بعدها بالاستثناء (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحد فاتمو ا إليهم عهدهم الى مدتهم أن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)

فالبراءه المطلقه التامه من جميع المشركين الا الذين استمروا على عهدهم ولم يخلوا بشي من العهد او غرض من أغراضه وشروطه واستعمل كلمه شي نكره للدلاله على عدم نقص اي شي من أغراضه صغير كان أو كبيرا ولم يشترك فى مساعده أعداء الإسلام بتقديم اي مساعده كانت مباشره او بالتمالوا فهولاء يجب الوفاء بالعهد المبرم معهم حتى نهايه المده المحدده فيه وجعل ذلك من أسباب محبه الله فدل هذا أن الذى يتعاون مع الا عداء يكون حكمه حكم أصحاب العهود التى جعل لها اربعه اشهر مهله لإصلاح أوضاعهم فإذا انقضت هذه المده الاربعه الأشهر المحدده فى الايه الأولي من السوره نهايه المهله عندها يكون قتلهم والتنكيل بهم ومحاصرتهم وقتلهم فى أي مكان وزمان ووجدوا فيه وأمر المسلمين أن يقعدوا لهم كل مرصد اي فى كل موقع لان الكلمه فيها تعميم المراصد.المظنون الفرار إليها تحذيرا للمسلمين من اضاعه الحراسه فى المراصد التى يمكن أن يتواجد فيها الاعداء والانتباه حتى لايجد العدو ثغره ينفذ منها فالمراد بهذا أن يكون المسلم على يقظه وكلمه كل للتنبيه على الاجتهاد فى استقصاء المراصد والتعبير بالقعود للارشاد الى المكان ومن الترصد بالاستقرار و التمكين

فكان المراد بالبراءة هنا الايقاظ ليفهم الناس طبيعه المرحله التى انتقلت إليها الجماعه المسلمه ومستلزماته ولهذا كان ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ليعلن ببراءه يوم النحر برغم

إرساله ابوبكر الصديق بنفس المهمه فهذا يدل على ان الامر في غايه الخطوره يهدد الجماعه المسلمه ودولتها فكان المراد بهذا القضاء على جميع مظاهر الفوضى الفكريه وانهاء جيوب الشرك وأنظمتها خاصه بعد ظهور منهم الرغبه فى زوال دوله الاسلام وفرحتهم عندما تصوروا أن خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لملاقاه الروم سوف يودى إلى قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد كانوا يرغبون أن يهلك الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى هذه المعركة فدل هذا أنهم يترصدون اي فرصه أو ثغره لينقضوا على دوله الاسلا م فكان لابد من إنهاء جميع مظاهر الشرك وأهله قبل أن يستغلهم الروم فى هدم دوله الاسلام فمعلوم أن الا ستعمار فى كل زمان يلجأ إلى نشر الفوضى داخل الدول ويدعم المعارضين ليكونوا أوراقا يستعملها فى هدم الدول الأخرى وهم يلجأون الى سياسيه تفكيك الدول من الداخل ولهذا كان لابد من إنهاء جميع مظاهر الشرك بكافه انواعها وأشكاله من جزيره العرب حتى لايستغل الروم ذلك لضرب دوله الاسلام من العمق الاستراتيجي للدوله اي من داخلها وكان لابد من مطارده فلول بقايا المشركين المتمردين والمعاندين الرافضين القبول بالإسلا م لتخفيف الضغط على المركز ولخلق الاحساس لدى القبائل التى كانت بينها وبين المسلمين عهود موقته او المتمرده أن دوله الاسلام تلقي قبولا واسعا وأنها ذات قوه فيودي ذلك الى دخولهم في الاسلام ولهذا يقول تعال بعدها (فإن تابوا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم أن الله غفور رحيم)

فما هي توبتهم ؟

أنها خلع الأوثان وعباده الله تعال وحده لا شريك له فهذه هي وسيله تخليه سبيل المشركين الذين نقضوا العهود و المنهزمين فى المعركه مع الاسلام فهو منوط بترك الشرك وتغير اتجاه المسار الى طريق الاسلام فمن حق المسلمين أن يفرضوا عليهم الشروط التى يضمن لهم السلامه والامن وهو تركهم الشرك والدخول فى الاس لام

وبالتالي فإن التوبه هنا تعني تغيير اتجاه المسار ولايعني ذلك أنهم كانوا مسلمون فارتدوا كما قد يتبادر الى الذهن لان تلك التوبه تعني تصحيح اتجاه المسار وهي تختلف عن مفهوم التوبه هنا التى تواجه واقعا لأنه ماكان أحدهم أن يعلن توبته عن السير فى طريق الشرك الا ان يقبل بمنهج الاسلام ويتخذه مسارا لحياته وهو بذلك يغيير مساره اتجاهه من الشرك الي الاسلام

رابعا

بعد أن صرحت الآيات ببراءه الله ورسوله من عهود المشركين السابقه وحددت لهم مهله اربعه اشهر لتصفيه أعمالهم وتجارتهم ويتدبرون أمورهم وأنه بانتهاء الاربعه الأشهر وانسلخها اي انقضاءه يكون للمسلمين استباحه نفوسهم وأموالهم وقتلهم فأمرهم الله باذلالهم بكافه الوسائل تأتي بعدها.هذه الايه التي تأمر بتأمين اللاجئ من المشركين الي ديار الإسلام حتي يسمع كلام الله فقال تعالي (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتي يسمع كلام الله ثم أبلغه مامنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون)

الأمر الأول

منهم المراد بهم في الايه (وان أحد من المشركين استجارك)

الايه عامه وان كانت نزلت بشأن المشركين الذين صرحت الآيات السابقه ببراءه الله ورسوله من عهود المشركين السابقه والتى حددت الآيات لهم مهله كافيه (اربعه اشهر)لتصفيه أعمالهم وتجارتهم ويتدبرون أمورهم خلال هذه المده التي سماها اشهر حرم في قوله(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ..الخ

فالمراد بها الاربعه الأشهر التى جعلها مهله لهم وليس المراد بها الأشهر الحرم المعروفه

وقد سمي مده المهله اشهر حرم لانه جعلها امان لهم وحرم قتلهم أو الاعتداء عليهم

وقد أمر الله المسلمين بعد انقضاء الاربعه الأشهر المحدده كمهله أن يقتلوا المشركين واحل لهم استباحه نفوسهم وأموالهم وقتلهم فجاء هنا بعدها بهذه الايه التى تأمر بتأمين اللاجئ من المشركين الذين أمر بقتلهم وهي قاعده عامه تشمل جميع المشركين الذين يطلبون اللجوء الى ديار الإسلام من الدول المحاربه لمعرفه حقيقه الاسلام او أن يكون ناقل رساله او لمصلحه السفاره عن قومه ولهذا صيغ الكلام بطريقه الشرط لتأكيد حكم الجوار فقال تعالي (وان أحد)للاشاره الى أن الشأن أن تقع الرغبه بالجوار من جانب المشركين فكان مجئ أحد مرفوع باضمار فعل مقدر بعده وسبقه أن لان هذا حسن في أن وقبيح فى اخواتها على مذهب سيبويه لان أن ام الحروف وشرط فخصت بهذا من دون غيرها فهذا الشأن خاص بأن التى يكون شرطها نادر الوقوع فأريد بهذا التنبيه على أن هذا شرط فرض ليكلا يزعم المشركون أنهم لن يتمكنوا من لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الاربعه الأشهر فالمسلمون قاعدون لهم فى كل مكان فيعتبروا ذلك عذرا وحجه على الا ستمرار فى الشرك وهذا ماذكره سعيد بن جبير أن رجلا من المشركين جاء الى علي بن ابي طالب فقال إن أراد الرجل منا أن يأتى محمد بعد انقضاء الاربعه الأشهر يسمع كلام الله اوياتيه لحاجه قتل ..فقال علي رضي الله عنه لا لأن الله تعالى يقول وان أحد من المشركين استجارك فاجرة ...

ولهذا فإن مجئ أن هنا وبعدها أحد دون لفظ مشرك للتنصيص يدل على عموم الجنس

فهي قاعده عامه تعم جميع المشركين والمعني (إذا استامنك أحد هولاء الذين أمرت بقتلهم فاجبه الى طلبه حتى يسمع كلام الله ليفهم احكام القران ويتدبر مافيه فإن قبل فهو أمر حسن وان لم يقبل بالإسلام فقد أقيمت عليه الحجه فاللازم عليك أن تحميه وتحرسه حتى يصل الى المكان الذى يامن فيه وهو دار قومه وتمنع اي عدوان عليه معللا ذلك بأنهم قوم لايعلمون حقائق القران والتوحيد والإسلام فهم محتاجون لسماع كلا م الله)

الأمر الثاني

تبين الايه أن اعلان البراءه من المشركين وعهودهم قد أيقظ عقول ونفوس الكثيرون منهم مما دفعهم الى التساؤل عن احكام القران والرغبه فى فهم مافيه والاسترشاد فالكثيرون بدوا يرغبون فى سماع القران الكريم

والسؤال لماذا فى هذا التوقيت كان رغبتهم فى سماع القران ؟

الجواب لأنهم فى الماضى كانوا يتعمدون عدم السماع للقران لأنهم يريدون أن يغلبوا الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام فقال تعالى عنهم (وقالوا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون)

أمابعد الفتح وبعد إعلان البراءه والأمر بقتلهم فقد يأس الكفار من عوده الشرك ويأسؤا من عوده الماضى ويأسؤا من فكره أن يغلبوا الاسلام او أن يدحروه بعد أن صار له الغلبه ولهذا انتهي العناد وسقطت نظريه الأ وثان وانهارت كما حصل للكثيرون من الذين اعتنقوا الماركسيه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي بدأ الكثيرون يبحثون عن الدين وهكذا هو حال المشركين بدأ الكثيرون يبحث عن الحقيقه أصبح كل واحد منهم يريد أن يفهم مافى القرآن ولهذا جاء الأمر بإعطاءهم الامان أن هم طلبوا ذلك فالإسلام حريص على هدايه قلوب البشر حريص على توبه المشركين ولهذا يامر باعطاءهم فرصه سماع القرآن ومعرفه هذا الدين وازاله الشبهات التى تحول دون إيمانهم لعل الله يشرح صدروهم فإن هم استجابوا كان أمرا حسن وان لم يستجبوا فقد أقمت عليهم الحجه وحينها وجب عليك حراستهم وحمايتهم حتى يصلوا الى ديارهم التى يامنؤن فيها على أنفسهم بين قومهم

الأمر الثالث

لماذا اقتصر فى اقامه الحجه على ذكر حصول السماع ؟وهل كل من سمع شي من القران فهم مافيه؟

تبين الايه أن القرآن الكريم له من الحكم دلالته على نفسه وصدقه لان نظمه معجز يمكن لكل من يسمعه من أهل الفصاحه والبلاغة أن يعلم أنه كلام الله تعالي من جهه الاستدلال

وكلام الله مسموع عند قراءه القارئ لكلامه فموسي لما سمع كلامه تعالى علم أنه فى الحقيقه كلامه من جهه الا ستدلال وكذلك نحن نعلم أن ما نقرؤه من هذا كلام الله من جهه الاستدلال لعجز البشر أن ياتوا بمثله

والمراد بهذا أن كل من يقرأ عليه شي من كتاب الله ولو فاتحه الكتاب علم أنه كلام الله فيقول سمعت كلام الله وليس المقصود أن يسمع القران كاملا

فأراد بهذا بيان ما امتاز به القرآن من كونه معجز فى نظمه وهم يعرفون وجوه الخطاب ويتقنون مصارف الكلا م كاملين فى الفصاحه عارفين بأوجه الصناعه ولهذا فإنه لو احتج عليهم بالقران وقيل لهم أن الدلاله على نبوه الرسول ومعجزه الرساله ما تلوته عليكم منه لكان ذلك بلاغا فى إيجاب الحجه وتماما فى إلزامه فرض المصير اليه

ولهذا جعل سماعه حجه عليه بنفسه فدل هذا أن فيهم من يكون سماعه إياه حجه عليه لان المتناهي فى الفصاحه والعلم بالاساليب التى يقع فيها التفاصح إذا سمع القران عرف أنه معجز لانه يعرف من حال نفسه أنه لايقدر أن يأتى بمثله وهو يعرف من حال غيره ما يعرف من حال نفسه فيري أن مايتلو عليه برهان صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه كلام الله

الاجابه علي السؤال الثاني

اذا كان السماع حجه كافيه فلماذا لم يكن حال الفصحاء على طريقه واحده فى إسلامهم عند سماعه ؟

لايجب ذلك لأن صورافهم كثيره ومتنوعه ووجوه شكوكهم مختلفه وطرق شبههم متابينه فمنهم من كان العارض شبهه الكبر فقد يتأمل الحجه حق التأمل ويعرف صدقها لكن الكبر يصرفه عنها ومنهم من لم يكن يعرف بالبلاغه الكثير فتطاول عليه الزمن الي أن نظر واستبصر وراعي واعتبر واحتاج أن يتأمل عجز غيره عن الإتيان بمثله فلذلك وقف أمره ولو كان أهل الفصاحه على مرتبه واحده وكانت صورافهم وأسبابها متفقه لتوافوا الى القبول جمله واحده ولهذا أوجب الاسلام علينا أن نزيل هذه الصوارف والشبهات خلال ارشاد من يطلب سماع ا لادله على حقيقه الاسلام ومن طلب الجواب على الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام طالما أنهم يطرحون تلك الأسئلة من باب اراده الفهم والمعرفة والبحث عن الحقيقه فعلينا أن نبذل أقصى الجهود لتعليمهم وازاله الشبهات عنهم لعل الله يشرح صدورهم للإسلام

الأمر الرابع

لماذا أمر أوجب الله إمهال الكافر حتي يسمع كلام الله وجعل اقامه الحجه بسماع القرآن فقال تعالي (ذلك بأنهم قوم لايعلمون)

لان الإسلام يرفض التقليد ولايقبل به ولهذا لم يقول لهم أما أن تدخلوا الاسلام او القتل بل أتاح المجال لهم لمعرفه حقيقه الاسلام ومافيه من تعاليم وبرهان توكد أنه كلام الله

فالقران لم يلزمهم تصديقه تقليدا ونعلم أن المؤمنين الاولين السابقين للإسلام لم يقلدوه وانما دخلوا على بصيره ولهذا أمرهم بالنظر والتدبر فى أمر القران وان يرجعوا الى جميع الفصحاء يتحدهم أن ياتوا بمثله فإذا عجزوا بمثله فقد قامت عليكم الحجه ولهذا لما راهم يعلمون إعجازه الزامهم حكمه فقبلوه وتابعوا الحق وبادروا

مستسلمين ولم يشكوا فى صدقه ولم يرتابوا فى وجه دلالته

فمن كانت بصيرته اقوي ومعرفته ابلغ كان الى القبول منه اسبق ومن اشتبه عليه وجه الاعجاز واشتبه عليه بعض شروط المعجزات واداله النبوات كان أبطأ الى القبول حتى تكاملت أسبابه واجتمعت له بصيرته وترادفت عليه مواده

ولهذا أوجب الله على المسلم التفقه فى الدين وترك التقليد فالتقليد غير كاف فلابد من النظر والاستدلال ولو كان التقليد كافيا لوجب أن لايمهل الكافر ولقال له أما أن نؤمن وأما إن تقتل ولكن الاسلام أوجب المهله وازاله الخوف عنه ووجب تبليغه مامنه فعلم أن التقليد لايكفى فى الدين فلهذا أمهل ليحل له النظر والاستدلال لان الناس متفاوتون فى الفهم والإدراك وايضا الصوراف متنوعه فمنهم من يشك بالتوحيد ومنهم من يشك فى النبوه فهذا ابو سفيان لما جاء الي الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح ليسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله قال بلي فشهد قال أما آن لك أن تشهد اني رسول الله قال أما هذه ففى النفس منها شي لهذا أوجب القرآن على الامام أن يعطي من يطلب معرفه حقيقه الاسلام المهله الكافيه لفهمه حقائق الإسلام وأن يبلغه مامنه بعد انقضاء المده وهذه المده ليست محدده بل تخضع لملاحظات الامام مع مراعاه مستوى الإدراك والفهم لدى المتلقى فمن ظهر عليه علامات تدل أنه جاد فى طلبه للحق وبحثه عن وجه الاستدلال اعطى المهل ومن ظهر أنه معرضا عن الحق ترك

الأمر الخامس

تبين النصوص مبدأ من مبادئ القانون الدولى الإنساني وهو حق الامان لمن يطلب اللجوء ولو كان هذا اللاجئ من المحاربين لدوله الاسلام وكذلك السفراء والدبلوماسيين وهذا من سمو اخلاق الاسلام التى أكد على اتباعه ضروره التمسك بها وحذر من مخالفتها ولهذا جاء الأمر بإعطاء الامان من يطلب ذلك من المشركين وألزم المسلمين بحمايته وضمان سلامته خلال فتره إقامته فى دوله الاسلام حتى لو رفض القبول بالإسلام فأنت ملزم بالاستمرار فى حمايته حتى يبلغ الأرض الذي فيه مامنه ولو بلغه بعد مده طويله فقال تعالى (ثم أبلغه مامنه) جي بحرف التراخي (ثم)للدلالة على وجوب الاهتمام بحمايته حتى يبلغ المكان الذى فيه مامنه وهذا يوجب على المسلمين عدم التعرض له حتى يبلغ بلده التى يامن فيها وليس المراد بهذا القيام بترحيله ولكن المعني اتركه يبلغ مامنه يقول ابن عاشور (فالعرب تقول لمن يبادر أحد بالكلام قبل إنهاء كلامه أبلغني ريقي ..اي امهلني لحظه مقدار ما ابلغ ريقي ثم اكلمك)

والمكان الأمن هو ديار قومه حيث لايستطيع احد أن يناله وقد اضيف الماضى الى ضمير المشرك للاشاره الى أن المكان الذى يامن فيه هو مقره الاصلي بخلاف دار الجوار فانها مامن عارض لايضاف الى المجاز

وجي بجمله (ذلك بأنهم قوم لايعلمون) لبيان عله تشريع الامان هو أن أغلبهم لايعلمون تعاليم الايمان وما يتبعها من نعيم ولايعلمون ماعليهم من ازر تركهم الايمان

القسم الثاني

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ماكانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فإخونكم فى الدين وتفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقالوا ائمه الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون

اولا

بعد أن تناولت الآيات السابقه إلغاء العمل بالعهود التى كانت مبرمه فيما بين المسلمين وقريش فى صلح الحديبية حيث كانت قريش هى زعيمه القبائل فى الجزيره العربيه ولهذا ورد فى بنود الصلح من أراد أن يدخل فىحلف قريش فليدخل ومن أراد أن يدخل فى حلف محمد فليدخل ولهذا كان ترتيب العلاقات مع الكفار الى محارب ومعاهد والمعاهد له ثلاثه احوال اهل ذمه أهل هدنه أهل امان ولما كانت قريش قد نقضت العهد بتقديم المساعده لبنو بكر فى عدوانهم على خزعه وكان ذلك سببا لفتح مكه ولهذا فقد ترتب على هذا التحول والتغيير فى الأوضاع اعاده ترتيب العلاقات معهم بناءا على هذه المتغيرات حيث وان الغلبه والسلطان على الجزيره والكعبه قد صارت للإسلام فكان لابد من اعاده بناء الدوله وموسساتها وترتيب أوضاعها وفقا لذلك وبما يضمن استقرارها كان لابد من ازاله كل خطر يهدد كيانها لهذا كان لابد من قوانين وتشريعات تستطيع أن تلبى متطلبات المرحله الجديده التى انتقلت إليها الجماعه المسلمه بعد زوال دوله الشرك فكان لابد من استراتجية لا حتواء الفراغ الذى قد ينجم عن غياب سلطه الزعامة الذى كانت تمثله قريش على قبائل الجزيره العربيه فكان لابد من إخضاع جميع القبائل للنظام الإسلامي لهذا كان إعلان البراءه من عهود المشركين لنقضهم عهدهم فالا تفاق لم يعد له قيمه مع استثني غير الناكثين بشرط عدم ظهور الغدر منهم بنقض العهد أو التعاون مع الاعداء سواء الروم اوغيرهم بإتمام العهد الى نهايه مدته ثم أمر بقتل المشركين بعد انتهاء الاربعه الأشهر المهله حتى يتركوا الشرك وقرر قاعده تأمين اللاجئ ..

ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بهذا الاستناف للحديث عن حكمه هذه التشريعات الجديده التى وراء الغاء العهود السابقه فقال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله)

لان الغاء العهود لابد أن يثير تساؤلات لدى لسامع لمن لم يطلع على دخيله الأمر وكذلك فإن هذه القبائل من المشركين أظهرت التعجب من البراءه وأظهرت التساؤلات عن سبب الغاء العهود وإعلان الحرب فكان هذا المقام مقام بيان حيث فيه بيان الآتي

الأمر الأول

أن تعى الامه جماعه وأفراد خطوره المرحله فعليه واجب المشاركه فى اعاده ترتيب نفسها حسب الإمكان و الظروف حيث وان الترتيب يبدأ من داخل المجتمع وإصلاح منطلقاته

ولهذا ابتدأت الآيات بهذا الأسلوب الانكاري (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله)

ليس المراد بهذا الإنكار واستبعاد وقوعه كما ذهب البعض فهذا أمر غير منطقي لان الصلح قد وقع فى الحديبيه و وصفه الله بأنه فتح مبين فقال تعالى(انا فتحنا لك فتحا مبينا) وذكر أنه كان سكينه منزله من الله فى قلوب المؤمنين فقال تعالي (وهو الذي أنزل السكينةفى قلوب المؤمنين)

ولهذا فإن الاستفهام انكاري اي إنكار لحاله ثبات العهد بين المشركين وأهل الاسلام اي دوام العهد فى المستقبل مع المشركين الذين عاهدهم المسلمين فى الحديبيه

فالمعني أن شأن هولاء أن لايكون هنالك عهد مع أهل الشرك لأنهم ينقضون العهود ولهذا جاء بفعل يكون وهذا الفعل يستعمل فى نفي الدؤام وعهد اسم يكون والايه فيها اظمار اي كيف يكون للمشركين عهد مع اضمار الغدر

فأراد بهذا التحذير للمؤمنين من أن يقع منهم ذلك فى المستقبل لان العهد إنما يكون بين طرفين وهولاء لا يومنون بالله ولايطيعون رسوله فمن رهن نفسه للهوى والشيطان فإنه لاعهد له فهو يخون نفسه فلا يؤتمن بشي فنظرته لاتتجاوز الشهوات والملذات انتبه أن تثق به فهو يبحث عن اقرب فرصه للانقضاض على العهود

فلا يمكن أن يثبت على عهد لان المصلحه الحاليه تجعله يندفع إليها ولاينظر الى المصلحه الاجله ولهذا فهو يخون نفسه ويغشها لان القلوب اذا تداعت الى الباطل فإنها تغش صاحبها فتعلقه بالدنيا يجعله اعمى غير ناظر فى مصلحته ولامفكر فى عاقبه أمره وبالتالي لايمكن أن يؤتمن على شي

الأمر الثاني

تهدف الآيات الى ايجاد الإنسان المتناسب مع مطالب البناء الحضاري المتنامي نتيجه المتغيرات والتحولات فى حياه الامه ولهذا نجد النصوص ابتدأت بالاستفهام الإنكار ي وهذا لايقصد به استبعاد وقوع العهد مع المشركين كما توهم البعض بدليل مجئ الاستثناء بعدها (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام...الخ

وانما اريد بهذا استبعاد حاله ثبات العهد معهم ودوامه فهو ينفي وجود عهود مطلقه وهذا يستحيل وجوده الا بين المؤمنين بالله ورسوله لان العهود المطلقه إنما تكون بين المكونات التى تتفق فى الفكر وأسلوب الحياه اي وحده الفكر تجمعهم ووحده الارداه يتحركون نحو هدف محدد بارده واحده تجمعت الطاقات حوله بحيث تكون (وحده الفكر ووحده الارداه ووحده الخطر)

تجمعهم حولها فى هيكل تنظيمي واحد يسعون من خلاله الى تحقيق الأهداف التى اجتمعوا حولها تحت قياده واحده تكفل استمرار هذا الاتفاق وان حصل تحديث فى الوسائل والأساليب بما يتناسب مع الظروف الجديدة التي تتطلب اعاده صياغه الواقع ومواجهه افات الخطر بروح الفريق الواحد ولهذا فمن غير الممكن أن توجد عهود مطلقه إلا فيما بين جماعه الايمان لان الله قد منح الامان لهم فى الدنيا والاخره فقال تعالى

(فإما ياتينكم منى هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

ولهذا فالمؤمن ينطلق فى حياته من الغايه التى خلق لأجلها عباده الله وحده لا شريك له ولهذا فقلوب المؤمنين تجتمع حول هذا الهدف وتخضع لمنهج الله ابتغاء مرضاة الله واتباع سنه رسوله صلى الله عليه وسلم وتخضع للقياده وتشعر أن أي خطر على اي دوله من دول الاسلام هو خطر يهدد كيانهم جميعا

ولهذا يستحيل أن يوجد عهد مطلق يمنح المشركين الامان المطلق ولايمكن أن توجد عهود مطلقةبين المسلمين والمشركين لاختلاف المناهج واختلاف الفكر واختلاف المصالح فالكيان الذى يجمع المتناقضات لايمكن أن يستمر بينهم اي عهود ويستحيل أن توجد مصالح يتم الاجتماع حولها.الى ما لا نهايه لان الاتفاق يتألف من عنصرين :ـ

العنصر الأول : الموضوع محل الاتفاق .

العنصر الثاني العقول التى تتأمل هذا الموضوع..اي ان الاتفاق يعتمد على موضوع وعقول تتفق عليه..و الموضوع يتطور ويتغير باستمرار حتى الجبل يتطور ويتغير شكله وإبعاده نتيجه عوامل التعريه وقد يختفي كليه نتيجه الظروف والهزات الارضيه فكل موضوع سياسي كان أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي قابل للتغيير بفعل التطور بتطور عناصره التى تؤثر فيه بفعل ظروف جديد ه وكذلك فإن العقول تتطور هي الأخري كلما ازدادت معارف الإنسان ووالافكار تتطور باستمرار ولهذا فإن الأفكار التى يتفق عليها ينفع مرحله ما ولايمكن أن يكون صالحا فى كل الأوقات لان استخلاصها يكون استنادا لظروف معينه واستخلاصنا لها بعقول معينه فلا تكون باقيه الي ما لا نهايه ولهذا فإن الاتفاق الذى قد نتمسك به فى وقت معين لانه يكون ملائم لمرحله ما فيكون محل اتفاق واختيار حتى إذا تطور الموضوع والعقول فإن هذا الاتفاق يصبح غير مناسب ولا ملائم نتيجه المتغيرات ولهذا يلزم وجود اتفاق جديد او الغاءه لان التمسك به يعني التمسك بالتخلف والخبال ولهذاجاءت الايه ببيان الحكمه من الغاء العهود (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله)

لبيان أن طبيعه العهود متغيره ولايمكن أن تكون مطلقه إلا العهود بين جماعه المؤمنين فهي مطلقه أما العهود مع المشركين فهى مؤقته تفرضها المصالح وهذا الذى تم فى الحديبيه فقد حددت مدتها بعشر سنوات فالايه تهدف الى إنكار واستبعاد وجود عهود مطلقه بالأمان فيما بين المؤمنين والمشركين واستحاله وجودها من حيث المبدأ لا إنكار وقوع المعاهدات المؤقته فهذا أمر يمكن حصوله وقد حصل فعلا فى الحديبيه ولايعني هذا أنه كان يوجد عهد بين المسلمين والمشركين مطلق وان القران جاء بالغاءه كما توهم البعض فهذا غير صحيح لأ ن مده العهد الذى تضمنه صلح الحديبية عشر سنوات فالقران يتحدث عن استبعاد وقوع عهد مطلق مع المشركين من حيث المبدأ ولايمنع وقوعه لمده مؤقته ولهذا تتحدث الايه عن شرح أسباب الغاء العهود فتبين أن إبرام العهود مع المشركين مصلحه فرضتها مرحله معينه وكان ذلك فيه مصلحه للامه فى وقته ولذلك سماه الله فتحا مبينا والذى تضمن أمران أن لايصد أحد من البيت الحرام والطواف وأداء مشاعر الحج وان يتوقف القتال بينهم عشر سنوات .. .لان المشركين منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه من دخول مكه وأداء مناسك الحج وكانت قريش لاتعترف بالمسلمين كدوله ولهذا كان إبرام المعاهده في الحديبيه مع المشركين مصلحه فرضتها مرحله معينه فى ذلك الوقت ولما نقضت قريش العهد وكان فتح مكه وصارت الغلبه والقوه و التمكين والظهور للمسلمين فإنه من غير المستساغ أن يكون للمشركين عهد فى المستقبل بعدما زالت سيطرتهم على الكعبه ومكه لان سيطره المشركين على الحرم زالت ولهذا كان الغاء بنود الاتفاق المتعلقه أن لايصد أحد عن البيت الحرام فارسال الرسول صلى الله عليه وسلم ابوبكر وعلي للمناداه بمنع أي مشرك من دخول مكه ومنع أن يطوف بالبيت عريان وهذا التعديل يشمل كل المشركين بما فيهم اولئك الذين أمر بالوفاء بعهودهم وكذلك تضمن الاعلان البراءه من المشركين الذين نقضوا العهود وجاء ببيان الحكمه من الغاء العهود فقال تعالي (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله)

لبيان انه يستحيل وجود عهود مطلقه فاستعمل عند والتى تعني الاستمرار المجازي يعني الدوام إنما هو عهد مؤقت وقد كان من المشركين نقض العهد بمعاونه بنو بكر علي خزاعه

فلماذا يبرم معهم عهود وهم قد نقضوها من قبل ولايمكن إبرام عهود معهم بعد الان لان ذلك يمنحهم وقتا للنيل من دوله الاسلام ولهذا ذكر أنهم لا عهد لهم لان هولاء المشركون لايعبدون الله يواجهون خالقهم ورزاقهم بالكفر والجحود ولايعترفون بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ولايعترفون بالبعث والنشور و بالتالي لايصح أن يكون للمشركين عهد محترم عند الله وعند رسوله بعد سقوط دوله الشرك ونظامه فهم لاعهد لهم لأنهم لا يعاهدون الا في حاله العجز يبحثون عن الفرصه التى ينقضون فيها على دوله الاسلام فتذكر الآيات واقعهم المؤلم لبيان عدم استحقاق عهودهم للاحترام مع ماتبينه الآيات من عدواه المشركين الشديدة للمسلمين ومافى قلوبهم من حقد وتبيت للمكر والشر بما تدل على أنهم ليسوا أهلا بأن تبرم معهم عهود فهم لايحترمون العهود عند ما يجدون الفرصه سانحه فإنهم لن يرعوا لاعهود ولاصله النسب ولا القرابه ولا اي حق من الحقوق فكان بيان أسباب نقض عهود المشركين مناسبا لعمليه اعاده ترتيب الشعب المسلم باطلاعهم على حقيقه المشركين بأنهم لايرعون عهد ولاالا ولا ذمه لتعليم المؤمنين وتعريفهم بحقيقه عدوهم وتربيتهم على اخلاق أهل الإيمان بمجي الاستثناء الذى يوجب عليهم الوفاء بعهودهم وهم الذين كان منهم الوفاء بالعهد ويامرهم بمراعاة حق الوفاء بالعهد واعتباره ذلك من أبواب التقوي الموصله الى حب الله تعالى فكان هذا البيان لحكمه الأمر بقتالهم وقتلهم المشركين وعدم الكف عن مطاردتهم دورا كبيرا فى اعاده ترتيب الشعب بهذا المنهج الملائم و المناسب للمرحله وحاجتها الى ايجاد الإنسان المتناسب مع مطالب البناء الحضاري المتنامي نتيجه الانتقال الذى انتقلت إليه الجماعه المسلمه فلابد من العمل الواعي والبناء فكان مناسبا هذا البيان للربط بين التعليم و التربية والدعوه والجهاد لتوظيف الطاقات فى خدمه المشروع الايماني لان بيان الحكمه من قتلهم وبيان حالهم وما فى نفوسهم من حقد وكراهية للمسلمين تحفز وتثير مافى نفوس المؤمنين من طاقه تدفع عنهم التردد و التحرج من مطارده فلول المشركين دون أي توقف ولاتعاطف الا اذا دخلوا فى الاسلام فإنهم يصبحون اخوه لهم فى الدين هكذا نجد أن الآيات تبين لنا شروط ترتيب الشعوب والأجيال بأنه يكون من خلال دمج عمليات

التعليم والتربية والدعوه والجهاد جميعا فالمسلم لايهدف من معرفه الأحكام والتشريعات أن يخزنها فى عقله لتبقى نظريات فليس هذا هو الهدف من المعرفه بل لابد أن تتحول هذه النظريات الى سلوك وهذا ما ينبغي على المعلم أن يقوم به فدوره ليس مجرد تعليم الناس العلوم المختلفه سواء فى الطب أو الهندسه أو اي نوع من العلوم والمعارف بل لابد أن يتزامن مع ذلك غرس المفاهيم التربويه التي تجعل منه انسان أخلاقي رباني فتغرس فى نفس الطبيب الرحمه فى التعامل مع المرضي حتى لاتتحول عمليه الطب الى مسالخ تهدف الي تحقيق الربح يتعامل مع الإنسان داخل المنشاه كانه في مسالخ الجزاره ولهذا لابد من الربط بين العمليات التعليميه والتربوية والدعويه حتى لايفقد الطبيب إنسانيته ودوره فى حمل الرساله ونقلها للآخرين وهكذا يكون دور القاضي ليس تحقيق العدل بين الناس فقط بل يتجاوز ذلك الى غرس القيم والمبادئ التى يربى عليها المتقاضين وهكذا يكون حال كل واحد فى عمله ينفذه بإتقان مع حرصه على أن ينقل رساله للناس ترتبط بهذا العمل لان الفصل يولد الاستهتار وبالتالي إهدار الطاقات أو توظيفها لتخريب مقدرات الامه وإمكانياته خدمه للمشروع الاستعماري

ثانيا

تدعوا الآيات الى احترام العهود التى تمنح الامان للآخرين الى مده معينه طالما أنهم التزموا بالعهد وقبلوا التعديلات التى تتطلبها المرحله حيث وان الامان للمشركين المعاهدين محل الاستثناء هو امان من القتل واحترام حقوقهم لكن مساله منع الطواف بالبيت عريان أمر صار نافذا من تلك الساعه دون استثناء وكذلك منع دخول الحرم مشرك فهذا أمر نافذ أيضا فالمرونه هنا هي فى التعاملات الاقتصادية والاجتماعية وعدم مطاردتهم وهم جماعه من بنو بكر لم تحارب المسلمين فقال تعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم أن الله يحب المتقين)

حيث نجد أن الايه تبين الآتي

الأمر الأول

ابتدأت باستثناء جماعه خصتهم بالذكر بأنهم يجب الوفاء بعهدهم فقال تعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) والنص فيه ايحاء بخصوصية لهم أخص من ذكرهم في الآيات السابقه(الا الذين عاهدتم من المشركين)فما هو المقصود من تخصصهم بالذكر ؟

التنويه بحقيقه وفائهم بما عاهدوا عليه يقول ابن عاشور أن هولاء الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى عمره القضاء عند المسجد الحرام ودخلوا فى الصلح الذى عقده الرسول مع قريش بخصوصيتهم زياده على الصلح الاعم ولم ينقضوا عهدهم ولا تعانوا مع الاعداء ضد المسلمين الى وقت نزول براءه

فأراد بهذا

المفهوم الاول

بيان أن هذه الخصوصيه فى العهد جعلت لهولاء احكام خاصه منفصله عن الذين دخلوا فى عهد قريش لان نقض قريش للعهد يجعلهم شركاء معها فى ذلك فهو تابعون لها أما هولاء فإن لهم خصوصيه يجب مراعاتها

المفهوم الثاني

حث المؤمنين على الوفاء بالعهد فليس من خلق المؤمن أن ينزع يده من عهد مالم يظهر من المعاهد امارات الغدر والخيانه ولو كان كافر فأهل الايمان اولى الناس بالاستقامه

المفهوم الثالث

أن جلاله المكان تزيد من هيبه العهود ولهذا يستحسن أن توخذ العهود فى الأماكن المقدسة ذلك المشركين مع كفرهم كانوا لاينكثون المعاهدات التى تبرم عند المسجد الحرام لان ذلك أوقع في نفوسهم من الحلف المجرد كما قال تعالى(أنهم لا إيمان لهم)

الأمر الثاني

تبين الآيات وجوب الوفاء بالتمسك بعهدهم بشرط وفاءهم به فقال تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اي فتمسكوا بعهدهم مده تمسكهم لعهدكم ولهذا استعمل ما الظرفيه المتضمنه معني الشرط مسبوقه بقاء التفريع (فما استقاموا) وجاء بالفاء جواب الشرط (فاستقيموا لهم) يعطيك قاعده التعامل مع الاخرين فالمرونه لاتعني التفريط بالمبادئ فهذا تميع فلا تساوم بمبادئك فهي اشياء لايعبث بها وانما التعامل مع الاخرين يكون فى الأشياء التى لاتؤثر على مقاصد الشريعة الإسلامية

فالانفتاح على الآخرين تعني أن تعرض كل شي على منهج الله للفحص فما وافق شرع الله ومنهجه تم القبول به أما إذا خالفه وجب رفضه.

فلا تسمح للعلاقات مع الاخرين أن تودي الى ذوبان خصوصيتك فى ثقافتهم انتبه من ذلك اجعل علاقاتك مرهونه بحدود المعاهده ولهذا جعل المعيار للوفا ء الاستقامة

وحقيقه الاستقامه عدم الاعوجاج والسين والتاء للمبالغة مثل استجاب واستجيب

وهي تعني الشي إذا قام فانطلقت قامته ولم يكن فيه اعوجاج واستعمل هنا استعاره لحسن المعامله وترك القتال للتنبيه من اللف والدوران الذى يعني الحركه الملتوية والالتواء يعني الاعوجاج وهو ضد الاستقامة ولهذا جاء تعليل الأمر بالاستقامه بقوله تعالى (أن الله يحب المتقين) وهذا فيه

المفهوم الاول

حرص الإسلام على احترام القيم والمبادئ وعدم التفريط بها ولو كان ذلك فى التعامل مع المشركين فجاء هذا التعليل ليحرك الانفعالات النفسية بهذه الرجه التى تعصف بأعماق النفس فتحرك كل جزء منها لتحفظ العهد وتلتزم الوفاء به فإذا كان الأمر بالاعتناء بالعهد المبرم مع الكافر وحفظه وهو من موجبات التقوي التى يعبد الله بها المسلم فكيف بالعهود بين المؤمنين

المفهوم الثاني

أن غايه المسلم هو ارضاء الله ولهذا يبحث عن فعل يحبه الله ليفعله وان كانت نفسه كراهه له فهو يجد فى ذلك غذاء لروحه فهو ينقب عن كل مايبغض الله فيتركه كل همه هو أن يرضى الله عنه ويحبه ولهذا يقول له الحق أن الأعمال الموصوله الى محبه الله ورضاه كثيره ماعليك الا تبحث فى محيطك وفى واقع حياتك وان تصحح نيتك فتقصد بها إرضاء الله فى تعاملك مع من حولك وكذلك فتش عن كل أمر يغضب الله فاتركه بقصد خوف الله وطلب محبته لا حياء من الناس عندها تصل الى مرتبه المتقين الذين يحبهم الله ولهذا يقول الله لنا أن الوفاء بالعهد من أعمال المتقين الذين يحبهم الله ولو كان هذا العهد مع كافر

المفهوم الثالث

على المسلم أن يتعلم اسلوب الخطاب الذى يجذب فيه الاخرين ويدفعهم نحو الهدف الذى يريد تحقيقه فلا

تخجل أن تعبر لأخيك المسلم أو تلاميذك أو اطفالك عن حبك لهم عندما يلتزمون بالتعليمات فإن هذا حافزا قويا وكبيرا لهم للعطاء فاظهار المشاعر فى مثل هذه الأحوال لاتنتقص من منزلتك ولامن قيمه حديثك عندما تتحدث معهم فهذا ربك يخبر عباده عن حبه العظيم للمتقين ويدلهم علي أسباب الوصول الى حبه تعالي فمن ثمرات التقوي حصول محبه الله والانتفاع بمنهج الله وهدايته وقبول العمل ..وقد وردت كلمه المتقين فى سوره التوبه فى خمسه مواضع في الآيات (٤_٧)أن الله يحب المتقين لان الكلام عن العهد والوفاء به فكان هذا اشعار بأن الوفا ء بالعهد من أعمال المتقين التي يحبها الله

وفي الآيات (٣٦_١٢٣) أن الله مع المتقين لان الحديث متعلق بأعمال الجهاد والذى يحتاج الي اقدام فكان ذكر المعيه مناسبا لتقويه العزائم

في الايه (٤٤)والله عليم بالمتقين لان الكلام عن علامات المتقين الذين يبذلون الأنفس والأموال فى سبيل الله فهذه اماراته الظاهره والله اعلم بالباطن

ثالثا

تستناف النصوص الحديث عن عدم امكانيه وجود عهود مطلقه مع المشركين واستحاله استمرارها ودوامها مبينه أن حالهم وواقعهم يحكي غدرهم ونقضهم العهود فذلك ليس مجرد نظريات بل واقع ملموس فقال تعالى(كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون)

الأمر الأول

تبين الايه أن استحاله قيام عهود مطلقةبين أهل الإيمان وأهل الشرك يعود الى طبيعه المشركين لأنهم إنما يلتزمون بالعهود فى حاله ضعفهم وغلبه المسلمين أما إذا وجدوا قوه لديهم وكان لهم الظهور اي النصر والغلبه فإنهم لايلتزمون بأي عهود ولايرعون العهود فقال تعالى(وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة)

لبيان ما يكون عليه حالهم إذا انتصروا على المسلمين والظهور بالقوه والقدره والسلطان فهم لايرقبون العهود يقال رقب الشي إذا نظر إليه نظره تعهد ومراعاه ومنه سمي الرقيب والمراقب مكان الحراسه فالمؤمن يراقب العهد لأنه يخاف الله ويريد الوقايه من عذابه ولهذا يكون العهد أمام عينيه أما المشرك فهو لايرعي العهد إذا انتصر ويصرف نظره عنه لأن نظرته ماديه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات فهو لايرعي الا ويقصد به الحلف والعهد ويطلق الال على القرابه والنسب وقد كان بين المؤمنين والمشركين علاقات انساب وقرابه فالا يه تبين

المفهوم الاول

أن من كانت نظرته ماديه ولايؤمن بالبعث والنشور فإنه لايحترم العهود الا فى حال وجود قوه ترغمه على الا لتزام بها أما إذا غابت هذه القوه أو صارت الغلبه له فانه لايراعي اي عهود ولا يعطي لاواصر العلاقات القرابه و النسب اي رعايه أو اهتمام لانه يفقد المروه ولهذا جاء استعمال لفظ الال التى تعم المعاني الثلاثه العهد و الحلف والقرابه فالابهام مقصد من مقاصد البيان ليجعل النفس تذهب الي كل أمر يمكن أن يؤثر فيها لتدرك فساد هؤلاء والمعنى أنه لايرعي لاقرابه ولانسب ولاعهد ولا يحترم حقوق الآخرين

المفهوم الثاني

ترسم الايه صوره متحركه للمشركين أنهم يريدون انتهاز الفرصه للغدر فى العهود عند اقرب وقت يتمكنون من ذلك والمراد من رسم هذه الصوره أن تصل الي ذهن السامع فتكون لديه انطباع بأنهم لايرجئ منهم دوام عهد فهم احرياء بالبراءة منهم

الامر الثاني

عليك أن تعلم أن أخلاق الرجال ومعادنهم تعرف.فى الزمن الذى يوضع فيه المرء حيث أن أخلاق المحن تختلف عن عصر الفتح والظفر وهي لاتظهر فى الوقت الذى تقع فيه فهناك اخلاق لاتبرز الا مع الغلبه والاقتدار وهناك اخلاق لاتبرز الا مع المحن ولهذا قسم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى عصرين فكان في زمن المحن يامر بالصبر والثبات على المبادئ حتى لم يملك الكفار الا التصديق عند ما روا تلك الاستقامة بالصبر على الابتلاءات والشدئد عجز اميه ابن خلف أن ينتزع كلمه مدح لاصنامه من بلال

وكذلك فإن اخلاق الفتح والظفر تعني الشجاعه والحلم والعفو وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لاهل مكه الذين طردوه واخرجوه منها اذهبوا فأنتم الطلقاء لم يلجأ الى الانتقام

فهذه هي اخلاق أهل الإيمان أما الكفار فإنهم عندما يمتلكون القوه لن يرعوا لاعهود ولاصله قرابه ولايحترمون اي حقوق هكذا هو حال الذين ينظرون للحياه نظره ماديه والتاريخ ملئ بالامثله التى تحكي خيانه الانتهازيون الذين استغلوا ثقه بعض الحركات الإسلامية بإظهار الكلام اللين والحسن والمنمق للتقرب لهم لاجل التسلق الي مركز القرار

ومن ثم كان منهم التنكيل بمن عاهدوهم علي الوفاء لدين الله فهذه هي طبيعه الوثنيون أهل الجاهليه الذين ينظرون للحياه نظره ماديه بالاستعلاء بالمال والجاه والسلطان فإنهم عندما يكونون ضعاف يعمدون الى اظهار الموده والتمسكن حتي يتمكنوا لديهم قدره علي اخفاء حقيقه مشاعرهم الحقيقية ولهذا قال تعالى(يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم)

فجاء تقيد الاخبار بالافواه للاشعار أن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن تكون له مصداق في قلوبهم ولهذا قال (وتابى قلوبهم)

الابايه الامتناع من شي مطلوب وأسند الابايه الي القلوب استعاره للتعبير عن نوايا الغدر لبيان.انهم يريدون انتهاز الفرصه للغدر ولهذا شبهت تلك القلوب بمن يطلب منه شي فيابى

الأمر الثالث

تبين الايه أن هؤلاء لا اخلاق لهم فالاغلبيه منهم.قد خرجوا عن الكمال المتعارف عليه بين الناس فقال تعالي (واكثرهم فاسقون)

فليس المراد بالفسق الخروج عن منهج الدين لان هذا الفسق وصف لجميع الكفار ولكن المراد به الخروج عن فضائل الاخلاق ولهذا قال أكثرهم ...واراد بهذا بيان أن أغلبهم إذا كانوا ضعفاء يقدمون للمؤمنين الكلام اللين و الحسن لاجل إرضاء المؤمنين فإذا صاروا أقوياء فإنهم يتعمدون اذيه المؤمنين والتنكيل بهم

وهذا ليس سلوك جميع الكفار وانما الاغلبيه فهناك من يحترم عهوده ويرعي القرابه والنسب وغيرها من الصلات ولهذا قال (واكثرهم) وهذا من دقه التعبير والانصاف فى القرآن الكريم

رابعا

تنقل لنا الايه الكريمه حال المشركين بأنهم غير اهلا للعهد فقال تعالي (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله أنهم ساء ماكانوا يعملون)

فأول ما شدت انتباهي هو هذا الوصف الذى وصف به المشركون بأنهم اشتري عرض الدنيا الزائله الحقير الزائل

كعوض مقابل ايات الله اي هدايه القران ودلالته وكل ما اشتمل عليه من اعجاز وبراهين وحجج

وهذا الوصف لم يطلق على المشركين ولا فى اي موضع غير هذا وانما كان إطلاقه على أهل الكتاب وهذا مايدل على أن حال المشركين بعد فتح مكه مثل حال أهل الكتاب فى معرفه حقيقه صدق القران الكريم وأنه منزل من عند الله حيث أن المشركين فى هذه الفتره كانوا قد اتضح لهم بجلاء كوضوح الشمس فى كبد السماء حقيقه معجزه القران فكان تمسك البعض بالشرك ليس إلا افتراء وعناد فهم أما انتهازيون يعملون لصالح دول معاديه للإسلام مثل الروم أو منتفعون من بقاءعقيده الشرك وعوائد الجاهليه من الزنا والخمر وغيرها من أحوال الجاهليه المذمومه فدلت الآيه أن ايات صدق القران أصبحت ثابته عندهم كأنه فى ايديهم وفرطوا به لاجل منافع قليله فمثل حالهم كمثل حال من باع الشي الثمين مقابل عوض حقير ولهذا جاء بباء التعويض (بآيات الله)

حيث أن باء التعويض تدخل على ماهو عوض يبذله مالكه لأخذ معوض يملكه غيره

وهذا فيه ذم لهم فقد كانت ايات الله فى متناولهم وتقررت عندهم دلالتها ولكنهم اعرضوا.عنها مقابل اتباع الهوى فهذه صفقه خساره لايمكن أن يقبلها عاقل والمراد بهذا التحذير من ايثار الدنيا غلى الاخره أو ايثار الجهل على العلم أو ايثار الكفر على الايمان فهذا لايصدر الا عن مخبول أو مخدوع وتقرر الايه أن عقولهم خدعتهم فدفعهم التعلق بالدنيا الى الامتناع عن القبول بالحق ولم تتوقف تصرفاتهم على منع أنفسهم من الإذعان والا ستسلام والخضوع للحق بل دفعتهم الى صد الناس عن اتباع الاسلام فمثل حالهم كحال من يصد الناس عن السير فى طريق تبلغ بهم الي المقصود

فقال بعدها (أنهم ساء ما كانوا يعملون)

أن الجمله لم تعطف على ماقبلها من الكلام لان العطف يجعل الجمله المعطوفه بمنزله المكمله للمعطوف عليه فجاء بها بهذا التذييل الذي فيه الاستقلال فى الاخبار لبيان سوء عاقبتهم وقبح أعمالهم فكان الافتتاح بحرف التأكيد (أنهم)للاهتمام بهذا الذم فساء من أفعال الذم من باب بئس اي قبح أعمالهم المخصوصة بالذم وعبر عنها ب(ماكانوا يعملون)للاشاره الى أنه دأب لهم ومتكرر منهم

خامسا

لما أوضحت الآيات السابقه أن المتعصبون لفكره الشرك هم أما منتفعون من تعصبهم ولذلك تأتي بايضاح طبيعه هولاء الكفار فقال تعالى (لايرقبون في مؤمن إلا ولاذمه واولئك هم المعتدون)

الأمر الأول

تدعو ا الايه المؤمن أن يتوقع العدؤاه من غير المؤمنين وخيانتهم فى أي وقت وان يعلم أن أساس الصراع مع هؤلاء بسبب المنهج فالكفار يتعصبون لنظريه الشرك ويظمرون الحقد والكراهية للمنهج الرباني القران الذى نزع عنهم سلطان استعباد الناس ولهذا كلما ازدادت إيمانا كلما زاد حقده عليك وعلى دينك فهم أما منتفعون من تعصبهم أو انتهازيون يعملون ضد مصالح مجتمعهم خدمه لاعداءها ولهذا وصفهم بأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا...وان قلوبهم تحقد على الايمان وهم يكرهونه لانه بنظرهم سلبهم القوه والقدره فهم يريدون أن يعود سلطانهم فى استعباد الناس الذين سلبهم إياه الايمان وشهاده لا اله الا الله بإعلان المساواه ولهذا كانت نقطه البدايه كراهيه الايمان فى قلوبهم وهو ما دفعهم الى رفض اتباع الاسلام فمنعوا أنفسهم وصدوا الناس عن اتباعه ولهذا قال البعض أن هذه الجمله بدل اشتمال من جمله (أنهم ساء ماكانوا يعملون)

لان انتفاء مراعاه الال والذمه مع المؤمن مما يشتمل عليه سوء عملهم

الأمر الثاني

تهدف الايه أن تلتفت انتباه المؤمنين أنهم يواجهون أعداء انتهازيون ومنتفعون يتربصون بكم فلا يقعدهم الا العجز وقله الحيله وإلا فإنهم لو انتصروا عليكم فإنهم سوف يعذبونكم اشد التعذيب ولهذا قال تعالي (لايرقبون فى مؤمن إلا ولاذمه واولئك هم المعتدون)

حيث قال البعض أن الجمله استنافيه للاهتمام بمضمونها وقد أفادت معني أعم وأوسع عما أفادت به الايه السابقه (وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة)

لان إطلاق الحكم هنا عن التقييد بشرط أن يظهروا عليكم يفيد أن عدم مراعاتهم حق الحلف والعهد خلق متأصل فيهم سواء كانوا أقوياء أو مستضعفين وأن ذلك لسوء طويتهم للمؤمن وحقدهم على أهل الإيمان لان طبيعه الانتهازي أنه لايمكن أن يترك الفرصه للغدر تمر أمام عينيه دون انتهزها فهم لن يترواعوا عن خيانه المجتمعات التى يعيشون فيها والعمل ضد مصالح مجتمعهم إذا وجدوا دوله معاديه تمد إليهم ذراعها ليصيروا عملاء لها تسخرهم مثلما تشاء فهم يعتبرون ذلك فرصه كبيره فلا يتأخرون عن الخيانه والغدر فى كافه أحوالهم لأن مبدأ انتهاز الفرص ثابت ومستمر طبيعه متاصله فى دم الانتهازي والمتعصب والحاقد

وهذا هو حال انظمه تحسب على أهل الإيمان أنها تزود اليهود بالغذاء والدواء والمال وكل ما يحتاجون دعما لهم فى حربهم ضد اهلنا فى غزه بحجه أن المقاومه تنتمي لجماعه الاخوان المسلمين التى لها احتكاك مع تلك ا لانظمه أن حقدهم على أهل الإيمان لم يقتصر على من يعيش بينهم وهم اصلا فى السجون على الأغلب لقد امتد الى فلسطين التى تقاتل اليهود ولهذا اعتبروا الحرب بين المقاومة الفلسطينية واللبنانية وبين إسرائيل فرصه يجب انتهازها لتدمير اهلنا فى غزه ولبنان لدرجه انهم يشاهدون أبناء غزه يموتون جوعاً ولايحركون ساكنا بل يمدون اليهود بكل ما يحتاجون فهولاء الخونه من أصحاب الفكر الجاهلي الاستبدادي الذى يخشي من وصول الاسلام الى سده الحكم فيري أنه سوف يسلبه سلطانه والكراسي الذى يتربع عليه لان الإسلام دين الحريه والعدل والمساواة فإنه يري هذه المبادئ والقيم التى جاء بها الإسلام عدو يجب محاربته.فى كل مكان لأنها بنظره خطرا يهدد مصالحه لهذا فإن هؤلاء الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا لايرعون فى مؤمن يقدرون على الفتك به عهدا ولاقربه تقتضي الود ولاذمه توجب الوفاء بحق الاخرين وانما طبيعتهم الغدر واراده القضاء على قيم الايمان واطفاء نور الحق والقتل والتنكيل بكل مؤمن من غير شفقه

فواقع غزه اليوم شاهد على ذلك ودليل على عظمه القرآن الكريم وهو يبين لنا حال الذين يتعصبون لنظريه ومنهج ينتفعون منها فى دوام سلطان أو منفعه أو اولئك الذين لاقيم ولامبادي لهم فإنهم ينظرون الى المؤمن بحقد وكراهية أنهم يحقدون على منهج الايمان ولهذا يسعون الى منع الناس من اتباعه ويسعون الى القضاء عليه فهذه هي طبيعه الطغاه فى كل زمان فقد أخبرنا الله عن نقمه الكفار على أصحاب الاخدود بأنه بسبب الا يمان فقال تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يومنوا بالله العزيز الحميد)

وهذا ما فهمه السحره بعد أن آمنوا فقال تعالى (وما تنقم منا إلا أن امنا بآيات ربنا لما جاءتنا)

وقال تعالى (قل ياهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله)

فهذه هي طبيعه الطغاه والمستبدين والأنظمة الديكتاتورية العسكرية التى ترفض الاحتكام لشرع الله ترفض القبول بالإسلام ومبادئه فى كل زمان أنها تتمسك بالانظمه الجاهليه وتري فى حركه الاسلام خطرا يهددها حتى ولو كان هؤلاء الإسلاميون فى بلد بعيد عنها ولهذا جاء قصر الاعتداء عليهم بالاشاره لذلك بقوله (واولئك هم المعتدون)

للمبالغه فى اعتداءهم لانه اعتداء عظيم على قوم بينهم واياهم عهود وصلات قرابه فلم يراعوا كل ذلك من جهه ومن جهه أخرى فإن هذا الفاعل حقير فالتذييل قصد به ذمهم والتحقيرمن شأنهم فأشار إليهم اي ان الموصفون بهذه الصفات القبيحه هم المتجاوزن الحد الخارجون عن كل الفضائل

فأراد بهذا الآتي

/١

أن يعلم حقاره الإنسان بلا ايمان فمن يعيش بلا ايمان كان تافها وحقيرا لايمكن الوثوق به فيقول الحق انظر الى هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الأوصاف القبيحه فى صفحات التاريخ ترى أن كل من غضب لشخصه حقروا لعدم الايمان

/٢

انه من الحماقه أن تعرف طريق الامان وتظل شاردا عنه نتيجه تضخيم الذوات أو حب المال والسلطة والجاه فأنت ضعيف وحقير إذا لم تؤمن فمهما تطاولت وارتكبت الجرائم فإنك مغلوب فلا تغتر بالحشم والخدم والماده والمال يا من أدرت ظهرك لاهل غزه ولبنان واستقبلت بوجهك أعداء الامه أن تضخم ذاتك الذى جعلته محور اهتمامك واغترارك بالماده والجاه والسلطان لن يدوام فإذا أردت أن تخرج من هذا الشرود فعليك أن تنظر الى ضعفك وانك بلا ايمان حقير وانت سوف تعود الى الله فالمكانه والمنزله هي بالعبوديه لله وهذا يتطلب أن تجعل النهايه فى حياتك هى البدايه فانظر الى مابعد الموت فإذا نظرت الى ماتصير إليه فإنك ستجد أنك ضعيف وحقير بلا ايمان ولهذا فإن ذلك يدفعك الى التخلص من تضخم الذات والجاه والسلطان والمال التى تعد موانع تحول بين الإنسان والتوبه فإذا تخلصت منها فسوف ينقلب عملك من شر الى عمل خير يصل بك الى سبيل النجاه والسلامه

/٣

عليك أن تشعر أن انتسابك الى جماعه الايمان هو اصطفاء من الله واختيار فهذا يولد فى النفس حافزا للتمسك بمنهج الله والتمسك بأسباب الهدايه وتحذر ما يفسد دينك وهو مايهون على المؤمن مشقه الطاعه ويزوده بـ الصبر عند الابتلاء ولهذا قال السحره (قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما انت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا)

سادسا

بعد أن أوضحت الآيات السابقه عدواه المشركين للإيمان ومواقفهم من كل مؤمن وبينت الأسباب التى جعلتهم بمعزل عن الحق شرعت فى بيان ما يجب على المؤمنين فعله معهم فى حالتى ايمانهم واستمرارهم على الكفر فقال تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمه الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون)

بالوقوف على الايات نجد انها تضعنا أمام عده تساولات أهمها

تساؤلات المبحث الأول

ما علاقه هذه التوجيهات الوراده فى الايتين بما قبلها

تساؤلات المبحث الثاني

منهم المقصودين بالايه بحالتى التوبه وحاله نكث العهد هل يراد بهم المرتدين الذين دخلوا فى الاسلام مثلا ام أنهم كفار قريش ؟

وماهو المراد بالتوبه؟

ولما ذكرت الصلاه والزكاه دون غيرهما لمنحهم المواطنه الكامله ؟

لما ذا خص بالذكر الاخوه وسماها فى الدين ؟

ولماذا ذييل ذلك بقوله (ونفصل الآيات لقوم يعلمون)

تساؤلات المبحث الثالث

وماهو المراد بالأيمان هنا هل الحلف والعهد ام البيعه والدخول فى الاسلام ؟

لماذا خص بالذكر نكث العهد والطعن فى الدين ؟

ماذا يعني الطعن فى الدين ؟وما المراد بهذا العطف هل جمع الصفتان توجبان القتال ام يكفى أحدهما ؟

لماذا خص بالتوجيه بقتل ائمه الكفر دون الإتباع ؟

وماهو المراد بالنفي فى قوله لا إيمان لهم ؟ ولماذا خص بذلك القاده والرؤساء ؟

ومافائده التعليل (لعلهم ينتهون)

فالاجابة على هذه الأسئلة تتضمن العديد من المفاهيم نذكر منها في إطار الاجابة عنها الآتي

الأمر الاول

يلاحظ أن الآيات وردت متضمنه ما يجب على المؤمنين فعله مع الكفار اي المشركين فى حالتى ايمانهم وكفرهم وليس كما ذهب البعض للقول إن الآيات نزلت فى الخوراج ونسبوا ذلك الى حذيفه وعلي رضي الله عنه ولا من زعم أنها نزلت فى الدجال واليهود فهذا القول لايستقيم والنص الصريح المؤكد أنها نزلت فى مشركي العرب الذين تتحدث عنهم الآيات وهم فريقين ناقض للعهد اعطي مهله اربعه اشهر لتصفيه أعماله وتحديد موقفه أما بالدخول فى الاسلام او مواجهه القتل وأما الفريق الثاني فهم الذين لم ينقضوا عهدهم حتى نزول سوره براءه فوجب احترام عهدهم الى نهايه مدته فإذا حصل منهم نقض للعهد وجب قتالهم ولهذا نجد أن الآيات وردت بعد أن أوضحت الآيات السابقه عليها عدؤاه المشركين للإيمان ومواقفهم من كل مؤمن وبينت الأ سباب التى جعلتهم بمعزل عن الحق ثم شرعت فى بيان ما يجب على المؤمنين فعله مع الكفار فى حالتي ايمانهم وكفرهم و ترسم لهم الخطه التي يكون التعامل بها مع المشركين في كلا الحالتين فكانت تلك المقدمه شرح مفصل عن الظروف المتغيرة التى تفتحت قابليتها للتطور بعد فتح مكه التى مزقت ستائر الجمود واقتلعت جذور الظلام ولهذا فإن اللازم على المسلم التعامل مع المرحله وفقا لهذه المتغيرات والتصدي لدعاه الطغيان بكل قوه فلا يتوقف فى منتصف الطريق فلابد من القضاء على فلول بقايا الشرك وليفهم المشركون أن الظروف لم تعود قابله للعوده الى التحجر والتشبث بالماضى فما مضى قد مضىوانقضى فعليهم أن يتخلصوا من ركام الفكر الجاهلي وان يلتحقوا بالإسلام ليشاركوا فى صناعه المستقبل وهي رساله للفريق المعاهد الذى لم ينقض عهده أن عليه الحفاظ على العهد وان يحذر نقضه حتى انتهاء مدته مالم فانهم معرضون للقتل والتشريد فقال تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم)

فالايتين فيهما بيان لما سيكون من أمر هؤلاء المشركين العرب بالجزيرة العربية فى المستقبل فى ظل حكم الاس لام بعد فتح مكه فهم بين حكمين الاول أما التوبه عن الشرك وعباده الأوثان الى التوحيد وأما القتل هذا ب النسبة للفريق الأول فإن هم أسلموا فلهم ماللمسلمين وعليهم ما على المسلمين وأما الفريق الثاني فعليهم الوفاء بالعهد فإذا نقضوه وجب قتالهم حتى يسلموا ويتوبوا عن الشرك

فالايه تضع للمسلمين خطه احتواء الموقف فى كل الأحوال وتضع القانونين فى كلا الحالتين وفيها توجيه للمسلمين باهميه التعامل مع كل مرحله وفق مخطط محدد المعالم والأهداف والمنسجم مع هذه المتغيرات حتى لاتضيغ آماله سدى وان عليه أن يحدد خريطه آماله يحدد حاضره الذى يريد أن يتخطاه ومستقبله الذى يريد أن يحياه ثم يضع لنفسه تخطيطا مرحليا لحلقات الاتصال بين الحاضر والمستقبل ولهذا قال تعالى (لعلهم ينتهون) اي عن الكفر

الامر الثاني

ماهو المقصود بالتوبه هنا ؟

الجواب :

المقصود بالتوبه ترك الشرك وعباده الأوثان وتغير المسار الى التوحيد وشرائع الاسلام

وسماه هنا توبه باعتبار أنها متعلقه بتغيير مسار الاتجاه لانه قد ذكر قبلها عدواتهم للمؤمنين وكراهيه الايمان واختتم بقوله (واولئك هم المعتدون)

فذكر التوبه بمعناها المتعلق بتغيير مسار الاتجاه بالاقلاع عن الشرك وعدوه المؤمنين الى الدخول فى الإسلام بقصد محو آثار الحيف عليهم أن هم أسلموا لان الإسلام يجب ماقبله

وتغير المسار يسمي توبه تغيير السير ..وهي التوبه التى تحصل من المشرك لان الاصل أن كل مولود يولد على الفطره التوحيد لكن عوامل البيئه وغيرها تنحرف به الى الاتجاه المعاكس للسير ...وهي تختلف عن توبه تصحيح المسار التى تكون من المسلم يجدد فيها إسلامه ويصحح سيره فالاولي توبه اسلام والثانيه توبه احسان يكمل عمل الأولي

الأمر الثالث

لماذا خص بالذكر الصلاه والزكاه دون غيرهما لمنحهم المواطنه الكامله ؟

لان المجتمع الجاهلي ومستواه الثقافي كان يغلب عليه الكبر والفخر والخيلاء والبخل ولايقبل المساواه مع العبيد ولهذا اشترط لنيل عضويه التنظيم الايماني والديني التوبه من الشرك والتحرر من المؤثرات غير المنتجه والتى تعيق عملية الاندماج فى المجتمع المسلم

ولهذا فأن التخصيص يراد بها عموم معني الصلاه والزكاه لان فيهما جماع الدين العام اداء حق الله وأداء حق العباد فحق الله يكون بالتعظيم لأمر الله بالخشوع والتواضع وهذا ماتتضمنه الصلاه من الخشوع لله والعبودية له وحده لا شريك له والتواضع له والذل له وأما الأصل الثاني الرحمه بالعباد فالزكاه متضمنه نفع الخلق والإ حسان إليهم

والصلاه في معناها العام تتضمن الدعاء ذكرا لله ودعاء له مادامت تذكر فأنت فى صلاه ولو كنت فى السوق كما ورد عن ابن مسعود وهذا المعني هو دعاء الله اي قصده والتوجه إليه المتضمن ذكره على وجه الخشوع و

الخضوع

وكذلك فإن الزكاه بمعناها العام كما ورد فى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقه وقد ورد فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال على كل مسلم صدقه) وأما الزكاه المفروضه بمعناها الخاص فلا تجب على جميع المسلمين وانما تجب على الأغنياء فى بعض الأوقات

ولهذا فإن الزكاه المقارنه للصلاه تشاركها أن على كل مسلم صدقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قالوا فإن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يستطع قال يعين صانعا اويصنع لاخرق قالوا فإن لم يستطع قال يكف نفسه عن الشر)

يقول شيخ الإسلام (ثم أن الأعمال هي من جنس الصلاه وجنس الصلاه الذى ينتفع به الغير يتضمن المعنين الص لاه والصدقه الاترى أن الصلاه على الميث صلاه وصدقه وكذلك الدعاء للغير ..الخ

فالمراد بهذا عموم معني الصلاه وعموم معني الزكاه وليس المعني الخاص الذى هو اداء الصلاه المعروفه لان هذا أمر لايتحقق معناها الا بما تسكبه من مشاعر تودى إلى التوقف عن الفحشاء والمنكر ولايمكن حصر الاسلام فى اقامه الصلاه وحدها ولافى اداء الزكاه التى تجب على الأغنياء وفى اوقات معينه وانما المراد المعني العام التعظيم لأمر الله ..والإحسان الى الخلق وهو مايتضمن الخلاص من الكبر والفخر والخيلاء والبخل وهذه الصفات القبيحه كانت وراء عناد مابقي من الكفار على الشرك فكان هذا التخصيص فلا يكفي النطق بالشهاده بل لابد من خلع قناع الكبر والفخر والخيلاء بخوف وتقوي الله وكذلك لابد من الإحسان للناس وان يكون له فاعليه ايجابيه

الأمر الرابع

تبين الآيات أنه يجب أن تكون الدوله الاسلاميه منظمه وان تتعامل بعقليه الدوله بعيدا عن الشلليه والعصبيه ولهذا يجب أن يكون لديها تنظيم سياسي منظم يتم دمج عناصره في إطار الدين الذى يجمع كل القوى فى طاقه واحده أسماها اخوه الدين فمن خلال هذا التنظيم الواحد تذوب الفوراق الفكريه والطبقيه من خلاله يكون التحرر من العصبيات وتذوب الصراعات الشخصيه ولهذا يدعوا المؤمنين الى الترفع عن المصالح الشخصية والأحقاد يأمرهم الاسلام بدمج الاعضاء الجدد فى تنظيم المجتمع المسلم تحت فكره الاخوه فى الدين وان كان هذا العضو قد قتل أباك أو أخاك او عذبك أو نكل بك فالإيمان والإسلام يجب ما قبله والمسلم يعمل من أجل إعلاء كلمه الله وإظهار دينه وبالتالي فإن انضمام مؤمنين جدد هو قوه ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد ذكر عدؤاه المشركين للإيمان بذكر حقهم فى الاخوه فى الدين إذا أسلموا ودخلوا فى الاسلام بهذه الجمله الاسميه (فاخوانكم فى الدين)

المفهوم الاول

أن الحاجه للتنظيم السياسي المنظم الذى يقود عمليه التغيير أمر فى غايه الاهميه فى قيام الثورات لان سلوك الجماهير الغير منظمه يعني تفجير طاقاتها فى كل الاتجاهات حسب التقديرات العاطفيه وهو ما ينتج عنه أضعاف قوه الامه وهو مايولد التجزئه وإهدار الطاقات التي يحتاجها المؤمنون فى مواجهه الخطر الذي يهدد وجود دوله الاسلام فى تلك المرحله التى كانت الجزيره العربيه مبعثره فى كيانات متناه في الصغر يشبه لحد كبير حال امه العرب يومنا هذا والتجزئة مغريه للاستعمار ومواجهه هذا الخطر وحمايه مكاسبه والذود عن الدين وأداء المهمه بنشر الدين للعالم أجمع يعني أن الثوره مستمره في مسيرتها المنظمه فالاخطار لاتتوقف مادامت الحياه مستمره لان الصراع بين الخير والشر لايتوقف حتي قيام الساعه وإذا توقف لفتره وجيزه فإنه يأخذ شكل التعاون (المعاهدات مثل المبرمه فى الحديبيه)والتعاون فى جوهره تبادل مصالح يتراضي عليها

الطرفان وهذا التقارب يرتبط بموازين القوى فالقوي هو الذي يملي شروطه على الطرف الضعيف ولهذا

لابد أن تحس بالخطر ويكون الاعتماد على الذات بالتماسك والتآخى حول عقيده الدين وتحت القياده الرشيده كما يفعل الأبناء بالالتفاف حول والدهم عند الشعور بالخطر وهذا يستدعى الاستفادة من كل الذين ينظمون الى التنظيم الايماني ليكونوا قوه تضم الى قوتكم لمواجهه المخاطر وبهذه الأحكام استطاع الاسلام مسح الالم التى اوجعت الكثيرون وجرحتهم فاستاصلت بواعث الحقد والانتقام بالدعوه الى الاخوه فقال تعالى (فاخوانكم فى الدين)

فاخوانكم خبر لمحذوف فهم إخوانكم ووضعه في الجمله الاسميه للدلالة ان إيمانهم يقتضى ثبات الاخوه ودوامها تنبيها الى أنهم بعد إيمانهم يصبحون مثل المؤمنين السابقين فى الحقوق والواجبات ومجي الظرف فى الدين مجازيه للملابسه باحاطه الظرف بالمظروف زيادة على التمكين فى الاسلام وأنه يجب ما قبله لازاله مافى النفوس من أحقاد على ماحصل منهم فى الماضى فيامرهم بالقبول به فى التنظيم الايماني مادام قد قبل الالتزام بأحكام الإسلام والتزام بما فى الاسلام

المفهوم الثاني

الايات تعلم المؤمنين كيف يكون بناء المؤسسات وكيف يكون قياده الدول والعقلية التى يجب التعامل بها فى اداره الدوله بأنها تقوم على اسلوب يضمن جمع الطاقات لاتمزيق الكيان فالمعيار موضوعي(الولاء والبراء) وليس شخصي ولهذا قال تعالى (فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) ففى هذا البيان والتفصيل تحقيقا للمصلحة العامة التى امتاز بها الإسلام بعكس الثورات الانفعالية فإنها تخلق بنفسها من الذين كانوا أعداء للثوره فى الماضي ثوره مضاده ومستمره لأنها لاتقبل بهم فتفرض عليهم حجرا سياسيا ومستمر ا فتخلق منهم ثوره مضاده مع انهم لديهم استعداد للانتظام فى إطار تنظيم الثوره ولهذا نجد تركيز النصوص على ازاله الأحقاد من نفوس المؤمنين وتحذر الآيات من تركهم خارج التنظيم وخارج كيان الدولة ماداموا قابلين الالتزام بفلسفه الدين والتقيد ضمن تنظيم الايمان والإخلاص للدوله والدفاع عنها ما الذي يمنع من قبولهم بدلا من أن تفرض عليهم أن يستمروا فى حمل السلاح ضد دوله الاسلام وبالتالي تضطر الدوله الي الاستغراق فى عمليات مواجهتهم وتستنزف إمكانياتها فى عمليه المطارده

المفهوم الثالث

تهدف الايه الى غرس الشعور باهميه الوحده بين ابناء الامه تحت قياده واحده تحت فكره الاخوه فى الدين مبينا مبدأ أساسي وهام لتحقيق هذا الوحده بأنه لايمكن تحقيقه سلميا الا اذا أسقط أهل الحل والعقد من حسابهم اي تفكير فى قوائم الأرباح والخسائر التى ينتظرون تحقيقها بعد الوحده فهي الربح للجميع لأنها الجذر الوحيد الذي ينبت فيها الازدهار والاستقرار ويكون تجميع الطاقات التى نحتاجها فهي الصدر الواسع الذي يتسع لكل المؤمنين مع نسيان رواسب الماضي ودفن كل الأحقاد والتعامل ولهذا تحث الايه المؤمنين علي التعامل بعقليه الدوله والشعور بالمخاطر التي تهدد الكيان حتي لايتوهوا بين أعاصير التعصب والأحقاد فلابد من فتح صفحة جديدة لكل من يترك العدؤاه للإسلام ويقبل بنظام الاسلام ولهذا جاء التعقيب بقوله (ونفصل الآيات لقوم يعلمون)

فهذه التفاصيل الواضحه التي تم استعراضها في الآيات لاينتفع بها الا الذين يبحثون ويتفكرون. ويتاملون مافيها وهذا فيه تحريضا لهم على. التأمل لما فصل من أحكام المعاهدين والمحافظه عليها وأحكام من دخل في الاسلام منهم فكانت هذه الآيات لاجل استئصال بواعث الحقد والانتقام كمقدمه للاستقرار واعاده صياغه الواقع بما يتفق مع شرع الله ومنهجه

المبحث الثاني

(وان نكثوا إيمانهم

الأمر الأول

ماذا يعني النكث؟

هذه الكلمه تستعمل فى حل الشي وارجاعه الى أصله ولهذا يقال نكث الغزل أو الحبل وهو نقض فتله وحل الخيوط التى تالفه وارجاعها الى أصلها ومنها قوله تعالي (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوه انكاثا)

الأمر الثاني

ماهو المقصود بالإيمان فى قوله (وان نكثوا أيمانهم)

الايمان تطلق على العهود التى تتم بين المتعاهدين ويسمي بهذا الاسم لان كل طرف يضع يمينه فى يمين الآخر وايضا لأنها توثق

وايضا يطلق علي القسم والنكث للإيمان هنا يقابل فيما قبله جمله الاستقامة عليها

فالأيمان هنا يقصد بها المعاهدات حيث أن الايه الأولي تحدثت عن حكم الذين تبرء منهم واعطاءهم مهله اربعه اشهر وأمر بقتلهم أو الدخول في الإسلام

وهنا تحدثت الايه عن الذين أمر باحترام عهدهم الى نهايه مدته فذكر أنهم إذا نقضوا العهود واصروا على الكفر وطعنوا فى الدين اي عابوا واستهزوا به أو صدوا الناس عنه فهولاء ناقضون للعهد وحلت دماءهم فدل هذا أن المعاهد لايقتل مالم ينكث فمن نكث العهد فقد حل دمه ولايقصد بها الايمان بمعني أنهم دخلوا في الاسلام ثم كفروا أو ارتدوا

الأمر الثالث

تبين الايه أن المسلم ينطلق من غيرته على دينه فغضبه لله وليس لنفسه ولهذا خصت بعطف (وطعنوا فى دينكم) على ماقبله (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم)

وهذا فيه إيذانا بأن الطعن فى الاسلام او الرسول صلى الله عليه وسلم أو قيم ومبادئ الاسلام ورموزها ضرب من نكث الايمان ويقتضي اعلان الحرب ونقض العهد فكان هذا من قبيل عطف الخاص على العام وليس المراد به تقييد حل قتالهم بجمع الأمرين فليس هذا المقصود وانما المراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

التحذير من أن تكون المعاهدات اداه تمييع للمسلم فالمرونه والانفتاح فى التعامل معهم لايعني عدم الغيره على الدين وفقدان الاحساس فأراد بهذا التخصيص تنميه الاحساس بالغيره والنهوض للذود عن الدين ولهذا فإن الذمي الذى يسب الدين أو يستهزئ به يجب قتله وان المسلم الذى يستهزئ بالدين كافر بإجماع العلماء

المفهوم الثاني

أن المسلم مأمور بالحفاظ على الدين والقيم والمبادئ فلا يجوزان تكون المعاهدات الدولية مانعا من الوقوف بحزم لكل من يطعن بالدين الاسلامي والقيم التى جاء بها بطريقه مباشره او غير مباشرة فالحضاره لاتعني الا نحطاط فالإسلام لايقوم في تعاملاته على مبادئ النفعيه الماديه بل يقوم على مبدأ ثابت لايسمح أن تكون الع لاقة مع الاخرين مانعا من الدفاع عن الدين فالإسلام يقبل الانفتاح ولكنه يرفض الذوبان ويرفض النيل من اي أمر من أمور دينه لان قبول المسلم بذلك يعني الهزيمه الفكريه وتحول دور المسلم القيادي والمعلم للعالم الى دور التلميذ الذى يجلس فى مقاعد التلاميذ فى حين يكون هذا الكافر فى مقعد المعلم ومعني هذا أن المسلم منهزم نفسيا ومهزوز ولايستطيع التعامل مع مخزونه الديني الذى فيه سعادته معني ذلك أنه ينظر الى دينه أنه ناقص وأنه سبب العجز والتخلف كما هو حال انصاف الرجال من يطلقون عليهم جزافا المثقفين من ابناء الامه الذين انبهروا بثقافه الغرب وزعموا ان الاسلام هو سبب تخلفهم نتيجه الهزيمه النفسيه التى أصابت الامه بعد الهزيمه العسكريه ولهذا يامر الله المؤمنين بالذود عن الدين وقتال كل من يتعرض له بالسب والعيب يامر بـ الحفاظ على الجهاد لأن التميع وعدم الاكتراث لما يقوله الاعداء من سب فى ديننا يدل على انفصالك عن الا رتباط بالدين وهذا ما نراه اليوم في واقع الامه حيث صار الدين موصوفا بالإرهاب ويتم التشويه بصوره الاسلا م ومع ذلك لاتجد من يحرك ساكنا من. ابنا ء الامه

المفهوم الثالث

يضع الاسلام لنا قاعده وشرط خاص اضافي لدوام المعاهدات مع الكفار بأن الالتزام بالمعاهدات موقوف على الوفاء بشروطها الوراده فيها وبعدم الطعن فى الدين الإسلامي من المعاهد الكافر ليكون هذا الشرط معلوما جاء العطف به على العام فكان هذا الخصوص بذكره باعتبار أن من يطعن بديننا ناكث للعهد حتى يعرف الكافر خصوصيه هذا الشرط بأنه غير قابل للتعديل والمساوامه تحت اي ظرف اما بقيه الشروط المدونه في المعاهده فهي قابله للتغيير وفقا للظروف

وهذا الشرط من اعجاز القران ودليل على صدق القران فقد ورد فى هذه السوره التى هي اخر ما أنزل فى القرآن وهو من الأحكام النهائية باعتبار السوره النداء الاخير للبشريه ولم يكن أحد يجرؤ على سب الاسلام فى ذلك التوقيت بعدما أصبح له قوه وغلبه وانما فيه اطلاع الله على ما سيكون فى المستقبل من أمر المسلمين من ضعف وهون حيث نري اليوم أن أهل الكفر يطعنون فى ديننا أنهم يهدمون مساجدنا ويقتلون اهلنا فى غزه ولبنان نري اليهود للاسف الشديد يتبجحون بتدنيس المصحف الشريف علنا أمام شاشة التلفاز ويسخرون من ديننا ليس بالطعن باللسان. فقط بل تجاوز الى الأفعال وتجد حكام. العرب والمسلمين يكتفون بالشجب والتنديد بل إن الجيوش العربيه على الحدود تشاهد ما يجري أمامهم على بعد عشره امتار أو أقل ولا يحركون ساكنا ويتعللون باتفاقيات السلام المبرمة مع الكيان الإسرائيلي ويظهر بعض المهرجين العرب من حكام وقاده وإعلا ميين وعسكرين ومحللين سياسين على شاشات التلفاز يرددون التفاهات نحن مقيدون باتفاقيات السلام لا نستطيع انتهاك بنودها لان القرآن يأمرنا بالوفاء بها

ولهذا يقول له الله استحي اخجل ياهذا صحيح أن القرآن امرك بالوفاء بالمعاهدات فعلا لكنه اخبرك أن الطعن بـ الدين من هؤلاء يعد نكث للعهد والاتفاقيه يجب اعلان الجهاد ضده فهم ائمه الكفر ولاعهود لهم فأنت مكلف بقتالهم حتى ينتهون عن ذلك

فقال تعالى (فقاتلوا ائمه الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون)

حيث سماهم ائمه الكفر اي قادته ونفي عنهم الايمان ...فقد قرأ البعض ذلك بالكسر الالف بمعني لا امان لهم أي لاتومنوهم فليس لهولاء امان لا يكون اعطاءهم الامان عنوايضا لها معني اخر بأنهم كفره لا إيمان لهم أي لا تصديق لهم ولاعهد

المفهوم الرابع

كما أن هذا الشرط الذى جعله الله من أسباب اعلان البراءه من العهود مع الكفار واعتبار الاتفاقيات كان لم تكن يعني أن اللازم عليك أن تعرف الاخرين بثقافه الاسلام بأن استمرار التعامل معهم واستمرار العمل بأي اتفاقيه مرهون بالوفاء بشروطها المدونه فيها وباحترام ديننا الحنيف فهذا الشرط إذا تم المساس به يجعلنا فى حل من كل بنود الاتفاق لان هذا الأمر من النظام العام فى حكم دوله الاسلام لايجوز الاتفاق علي مخالفته ولهذا فان التاجر المسلم مثلا عندما يتعاقد مع شركه انجليزيه أو فرنسيه أو سويديه أو ماشابه على استيراد بضاعه ما منها فإنه لا يتردد من إيقاف التعامل إذا حصل السب للدين أو رموزه فلا يتعلل بأن بنود الاتفاقيه تضمنت غرامه جزئيه كما فعل البعض إبان الصور الكرتونيه التى تعرضت لشخص الرسول صلي الله عليه وسلم في السويد فيجب أن تنشر ثقافه القران الكريم بحيث لايكون هنالك حاجه لاضافه هذا الأمر كبند من أي اتفاق

الأمر الرابع

لماذا ورد التخصيص بقتال ائمه الكفر دون الإتباع في الايه

تهدف الايه لبيان أن الإتباع مقلدون لا رأي لهم وانما التدبير والرأي هو للقاده والروساء الذين يرتكبون أبشع الجرائم ويخططون لها فهم مجرمي الحرب الذين لو تم قتلهم توقف الإجرام والافساد فى الأرض فالعالم يشهد أنه عندما يتم القبض أو قتل مجرمي الحرب فإن الحرب تنتهي كما حصل في البوسنه والهرسك بالقبض على مجرمي الحرب الصرب انتهت المجازر العرقيه للمسلمين

المبحث الثالث

تبين الآيات للمؤمنين حقيقه دورهم المناط بهم فى إصلاح حال البشريه وتحريرهم من الكفر والطغيان فالإسلا م ليس دين انتقام بل هو رحمه للعالمين وقد جعل لذلك طريقين بالدعوه والحكمه الحسنه وبالجهاد لرفع الظلم والمعاناة عن البشريه فقال تعالى (فإن تابوا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمه الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون)

حدد الأسلوب المتبع فى كل حاله فذكر واجب الاخوه فى الأولي ودمجهم فى إطار تنظيم المجتمع المسلم وفى الثانيه أمر بحمل السيف للقتال وإظهار قوه الاسلام بقصد أن يحملهم ذلك علي التوبه اي رجاء إسلامهم اي حتى يتركوا كفرهم ومن هنا نفهم ...لماذا انتهي فى الايه الأولي بقوله (ونفصل الآيات لقوم يعلمون)

لبيان الآتي

المفهوم الاول

أن على المسلم أن يدرك أنه بمنزله الطبيب المعالج الذى يدواى المرضي فهل يصح أن يمارس الطبيب الطب دون أن يكون عالما بمهنه الطب ومتمكنا من ادواتها

فالجواب لابد أن يكون عالما بهذه المهنه والعلم يعني أن يكون قادرا على التشخيص للداء والعلم بالعلاج المناسب وهكذا فإن المسلم بحاجه للعلم كي يقوم بعلاج أمراض المجتمع وبالتالي فان العلم يعني إدراك الواقع الذى يريد معالجته وهذا يستلزم العلم بتشخيصه ومن ثم إدراك العلاج المناسب لهذا الداء وإدراك العلاج يستلزم العلم بفاعليته الايجابيه وآثاره الجانبية المحتملة

المفهوم الثاني

تبين الايه أن التشيخص واختيار العلاج المناسب يتطلب الالتزام بعلميه الموضوعات الفكريه أن يكون مناقشه وقراءه الواقع دقيق قائما على الدقه فى القراءه وربط اجزاءها من خلال التحليل للحوادث والالمام بجميع جوانبها احاطه تامه بالاعتماد على المعلومات الصحيحة والتحليل العلمي لجميع تفاصيله فهذا يودي الى الفهم السريع لسهولتها الذى هو الغرض من عرض جميع التفاصيل بذلك الأسلوب لاجل أن يحصل الاستعياب لما فيه ولهذا نجد أن الآيات وردت بعد ذكر عدواه المشركين للإيمان ومواقفهم من كل مؤمن وبينت الأسباب التى جعلتهم بمعزل عن الحق شرعت فى بيان ما يجب على المؤمنين فعله مع الكفار فى حاله إسلامهم أو كفرهم فأمرت بدمج من يسلم الى الصفوف فى إطار اخوه الدين لبيان أن الاسلام يرحب بظهور الكفاءات والمواهب ويحث على الاستفاده منها للمساهمه فى صناعه المستقبل فأراد بهذا إبراز الآمال فى المستقبل أمام كل انسان غير متعصب وغير ملتزم بتشنجات خاصه بفتح الطريق أمامهما وفسح المجال لهم للمساهمه فى صناعه المستقبل ودفع عجله التقدم والتطور وعندما يعرف الموطن أن جهده وعرقه وتفوقه سوف يقدر ويحترم فإن هذا الأمر يفجر الطاقات فينشأ عن ذلك القناعه الفكريه ويكون التسابق على خدمه المشروع الإسلامي ولهذا كان إبراز هذه التفاصيل الواضحه التى تم تحاشي فتح اي ثغره فى عدم الرؤيه فى هذه المرحله التى تتطلب الوضوح والبساطة لان المرحله تتطلب تجميع الصفوف لتحريك الطاقات نحو التقدم والبناء

فهذا هو العلاج المناسب لمن تاب منهم واقلع عن الكفر ومعاداه المسلمين فقال تعالي (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) أما إذا أصر على الكفر ونقض العهد أو طعن فى الدين فاللازم قتالهم على رجاء إسلامهم وتوبتهم عن الكفر. فالقوه أيضا علاج مناسب احيانا لأنها تقود الى رد القلوب المتمرده الى الصواب عندما يشاهدون اخلاق المسلم وتعامله فى القتال وعندما يعلمون أن الحق لابد أن ينتصر فيقودهم ذلك التى التوبه عن الكفر اقتناعا لا كرها فقال تعالى (لعلهم ينتهون)

فالقتال لاجل أن ينتهوا عن شركهم ونقضهم العهود وطعنهم فى الدين فالإسلام ينهي عن القتال لاجل هوي النفس أو اراده منافع الدنيا أو انتقام محض بالآخرين فهذا ما امتازت به شريعه الاسلام بأن جعلت الحرب ضروره بإراده منع الباطل وتقرر الحق والفضائل

القسم الثالث

تبدأ ايا ت هذا القسم بأسلوب الاستفهام الانكاري (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم اول مره اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايدكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علي من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة و الله خبير بما تعملون)

اولا:

ابتدأت الآيات بهذا الاستفهام الانكاري (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم اول مره اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)

توحي الآيات أن هنالك ثمه مؤثرات غير منتجه قد أفسدت الوعي لدى البعض بعد الفتح فهناك تردد لدى البعض من قتال المشركين روبما ذلك عائدا لغرض رغبتهم أن يدخل المشركين في الاسلام من دون قتال ..وهناك من كان قريب عهد بالإسلام وكان مازال المورث الثقافي عالقا فى نفسه خاصه اولئك الذين أسلموا بعد الفتح فكانت حميه الجاهليه تصطرع مع روح القران التي بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم دوله الاسلام اضافه الي النقله النوعيه التي انتقل إليها الاسلام بعد فتح مكه

حيث أن زوال دوله الشرك أدت الي عوده اغلب المسلمين الي ديارهم التي طردوا منها فوجدوا كلاما معسولا من ذويهم فى النسب حيث من الطبيعى أن يحظوا بنوع من الاحترام وإظهار الود من أقاربهم فشكل ذلك عاملا فى تردد البعض عن قتال المشركين وكذلك فإن القضاء على دوله الشرك ونظامه شكل تطورا كبيرا وتحول في حياه الامه اضافه الى تزامن ذلك مع بدايه مرحله جديده فى واقع المسلمين وهو الحرب مع دوله الروم فكان هذا التحول والتغيير عاملا مؤثرا فى واقع حياة الناس يستوجب تغيير إتخاذ قرارات جديده تتناسب مع هذه الظروف الجديده لمواكبة التطور نظرا لتغير ظروف اساسيه فى حياه الامه وهي مؤثره فيها

فالتغير أمر مهم لتلائم الظروف المتغيره التى تتعامل معها والقياده تريد فى مثل هذه الأحوال أن تكون لقرارتها الجديدة شعبيه من الجماهير وتعمل على تحقيق هذا الهدف لان مثل هذه الأحوال تعني أن الاستجابه للقرارت الجديدة من الشعب متنوعه بين متردد وقابل لان العواطف لدي الجماهير لها دور مؤثرا فى شعبيه هذه القرارات ولهذا نجد النصوص ابتدأت بقوله تعالي (الا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم اول مره اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)

فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

أن المسلم مطالب بأن يفقه ويفهم مايجرى من تحولات حوله وسنن التغيرات والحوادث فى المراحل المتقلبه وما يترتب على ذلك التحول من نقض أو قبض أو إصلاح اوفساد أو بشارات وهذا يعني أن متابعه المسلم للظروف والمتغيرات التى تحيط به تختلف عن متابعه الاخرين فالمسلم يتابع ذلك بإدراك ووعي لا بالعواطف بل وعي بالمرحله وتحولاتها سواء التحول الزمني من حال الي حال أو التحول الفكري من رؤيه الي أخرى فهذه هي قاعده التغيير فالله يقول (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

فالمسلم مطلوب منه فقه هذه التحولات لفهم وإدراك المقصود ولهذا فإنه بهذا يقلص الفارق بين علميه القرارات التى تتخذها القياده وشعبيتها لانها تتابع الظروف بادراكها وهذا يودي الي إدراك حتميه تغيير القرارات المستخلصه منها والمستهدفه علاجها فهذا هو كمال الإيمان الذي يتنافس فيه المومنون في واقعهم العملي

ولهذا افتتحت الايه بالاستفهام الإنكاري فهذا الاستفهام يفصح أن ثمه خطاء لايليق بالمؤمنين وكمال الايمان وهذا الخطاء نقص جعلهم لايفقهون المرحله ولايدركون المقصود بهذا التحول والتغيير في واقعهم لان سوء قراءه التغييرات يدل أن ثمه تراجع فى التقدم الذي كانوا قد وصلوا إليه ولهذا ختم الايه بقوله (إن كنتم مؤمنين) اي الكامل في الايمان

المفهوم الثاني

أهميه إشراك الجماهير فى متابعه الظروف المتغيرة التى تحيط بها والتى تستدعى اتخاذ القرارات الجديدة من خلال طرح الموضوع على الرأي العام بالقدر الذى يودي الى إشراك الجماهير فى متابعه الظروف المتغيرة و بالحوار حول استكشاف مستقبل القرارات الجديدة واطلاعهم على تفاصيل ذلك بالقدر الضروري لاشراك الجماهير بفوائد هذه القرارات وأهميتها فهذا يساعد فى تقويه الوعي لدى الجماهير وتوفير المناخ الملائم للدفع نحو المستقبل لان ذلك يودي الى إقناع الجماهير بضرورة التغيير ولهذا نجد مجئ التحريض على قتال الكفار وإنكار التقاعس عن القتال من خلال تذكيرهم بما حدث من الكفار فقال تعالي (الاتقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم اول مره اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)

حيث تضمن التذكير بالآتي

الأمر الأول

يذكرهم بنكث المشركين للعهد المبرم بالحديبيه فلم يتعاملوا مع العهد باحترام وجديه وبالتالي لايصح التعلل واختلاق الأعذار بالتقاعس عن قتالهم ولهذا يدعوهم للالمام بعناصر الموضوع

الامرالثاني

يذكرهم بما كان منهم عندما كان المسلمين ضعفاء فقد هموا بإخراج الرسول أو قتله أو حبسه دون سبب سواء أنه قال ربي الله ولأنه دعاهم الي الهدى صدر هذا منهم وهم كانوا فى الحرام الذي يامن حتي القتله من الثأر فيجد أحدهم قاتل أبيه فلا يتعرض له ومع ذلك لم يتحرجوا من التنكيل بالمسلمين وإخراج الرسول

الأمر الثالث

أنهم من بدأ بالقتال فى بدر والبادى اظلم فاراد بهذا اخراج مافى النفوس من كراهيه القتال وتوفير أسباب الحوار الموضوعي لهذا يدعوهم الي الترفع فوق المصالح الشخصية والتحرر من العصبيات فالله يريد بهذه ا لأحكام تطهير الجزيره العربيه من الشرك ولهذا يدعوهم الي الاستفاده من التجارب التي مروا بها فى الماضى لتكون أحكامهم صحيحه ويكون الفهم والإدراك لطبيعه المرحله وسلاحها مستخلصا من خلال القراءه الصحيحه للواقع فمن أراد أن تكون أحكامه صحيحه للأمور ومنطبقه على الواقع المتحرك يجب عليه أن تكون مفاهيمه متحركه بقدر تحرك تجاربه وتحرك الواقع الذي يريد أن يحكم تطور ه حيث أن تعاقب التجارب وفهم الظروف التي جعلت الاعداء يظهرون الكلام المعسول يجب أن لاينفصل عن فهم حقيقه ما فى قلوبهم وحقيقه أفعالهم أن استعادوا قوتهم ولهذا بعد كل هذه الذكريات والمواقف التي لابد أنها تركت بالقلب المسلم اثرا دفعهم للا حساس بضروره التغيير للواقع الجاهلي تأتي الآيات باثاره النحوه فيهم والمشاعر التى تدفعهم الي الغيره وتشدهم الي ترك الأعذار والامال الفارغه بدخول هؤلاء الاسلام بلا قتال فقال تعالي (اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه)

فقد قطعت الأمور التي ذكرهم بها والتي تبين خطوره بقاء اذناب الشرك على جماعه الاسلام كل الأعذار فجاء با لاستفهام الإنكاري (اتخشونهم) وهذا فيه توبيخ للمؤمنين فهل معني هذا أن الله علم أن الامتناع عن القتال يعود الي خوفهم من منجازاة المشركين كما يتبادر لذهن السامع اول مايسمع ؟

من المؤكد أن هذا القول لايصح لان الايه نزلت بعد فتح مكه وهدم دوله الكفر ومعلوم أن المسلمين كانوا يقاتلونهم وهم فى ضعف بكل شجاعه فى وقت كان المشركون أقوياء لكن يمكن أن يكون هذا الكلام موجها للمنافقين ومرضى القلوب والذين دخلوا في الاسلام حديثا ولم يرسخ الايمان فى قلوبهم أما المؤمنون فقد كانوا يعظمون أمر الله ويطيعون رسوله ويجوز أن الايه تعالج مساله متعلقه بكراهيه النفس للقتال كما قال تعالي (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ..الخ

فالبعض نظر أن القتال تفرضه الضروره وهو ماجعل البعض يري أنه بعد هدم دوله الشرك لم يعد هناك حاجه الى القتال وان دورهم انتهى بفتح مكه واستبدال النظام المشرك الذي كان يحكم مكه بالإسلام اضافه الى الرغبه فى الراحه خاصه بعد عوده الكثيرون منهم الى الديار بعد طول الفراق ووجد الأقارب والاحبه الذين لهم به صله نسب وهم يظهرون لهم الود والاحترام وبذل الاحترام والتقدير فروبما أن هذه اللحظات كانت قد أثرت فى البعض الرغبه فى الراحه واثارت فيهم مشاعر القرابه والنسب والطمع فى إيمانهم بدون قتال اضافه الى الا رتباط بينهم بالمصالح ولهذا جاءت الآيات تخبرهم أن هذه فتنة يجب الحذر منها فجاء الاستنكار فى مقدمه الا يه الكريمه من حال الجماعه المسلمه يقول لهم أن انتهاء المرحله لايعني أن تقف الطليعه المؤمنه معصوبه العينين مكتوفه الأيدي أمام المشكلات التى يصعنها بقايا النظام المشرك فماذا بهم حتى يضطروا الى مسايره

العوائق التى تمنع التقدم لماذا أصبحوا يستهلكون جهودهم فى حمايه أنفسهم وإطلاق الشعارات فهذا الخوف الذي ينتج عندما تصبح الطليعه حاكمه لايليق بالمؤمنين فالمؤمن لايخاف الا الله ودوره لايتوقف بالقضاء على دوله الكفر فالجهاد مستمر مادام هناك كفر ومادامت الحياه لان الصراع لايتوقف بين الحق والباطل حتي قيام الساعه فالايات تعالج العوامل المستجده التى ألقت بنفسها فى طريق المجتمع فواجب القياده تطويع هذه العوامل كى تتخلص من موانع الدفع نحو المستقبل وكذلك فإن هنالك عوامل قديمه مؤرثه لدي البعض من الماضي فأراد بهذا التخلص من عوامل الجذب للماضي

المفهوم الثالث

تبين الآيات أن على المسلم الانتفاع بالتجارب والاستفادة من دورس الحياه لان العقل هو حفظ التجارب ولهذا كان افتتاح الايه بالاستفهام الإنكاري الذي يخاطب العقل فالمسلم عندما يمر بتجربه فعليه حفظها والانتفاع بدروسها ولهذا قيل إن أفضل تجربه هي التى تزجر صاحبها عن سيئه وتحمله على موعظه ولهذا يذكر هم بماضي المشركين للتنويه أن التعامل معهم ليس كما يتعامل المسلم مع أخيه المسلم الذي أمر في قوله (فاخوانكم فى الدين) اي أن يعود نفسه ويلزمها صله الرحم والقرابه والاخوه وإذا وجد من أخيه صدود وتباعد الزم نفسه المقاربه والدنو واللين عند الشده فيقول له الحق احذر ان تضع ذلك فى غير موضعه اوان تفعله مع المشركين فلا تجذب عدوا وتجعله صديقا فتعادي صديقك

فعليك أن تضع كل شي فى موضعه لان لكل مقام مقال فإذا كان المقام يلزمه العنف فإن هذا العنف هو رفقا فى حقيقه الامر لان المقام مقام تأديب ولهذا يقال الرفق خرقا اي عنفا في الحدود والتأديب لانه روبما كان الداء دواء او الدواء داء

ولهذا فإن الله قد أمر بقتال المشركين فهذا القتل هو رفقا بهم ولهذا ختم الايه بقوله (إن كنتم مؤمنين)

فدل هذا أن الإسلام ليس مجرد نظريات فلابد من تحويلها الي واقع حياه ولهذا فقد جعل التطبيق للأحكام التي جاء بها الإسلام في واقع الحياه شرط لتمام الايمان وكماله وبه يختبر الصادق من الكاذب

ثانيا

تأتي بالحكم المتضمن الأمر بقتال المشركين (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علي من يشاء والله عليم حكيم)

بعد ذكر الحيثيات لهذا الحكم بأنهم يشكلون خطر حقيقي للامه الاسلاميه خطر يواجه الواقع الاسلامي ومهمه المسلمين في ذلك الوقت فهم قد شكلوا قلق واضطراب في واقع المسلمين بنقضهم للعهود ومعاداه الدين واتخذهم دين الله سخريه والطعن في فكره وشريعته لهذا لابد من موقف حاسم في هذه المواجهه

فالإيمان لامروغه فيه هذه هي قضيه الايمان توجب المفاصله والتجافي والمباعده بين المسلم والكافر ايان كان وخطر هولاء لا يحتمل التأخير أو التقاعس عن الجهاد فلم يبقي بعد هذا عذر لأحد عليك أن تحدد موقفك فجاء الأمر (قاتلوهم)

اي باشروا قتلهم كما امرتكم ثم جاءت البشاره للمؤمنين (يعذبهم الله بايديكم)

اي ان انتم نفذتم الأمر بقتالهم فإن الله يجعلكم تقتلونهم بأن يجعل رماحكم تستقر فى صدروهم ونحورهم مع ما يلقي فى قلوبهم من الخوف

وإسناد التعذيب الى اسم الجلاله أما لبيان أمر زائد عن أسباب العذاب الذي يعنى الجرح والضرب لان جميع

الناس فى القتال يصابون بالضرب والجرح الغالب والمغلوب على حد سواء فالمراد بهذا الإسناد أنه تعالي سيحدث فى نفس المشرك قلق وعذاب او أن هذا لاجل الحث على الطاعه فى تنفيذ الأمر الإلهي وان يجاهدوا فى الله حق جهاده ولاتاخذهم فى الله لؤمه لائم وان يخلص المساله لربه فهو بيده تحقيق النصر فعلى المسلم أن يباشر قتال الكفار فلا يتردد وان يدرك ان الله جعله ستار قدرته واداه مشئيته فى التنكيل بالمشركين وتجرعهم الهزيمه فهذا كله من الله وهو فضل من الله عليكم أن يجعلكم ستار قدرته واداه مشئيته وإلا فهو تعالي قادر أن يهزم الكفار دون الحاجه لقتالكم فهو تعالي عندما يأمركم بالقتال ليش لعجز او حاجه لقوتكم وانما ينعم عليكم بذلك فقال بعدها (ويخزهم و ينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم)

اي ان من الحكمه للقتال أيضا هو لاجل أن يشفي مافى صدور المؤمنين من الالم والأحزان لما وجدوا من التعسف والاذي والاضطهاد على يد المشركين

والقرآن يحرص على حفظ القوي الغضب والحب ولهذا بعد ذكر القتال يرجع الى تسكين الدواعي الناشئه عن القوي الغضبيه فقال تعالي (ويذهب غيظ قلوبهم)

فكان هذا فيه كمال الشفاء بذهاب غيظ القلوب المكظومه بانتصار الحق كاملا وهزيمه الباطل وتشريد المبطلين

ولما كان من أسباب كراهيه بعض المسلمين القتال هو رغبتهم أن يتوب ذويهم من الشرك لهذا يخبرهم الله أن من فوائد الجهاد هو تشجيع من يعلم الله أنهم اهلا للتوبه علي التوبه حيث أن بعض القلوب تكون غير قابله لا ستقبال النصائح نتيجه سبق استيلاء غلبات الأهواء على القلب فلا تتمكن النصيحه بالكلمه من النفوذ الي الفؤاد فتكون كالفرس الصعب الغير مذلل فهي تنفر من النصائح ولهذا فإن هذه القلوب نوعان نوع تظل علي نفورها من الحق ونوع إذا تعرضت لهزه عنيفه فإنها تفيق وتستيقظ من غفلتها وتلين هذه القلوب ويحصل ترويضها فتكون مستعده لقبول الحق وسماع النصائح فهم عندما يرون انتصار الحق وانهزام الباطل تزوال الاحجبه عن أعينهم ويبصرون الحق فيقبلون به وهذا يعود الي مشئيه الله وليس لاردتك فأنت لاتهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولهذا ختم الايه بقوله (والله عليم حكيم)

اي عليم بمن لديه استعداد لقبول الحق فى حالهم ومستقبل أمرهم وحكيم فيما شرع من أحكام وفى اختياره واصطفاه لأولياءه

عليم بالعواقب المخبؤه وراء المقدمات وحكيم فيما أمر من الأعمال فهو تعالي يضع كل شي فى موضعه عن علم وحكمه

ثالثا

بعد الأمر بالقتال تاتي الآيات مبينه اهميه توطين النفس على الصبر والتصبر وتعويد ها تحمل المشقه فالله قادر أن ينصر الحق دون الحاجه للعباد أن يقاتلوا ولكن شرع القتال لحكمه وهي الامتحان والاختبار لمعرفه التحمل والصبر فى وقت الشدائد فلا يكون الوصول الى السلطه لاجل الرفاهيه والتوقف عن الحركه فالنضال والكفاح مستمر فى حياه المسلم هو في اختبار وامتحان فى كل الأوقات فقال تعالى (ام حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولارسوله ولا المؤمنين وليجةوالله خبير بما تعملون)

فالله يختبر عباده بالشده وموقف المصائب حيث يظهر معادن الرجال وصدق الايمان وطاعه الله تعالي فالجنه سلعه الله التى جعلها مقابل بيع الإنسان نفسه وماله فى سبيل الله والأمر ليس مجرد قول باللسان فلابد أن

يحصل الامتحان لمعرفه صدق المؤمن من الكاذب والأمر يحتاج الى جهاد النفس والهوى وجهاد الاعداء وان تنبذ عهود المشركين وتقلع عن سلوك الجاهليه

ويكون بناء العلاقات وفقا لمبدأ الولاء والبراء الولاء فى الله والبراء فى الله تخلع عنك كل العلاقات التى صنعتها الجاهليه من عنصريه وقبليه أو غيرها فلا يبقى فى القلب اي وشائج لاؤاصر قرابه أو مصلحه من دون الله أو رسوله أو المؤمنين فيجب اعلان المفاصله والمساله فى حقيقه الامر اختبار صعب ليس بالأمر السهل

لان هذا يعنى أن تبنى العلاقات وفقا لمنهج القران فتخلع عنك كل العصبيات وتقبل باخؤه الايمان وهذه معركه عظيمه يخوضها الإنسان مع نفسه فهل تستطيع أن تخلع علاقاتك بالقبيله والعشيره التى تنتمي إليها واستبدالها بالإيمان فكل مؤمن هو اخ لك وان كان بلا قبيله هل تقبل أن تزوج ابنتك من طبقه المهمشين طالما أنه صالح أن هذا الاختبار صعب لاينجح فيه إلا من خلع كل العلاقات والاؤاصر والعلاقات المتربطه بالجاهليه واستبدالها بالإ يمان فالايات تبين الصراع بين روح القران وبين حميه الجاهليه وان الإسلام كان يربى المؤمنين بمنهج القران ولهذا يختم الآيات

(والله خبير بما تعملون) يهددهم من فتح اي ثغرات ينفذ منها الشرك الى حياتهم فيجب اقامه الحياه وفقا لمنهج الله فالله مطلع بأعمالهم وهو يجازى كلا علىعمله وانما الابتلاء ليكشف المخبى والتمحيص وتميز الصفوف

القسم الرابع

(ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خ الدون إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاه وءاتي الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن ءامن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا أن الله عنده اجر عظيم)

بعد إعلان البراءه من الكفار وكشف فضائحهم وقبا ئحهم والأمر بقطع العلاقات معهم تأتي الآيات مبينة انه لا ينبغى ولايصح أن يتم بناء المشركين للمساجد ولاعمارتها لان واقعهم يشهد بكفرهم والكافر لايمكن أن يقوم بعمل صالح وان العماره للمساجد إنما تكون حصرا ممن آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتي الزكاه ولم يخش الا الله فهولاء هم المفلحون ثم التفت الي المشركين مستنكرا طريقه تفكيرهم عندما اعتبروا أن سقايه الحاج وسدنه الكعبه تساوي الايمان والجهاد في سبيل الله فهذا القول ظلم للحق مبينا أن التفاوت فى الدرجات يحدده العمل الصالح وان الفائزون هم المؤمنون وهم درجات في الجنه وهذا فيه الآتي

اولا

تبين لنا الآيات كيف أن القرآن كان هو الماده التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بتربيةالمؤمنين بها ويعالج بها الأمراض التى تظهر داخل المجتمع المسلم فالايات تواجه مايحيك فى نفوس بعض المسلمين الذين لم تتضح لهم قاعده هذا الدين التى يكون بها بناء حياه المسلم على اساسها (الولاء والبراء)

فقال تعالي (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون)

بعد إعلان البراءه من الكفار وكشف مكائدهم وقبائحهم وأمر بقطع العلاقات معهم وان لايستبقوا اي وليجة اي ء

لاقه أو صداقه معهم ويجب قتالهم فهذا اختبار من الله والله خبير بأعمالهم بأسلوب حوار موضوعي يهدف الى الوصول الى إقناع الجماهير بما يدعوهم إليه فجاء بعد هذا بهذه الآيات لبيان الآتي

الأمر الأول

التأكيد على اهمية ازاله كل أسباب الابتعاد عن الحوار الموضوعي ولهذا جاءت النصوص بهذا الاستنكار من حـ ال الذين يحكي الله عنهم أنهم لما جاء الاعلان بالبراءة من المشركين ومنعهم من دخول الحرم وأمر المسلمين بقطع جميع العلاقات معهم احتجوا أن هذه البراءه غير جائزه وأنه توجد قواسم مشتركه وجسور صداقه يمكن التعاون بها مع المشركين وأنه يجب أن يتم مخالطتهم ومعاونتهم فذكروا أن من جمله ذلك عماره المسجد الحرام وسقايه الحاج وسدنه الكعبه وغيرها من أعمال البر فى ظاهرها وكانت ثقافه المجتمع الجاهلي تعتبر أن تلك الأشياء من الفضائل التى يتمتع بها اهل مكه الاتري أن العباس يوم بدر عندما وقع في الأسر أقبل عليه المسلمين يعيروه بكفره وقطعيه الرحم واغلظ عليا عليه السلام عليه بالقول فقال الكم محاسن فقال العباس نعم تعمير المسجد الحرام وسقايه الحاج وسدنه الكعبه المشرفه ..

ولهذا جاء الرد فى هذه الايه بهذا الأسلوب الذى يبين أن هذا التفكير مستنكرا من حيث المبدأ وهو يبتعد بـ الحوار عن موضوعيته فيجب أن تعرفوا أن المشركون ليس لهم الحق فى عماره البيت الحرام ولادخوله فهو حق خالص للمؤمنين وما كانت هذه الأعمال لتغيير من قاعده أن العماره للمساجد محصوره على المؤمنين لان المساجد إنما تبنى لعباده الله وحده لا شريك له فكيف يعمرها من كان قلبه معلقا ومعمرا بغير التوحيد ومن كان واقعه هو الكفر

فالايه تبين للمؤمنين القاعده التى تقوم عليها العقيده الاسلاميه بأن قيمه الأعمال

مرهونه بالإيمان فهو شرط قبول الأعمال فإذا لم يوجد ايمان فإنها وان كانت فى مظاهرها من أعمال البر فإنها تضيع وتذهب سدى كما قال تعال (وقدمنا الي ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

وهنا قال تعالى (اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون)

اي ذهب الكفر بقيمه أعمالهم وهم ماكثون فى نار جهنم على الدوام

الأمر الثاني

أن اللازم على القياده أن تقوم بتحرير مجتمعاتها من المؤثرات غير المنتجه التى تخلقها المزاحمات غير البناءه حيث نلاحظ أن البعض يحاول تبرير مواقفه باختلاق الأعذار تحت دعوى السياسيه التى يلجأ إليها الحزبيون ومرضى القلوب فينحرفون بالحوار عن موضوعيته الي الجدل العقيم ولهذا جاء إنكار جدل البعض بالا حتجاج انه يجب أن تكون هناك مخالطه ومناصره وتعاون مع المشركين وان فيهم فضائل

فقال تعالى (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من امن بـالله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتى الزكاه ولم يخش الا الله فعساولئك أن يكونوا من المهتدين)

فذكر أن طريق المؤمن يختلف عن طريق المشرك وتعمير المساجد إنما تكون من المؤمنين بـالله وحده لا شريك له ومن يؤمن باليوم الآخر لأنه يخاف من الحساب والعقاب ومن يقيم الصلاه ويوتى الزكاه ولايخش الا الله رجاء الوصول الي الهدايه فهذه هي صفات من تنحصر بهم عماره المسجد والمشرك ليس من هؤلاء

فاعماله تذهب سدى ومن جهه ثانيه فإن قلوبهم لايعمرها التوحيد وفاقد الشي لايعيطه فالخطاب يدعوهم الى

أن يكون الحوار منطقى ويقوم على قاعده منطقيه فإنه حتى لو اعتبرنا أن سدنه الكعبه وعماره المسجد وسقايه الحاج اعمال فاضله فإنها لا تساوي منزله المؤمن والمجاهد فى سبيل الله ولذلك فإن من ينظر إليها أنها تساوي منزله المؤمن والمجاهد فانه ظالم يظلم الحق ويضع الأمور فى غير موضعه فالتفاوت فى الدرجات بين المؤمنين بحسب الأعمال مع إيمانهم فهذا هو طريق الفضائل التي يجب التنافس عليها بين المؤمنين

ثانيا

ابتدأت الايه بانكار أن يكون للمشركين حق فى عماره المساجد فقال تعالي (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون)

وهنا لابد من الوقوف علي مدلولات الايه بهذا الإنكار من خلال الآتي

الأمر الأول

ماهو المراد بعماره مساجد الله ؟

ذهب البعض للقول إن المراد بهذا مواضع السجود وذهب البعض الآخر أنه يراد به الاماكن المتخذه لاقامه الصلا ه وهذا الذى يتبادر للذهن أنه المكان المتخذ للصلاه

والحقيقه ان الايه تحمل المعنين معا فالمراد بعمارة المساجد البنيان والصيانة والترميم فهذه العمارة الحسيه ويراد بها أيضا عمارتها الاقامه لذكر الله تعالى

ولهذا يقول تعالى (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون)

تنفى الايه أن يكون المشركين صالحين لعماره المساجد وأنه لايجوز السماح لهم بذلك لأنهم ليسوا أهلا للقيام بذلك لامن الناحيه المعنويه ولا الحسيه أما من الناحيه المعنويه فذلك لأن المشركين لايعظمون المساجد ولا يومنون بالله وبالتالي كيف لهم أن يذكروا الله وهم مشركين بالله ولايعبدون الله تعالي فاخبرنا الله أنهم شاهدين على أنفسهم بالكفر (شاهدين على أنفسهم بالكفر)

وقد ذهب السدى الى تفسير كيف يكون الكافر شاهدا على نفسه بالكفر فقال دليل ذلك أن اليهودي يقال له ما دينك فيقول يهودي والنصراني يقول نصراني والصابي يقول الصابئه وأما المشرك فانه إذا سئل يقول مشرك ولا يقولها أحد غيره

والأصح أن واقعهم يدل على انهم يشهدون على أنفسهم بالكفر فهم يعبدون الأوثان ويحاربون الحق وقد منعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول المسجد الحرام ولم يرعوا حرمه المسجد الحرام فهم لا يعظمون المساجد ولايومنون بالله ومن كان هذا حاله فكيف يمكن له أن يعمر مساجد الله

وأما من الناحيه الحسيه فالمشرك لايجوز السماح لهم بعماره مساجد الله ولا المساهمه فى صيانتها وترميمها ولا يجوز دخوله المسجد إلا بإذن لان المسجد موضع عباده والمشرك لايعظمه وايضا لان الكافر نجس كما سوف يأتى فى الايات اللاحقه

بقوله تعالى (إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام)

وايضا لان مساهمه المشرك فى بناءه تجري مجرى الانعام على المسلمين ولايجوز أن يكون الكافر صاحب منه على المسلمين

الأمر الثاني

توحي الآيات بمنزله المسجد فى الاسلام ولهذا ذكرت كلمه المسجد فى هذه السوره

(٥) مرات لان هذه المؤسسه لها مكانه عظيمه فى الاسلام فهي مركز اجتماع المسلمين وتربيتهم وإعدادهم ومجد المسلمين ابتدأ اول مره ينطلق من المسجد

فقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قدومه للمدينه المنوره هو بناء المسجد فمثل هذا الأ مر اول ركيزه ولبنه وقاعده فى بناء الدوله الاسلاميه ومؤسساتها وإذا أردت الامه اليوم أن تستعيد مجدها فعليها أن تنطلق من البدايه االتى انطلق منها الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح أنه المسجد

فرساله المسجد عظيمه فى الاسلام فهو المكان الذي انطلقت منه رساله الاسلام الي العالم أجمع فالمسجد عنصر أساسي فى حياه المسلم والانشطه التى يزوالها

ولهذا يقول تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون)

فأراد بهذا

المفهوم الاول

الحث على التعاون بين المسلمين فى بناء المساجد فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنه)

وخير دليل علي ذلك ما ذكر في السيره والأحاديث النبوية الصحيحة من مشاركه الصحابه كلهم فى بناء المسجد النبوي وهذا ما ذكر فى حديث أنس فى صحيح البخاري الذي ذكر فيه مشاركه عمار بن ياسر وأنه كان أكثرهم اجتهادا خير دليل على ذلك

فمن ضمن المفاهيم التى تحملها الايه هو حث المسلمين على التعاون فى بناء المساجد وأنه لاجاحه لهم بأموال الكفار ولا بتعاونهم فى عماره المسجد ولهذا كان قراءه (مساجد الله)على الجمع عند القرأ هي الأصح عدا ابن كثير وأبو عمر فقد قرأ ذلك على الأفراد مسجد فقالوا إن المراد به المسجد الحرام لانه قبله المساجد كلها وامامها فعامره كعامر كل المساجد بينما الذين قروا على الجمع قالوا إنه لايجوز للمشركين أن يعمروا شئيا من مساجد الله وإذا كان الأمر كذلك فإن الأولى أن لايمكنوا من عماره المسجد الحرام الذي هو أمامها واعظمها والخلاصة أن العرب تضع الواحد محل الجماعه والعكس أيضا صحيح والمراد بهذا إنه لايجوز تمكين المشرك من المساعده فى عماره اي مسجد كان لان هولاء يكرهون المساجد وهم يسعون الى هدمها فهم وان قاموا ببناء مسجد هنا او هناك فإنهم يريدون اظهار أنفسهم بأنهم أصحاب منه على المسلمين كما يحدث اليوم فى الكثير من البلدان الواقعه تحت الاستعمار أنها تقتل المسلمين وتهدم مساجدهم وتقوم ببناء مسجد فى منطقه العاصمه لاظهار ماتزعم من صداقه وهو ما يجب الإنتباه له

المفهوم الثاني

ان يكون الاخلاص للقصد فى البناء بالتوجه بها الي الله تعالى فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول من بنى مسجد يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنه)

ولهذا قال ابن الجوزي من بنى مسجد وكتب عليه اسمه كان بعيدا من الاخلاص ومن بناءه بالاجره لايحصل له

هذا الوعد المخصوص لعدم الاخلاص وان كان يؤجر فى الجمله

ثالثا

بعد أن ذكرت النصوص أن الكافر ليس أهلا له الاشتغال فى عماره المساجد تأتي الآيات ببيان وجوب أن يكون المشتغل بهذا العمل موصوفا بهذه الصفات الايمان ب‌الله _الايمان باليوم الآخر -واقامه الصلاه _ وايتاء الزكاه _ وان لايخشي الا الله

فقال تعالى على سبيل الحصر (إنما يعمر مساجد الله من ءامن ب‌الله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين)

_

فأول ما يتبادر الى الذهن هو التساؤل لماذا خص بالذكر هذه الصفات الورداه علي سبيل الحصر في الايه أنهم هم الذين لهم الحق في عماره المساجد بقوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من امن ب‌الله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتي الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين)

الأمر الاول

لما ذكرت الآيات فى الايه السابقه أن الكافر ليس أهلا للاشتغال فى عماره المساجد وصيانتها بينت الايه أن الواجب على من يريد الاشتغال بهذا العمل أن يكون موصفا بهذه الصفات الايمان ب‌الله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتيا ءالزكاه وان لايخشي الا الله...فذكر هذه الصفات على سبيل الحصر حتى لاينخدع المسلمين بخطط ودسائس ومكائد الكفار الخبثاء الذين يلجأون الي بناء المساجد وغيرها من الأعمال

لاجل كسب عواطف المسلمين فالإسلام يريد من المسلمين أن لايتاثروا بمثل هذه الأفعال التى يلجأ إليها أعداء الله لاجل الاستيلاء على مركز القرار فى بلاد الإسلام

من خلال استغلال جسور الصداقه لصرف المسلمين عن قضاياهم وأهدافهم

فنحن نشاهد أن وسائل الإعلام الأمريكية والبريطانية والفرنسيه تنقل حضور الرووساء مادبه الافطار فى رمضان مع الجاليات الإسلامية ويبنون مسجد فى منطقه ما فى وقت يقيمون بقتل المسلمين فى منطقه أخرى وهدم المساجد ويرتكبون أبشع الجرائم ولهذا جاءت الايه لبيان إنه لايجوز للمشركين عماره المساجد حتى لا ينخدع المسلمين بمثل هذه الأعمال فيحصل التقارب مع الاعداء على حساب قيم ومبادئ الاسلام

الأمر الثاني

تهدف الايه الى تعريف المؤمن بصفات طالب الخير والخصال التى يجب أن يتصف

بها كل عامل الخير فلابد من الايمان ب‌الله وهذا يتطلب أن يعرف الانسان ربه بغناه وعظمته فالغرض من العمل الاتصال ب‌الله وهذا يتطلب أن يكون عارفا بالطريق الموصل الي الله ومعرفه اسماءه وصفاته ليدعوه ويذكره ويعبده لان المقصود من بناء المسجد عباده الله فالمسجد هو المكان الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا ب الله كيف يصح أن يبنى موضعا يعبد الله فيه ولهذا فالمصدق بواحدنيه الله المخلص له العباده المتبع لمنهج الله هو الذي يمكن أن يقوم ببناء المسجد فالإيمان ب‌الله يجعله يسلك الطريق الذى فيه الوصول الي الله أنه طريق المؤمنين بالاستسلام لكتاب الله وسنة رسوله بينما الكافر متمرد فهو يرفض اتباع منهج الله فطريقه خاطئ أما المؤمن فطريقه الصواب والعباده هي شكر الله الواجبه على العبد

/٢

ان الاشتغال بعباده الله إنما تصدر ممن يؤمن باليوم الآخر لأنه يريد الثواب من الله يوم القيامه ولهذا فهو صادق السريره ومخلص العمل لايريد طلب الشهره ولا شكرا من احد كان يحب أن يقال فلان بني مسجد لكنه يبتغي رضوان الله فهذا هو الفارق

بين المسلم والكافر في الأعمال فالمسلم يعمر مساجد الله بالإيمان والعمل الصالح ابتغاء مرضاة الله بينما الكافر يريد بالعمل التباهي والتفاخر

٣

تبين الايه أن المقصود الاعظم من بناء المساجد هو القيام بحق الله بالاذعان والخضوع والاستسلام فقال تعالى (وأقام الصلاه)واحترام حق الناس بالاحسان إليهم فقال تعالي (وءاتى الزكاة)

وهذا فيه بيان اهميه أداء المسجد رسالته باعتباره وسيله التربيه والتوجيه نحو الخير والإخاء والتواصل بين المسلمين يتعلمون الطاعه والانقياد لرب العالمين ودروس عمليه فى المساواه والاجتماع والتشاور ودراسه أحوالهم والارتقاء الروحي ومشاركة هموم بعضهم البعض وعلاج مشاكلهم فما كان به صلاح الامه فى أول عهدها يكون به صلاح آخرها فعندما أهمل دور المسجد حل بالامه الانقسام والتمزق والضياع فأنت قد تسكن فى حاره ولا تعرف قاطنها وهذا يعود الى عدم أداء الصلوات فى الجامع أو أداءها دون استعياب دور المسجد وحقيقته بانه اداه جمع المسلمين وازاله الفوارق بينهم وتقويه أواصر الاخاء بينهم فهذا هو تعمير مساجد الله وليس التباهي والتفاخر فهذا يخرج المفهوم من التعمير عن أصله لان اقامه الصلاه تعني الإذعان والاستسلام و الخضوع لله (التواضع) وهذا حق التعظيم لله فهذا عمر بن الخطاب يامر من يقوم ببناء المسجد فيقول له اكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس وقد ورد عن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (ماساء قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم) وحديث اخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (يأتى على أمتى زمان يتباهون بالمساجد ثم لايعمرونها الاقليلا ..فأراد بهذا النهي عن مظاهر التباهي والتفاخر والتوبيخ على ذلك فذكر أنهم لايعمرونها الاقليلا لان المراد عمارتها بالصلاه وذكر الله وليس بنيانها

/٤

تبين الآيات ان الذى يعمر مساجد الله لابد أن يجتمع فيه الحذر من سوء العاقبة فهو يقطع الطريق لاجل الوصول الى جوار الله لايسكت عن منازعه نفسه وقمع مافيها من حب الرئاسه والعز والشرف والثناءولهذا يزجرها ويخوفها من نظر الله الي صنيعها ولهذا فهي تترك كل تقرب لغير الله فهو إذا ارتكب ذنب انتظر أن تحل العقوبه ولهذا يلجأ الى الله على الدوام طلب العفو فهو يخاف من ربه خوف الذاكر له والعارف بقوته وبطشه والذاكر لاخرته لايخاف أحد إلا الله

/٥

أن يعبد الله بين الخوف والرجاء الخوف من سخطه وعذابه ورجاء رضاءه ونعيمه

فقال تعالى (فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين)

الأمر الثالث

تبين الآيات أن عامل الخير لايستغنى عن تلك الخصال (معرفه الصواب بالإيمان بالله واليوم الآخر).لان هذا يعني أن تدرك أنك فى رحله سفر الى الله والدار الاخره

ولهذا لابد أن تسأل نفسك ماذا اعددت لهذا اليوم من زاد ؟

ثم إن الوصول الى الله والدار الآخرة يتطلب معرفه الطريق الذى يسير فيه ومعرفه ربه واسماء ه وصفاته وأفعاله ومعرفه الإنسان بافاته وعيوبه وهذا فيه كمال النفس المطلوب بأن يكون الايمان راسخ وصفه لازمه لها وصفه كمال لها ويقصد بأن تكون هيئة راسخه لازمه لها أن يتحول الايمان بربها والهها ومعبودها الحق الذى فيه صلاحها الى سلوك علي الطريق المستقيم وان تعتاد ذلك فيصير هئيه راسخه لازمه لها فليس المراد معرفه الله فقط بل المراد تأثير هذه المعرفه على حركه الفرد بالشعور بوجود الله لتكون الحركه ايجابيه الفاعليه ولهذا ذكر الايمان باليوم الاخر

ولهذا فإن استكمال هذه القوه لايكون الا بالقوه العمليه الاردايه والتى لاتحصل الا بمراعاه حقوق الله على العباد بها اخلاصا وصدقا واحسانا ومتابعه وفق منهج الله يعظم أمر الله ويودي حقوق الناس فقال تعالى (وأقام الصلاه واتى الزكاه)ولما كان علم المؤمن أنه لا سبيل لاستكمال قوتي الإنسان العلميه النظريه والعمليه الا ردايه الا بمعونه الله تعالي وهدايه العبد الى الطريق المستقيم الذي هدي إليه أولياءه وخاصته وان يجنبه الخروج عن ذلك الصراط لهذا فإن الصفه الخامسه (ولم يخش الا الله)

والسوال لماذا ذكر الخشيه هنا ؟

المساله الاولى

لان البعض يؤمن ب‌الله والوهيته واسماءه وصفاته وأفعاله وآياته...لكنه ناقص من حيث التوكل والاستعانة أما نتيجه ضعف أمام العدو الداخلي أو الخارجي فتجده يفزع ويجزع وهذا منتشر لدي الكثيرين وإن كانوالديهم حسن القصد الا أنهم لايعرفون الطريق الموصول الي الله ولهذا جاء التأكيد بذكرها بعد ذكر الايمان ب‌الله واليوم الاخر للاشاره الي التوكل على الله والاستعانة ب‌الله فهو لايخاف الا الله لأن طالب السير الي الله والدار الآخرة لايستقيم سيره الابحبس قلبه فى طلبه ومطلوبه وحبسه عن الالتفات إلى غيره يحبس لسانه عما لايفيده وحبسه على ذكر الله ومايزيد ايمانه ومعرفته وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات حتي يلقي الله فهو فى عباده فى كل وقت و أن ذلك بين الخوف والرجاء فقال تعالى بعدها (فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين)

وقال المفسرون عسى من الله واجب لانه تعالي متعاليا عن الشك والتردد كما قال تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال العلماء هي الشفاعه وكل عسى من الله فى القران فهي واجبه فيكون المعني اولئك هم المفلحون

وقال أبو مسلم أن عسى هنا راجع للعباد وهو يفيد الرجاء فكان المعني أنهم يأتون الطاعات على رجاء الفوز بالا هتداء كما قال تعالى (يدعون ربهم خوفا وطمعا)

لان الراجون ثلاثه : رجل عمل حسنه وهو صادق فى عملها مخلص فيها يريد الله بها ويطلب ثوابه فهو يرجو ا قبولها وثوابها ومعه الاشفاق فيها لان العبد عندما يأتى بالطاعات لايقطع بالفوز لانه يجيز فى نفسه أن يكون قد قصر أو ادخل فيها مايفسدها

أما الثاني فهو الذي يعمل سئيه ثم يتوب منها فهو يرجوا من الله قبول توبته وثوابها ويرجوا عفو الله عنه ومعه الاشفاق الا يعاقبه الله

أما الثالث فهو الذي يرتكب الذنوب ويتمادي فى ذلك ولايتوب ومع ذلك يرجوا أن يغفر الله له فهذا مغتر بالرجا الكاذب والطمع الكاذب والأماني الكاذبه

ولهذا فالايه تبعد المشركين عن مواقف الاهتداء وتحسم اطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم التي كانوا يستعظمونها

وافتخروا بها فذكر أن المؤمنين الذين صدقوا فى إيمانهم واتبعوا شريعه الله فهولاء صار لهم الاهتداء الخاص ولهذا استعمل اسم الاشاره (اولئك) للتنبيه غلى انهم استحقوا هذا الأمل بسبب الايمان ب‌الله واليوم الآخر وأقام الصلاه واتي الزكاه والخوف والرجاء

المساله الثانيه

تشير الايه الى اثر عقيده التوحيد الخالص أنها تربط الإنسان بخالقه وتخلصه من الضغوطات التى تستبعد الإ نسان فالإيمان ب‌الله يقتضي اخراج كل صنم من كيان الإنسان والتوحيد ليس مجرد أفكار تجريدية ولا ترف فكري لاصله لها بواقع الإنسان

فليس الأمر كذلك بل أن عقيده التوحيد توجه الفرد والجماعات والدوله بطريقه واقعيه

فالتوحيد يعني انطلاق الإنسان فى الكون متحررا من كافه القيود والاغلال التي تحد من حركته الهادف للوصول الي الله فالتوحيد يحرر الإنسان من العبوديه ايان كان شكلها

فالتوحيد يسعي الى كسر القيود التى تقيد حريه الإنسان ويزيل الاغلال التي تعطل العقل الإنسان ويعيد للإ نسان كرامته التى كرمه الله بها حيث أن الشرك يعني فقدان الإنسان لحريته وكرامته يفقد إنسانيته واهم خصائصه التي فضله الله بها على سائر المخلوقات حيث أن الأوثان وكذلك الأديان المنحرفه قد زراعت في الإ نسان فلسفه احتقار الإنسان فجعلته يعبد احجار وبشرا مثله أو ملائكه أو ماشبهه ذلك

وبهذا ألغت حريته التى منحها الله له وعطلت عقله وجعلته لايدريك منزلته ومكانته وكرامته فالكون كله مخلوق مسخر لخدمه الإنسان المكلف بالقيام بحمل الامانه وعباده الله وحده ولهذا فإن الايمان وتعظيم أمر الله هو السبيل لاستعاده الإنسان كرامته ومن هنا نفهم التميز الذي امتاز به منهج الاسلام فى تحرير الإنسان نفهم الفرق بين مفهوم الحريه فى الاسلام وبين الحريه لدي حركات التحرر التى لاتكف عن المناداه بالحريه فى سعيها للتخلص من الاستبداد والقمع والتخلف حيث أن هذه الحركات تقتصر على جانب معين من جوانب حياه الانسان وتغفل الكثير من الجوانب التى لاتقل شأنا وأغلب هذه الحركات انقلبت الى انظمه ديكتاتورية

لكن الاسلام جاء بمنهج يضمن تحقيق الحريه بمفهوم أشمل وواسع فيه تحرير الفرد والجماعات والدوله من الخضوع والعبودية لغير الله ولهذا تعمل الشريعه الاسلاميه على تحرير النفس من عوامل الخوف وتحرير العقل من عوامل التعطيل والتقليد والتعبئه وتحرير الاراده الإنسانيه من الإكراه وتحرير المجتمع من أنواع الظلم والا ستبداد فالتوحيد يعني انطلاق الإنسان فى الكون متحررا من كافه القيود والمخاوف وهذا يميز الاسلام عن غيره من الأديان التى تقوم على فكره تخويف الإنسان من اي شي لغرض السيطره عليه وابقاءه تحت نفوذ المؤسسه الدينيه فقد صنعت عقائد تجعل الإنسان خاضعا لها تخوفه من الحاضر ومن الطبيعه ومن المستقبل وتجعل الخلاص الوحيد للإنسان من كل هذه المخاوف هم رجال الدين وانهم وحدهم القادرون على التخاطب مع الطبيعه واطفاء غضبها وانهم الواسطه بين الإنسان والالهه فجاء الاسلام يهدم كل هذه الأصنام يحرر الإ نسان منها فالمستقبل بيد الله وهو. غيب والغيب لايعلمه الا الله ولهذا فالمسلم لايخاف أحد إلا الله تعالي فإذا أراد شي التجاء الى من بيده مقاليد الأمور من يملك العطاء والمنع من بيد ه النفع والضرر

وبالتالي فإن تحرير الإنسان من كافه المخاوف سوي خوف الله هو سياج الحريه وهذا هو الذي يحق له تعمير مساجد الله لأن الخائف لايستطيع أن يكون حرا مهما أطلق له العنان ولايستطيع أن يستمتع بما أتيته من حريه ظاهره لان نفسه مكبله باغلال الخوف والرهبه

ولهذا فإن التوحيد هو السبيل لتحرير الإنسان والجماعات والدول فيكون انطلاق الإنسان متحرر ا من كافه القيود وهذا ما أدركه المؤمنون الاؤائل ولهذا امتلأت نفوسهم ثقه ب‌الله وحبا للدين وحملوه للعالم بكل فخر

واعتزاز لقد خاضوا المعركه مع الباطل دون خوف ومهما كانت المصاعب فهم لايخافون أحد إلا الله وحده لا شريك وهو سبحانه رحيم وورحمته وسعت كل شئ وقد جعل باب التوبه مفتوح وممهد للعباد ولايحتاج الي واسطه رهبان ولا غيره ولهذا فإن قلب المؤمن متعلق بربه يرجو أن يقبل عمله ولهذا فلا يخشي المسلم الا الله تعالي وهو يطلب رحمته ويرجوا عفو الله ورحمته ومغفرته

رابعا

هذه الايه امتداد لما قبلها حيث أنه تعالى ذكر أن خصال طالب وعامل الخير وسبيل الوصول الى الفوز بالا هتداء والنجاح فذكر أن توفر الصفات المذكوره هي قاعده تأهيل اشتغال العبد فى عماره بيوت الله وهي قاعده تقويم الشعائر والأعمال والمفاضله بين المسلمين والمشركين حيث والايه توحي أنه حصل مفاضله جرت بين المسلمين والمشركين فزعم المشركون انهم اهل فضائل فى عماره المسجد الحرام وسقايه الحاج وسدنه الكعبه وكانوا يعتبرون ذلك سببا للقرب من الله وان كانت عقيدتهم فيها شرك بالله فجاءت الايه بهذا الأسلوب الانكاري (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم وجاهد فى سبيل الله)

يستنكر الميزان الذي وزنوا به الاشياء فهم يعتبرون خدمه الحجج وعماره الكعبه تساوي المؤمنين الصادقين المخلصين الذين بذلوا أنفسهم وأرواحهم فى سبيل الله

فقال تعالي (لايستوون عند الله)

اي هذا القول باطل فلا يمكن مقابله الايمان والجهاد الذي هو اعمال المؤمنين بأعمال السقايه وسدنه الكعبه المجرده من الايمان فهذا التقدير الذى ذهب اليه المشركون (بأن سدنه الكعبه وسقايه الحاج تساوي الأعمال التى يقوم بها المؤمنين من إيمان وجهاد) تقدير ساذج وسخيف لانه يقابل الشي الشريف الرفيع اقصد الايمان والجهاد بالشي الوضيع التافه الحقير (سدنه الكعبه وسقايه الحاج)

فهذا التقدير باطل فالله تعالى يضع للعباد الميزان الدقيق لقراءه ودراسه الواقع

يعطينا هذه النماذج لتكون قراءتك للأحداث قراءه سليمه تنطلق من منهج الله ومن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه بالقراءه الشرعيه للمواقف والتاريخ

لاعاده النصوص والعلوم الى جذور اصوالها الثابته فيجب أن نري الاشياء حسب مانص الشرع عليه فالتقدير و الوزن هو بميزان الله وليس كما نراه بعيوننا ا الماديه

وطباعنا التي شكلتها البئيه أو فهمنا الذاتي للقضايا فاللازم أن نحسن النظر بالتاني وعمق القراءه الواعية وفقا لمنهج الله لنخرج منها بالمعاني والمفاهيم التى تعيد بها ترتيب احوال الامه بما يخدم الاسلام والمسلمين

فنحن بحاجه الى فقه التحولات والقراءه الصحيحه الشرعيه للواقع اكثر من حاجتنا للغذاء والدواء والماء لماذا ؟

لاننا بهذا العلم نسد كافه الثغرات التى يحاول الشيطان أن يتسلل منها الي كيان الامه حيث أن الخطاء فى قراءه مراد الله يودي الى الانحراف ووضع الشي فى غير موضعه ولهذا يصبح الإنسان غير اهلا لحمل امانه الخ لافه لان الجهل والظلم هما اللذان يشكلان عائقان أمام حمل الامانه لقوله تعال (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا) فمن أراد أن يكون خليفه لله فى أرضه فعليه التخلص من الظلم والجهل ولهذا يقول تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين)

اي لايوفق الله الظالمين من الاهتداء الى طريق الله السليم لأنهم اشركوا بالله ولايخلصون فى عباده الله ولو

كانوا يقومون بأعمال البر مثل سقايه الحاج وعماره المسجد فإنها باطله ولاقيمه لها وكذلك لايوفقهم للقراءه الصحيحه للاشياء لأنهم ظالمون للحق ولهذا يستدرجهم الله فيجعلهم يسئون التقدير للاشياء فيضعون الامور فى غير موضعها

خامسا

(الذين آمنوا وهاجروا وجاهد وا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خلدين فيها أبدا أن الله عنده اجر عظيم)

ابتدأت الايه بتقرير فضل المومنين المهاجرين المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والسؤال هنا لماذا خص بالذكر (المؤمن-المهاجر_المجاهد بماله_والمجاهد بنفسه)

الأمرالاول

أن هذه الجمله وردت بمناسبة ذكر نفي الاستواء فى جمله (لايستوون عند الله) بين أفعال سقايه الحاج وعماره المسجد بأنها وان كانت من أعمال البر فإنها لامعني لها إذا لم يصاحبه الايمان لان الكفر يذهب باثرها أما العمل المفضل فهو عمل المؤمن بالله واليوم الآخر والمجاهد فسبيل الله فى إطار الرد على ما كان من المشركين التفاخر به من عماره المساجد وصيانتها وترميمها زاعمين انهم اهل فضائل فكان نفي الاستواء بينهم وبين المؤمنين فقال تعالى (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لايستوون عند الله)

حيث ذكر ترجيح الايمان بالله واليوم الآخر والمجاهد فسبيل الله على سقايه الحاج وعمارة المسجد الحرام عن طريق الرمز ثم اتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح فجاءت الايه بتقرير فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهد وا فسبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله)

فكأنه قال إن من كان موصفا بالإيمان والهجره والجهاد بالمال والجهاد بالنفس كان اعظم درجه عند الله ممن اتصف بعمارة المساجد وسقايه الحاج ولهذا لم يعطف بالجمله على ماقبلها فقال تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهد وا فسبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة)

فوقعت جمله (الذين آمنوا) فموضع رفع الابتداء وخبره (أعظم درجة عند الله)

ودرجةنصب على البيان اي من الذين افتخروا بالسقايه للحاج والعماره وليس معني هذا أن للكافرين درجه عند الله اقل حتي يقال المؤمن اعظم درجه فليس هذا المعني وانما هو التفضيل المطلق فجاء بصيغه افعل التفضيل (أعظم)

لان الكفار حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون فلا مفاضله بينهم وبين من يبشرهم الله بالرحمه والمغفره و الرضوان وجنات النعيم

الأمر الثاني

تهدف الايه الى غرس الشوق فى قلوب المؤمنين لما عند الله ليكون التنافس على الايمان وطاعه الله والجهاد ب النفس والمال وترك الديار والأوطان فرارا بالدين وهجره المعاصي والذنوب والاثام فالمهاجره مشتقه من الهجر وهو الترك واشتقت لها صيغه المفاعله لاختصاصها بالهجر القوى فهو يحتاج الى قوة دافعه ومحركه للفعل فهي تشمل كل ماسبق وكذلك الهجره الى المدينه المنوره لأنها كانت للاستيطان بعكس الهجره للحبشه فقد كانت موقته ولم تكن للاستيطان

وكذلك فإن الجهاد بالمال والنفس أمر شاق فهو من المجاهده فالإنسان المسلم إذا يجاهد عدواه الداخلي بحيث يتغلب على الأهواء والشهوات فإنه يكون ناقص الايمان حتى يتغلب على عدوه ثم إن المساهمه فى حمل امانه الخلافه تتطلب الجهاد والتضحيه بالمال والنفس فى سبيل الله مقابل سلعه الله الجنه وهي درجات بين الدرجتين مسافه مثل المسافه بين السماء والأرض وقد كان إدماج هذه الصفات لبيان مزيه المهاجرين من المجاهدين ولهذا اختتم الايه بقوله (واولئك هم الفائزون) فيه قصر الفوز عليهم بتعريف المسند باللام لتعظيم فوزهم ليحصل الشوق لهذا الفوز جاء بأسلوب المبالغه فى تعظيم فوزهم حتى يبدوا أن فوز غيرهم بالنسبة لفوزهم يبدو كالمعدوم

الأمر الثالث

لبيان مراتب افضليتهم والكمال الذى وصلوا إليه وان أعمال البر متفاوته وليست على درجه واحده فالإيمان و الهجره والجهاد بالمال والنفس أعظم الأعمال

لان الايمان يعني اليقين فى التصديق وهذا فيه كمال القوي العقليه المنطقيه أنه كمال الروح بزوال الكفر. وكذلك فإن الهجره تعني ترك المحبوب للنفس مقابل التمسك بالعقيده ومفارقه الاحبه لاجل إرضاء الله وكذلك فإن الجهاد فى سبيل الله تعني أن يكون البغض والغضب فى الله ولهذا يضحي بماله ونفسه ولاشك أن هذه التضحيه إنما تكون للفوز بمحبوب أعظم وتهدف الى طلب رضوان الله ولهذا فإن أرواحهم تطهرت من الاوساخ والدنس والقذورات فكانوا اهلا للاتصال بربهم فهم يعتزون بالعبوديه لله ولهذا قال تعالى (عند الله)اي ان استغراقهم فى عبوديته وطاعته اوصلتهم الى مرتبه الكمال واعلى المقامات فالطريق للكرامه والسعاده أن تكون عبدا لله وبالتالي لا يصح المساواه بين المؤمن الصادق والمهاجر والمجاهد بالنفس والمال وبين غيرهم ممن لم يؤمن ولم يهاجر ولم يجاهد لهذا لم يقل أنهم أعظم درجه من السقايه والعماره لانه لو حصل ذلك لتوهم أن افضليتهم إنما حصلت بالنسبه إليهم ولما ترك ذكر المرجوح عليه دل هذا على انهم افضل من كل من سواهم على الاطلاق لانه لايعقل حصول سعاده وافضليه للإنسان اعلى وأكمل من هذه الصفات ولهذا أشار إليهم بهذا الكمال فقال تعالى ((واولئك هم الفائزون)بجمله معطوفه على جمله (أعظم درجة عند الله) اي وهم أصحاب الفوز فهذا هو طريق الفوز بالمطلوب والنجاه من المرهوب فاستعمل (اولئك) للتنبيه أنهم استحقوا الفوز لاجل تلك الصفات التى تميزوا بها ولهذا اتبع ذلك بما أعد لهم وذكر بعدها وجوب تجرد النفس للعقيده وان يقاطعوا كل علاقه مع الاعداء مهما بلغت درجات القرابه

الأمر الرابع

أن ذكر العنديه الاستغراقيه عند الله ليس المراد بها الجهه والمكان وانما يراد بها أن هذه الصفات (الايمان و الهجره والجهاد بالمال والنفس) من الأسباب التى تصل الإنسان بمعبوده حيث أن هذا إنما يحصل لمن عرف الإ له الواحد القهار المعبود المتجلى بكبرياءه وعزته ولهذا تطمئن نفسه لربه ويخضع لكبرياءه وينكسر لعزته ويحصل خشوع القلب والجوراح حيث أن الايمان والهجره والجهاد فيه اختبار يحصل للإنسان فيه شهود صفات الالهيه وهذا مايوجب المحبه الخالصه والشوق الى لقائه والتنافس على رضوانه والتودد إليه بطاعته و الفرار من الخلق إليه فيكون الله هو همه إذا أصبح أو امسي وفي كل الأوقات فهذا هو الكمال الذي يلوح به تعالي في قوله بالعنديه (أعظم درجة عند الله) كما ذكره الله تعالى فى قوله (ومن عنده لايستكبرون عن عبادته) اي الطاعه والعباده لله تعالى فتكون بمنزله الملائكه وأعظم منهم

ولهذا بعد ذكر الفوز لاجل تلك الصفات تأتي البشاره بقوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خلدين فيها أبدا أن الله عنده اجر عظيم)

فأراد بهذا :_

بيان أن ذلك بمعونه الله حيث امدهم بأسباب الثبات جودا منه بالبشاره التى أدت الى اطمئنان قلوبهم بالسكينه والوقار فهذا عنايه من ربهم بهم ومحبه لهم وهي من صفات الربوبيه التى يشهدها المؤمن فقال تعالى (يبشرهم ربهم) فاستخدم اسم الرب لبيان أن الله المالك للعباد والمربي لهم يمد أولياءه بالبشاره اعتناء بهم فهو لاينقطع بره عن خلقه بشكل عام وعنايته الخاصه باولياءه فهذه العنايه والرعاية

التى يجدها المؤمن بقيامه بالأعمال الصالحة حيث يجد لذه للطاعه وغذاء للروح تجعله يحس برحمه الله عليه وتوفيقه ويشعر برضوان ربه فيدخل الجنه وهو في الدنيا قبل أن يموت يتذوق لذه الطاعه فهذا من أعظم البشاره التي يجد ها المؤمن الصادق والمهاجر والمجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه يجد ثلاث بشارات ١/رحمه الله الواسعه يراها ظاهره أمامه مقابل إيمانه ٢/رضوان الله عليه الذي لاسخط بعده مقابل سخط الناس عليه ومقابل الجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ٣/الجنات التى اعدها الله له فيما لاعين رأت ولااذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مقابل ماترك من الاوطان والزهد عن الدنيا وهي من الشهود لصفات الربوبيه التى توجب التوكل على الله والافتقار إليه والاستعانة به والذل والخضوع والاستسلام والانكسار له وتولد القناعه والزهد عن الدنيا لأنها زائله والعمر فيها قليل وساكنها الى انتقال ولهذا فالعاقل يؤثر الاخره على الدنيا لان الحياه الحقيقيه هي فى الاخره ولهذا قال تعالى بعدها (خالدين فيها أبدا) اي ماكثين فيها بلا انقطاع ولانهايه لهذا النعيم المقيم لاينتقلون عنه ابدا وبالتالي فإن المؤمن يشتاق الي ماعند الله ولهذا ختم الايه بقوله تعالى (أن الله عنده اجر عظيم)

فهو عظيم يفوق كل الأوصاف ولايمكن للإنسان أن يحيط به علما فلاتتعجب من عظمته وحسنه لانه من عند الله الذى يقول للشيء كن فيكون

القسم الخامس

(يايها الذين آمنوا لاتتخذوا ءابآءكم واخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل إن كان اباؤكم وابناوكم واخوانكم وازوجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)

اولا

أن الملاحظ ابتدأ الايه بهذا النداء (يايها الذين آمنوا) هو خطاب للمؤمنين كافه تضمن حكم شرعي متعلق بقطع الولاية بين المؤمن والكافر مهما كانت درجه القرابه والنسب والمصالح وهذا فيه الآتى

المفهوم الاول

أن النداء للمؤمنين (التنظيم الايماني الثوري)يوحي أن هنالك ثمه فسادا جديد قد وقع او أن الثوره لم تنجح فى تحقيق أهدافها لان الاصل أن الشعوب تكون بحاجه الى الهدوء والاستقرار للخروج من جو العاصفه التى عصفت بإرادتها لتقضي على الظلم والفساد والتخلف فهي بحاجه للهدوء والاستقرار باسرع وقت

ولهذا فإن النداء للمؤمنين (الطليعه والتنظيم الايماني)يدل أن ثمه خطاء وفساد جديد قد طرأ على الجماعه المؤمنه فيه وضع الشي فى غير موضعه لانه ذيل الايه بقوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) وبالبحث عن هذا الفساد نجد أنه متعلق بحال البعض من المسلمين الذين كانوا يكرهون قتال أقاربهم وذويهم وعشيرتهم الذين حصل الافتراق بينهم بسبب الهجره فكانوا يتمنون أن يؤمنوا اضافه الي ان البعض اتخذ من أقاربه المشركين بطانه كما نفهم من قوله تعالى (ام حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) يلقون إليهم بالاسرار ولهذا جاءت الآيات هنا بهذا النداء

لمعالجه هذا الفساد الذي طرأ على سلوك بعض المسلمين لتدق باجرسها الاذان وتصل الى أعماق نفوس المؤمنين مبينه أن هذا السلوك يتنافي ويتناقض مع مقتضي الأهداف (الايمان) الذى يقتضى البراءه على اساس العقيده وتقديم رابطه الدين علىرابطه القرابه والنسب والمصالح

المفهوم الثاني

أن الخطاب بعنوان الإيمان للمؤمنين فى النهي عن موالاه الكفار لاجل أن يستوعب المؤمنين المهمه والأهداف التى يقتضيها الايمان والانتساب للتنظيم الايماني والطريق الموصل الى الأهداف باعتبار التنظيم الايماني هو الذى يتوسط بين النظريه والتطبيق العملي اي بين الهدف وبين تحقيقه فهذا هو دور ومهمه التنظيم الايماني ولهذا جاء الخطاب بالنهي لبيان أن مولاه الكفار سلوك يتنافى مع الايمان الحق والإخلاص للعقيده التى توجب قطع الولاية بين المؤمن والكافر مهما كانت درجه القرابه والنسب والمصالح لان هذا انحراف فى التطبيق للأ هداف النظريه التى يكون المؤمنون هم المكلفون بجعل الهدف الثوري سلوكا عاما يلتزم به الحكام و المحكومين وجاء الخطاب مذيلا بقوله تعالى(ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)

بالتهديد لمن يتخذ أولياء يكون بينهم موده ومناصره على غير أساس العقيده بأنهم ظالمون لأنهم وضعوا الولاء والبراء فى غير موضعه وبالتالي فإن حركتهم فيها انحراف عن الأهداف والظالم لايصلح أن يكون خليفه لله

المفهوم الثالث

أن المعلوم أن العلم نظريه فى المعرفه بينما الثقافة نظريه فى السلوك واهميه وجود التنظيم لاى ثوره يكمن فى دورهم الذي يبدا بالتوسط بين النظريه والممارسة اي بين هدف الثوره وبين تحقيقه ولما كانت اهداف الا سلام هو تحرير الإنسان الفرد والجماعات الانسانيه من الخضوع والعبودية لغير الله فيعمل الاسلام على تحرير النفس من كافه المخاوف وتحرير العقل من عوامل التقليد والتعطيل والتبعيه وتحرير المجتمع من كل انواع الظلم الفئوي أو الطبقي أو اجتماعي أو سياسي فهذه هي نظريه الاسلام للحريه بالمعني الواسع الذى فيه الشمول ولهذا نجد أنه تعالى بعد أن بين أنه يختبر المسلم الصادق فى مقاومه الظلم وكذلك فى التحرر من كل وشيجة لاتقوم على العقيده فقال تعالى (ام حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة)

فذكرت هنا أن تحويل النظريه الى واقع حياه يتطلب أن تتحول اهداف الايمان الى سلوك يلتزم به الجميع حكام ومحكومين ولهذا جاء الخطاب للمومنين بالنهي والمراد بهذا النهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موا لاه اي فرد من أفراد المشركين لان الجمع إذا قوبل بجمع يوزع الفرد على الفرد كما قال تعالى(وما للظالمين من أنصار)

المفهوم الرابع

تهدف الايه الى غرس ثقافه الاسلام التى تميزه عن غيره من الثقافات التى كانت سائدة ولهذا نجد أن الآيات ابتدأت بإبراز طابع الثقافه الاسلاميه المتميزه عن غيرها ولما كان التميز بين الثقافات عن بعضها يظهر من خلال المضمون والأسس التى تستمد منها كل ثقافه تفسيرها للاشياء وسلوك أهلها أما من العادات أو التقاليد أو التاريخ أو أساليب المعيشه أو العقيده أو الدين

لهذا نجد أن الآيات ابتدأت بتصحيح الأفكار الخاطئة التى وقع فيها البعض عندما ذهبوا الى التعلل باهميه استمرار العلاقات مع المشركين ومخالطتهم وزعموا ان المشركين فيهم خير وفضائل يمكن اعتبارها قواسم مشتركه لمد جسور الصداقه معهم فذكروا سقاية الحاج وعماره المسجد الحرام فجاءت الآيات لازاحه هذه التصورات الفاسده مبينه أن هذا القول فيه خروج عن مضمون الخير وأعمال البر

وفقا للثقافه الاسلاميه لان الكفر مانع لها ولاقيمه لها ثم بين لهم الأسس الذي يستمد منها. تعريف من يستحق عماره المساجد وصيانتها بأنها لاتكون الا من المؤمن بالله والبعث والنشور وأقام الصلاه واتى الزكاة.

ثم جاءت الايه بنفي المساواه بين المؤمنين والكفار واختتمت بذكر البشاره للمؤمنين المهاجرين المجاهدين فى سبيل الله بالنعيم المقيم فى الجنه

فذكرت بعدها أن هذا التميز لايتم الا بترك ولايه الكفار وإيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله فقال تعالى (يايها الذين آمنوا

وهذا التميز يقوم على اساس العقيده (التميز العقدي)

فالإسلام يرفض كل أشكال التبعيه والتقليد فاتصال المؤمنين بالآخرين ينبغي أن يكونوا فيها مؤثرين لامتاثرين وفاعلين لامنفعلين

ولهذا كانت المفاصله فى بدايه الدعوه فى وقت كان المسلمون يتعرضون للاذي والتنكيل فى مكه فلم يسمح بـ المهادنه بأمر العقيده فقال تعالى (قل يايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ...الخ

والايات فى هذا الشأن كثيره وكذلك الأحاديث سواء بالموقف من المشركين أو أهل الكتاب وهذه السوره بالذات تتناول ذلك بذكر تفاصيل فساد العقائد غير الاسلام

وهي تفضح الكفار وأهل الكتاب والمنافقين وتكشف أساليبهم لتغرس النفور من الكفر والنفاق وتبين التميز فى حياه المسلم وانشطته وسلوكه عن غيره ولهذا تحذر المسلم من التهاون أو التساهل فى الولاء والبراء وتدعو المسلم الى تجنب تقليد سلوك الكفار من التعصب للجنس ومولاتهم أو مشاركتهم أعيادهم ومناسباتهم فقال تعالى (لاتتخذوا اباءكم واخوانكم أولياء أن استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)

فالايه فيها الأمر بالتجرد عن كل علاقه مع الاعداء مهما كانت صله القرابه بهم

طالما أنهم اختاروا الكفر فلايجوز الثقة بهم أو استشارتهم فى أمور المسلمين

ولهذا خص بالذكر ولايه الاب والاخ لأنهم اقرب الناس الى الإنسان وبالتالي فإن قطع ولايه غيرهم من باب اولى ولم يذكر الأبناء ولا الزوجات لأنهم تابعون له

فأراد الاسلام ازاله ثقافه الجاهليه التى غرست قيام فكره المحبه والنصره على اساس القرابه والنسب و العصبيه والقوميه ولهذا جاء ت الايه بالنهي عن اتخاذ الآباء والاخوه أولياء طالما أنهم استحبوا الكفر علي الا يمان فيها قطع أواصر النسب والدم إذا انقطعت أواصر العقيده فقطع حبل العقيده تعني قطع اي ولايه

ذلك أن التوحيد يوجب على المسلم أن يحب فى الله ويبغض فى الله لا لاجل النسب أو القرابه ولأن المحبه و النصره إذا أقيمت على اساس غير العقيده فمعني ذلك أن الإنسان يقدم طاعه الأقارب على طاعه الله وتصبح محبتهم مقدمه على محبه الله وهذا نوع من العبوديه للبشر ولهذا قال تعالى (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون)

اي من اتخذهم أولياء فإنه قد ظلم نفسه وتجاوز حدود الدين و ضع الولاية موضع البراءه والموده محل العدوه وبهذا صار مثله مثل المشركين اي فقد التميز الذي يتميز به المسلم

ثانيا

ابتدأت الايه بالأمر من الله تعالي لنبيه أن يتوعد من احب أهله وماله وعشيرته وتجارته والمساكن المريحه على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله بأن عليهم أن ينتظروا حلول عقاب الله عليهم

الأمر الأول

بعد أن انتهت الآيات الى صياغه و تقرير مبدأ الولاء والبراء فى الله والبغض فى الله وقررت أن القرابه التى يقوم عليها أساس حركه التنظيم الايماني فى الحياة إنما تكون بالقرب من الله (التوحيد وعباده الله تعالي وحده لا شريك له) فهذا هو هدف التحرير والجهاد الذى من أجله كان كفاح ونضال المسلمين فالهدف هو كيفيه الوصول إلى الله والقرب منه ومهمه التنظيم الايماني ليس مجرد رفع هذا الشعار

بل يتسع ليستوعب الطريق الذى يودي الى تحقيقه وتمتد الى التوسط مابين النظريات الي سلوك يترجم على الواقع ولهذا جاء بعدها بهذه الايه التى يستعرض فيها انواع الوشائج والمطامع والمتاع والملذات

فقال تعالى (قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)

لبيان الآتي

الدرس الاول

تبين الايه أن طريق الوصول الى الله تعالى يمر بقلب الإنسان ذلك أن الحواس الظاهره غايتها هو الفهم و المعرفة لكنها لاتكفي وحدها لمعرفه الغرض النهائي من وجود الإنسان لان الادوات الظاهره تستمد قوتها من الا بدان وأما الباطنه فإنها تستمد غذاء ها من النفوس والأرواح التي فطرت علي النور بينما الاجسام فطرت علي الظلام ولهذا فإن الذي يفرط بالحواس الباطنه فإنه يضيع قواه ومواهبه وتستر عنه الحقائق فشان الحب هو الطاعه العذبه والاستسلام المحض فالحب يعني اختيار اراده المحبوب فيصير الإنسان بلا اراده أمام اراده الله تعالي أن تختار ذوبان ارداتك في أردته ومشئيته سبحانه وتعالي فتتحرك بالله وتسكن بالله وتحب في الله وتبغض في الله بمعني تكره ما أراد الله كراهيته فيصير الله هو السبب وراء كل ما تفعل أو تدع فالحريه الحقيقيه تعني الخروج من كل سلطان غير سلطان الله وهذه هي العبوديه الحقيقيه لله ولهذا كانت محبه الله هو اصل الاسلام وجوهر الأديان كلها الذي يدور عليه قطب رحاه فبكمالها يكمل التوحيد وفي نقصها ينقص توحيد الإنسان وقد ذم الله المشركين في أكثر من موضع فقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله)

فذم المشركين لأنهم لم يخلصوا المحبه لله تعالى وهذه التسويه حكي الله عنها بلسانهم انها كانت وراء العقاب لهم في النار فقال تعالى (تالله انا كنا فى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) والتسويه منهم فى المحبه و التعظيم كما قال تعالى فى سوره الانعام (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)

ولما كانت محبه الله موجبه محبه رسوله لأنها تابعه لمحبه الله لازمه لها لأنها محبه لله ولاجله تزيد بزياده محبه الله فقلب العبد وتنقص بنقصها كما يحب الاعمال الصالحه وهذه المحبه ليس فيها شي من شوائب الشرك والا عتماد عليه ورجائه فحصول مرغوب أو دفع مرهوب فإنما هي محبه فى الله ولأجل الله وهذه هي كمال المحبه المميزه عن المحبه مع الله التي هي محبه الانداد ولما يتعلق فى قلوب المشركين من الالهه التى لاتجوز الا لله وحده فهذه المحبه هي الطريق الموصل الى حب الله تعالي

ومحبه الله ليست شعار يرفع ولا دعوى تنقال باللسان كما حصل من قوم ادعوا محبه الله فأنزل الله ايه المحبه

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

اشاره الى دليل المحبه وثمرتها وفائدتها فدليلها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفائدتها وثمرتها محبه المرسل فعندما لاتحصل المتابعه فالمحبه غير حاصله ومحبته لكم منفيه وكذلك ذكر الله فى ايه أخرى اربع علا مات للمحبه فقال تعالى

(يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذله على المؤمنين اعزه على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومه لائم)

فذكرت أنهم رحماء مشفقين عاطفين على المؤمنين فقد عدى كلمه اذله باداه (على) قال عطاء اي للمؤمنين ک الولد لوالده وكالعبد لسيده وعلى الكافرين كالاسد على فريسته ...والثالثه الجهاد بالنفس والمال وهذه هي علا مات تحقق دعوى المحبه ولهذا تأتي الايه هنا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتوعد من احب أهله وماله وعشيرته وتجارته والمساكن المريحه فاثرها أو بعضها على فعل ما أوجب الله عليه من الأعمال التى يحبها الله ويرضاها كالجهاد والهجره وغيرهابالعذاب والهلاك

الدرس الثاني

تبين النصوص اهميه اعاده تشكيل العقول والمدراك والميولات والعواطف لدى الجماهير المسلمه والتنظيم الا يماني بحيث تصبغ بلون واحد هو صبغه الاسلام هذه الصبغه التى يجب ان تحدد شكل التنظيم الايماني من لحظه ولادته بحيث تكون الشخصيه الاسلاميه لها لون واحد يشترك فيها جميع أعضاء التنظيم الايماني لمنع فشل التنظيم الايماني عن القيام بدوره بحمل المشروع الايماني والمطلب الرباني وانحرافه عن المسار عند است لام السلطه حيث والمشاهد لمن يتأمل لحال الكثير من الحركات الإسلامية والتنظيمات السياسية التى حملت المشروع الايماني أنها فشلت فى القيام بتحقيق الأهداف عند استلام السلطه لأنها لم تطرح شكلها الا بعد تطورها وعند استلامها السلطه او لأنها لم تحتاط لمحظور التجربه او لأنها احتضنت بين مفرداتها عناصر انتهازيه وخونه يخدمون المشروع الاستعماري وكذلك عجزهم عن استشفاف مسار الاتجاه الصحيح ولهذا حرص الإسلام على صبغ الجماعه المسلمه بلون ثقافه الاسلام التى شكلت نمطا مشترك لجميع أعضاء التنظيم ا لايماني ولأن التشكيل الصحيح للشخصيه الاسلاميه لايتم الااذا تكونت لدى الفرد عقليه ونفسيه اسلاميه على نفس القاعده المنهجيه سواء كان هذا الفرد عالما مثقفا واسع الاطلاع وعبقري مبدع او كان إنسانا عاديا غنيا كان أو فقير قائدا أو جنودي شيخ أو عامل متعلم أو امي لايقرا ولايكتب ولهذا يضع الاسلام النظريه التى يسلح بها التنظيم الايماني ليكون قادرا على ادراه الدوله بنجاح فهذه النظريه وبما يحافظ على شكل التنظيم بثبات و التى يتم من خلالها تكوين الشخصيه الاسلاميه فقال تعالى (قل إن كان اباؤكم وابناوكم....الخ

فالايه تبين أن الشخصيه الاسلاميه هي الشخصيه التى تكون ميولها كلها على اساس الاسلام تبعا لما جاء فيه اي التى تمتزج فيها الدوافع الفطريه بالمفاهيم الاسلاميه عن الواقع والحياه فتصبح ميول الشخص اسلاميه مقياسها ومرجعها الاسلام لجميع الاشياء والتفكير والوجدان وقبول الاشياء و النفور منها ورفضها

ولهذا قال تعالي (قل إن كان اباؤكم وابناوكم...الخ

اي انه لايصح أن يكون ميول المومن أو تفكيره خارجا عن اساس الاسلام ولهذا عبر عن ذلك باداه الشرط (أن) التى من شأنها أن يكون شرطها مشكوكا فى وقوعه أو من شأنه الايقع فهذه هي النظريه التى يتسلح بها التنظيم الايماني فالعقيده من أهم العوامل المؤثره فى تكوين الشخصية المسلمه ورسم ملامحها لأنها تودي الاثار متعدده تبرز فى حركات المسلم وسلوكه أهمها وحده التصور وذلك بهيمنه عقيده التوحيد على كل ما جاء به الاسلام من عبادات وقيم ونظم وعلاقات بين الإنسان وخالقه وعلاقاته مع بنى جنسه وسائر المخلوقات

تجعل كل ما يصدر عن المسلم من فكر أو ميول منسجم مع بعضه فهو يجنب وقوع الشخصيه الوقوع فى التناقض الذي وقع فيه غير المسلمين كالتناقض بين القيم والمبادئ والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من ناحيه ولابن مطالب الدين وطموحات الحياه لان غير الاسلام ينطلق من منطلقات منفصله أما في الاسلام فهي تنطلق من عقيده التوحيد وتتصل به ولهذا لم يرتب على هذا الشرط المؤاخذه غلى اصل الحب لماذكر فى الايه من مجاميع حظوظ الدنيا بل رتب على تفضيل الحظوظ الشهوانيه من حب الآباء والابناء والاخوه و الزوجه والعشيره والأموال والتجاره والمساكن المريحه على حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله أنه خروج من دائره الايمان الى دائره الفاسقين فاراد بهذا بيان حقيقه ان الايمان يدفع المرمن للالتزام بما أمر الله تعالي فهو يحاسب نفسه ويخاف من عقاب الله أنه يستحضر دائما قول الله(مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)

والمرمن يستعلى بالحق ولاينخدع بالمظاهر الماديه فالمؤمن لايستمد قوته وعزه من مال ولاجنس ولاعشيره إنما يستمد عزته من عبوديته لله تعالى التى حررته من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولا مستخدما طامعا لاتذله الأحداث ولاتنحنى جبهته للأزمات بعكس من لم يعمر قلبه بالإيمان فإنه لايصمد فى وجه الأزمات فكم من الناس ينهار لضياع مال اوفقدان الزوجه او الولد لايتحمل فاجعه فى أهل أو مال اوولد وصدق الله حيث قال (أن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) وقال تعالى (ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين)

ولهذا يقول الحق لنا أن الذى يفضل الأهل والمال والاولاد والمساكن المريحه والجاه والسلطان بالميول والحب فإنه ينتقل من دائره الايمان ويدخل فى دائره الفاسقين وهذا أمر فى غايه الخطوره لان الاصل الذي يجب ان تعرفه أن الناس ينقسمون الي فريقين أهل الخير والايمان وأهل الشر والفسق وهذا يجعل النسب لكل فريق يقوم على اساس المنهج فابواه المنهج الرباني يكون به الاهتداء وتسلل الرابطه التي تربط بين المومنين وعلا قاتهم ابتدأ من ادم الي قيام الساعه فهذه هي القرابه والنسب والوشيجه التى تربط بين المؤمنين فى كل زمان وعلى هذا الاساس يكون بناء التنظيم الايماني وهذه القاعده هي التى تحدد شكله منذو ولادته والإسلام يحرص على بناء عقيده المسلم على اساس هذه القاعده التى تضمن سلامه البناء التنظيمي من اي تسلل لعناصر ومفردات فاسده تخدم المشروع الشيطاني ومدرسه الفسق التى ترفض الانضباط وتعمل على نشر الفوضي و الخروج عن منهج الله فهؤ لا ء يجب التبرو منهم حتى لو كانوا من أشد الناس قرابه للمؤمنين فى الدم والنسب لان .هذه الوشيجه إنما يرتبط بها الفاسقون الخارجون عن طاعه الله الذين يبتعدون عن ربهم أما المؤمنون فإنهم يسعون الى القرب من الله تعالي فالنظريه الاسلاميه تقوم على أن المسلم يفكر على اساس الاسلام (عقليته اسلاميه) ويجعل ميوله وهواه تبعا لما جاء به الاسلام (نفسيه اسلاميه) فهذا هو جماع الشخصيه الا سلاميه مهما كان لونه او جنسه أو موقعه (عبد القادر هاشم رمزي النظريه الاسلاميه في فلسفه الدراسات الا جتماعيه ١٣٨)

ولهذا تأتي الآيات لتبين لهم الطريق الذى يودى الى تحقيق هذا الهدف (التوحيد وعباده الله) هو التسلح بـ الطاعه والانكسار والذل والخضوع لله تعالي فالمسلم لايقلق من فقدان الاحبه أو ضياع الأموال لاحساسه بـ الصله بالله والانس بجواره والأمن فى حماه تجعله يطمئن من قلق الوحده وحيره الطريق بإدراك الحكمه من الخلق والمصير والشعور بالأمن من كل ضر ومن كل شر الايمان بما يشاء الله مع الرضى بقدر الله والصبر على البلاء والاطئمنان لرحمته تعالى فى الهدايه والرزق والستر فى الدنيا والاخره لانه مستند الى أقوى الاقوياء وبالتالي فلا يبالى بالدنيا بأسرها ولهذا لايتردد المؤمن فى حركته ويجد الاطمئنان والسعاده بطاعه الله سواء كان فقيرا أو غنيا لقوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

ولهذا فإن طريق الهدايه والوصول الى رحمه الله الخاصه تتطلب العمل الدؤوب على تنقيه الاوعيه النفسيه و الذهنيه من مخلفات الفكر الجاهلي فالإسلام يعطينا هذه التجربه لنتعلم كيف اذهب الاسلام الجاهليه الأولي وازال آثارها بالشريعه المطهره الذى وحدت المسلمين وقرارهم وهو ما نحتاجه اليوم للخروج من الحلقه

المفرغه التى يعيشها المسلمين اليوم بفعل نشاط الجاهليه الثانيه بعد سقوط قرار الامه وامتلاك الاستعمار الكافر القرار العالمي فى السلم والحرب حيث كان تطويع الدول الإسلامية على القبول بالمشروع الاستعماري فى مرحله صار فيها المسلمون غثاء كغثاء السيل نتيجه التعلق بالدنيا وكراهيه الموت

ورغم وجود حركات إسلامية نهضت الاانها عجزت عن استعاده دور الامه وفاعليتهارغم وصول بعضها الى مركز القرار حيث أن المشاهد لحال الكثير من التنظيمات الاسلاميه فى المجتمع العربي اليوم يجد أنها تفشل فى تنظيم الثوره عند استلامها السلطه والبعض تنحرف عن المسار الصحيح وتصبح اداه فساد كما هو حال التنظيمات الجهادية وهذا الفشل يعود أما الي أنها طرحت شكلها بعد تطورها واستلامها للسلطه ولهذا لم تتمكن من الاحتياط من محظور التجربه فكانت النتيجه بناءها على كوادر ادرايه غير قادره على استشفاف مسار التطور وعاجزه فى نفس الوقت عن ضبط هذا المسار فى اتجاه صالح الثوره او لأنها احتضنت بين مفرداتها وعناصرها عناصر فاسده وخونه يخدمون مشاريع الاعداء كما هو حال حركات التطرف التى شوهت صوره الاسلام والبعض الآخر انحرف عن المسار عند وصوله الي السلطه والثراء وهذا ما احس به العلماء عند اتساع دوله الاسلام حيث احس العلماء أن الدنيا تقبل على المسلمين بصوره اقرب الي المحنه فخشي

ولهذا تأتي الآيات بامر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المومنين فى أمر الجريمه البشعه التى يجب الإ نتباه من الوقوع فيها فيضع لهم الأساس الذى يقوم عليه شكل التنظيم الايماني بأنه يقوم على مبدأ الولاء و البراء بالانتماء الى جماعه الايمان وعقيدته وليس لقرابه ولانسب فالقرابه التى ينتسبون إليها هي نسب الايمان وبالتالي فالحب يكون فى الله والبغض فى الله فالعقيده الاسلاميه هي المحركه للانسان وليس الأهواء وبالتالي فإن هذا الشكل الذى يحدد ملامح التنظيم واسسه ونظرياته يجعله عندما يصل الى السلطه بعيدا عن صور واشكال الانتهازية التى حطمت الدول نتيجه غريزه الحب التى كان من حظوظها توالي الأقارب وإيثار الرفاهيه وجمع الأموال على أمر الله فهذا أمر غالبا ما يحصل عند الوصول الى السلطه والتاريخ ملئ بالشواهد فقد كان الناس على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الحب لله عزو وجل يأخذ ارفع صوره ويتمثل بالجهاد فى سبيل الله والتحرير وبعد نشوء الدوله الاسلاميه واتساعها وحصل زياده الثراء للمسلمين اقبلت الدنيا عليهم بصوره اقرب الى المحنه فحصل الابتعاد عن القيم والمبادئ تدريجيا ووجد العلماء أنفسهم خائفين على دينهم أن تأكله دنياهم فزهد وا وظهرت الصوفيه وبدأت الصراعات تنشا بين مكونات العمل الإسلامي لاجل الوصول إلى السلطه فقد صارت هدفا للبعض فى حين انعزل البعض عن الحياه تحت شعار الزهدوكان إهدار الطاقات وظهر ت صورتان فى الحياه أما انظمه ديكتاتورية تدعي الاسلام وحمل رأيته لاجل أن تستمر هي وعشيرتها وقبيلتها فى السلطه استخدام الدين سلعه للمتاجره بها لاجل إشباع رغباته فى السلطه والجاه والمال والعشيره والقبيله وكذلك فإن المجتمع تغلب عليهم الانانيه والتعصب وحب الذات والأفق الضيقه من القوميات و المذاهب والأحزاب والطوائف وبين من كرس حياته لجمع المال فاستطاع الاعداء أن يغزو المسلم ويجتثوا مدركاته أفرادا ودوله وجماعات

فأصبح الاغلبيه العظماء منهم يعظمون الأشخاص وانتماءهم للأشخاص لا الفكره فصنعوا اصناما لاتقل شأنا عن احجار كفار قريش جعلوها اندادا لله وهذا ما أمر الله نبيه أن يحذر المؤمنين منه واخبرهم أنه لايصح أن يقع من المؤمنين التعلق بالدنيا وملذاتها لايصح أن تكون نظره المؤمن ماديه لايصح أن يتمرد المرمن عن طاعه الله فهذا سلوك اتباع الشيطان مؤسس مدرسه الفسق ولايليق بالمؤمنين

الدرس الثالث

تبين الايه أن اللازم أن نتعلم الحب ونربي الإتباع على الحب فالحب هو الحل الوحيد أمام الإنسان ليخرج من سجن الذات الى اتساع الكون ورحابه الآخرين لانه ليس هنالك طريقا للاتصال بالكون و الآخرين غير الحب فقد احب ادم حواء وكان من حبهما ولاده النوع البشري وبغير الحب تتحول الحياه الى سجن انفرادي

ولهذا فإن الحضاره الاسلاميه تقوم على فكره الحب فهو اصل من اصول وقواعد العقيده الاسلاميه ولهذا ف الحب فى الاسلام ليس مجرد احساس عابر كما تروج له الحضارات الماديه فالغرب يتحدث عن الحب باعتبار وقوعه يخضع للمؤثرات والصدفه ويقع للإنسان سعيد الحظ فهذا المفهوم السطحي هو المسؤول عن تعاسه البشريه اليوم لانه انفعال عابر غير منظم يتوقف على موثرات مجهوله

بينما نظريه الاسلام للحب أنه فن يحتاج الى المعرفه والجهد والإخلاص معرفه نظريه ثم تطبيق فمن أراد أن يكون طبيبا فعليه أن يدرس الطب عندها يقول تعلمت الطب لكن ممارسه الطب يحتاج الى بذل جهد حتى يصبح طبيبا لكن اذا أراد أن يكون سيدا فى هذا الفن فعليه الاهتمام المطلق بهذا الفن بحيث يصير العالم كله عنده هو الطب ولهذا فإن المسلم يبدأ بالخروج من ذاته بمعرفه ربه باسماءه وصفاته والوقوف على أمره ونهيه أنه يتصل بالله اولا واخيرا فهذا الاتصال هو اول شي يتعلمه لانه يعرف أنه مخلوق واول شي بني عليه الاسلا م هو شهاده لا اله الا الله هذه الشهاده تعني خروج الإنسان من غربته ووحدته واتصاله بالله فعندما يشهد أن له ربا يبسط عليه خيام المن الإلهي والرحمه فإنه يتحرر من الغربه والخوف وتتحرر طاقاته وهو يتصل بالله كل يوم خميس مرات فالعقيده الاسلاميه تقوم على أعلى وأرقى والعظمه انه حب الله تعالى

ومن ثم حب كل ما يحب الله ويرضاه فحب الله يجعل المسلم يحزن للبؤس الانساني ويضحي بنفسه وماله من أجل تقليل كميه الحزن فى العالم وان كان هذا الإنسان الحزين غير مسلم لكنه يفعل ذلك إرضاء لله وطاعه له سبحانه وتعالى

ومن هنا لابد أن نفرق بين حب الاختيار وحب الطبع والمحبه الشركيه ؟

حب الاختيار :

أن يختار العبد أن يكون مع محبوبه بلا اراده يجبر نفسه على الخضوع والعبودية لله تعالى فيخرج من قلبه كل محبوب غير الله يتحرر من كل سلطان غير سلطان الله وهذه هي كمال المحبه والعبودية لله تعالى فتكون العقيده هى الأسس المحرك للمسلم وفاعليته بناء على أمر الله فما أمره الله أن يفعله فعل وما نهي عنه تركه فعن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لايؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده وو الده والناس أجمعين)

وهذا فيه كمال الإيمان الواجب بأن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من كل شي ولايحصل هذا الكمال الا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه كما في الحديث عن عمر رضي الله عنه قال يارسول الله لانت احب إلي من كل شي الا نفسي فقال والذي نفسي بيده حتى اكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فإنك احب إلي من نفسي فقال الان ياعمر)

ولهذا فإن من ادعي المحبه بدون متابعه الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديم قوله على قول الرسول فهذا ليس بمؤمن وقد كذب لقوله تعالى (ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين)

فنفي الايمان عمن تولي عن طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم

ولهذا فإن كل مسلم يكن محبا بقدر ما معه من الاسلام وبحسب طاعته يكون سلامه قلبه ومرضه يقول شيخ ا لإسلام وعامه الناس إذا أسلموا بعد كفر أو ولد ا على الاسلام وكانوا من أهل الطاعه لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل لكن دخول حقيقه الايمان الى قلوبهم يحصل شئيا فشئيا أن أعطاهم الله ذلك وإلا فإن كثير من الناس لايصلون الى اليقين ولا الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا إذ ليس عندهم من اليقين مايدرا الريب ولاعندهم من قوه الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال فهولاء أن عوفوا من

المحنه وماتوا دخلوا الجنه وان ابتلوا بما يدخل عليهم من شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم عليهم ربهم بما يزيل الريب والا صاروا مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق

ولهذا تبين الايه أن على المسلم أن يفحص نفسه وقلبه لينظر هل يقدم مصلحه الدين على مصلحه الدنيا ام العكس ينظر هل يجد عنده من التصلب والثبات فى طاعه الله ما يدفعه الى ترك ماتشتهيه نفسه وما تدفعه إليه من حب الآباء والابناء والزوجات ...بهذا يعرف الانسان موقعه ومعرفه ما إذ كان قلبه مريض أو ميت أو سليم

فالايات وردت لمعالجه الآفات الخفيه التى تصيب النفس وهذه الأمراض لايشعر بها المريض فهي تغزو القلب بسهامها دون أن تحدث الم يشعر بها المريض تجعله يفر من الحياه ويسلك بعض المسالك المضطربه الداله على قلقه واهتزاز شخصيته ولأن سكره الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الالم فالالم مخفيه عنه تماما

فلابد من تزكيه النفوس وتطهيرها من الاوساخ والأمراض فالقلب هو مركز العواطف والمشاعر المختلفه فهو يمثل دائره من دوائر النفس والحد الفاصل بين النفس وبين دائره القلب الذي يعد مركزا الأهواء والشهوات هو عند هذا الحد الذى أطلق عليه الفقهاء دائره سطح النفس فإذا بقيت هذه الغرائز والشهوات فى دائره النفس السطحيه ولم تغزو بسهامها القلب فلذلك حال صحه القلب وسلامته من الأمراض لقوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم)

والقلب يمرض إذا لم يتعهده صاحبه بذكر الله ومراقبته لان الشهوات سرعان ماتسلل إليه ويزداد كلما تغلل حب الدنيا وشهواتها الى ذلك القلب حتى يطغى على حب الله ورسوله فيمرض القلب ويضعف الايمان ويقسوا القلب ويصاب بالعمى والموت فالقلوب ثلاثه

ميث وهوقلب الكافر والمنافق نفاق عقيده هو واقف مع شهواته ومنقاد لذاته

كانه اعمى يتخبط فى طريق الضاله

وقلب مريض غزت الشبهات والشهوات حتى شغلته عن حب الله وهذا المرض يختلف باختلاف علته وانواعه

القلب السليم الذى تمكن فيه الايمان وأصبح عامر بحب الله ورسوله

ولهذا أمر الله عباده أن تكون قلوبهم عامره بحبه وحب رسول وحب ما يحب الله تعالي وقد ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وان يحب المرء لايحبه الا فى الله وان يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار)

قال النووي

ومعني الحلاوه استلذذ الطاعه وتحمل المشاق وإيثار ذلك على اغراض الدنيا ومحبه العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبه الرسول صلى الله عليه وسلم

وقوله (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)

يعني بالسوي مايحبه الإنسان بطبعه كمحبه الولد والزوجه والمال ونحوه وبالتالى ليس المراد بهذا الحب الطبيعي بين الأقارب التى لا تحمل صاحبها على ترك واجب أو التفريط بشي من أمور دينه فهذه المحبه ليس منهي عنها اقصد محبه الاحسان

فالحب الطبيعي مباح لكن اذا كان هذا الحب الطبيعي فيها تشجيع للكافر على كفره أو فيها تقديم مساعده تضر

بالإسلام فإن هذا الحب يخالف ما أمر الله به

لان الاصل أن المرء يحب فى الله ويبغض فى الله لأن ولايه الله لاتنال الا بتواليه العبد الاخوه والمناصره و المحبه والاماره لاهل الايمان لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوثق عري الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله) وحديث (لايجد العبد صريح الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله فإذا احب وابغض فى الله فقد استحق الولاية لله) ومن هنا نفهم الفرق بين حب الاختيار وحب الطبع

الدرس الرابع

تبين الآيات أن ثمه معركه بين القيم الروحانيه والقيم الماديه يعيشها الإنسان حيث أن الغرائز تحاول أن تغزو القلب بسهامها فالإنسان لديه غريزه حب الاب والابناء والاخوه والزوجه والمال بالذات الذي اكتسبه بمشقه و المساكن المريحه

وهناك القيم الروحانيه حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله اي حب ما يحب الله ويرضى والإنسان عليه أن يختار بينهما هل يكون منه ايثار حب الأهل ومودتهم ولو كان هذا على حساب العقيده ام يكون منه ايثار محبه الله ورسوله بقطع الموده مع أعداء العقيده فى مثل هذه المواقف فالله يقول (لاتجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)

أن هذه المعركه كل يوم تتكرر فى حياه العبد أنها معركه القيم والمبادئ الروحانيه ومعركه اللذه والمتاع فأيهما تختار هل تقدم مصلحه الدين ام الدنيا فأنت أمام مصلحه آنيه عاجله وبين مصلحه ابدايه آجله فالعاقل هو الذى يختار الاخره لانه يرى أن الالم الحقيقي هو الم البعد عن الله ولهذا فالموت بنظره ليس نهايه تعيسه بل بدايه لحياه ابدايه سعيده ولهذا لا يبالي أن يضحى بنفسه فى سبيل الله ولهذا تبين الايه أن سلاح المعركه هو التجرد والصبر فالتجرد تعني الاخلاص لله وان تنظر فى كل فعل تفعله هل يرضى الله تعالى فكل همك هو ارضاء الله ولو كان على سخط الناس تنظر هل الفعل يغضب الله فإذا كان كذلك أقلعت عنه وإن كان فيه رضاء الناس فلايهمك الا الله تعالى ورضاءه والأمر الثاني أن يكون حب الله زاد يولد فيك قوة تحمل ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان...الخ

كما ذكرنا سابقا فالرسول صلي الله عليه وسلم أخبر أن هذه الصفات تجعل العبد يتذوق حلاوه الايمان يجد أن مشقه الطاعه هي غذاء لروحه لأن وجود الحلاوه للشى يتبع المحبه له فمن أحب شئيا واشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد حلاوه ولذه وسرور بذلك وهذا ما يدفعه الى الإقبال على الطاعه برغبه وإرادة مشفوعه بعمل تنفيذي وإصرار متطلع الى هدف معروف ومطلوب له وهو إرضاء الله تعالى

وقوة التحمل هذه إنما تكون فى حاله أن يعمر القلب بحب الله ورسوله ولهذا حذر القران من أن تغلب فيها محبه الوان الوشائج والقرابات والمطامع واللذائذ وشهوات الدنيا والتجارات والمساكن المريحه التى تدعوا الي زياده التعلق بالدنيا ونسيان الاخره فإذا تجرد العبد من كل هذه المخلوقات ولم يدخل شي منها الى قلبه وانما جعلها فى دائره سطح النفس لايتعلق بها ولاتشغله عن طاعه الله فذلك يصل الى منزله النفس المطمئنة فالقلب السليم كما قال ابن القيم هو الذى سلم من كل شهوه تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهه تعارض خبره

ولهذا فإن الحد الفاصل بين القلب السليم والقلب المريض هو أن يتساوى فى القلب حب الله ورسوله مع حب الدنيا وشهواتها المباحه أما المحرمه فإن دخول اي شي منها الى القلب فإنه يودي الى مرضه واعراض هذا المرض خفي لايعرف لان النفس تخدع صاحبها فيظن أنه يقدم حب الله ورسوله على حب الدنيا وهو لا يدري أنه وقع فى شباك الدنيا وماسور بقيودها ولهذا فإن التحذير من التوسع فى المباحات لانه يودي للوقوع فى الشبهات حتي يصل الي دائره المحرمات ولهذا أمر باتقاء الشبهات فالقلب هو المضغه التى يكون بها صلاح

العبد أو فساده فعليك ايه المسلم الإنتباه من مرض القلب وزيغه

القسم السادس

اولا

لما بينت الآيات السابقه ضروره تربيه المؤمنين على الاستعلاء بالحق والاستهانه بالمظاهر الماديه الخادعه بان يستمد المؤمن عزته من الحق لامن عشيره ولانسب ولاجاه ولاقبيله ولامال فهذا هو سر قوه المسلمين أمام الأ زمات والعواصف ولهذا تأتى الآيات لتذكير المسلمين بقوة الله التى حققت لهم النصر فى مواطن عديده اي مواقف كثيره وقع المسلمون فيها بأزمات قويه وكان من شأن ذلك أن ينهزموا لقله الأعداد والعتاد فقال تعالى (ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرةويوم حنين)

فاراد بهذا

المفهوم الاول

تذكير المؤمنين بعناية الله وتأييده لرسوله وللمؤمنين بالقوى المعنويه التى هي أعظم قوة من الأسباب الماديه مثل الكثره فى العدد والعتاد فأراد بهذا التذكير بالامتنان على المؤمنين بالنصر فى المواقف المتعدده لان النصر معظم للنفوس فيامرهم أن يتذكروا ذلك على الدوام وأن يقوموا بواجب النعمه وهو الشكر الذى فيه حفظ النعمه من الزوال

المفهوم الثاني

لبيان أن النصر بيد الله وليس بولايه العشيره أو الأقارب الكفار فإن مثل هذه الأشياء لاتنفع وقت الازمات و العواصف فا ن الذى يستعلى بالعشيره أو المال أو الجاه أو القبيله أو ماشبهه ذلك لايصمدون فى وجه الأزمات لان قلبه لم يعمر بالإيمان الذي يمد المؤمن بقوة وعزيمه لايهاب الموت ولاجبروت الطغيان لانه متصل بالله القهار العزيز الذى لايغلب ولهذا فإن الاستعلاء بالدين يمنح المؤمن الشجاعه فى مواجهه الاعداء وفى قول الحق مهما كان الأمر وفى مجالده أعداء دينه وخص بالذكر حنين هنا لتنقيه النفوس والقلوب والعقول من بقايا الفكر الجاهلي فاظهرت المعركه أن القبيله ليست هي القوه التى تحقق الغلبه والذود عن أفرادها ولا الكثره ولا الا نساب وانما القوه بتعمير القلوب بالإيمان مع الأخذ بالاسباب ولهذا فمن الخطاء الذى وقعت فيه بعض الفرق هو تصويرها للمعركه انها كانت معركه بنى هاشم فى تصوير أن الذين وقفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى بدايه المعركه حينما تعرض المسلمون للهزيمه بأنهم العباس وعلي وسفيان بن الحارث بن عبد المطلب ونفر من بنى هاشم لايتجاوزن تسع أفراد فهذا القول غير صائب ويتعارض مع الهدف الرئيسي من ذكر القصه هنا والإطار الذى وردت فيه فلا نقلل.من شأن من ذكر فهم رجال صمدوا فى المعركه بثبات وهذا مالاينكره أحد فالاطار العام هو الدعوه للاستعلاء بالحق فى كل الأوقات فى العسر واليسر والنصر والهزيمه مع الأخذ بالاسباب والسنن التى تصنع الأزمات والقدره على التعامل معها وتحليل أسبابها والعوامل التى أدت الى تكوينها وهذا يتطلب استدعاء معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه وامتلاك الادوات التى يكون معرفه السنن بها فهي لاتحابى أحد فهذه الغزوه التى كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو القائد لها تعرض المسلمون فيها للهزيمه فى بدايه الامر بسبب الاغترار بالقوة وكذلك الغنائم التى انشغل بها البعض فذكرت الايه الفرح والسرور ثم الهزيمه بعد ذلك ثم النصر فى الاخير لتفهم أن كل ازمه تحمل بداخلها سبيل الخروج منها فما عليك إلا الصبر والثقه بالله والتوكل على الله وتحليل أسبابها والعوامل التى أحدثتها لتكون قادرا على الترميم ومعالجة آثارها واحتوائها فالله يقول (أن مع العسر يسرا)

ويقول تعالى (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

فالجعل من الله الملازم للمكاره عند الأزمات هو الذى يشكل امل الخروج وعده الصمود وإليه الاقدام على الثبات والتفكير واكتشاف الخلل الذى يهدى الى الحل الذى يشكل المخرج

وقد أخبرنا الله فى الايه السابقه أن الاهتداء اي الهدايه الخاصه للخروج من الأزمات لاتكون للفاسقين فقال تعالى (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين)

اي انتظروا حتى ياتى عقاب الله الذى يحل عليكم بعذابه فهو يفاجئهم بوقوع العذاب الذى لايهتدون للسبيل من الخروج منه

ولهذا نفهم أن الإيمان هو اداه الوصول للهدايه الخاصه لان الله جعل أمر سبيل الاهتداء للخروج من الأزمات نعمه يتفضل الله بها للمؤمنين ومن هنا نفهم أن الإيمان بأن مع العسر يسرا مع المبادرة بالدعاء يصل بالإنسان الى الامل والرجاء وتحقيق الصمود والقدره على المواجهه للأزمات بالاستناد على بارى الكون صاحب القدره المطلقه على الهدايه الى الحل الذى يؤهل النظر ويحول دون السقوط والانكسار ويودي الى تجاوز الازمه بل الا رتقاء والمناعه المستقبلية ولهذا يقول تعالى (ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ..الخ

فخص بذكر السكينه على الرسول صلى الله عليه وسلم على المؤمنين لانه كان فى جيش المسلمين منافقين وضعفاء النفوس لان مرض القلوب اخطر اختراق فى مواجهه الأزمات فالقلوب لاتطمئن الا بذكر الله ولهذا خص بالذكر رسوله والمؤمنين بنعمه الاطمئنان والسكون بعد الاضطراب الذى كاد يوقع بهم الهزيمه لان قلوب المؤمنين قابلة لنزول هذه النعمه فما كان قبل ذلك هو تأديب على ماكان منهم من الإعجاب بكثره العدد فكان معاناه الرسول صلى الله عليه وسلم وثباته فى ميادين الرجوله نموذجا تقدمها السنه النبويه فى مجال السنن لتعرف كيف يكون تحويل المحنه الى منحه فالرسول هو القدوه الحسنه من خلال الوقوف على كيفيه تفعيل الرسول صلى الله عليه وسلم الجوانب الإيجابية للازمه والاستفادة منها وتحويل الموقف السلبي الى إيجابي بقوه الايمان والثقه بالله والتوكل عليه مع الاستفاده من خبرات المجموع فكان تأديب الصحابه على ماصدر منهم لتفهم أن أول خطوه فى طريق التجاوز للازمه هو تنميه جوانب الخير الايجابيه ومحاصره جوانب الشر السلبيه للحيلوله دون امتدادها ولهذا كان الايمان بالله سببا لتنميه جوانب الخير الذى ذكرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ياأهل بيعه الرضوان ياأهل الشجره وقوله أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب قد ادى الى عوده المؤمنين والالتفاف حول الرسول صلى الله عليه وسلم حيث توفرت عوامل النصر بالثقة بالقدرات المستمده من الاعتماد على الله والانس به والاستعانة بربهم مع تعظيم الشعور المشترك بين كافه المؤمنين فى مواجهه الخطر وكذلك الالتفاف حول القائد الثابت فى المعركه باعتباره مصدر الإلهام الذى انعكس ثباته على تجميع أصحابه بعد أن تشتوا وكادوا يخسرون المعركه حيث ترسم الايه لنا عناصر القوه لتجاوز الازمه فكان هذا هو نموذج لهدايه الله للمؤمنين الذين كان منهم حب الله ورسوله والجهاد فى سبيله فوق كل عرض

المفهوم الثالث

كذلك تبين الايه انه رغم الأخطار التى قد نراها فى الازمه فإنها تحمل فى داخلها عددا من الإيجابيات فهي يمكن أن تعطى فرصه للتغيير وتهئ الأجواء لظهور قاده جدد حيث أن غزوه حنين قد ظهر فيها جلده الصحابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب هذا الصحابي الجليل الذي كان يتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم بصله نسب كونه ابن عمه وايضا أخيه من الرضاعه.فقد رضع هو والنبى صلى الله عليه وسلم من حليمه السعديه وكان سفيان من اكثر الناس حبا للرسول صلى الله عليه وسلم وموده حتى البعثه فانه انقلب الى عدوا يكره الرسول (ص) كرها شديدا وكان يهجوا الرسول الكريم بشعره ومحاربا للإسلام اوغل فى عدواته ولهذا إهدار النبى صلى الله عليه وسلم دمه وقد أعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما التقى به عام الفتح طالبا أن يسامحه الرسول (ص) لما حصل منه ثم قبل إسلامه وقد خرج مع الرسول (ص)فى حنين وعندما لقى المسلمون ما لقوا فى حنين اقتحم سفيان المعركه وبيده السيف يريد أن يموت دون الرسول صلى الله عليه

وسلم فقال العباس للرسول صلى الله عليه وسلم هذا اخوك وابن عمك سفيان فارض عنه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم

يغفر الله له كل عدواه عادينها ثم التفت الى ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال اخي لعمري فقبل ابو سفيان رجله من ركبته فكان هذا سبب اخر على حسن إسلامه وعندما اشتدت المعركه ووقع المسلمون فى الكمين الذى صنعه مالك بن عوف وتفرق جيش المسلمين ونادي الرسول أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

وقف سفيان بن الحارث يقاتل مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يأخذ بلجام فرس الرسول صلى الله عليه وسلم فقد إدراك أن فرصته التى يزيل ذنوبه التى ارتكبها ضد الإسلام قبل الاسلام قد جاءت وهي أن يقضى شهيدا فى سبيل الله وبين يدي رسول الله وراح يتشبث بمقود فرس الرسول بيده اليسري ويرسل السيف بيده اليمني فى نحور المشركين حتى عاد المسلمون ووقفوا يقاتلون مع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الموقف فيه إبراز دور سفيان بن الحارث الذى كان قريب عهد بالإسلام مثله مثل ابن مسعود ومثل ام سليم التى حملت خنجرها بيدها لتقاتل الاعداء وهو ما لفت انتباه زوجها فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فسالها الرسول ما هذا الخنجر قالت اطعن به أي مشرك يقترب منى فابقر به بطنه فضحك الرسول فقالت أم سليم يارسول الله اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ياأم سليم أن الله قد كفى واحسن

فقد ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعه ثمانين صحابي كما ورد عن ابن مسعود بينهم مهاجرين وأنصار وطلقاء ونساء ومن بنى هاشم وغيرهم وعندما نادى الرسول صلى الله عليه وسلم أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب رجع الصحابه والتفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم وقاتلوا حتى انتصروا وفر مالك بن عوف الى الطائف ولهذا يذكر الله المؤمنين بالنصر فى هذه الواقعه فى معرض الامتنان ليدركوا أن الثقه بالله والتوكل عليه فيه النصر فالاستعلاء بالحق هو أساس الانتصار والثبات فى ميادين الرجوله وليس كثره العتاد والعدد

المفهوم الرابع

أن الايه تقدم لنا نماذج للاقتداء والتدريب فى مواجهه التحديات والأزمات حيث بالوقوف على الايه والسيرة النبوية والأحاديث المتعلقه بغزوه حنين نجد أنها تنقل لنا مراحل مواجهه الأزمات ويتضح هذا من خلال الآتي

/١

تبين الايه أن أول مرحله تكون باكتشاف الإشارات التى فيها التنبيه على قرب حلول الازمه إذ لابد من إشارات مبكره تسبق الازمه ومعرفه هذه الإشارات تعتمد على التحليل والتنبؤ ودراسه الواقع ورصد المعلومات والتنبؤ لا يكون على مجرد التخمين بل هو بحث الثغرات المتوقعه بالاستناد على الدراسه ومراكزها والتحليل والملا حظة للمواقف والتحركات ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقوم بتدريب المؤمنين على التحليل وقراءه المعطيات المتوفرة ودلالتها كان يبحث عن أي ثغره فى الصف يمكن أن ينفذ منها العدو فيقوم بسد الثغرات قبل أن يتمكن العدو من التسلل منها وكذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتتبع الأحداث وتحركات الاعداء ويقوم بتحليلها بعمق لان نقص المعلومه قد يشكل ازمه إذا لم يتم الاستعداد لها ولهذا لما وصل خبر استعداد مالك بن عوف للهجوم على المسلمين ارسل النبى صلى الله عليه وسلم رجل من المسلمين هوا بن ابي حدرد لاجل أن يعرف خبر القوم وأمره بالدخول بينهم ومعرفه أحوالهم وهذا فيه بيان اهميه المعلومه ودور المخابرات فى الحروب فلا ينبغي التهاون فى ذلك وهذا ماحرص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم

٢

مرحله الاستعداد للمعركه والوقايه والتخطيط قبل وقوع الازمه :_

وهذا واضح من خلال قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بتجهيز الجيش ومن ذلك أنه طلب من صفوان بن أمية ولم يكن قد أسلم وكان مشركا أن يعيره مائه فرس وسلاحها وقد امتعض من الطلب صفوان فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم أنها عاره مضمونه اي يضمن إعادتها إذا تلفت وهذا مايبين اهميه الاستعداد بقدر ا لاستطاعة بتجهيز ادوات وسلاح المعركه ولو كان بالاستعانة بالكفار فى ذلك الجانب

/٣

احتواء الضرر إذا وقع والحد من آثاره

أن السيطرة على اثر الازمه بتفريغ الازمه من حدتها واحتواء الضرر أمر مهم عند اندلاع الازمه ولما كان من أسباب الهزيمه بادئ الأمر هو اشتغال الصحابه بجمع الغنائم ومنها الطريق الذى ساروا فيه فقد كانت ودايا ضيقا متعرجا ماكان ينبغي أن يسيروا فيه وواجهتهم خيل القوم اضافه الى أنهم تفاجوا أن مالك بن عوف سبقهم الى حنين وأنه قد أعد العده وتهي هو وجنوده للمعركه فى مضايق الودي حتى إذا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه امطروهم بالسهام من كل جانب...

ولهذا فر البعض لأنهم تفاجاوا بما لم يكن متوقع وبشراسه العدو ولايعد هذا سببا مقنعا فى اداره الازمه بأن تقول تفاجات بما لم أتوقعه فلا يجوز أن تلقي بالخطاء على القدر مثلا فالمطلوب منك فى مثل هذه المواقف التحلى بالشجاعه والكفاءة وان تعترف بالخطاء وتعمل على تحليل عوامل الازمه وأسبابها ومواجهه ذلك بكفاءه وحنكه فهذا هو دور القائد وهذا يتطلب الثبات وعدم الاضطراب وهو مافعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صمد واستطاع أن يجمع جيشه وفريق عمله لمواجهه.الازمه وقال أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ودعاء الله فكان ذلك سببا فى تجميع الصحابه حوله بعد أن تشتوا وكادوا يخسرون المعركه

***

كذلك من مظاهر احتواء الازمه وتحويل الموقف من سلبى الى. إيجابى هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج للمعركه فى حنين كان معه بعض ضعفاء الايمان ومنهم من لم يسلم حقيقه ولهذا ذكر أنه لما انهزم المسلمين فى بدايه المعركه فقد تكلم رجال من قريش بما فى أنفسهم من مشاعر الفرح بماحدث فقد ورد أن ابو سفيان بن حرب قال لاتنتهى هزيمتهم دون البحر وان الازلازم لمعه فى كنانته وصرح جبله بن الجنيد وقال اخر الا قد بطل السحر اليوم وقال صفون وكان مازال مشركا لمن تكلم ذلك اسكت فوالله لان يربينى رجل من قريش احب إلى من أن يربينى رجل من هوزان

ولهذا ظهرت حكمه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تقسيم الغنائم فقد لاحظ الرسول طمع الطلقاء بالاموال وحرصهم على المكاسب فكان مثالا للمربي الذى يدرك أحوالهم وطباعهم ولهذا إعطاء هم الأموال تاليفا لقلوبهم لحدثه عهدهم بالإسلام كان يريد تربيتهم وتحويل قلوبهم من التعلق بالدنيا الى الإسلام فقد اعطى الا قرع بن حابيس مائه من الإبل واعطي آخرين مثله واعطى ابو سفيان واعطى أناس من اشراف العرب فقال رجل والله أن هذه القسمه ماعدل فيها وما أريد فيها وجه الله قال ابن مسعود فأخبرت الرسول صلى الله عليه وسلم بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله قال ثم قال رحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر ...

هكذا عالج الرسول صلى الله عليه وسلم حال الطلقاء بالمال مثلما كان معالجتهم بالكلمه لتأليف قلوبهم فقد ذكر سعد عن شيب بن عثمان قال لما كان عام الفتح ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكه عنوه فقد كنت اكره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما خرجوا لهوزان قلت فى نفسى عسى أن يختلط الجيشين فاصب محمد غره

فأكون انا الذى قمت بنأر قريش كلها يقول لقد كنت اقول لو لم يبقى من العرب والعجم أحد إلا تبع محمد ما اتبعته ابدا قال فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار قريب من سيفي ورفعت سيفي وكدت اصيبه فرفع لى شواظ من نار كالبرق يمشى فوضعت يدى على بصرى خوفا ..فالتفت يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم فناداني ياشيب ادنى منى فدنوت منه فمسح على صدري ثم قال اللهم ابعد عنه الشيطان قال فوالله لهو كان ساعتئذ احب إلى من سمعى بصرى ونفسى واذهب الله ماكان فى نفسى

ثم وانا مقاتل فتقدمت أمامه اضرب بسيفي والله اعلم اتى أحب أن افديه بنفسى

وكذلك لما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم على الطلقاء كان تأثر الأنصار من هذا العطاء بحكم الطبيعه البشريه فوصل للرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فدخل سعد على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم ما صنعت فى الفى فقد قسمت فى قومك واعطيت عطايا فى قبائل العرب ولم يكن منها شي لهذا الحي من الأنصار

وهذا فيه اهميه المصارحه والمكاشفه بين الجنود والقاده بصدق فسعد لم يسكت بل انطلق الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بالأمر

وكذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قام بعلاج الأمر وابتدا هذا بسوال سعد بقوله فأين انت ياسعد فقال سعد يارسول الله ما انا الا امرء من قومى فقال له الرسول أجمع قومك فى هذه الحضره

فانظر كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الازمه قبل أن تتفاقم فقد ورد أن رجل من المهاجرين دخل على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك اللحظه فتركه فدخل اخر فرده حتى اجتمع الأنصار فاثني على الله وحمده بما هو أهله ثم قال يا معشر الأنصار قد بلغني عنكم وجده وجدتموها فى أنفسكم الم اتاكم ضلالا فهدكم الله بى وعاله فاغنكم الله بى وأعداء فألف الله قلوبكم ....الا تجيبون يامعشر الأنصار قالوا بما نجيبك يارسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال الرسول صلى الله عليه وسلم لوشئتم لقلتم اتيتنا مكذبا فصدقانك ومخذولا فنصرك وطريدا فاويانك ....الى أن قال يامعشر الأنصار الا تريدون أن يذهب الناس بالشاه وترجعون برسول الله معكم ...الخ

لقد كان هذا الحديث مؤثرا فى العتاب والمصارحه والنقاش فابكى الأنصار وفرحوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وبهذا تحولت المحنه الى منحه

/٤

استعاده النشاط

لقد برزت هذه المرحله من خلال الأسلوب الذى اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم فى تجميع جيشه حوله بأساليب عديده منها أنه قام بتشجيع فريق العمل ورفع معنوياتهم وهذا أمر مهم وقت الازمات حيث وقف فى مكانه ثابتا ينادى أنا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب...وايضا استعمل النداء الذة يحفز هم للعمل بحماس وحيويه فقال أين أهل الشجره أين أهل سوره البقره ..يذكرهم بمواقف ثبوتهم وكيف نجحوا فى اجتياز الأ زمات ليفهموا أنه بالإمكان الخروج من هذه الازمه ويذكر أهل السيره أن الصحابه لما سمعوا النداء رجعوا كما تعود المرضع لصغيرها

وهكذا تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من استعاده النشاط وتحويل الهزيمه الى نصر

التقيم والتعليم ودراسته سبب حدوث الازمه

لابد من معرفه نقاط الضعف والأسباب التى أدت الازمه حتى يكون تلافى حدوثه فى المستقبل وهذا أمر لابد منه فهذا هو الغرض من دراسه الماضى فهو عمليه تحليل للواقع لتفادى ذلك مستقبلا ولهذا كان هنالك فرق بين قراءه ومراجعه ألراسخين فى العلم لقوله تعالى (ويوم حنين) بان الغرض التنبيه الى خطر الاغترار من خلال دراسه نتائج ذلك وبين قراءه من اعتبرها وسيله للطعن فى صحابه الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا أساس له ومن ذلك القول أن عمر بن الخطاب فر فى حنين وأنه لم يثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم غير تسعه أفراد هم من بنى هاشم فقط مع أن الثابت ان اكثر من ثمانين صحابى ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم هم من المهاجرين والأنصار وبنى هاشم ومن الطلقاء كما ورد فى حديث ابن مسعود وحديث عبد الرحمن بن عوف

ولهذا فإن المسلم ينظر الى الايه من حيث الغرض الذى سيقت لأجله وهو اهميه الإنتباه من الاغترار بالقوه وان اللازم الثقه بالله والتوكل على الله مع الأخذ بالاسباب وان يدرس المسلم كل تجربه يمر بها ليعرف الأسباب و العوامل التى أدت إلى حدوثها حتى بتفادي حدوث ذلك مستقبلا

ثانيا

تحذر الايه من الإعجاب والتقدير الساذج للقدره الذاتيه بما يبعث على الغرور حيث أن ذلك يودي الى التهاون فى قوه الخصم واساءه التقدير وعدم الاستعداد المناسب وهذا ما حدث فى حنين حيث كان دخول الطلقاء فى الاسلام وأصبح قوام عدد جيش المسلمين حوالى اثنا عشر ألف مقاتل منهم عشره الف من الصحابه والفين من الطلقاء فقال رجل لن نغلب اليوم من قله فقد كان هذا القول معبرا عن الحاله النفسيه للمسلمين من جهه وانعكاس ذلك على الاستعداد للمعركه فقد ولد عن ذلك اساءه التقدير للاشياء واغتروا بالعدد فأراد الله أن يؤدب عباده على ما بدر منهم من قول ليعرفوا أن النصر بيد الله وليس بكثره العدد والعتاد فقال تعالى (ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا

الأمر الأول

الايه فيها ابداع فى تصوير ما حدث من المؤمنين فابتدات بنقل تصوير لمشاعر الفرح والسرور بكثره العدد فقال تعالى (ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم)

لتربيه المؤمنين على حقيقه الأسباب الكونيه الجاريه فى الكون بأن لكل مايجري فيه سنن أما عسكرية أو سياسيه واقتصادية واجتماعية تحكمها وتنتظمها وهذه السنن تجرى على المسلم وغير المسلم لامحاباه منها ولهذا تنقل لنا الآيات الأسباب التى أدت الى الهزيمه من اللحظه الأولى وهي ماقبل حصول المعركه أنها لحظه الزهو والنشوه والافتخار بكثره العدد فإن الهزيمه التى حدثت فى بدايه معركه حنين تعود الى الاغترار بكثره العدد إذ قال رجل من المسلمين عندما شاهد كثره أعدادهم لن نغلب اليوم من قله وربما أن هذا الشعور انتاب اغلب الصحابه بالذات الشباب وقريبى العهد بالإسلام حيث أن الإعجاب بالنفس الناتج عن المغالاه فى تقدير القوه الذاتيه والثقه الزائد ه بالنفس من شأنه أن يودي الى عدم التخطيط والاستعداد الجيد وايضا ينعكس على قراءه الإنسان للمعلومه فهو يقراها بصوره مغايره لحقيقتها ويكون سببا فى حدوث الهزيمه بقطع النظر كان الفريق المغتر مسلما أو غير مسلم ولهذا يذكرهم الله بمشاعرهم فى يوم حنين لبيان انه اذا اغتر المسلم بقوته واستهان بقوه خصمه فإنه معرض للهزيمه لانه يودي الى عدم التخطيط والاستعداد الجيد لمواجهه الازمه

الأمر الثاني

بما يكون الاغترار؟

ان الاغترار حاله نفسيه ناتجه من شعور الاطمئنان الى العناصر التى بنظره يستمد منها القوه والاستعلاء وهذا يكون غالبا ناتجا عن الوفره العسكريه (العتاد والعدد)

او الوفره الماليه زياده السيوله لما تعطيه هذه الوفره من تصور بالاستغناء واذا غاب العنصر الايماني ولدت الطغيان كما يقول تعالى (كلا أن الإنسان ليطغي أن رآه استغنى)

والسوال هل وصلت حاله الاغترار لدرجه الاستغناء ؟

الجواب من الموكد أنها لم تصل الى هذا المستوي لان ذلك هو سلوك الكفار وليس المؤمنون وانما كان اغترارهم من زوايه الجوانب الماديه فقط باعتبار أن المسلم يأخذ بالعوامل الماديه والمعنوية للنصر فهم ذهبوا الى أن أعدادهم تجعلهم في مامن من الهزيمه الناتجه عن قله الأعداد ولم يحصل الاستغناء الذي يفقد المرء معه إيمانه الوراد فالايه ولهذا جاء الجواب (فلن تغنى عنكم شيئا)

اي لم تدفع عنكم شيئا من العار والهزيمه ومن هنا نفهم سبب بيان الايه أن قولهم لن نغلب اليوم من قله كان سببا للهزيمه فذكر أن وفره الأعداد ولدت شئيا من النشؤه فكان تربيتهم بالهزيمه فى بدايه الامر بما يتناسب مع هذا الشي الذى تسلل للقلوب حتى لا يعود وا الى الاغترار بالكثره لأنها ليست إلا سببا من جمله الأسباب الماديه اضافه الى الأسباب المعنويه كما قال تعالى (قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم كم من فئه قليله غلبت فئة كثيره باذن الله)

فهذه التربيه كانت مهمه لتنقيه النفوس والقلوب والعقول من ركام الفكر الجاهلي ولهذا نجد الآيات تنقل لناتصوير عدم انتفعهم بهذه الكثره ثم تنتقل الى تصوير خوفهم فقال تعالى(وضاقت عليكم الأرض بما رحبت)

بيان لشده خوفهم وفزعهم فكان الأرض على سعتها تضيق بهم قال القرطبي الرحب بضم الراء السعه يقال فلا ن رحب الصدر وبالفتح الواسع يقال بلد رحب

وقيل إن الباء بمعني مع أي وضاقت عليكم الأرض مع رحبها(سعتها) وقيل بمعني على اى على سعتها وقيل المعني برحبها فتكون ما مصدريه

فاراد بهذا لفت الإنتباه الى قاعده هامه فى غايه الاهميه وهي المحافظه على الشكر وحسن الطاعه لان ذلك هو قيد بقاء النعمه الذى يكون من أسباب زوالها الاستغناء كما أخبرنا الله عن الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه

وبعد هذا البيان تنقل لنا الايه تصوير حركات المؤمنين الحسيه المتمثلة بتواليه الادبار والنكوص على الاعقاب (ثم وليتم مدبرين)

لتنطبع فى الذهن نتيجه الاغترار بالعوامل الماديه بأن نهايتها هو الهزيمه النكراء فأراد بهذا أن تظل الصوره مرسومه فى أذهان كل مسلم الى قيام الساعه من خلال هذا التصوير الإبداعي الذى يجعل القارئ كأنه يعيش المعركه بكل تفاصيلها يري نفسه هاربا فتكون للقصه اثرا يجعل المؤمن ينفر من الاغترار بالنفس والمغالاه فى تقدير القوه الذاتيه يدريك أن النهايه هي الهزيمه النكراء

الأمر الثالث

تنقل الايه الكريمه رعايه الله وعنايته باولياوه فقال تعالى (ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين

وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله علىمن يشاء والله غفور رحيم)

السكينه اسم لهيئة النفس من السكون والطمأنينة وهذا إنما يكون بمن التجاء الى الله تعالي وحده لا شريك له لأ نه يجد الأمن فلا يشعر بالخوف والايه ترسم أن القلوب كانت كأنها طائره من شده الاضطراب والانزعاج وكانما السكينه رداء ينزل فيثبت القلوب ويهدي انفعالاتها الثائره ويزيل انزعاجها مبينا أنه تعالى انزلها على رسوله وعلى المومنين ولم يقل عليكم لان الخطاب للجماعه وفيهم المنافقين ومرضى القلوب

والاطمئنان إنما يكون للمؤمنين فقط لقوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

وتستمر الايه فنقل عنايه الله وتأييده لرسوله واولياءه فقال تعالى (وانزل جنودا لم تروها)

تحكي نزول الملائكه ومعاونتهم المؤمنين فى المعركه سواء فى تثبيت المؤمنين أو القتال معهم لتفهم أن المعركه هي معركه الحق فلست وحدك فأنت بمعيه الله تعالى وجنوده تقاتل معك فما الذي يجعلك تتخاذل

الأمر الرابع

تستمر الايه في تصوير المشهد للمعركه بما يرسم فى ذهن من يتلو كتاب الله تفاصيل المعركه والنهايه التى انتهت إليها فقال تعالى (وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين)

وتعذيبهم بالقتل والأسر والهزيمه والغنائم الكثيره التى تفضل الله بها على المؤمنين ويشير الحق الى أن ما أصابهم هو ما استحقوه على أعمالهم القبيحه فهو الجزاء العادل على كفرهم واختتم الايه بذكر قبول التوبه لمن يشاء الله ولهذا جاء التعبير عن التوبه وما يتلوها من المغفره والرحمه بصيغه فعل المستقبل يتوب وهذا فيه اعلام المؤمنين أن ما وقع من إيمان بعضهم بعد ذلك وماسيقع مستقبلا بعد انتصار المسلمين هو بمشئيه الله ورحمته فالجهاد هو لتميز الخبيث من الطيب وان الدافع والباعث الاول وراء مشروعيه الجهاد هو دعوه الناس الى دين الله وهدايتهم الى الطريق المستقيم والدين القويم فهذا هو الهدف الأساسي من شريعه الاسلام ومن القتال فلا يهدف إلى الانتقام ولامكاسب سياسيه وهذا واضح من موقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف الذي كان المحرك الأساسي والموجه للمعركه فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم المقربين من مالك بعد أن فر الى الطائف أنه اذا جاء مسلما رد عليه أهله وماله وزاد غلى ذلك أن يعيطه مائه من الإبل وقد جاء مالك مسلما ومنحه الرسول صلى الله عليه وسلم ما وعد به وقد صلح شأن مالك فالإسلام دين التسامح وا لإنسانية فالقتال مضبوط بقيود فلم يسمح بقتل امراه ولا صبى ولاشيخ غير مقاتل وهنا قد يقول قائل لما قتل دريد بن الصمه رغم أن عمره كان مائه عام ؟

قبل الاجابه على هذا السؤال لابد أن نقف على ما يذكر به دريد بن الصمه فى كتب التاريخ الاسلامي لنرى جانبا من عظمه الاسلام وانصافه للآخرين وان كانوا من أهل الوثنيه فدريد بن الصمه فى صفحات التاريخ الاسلامي شاعر وحكيم وشجاع وفارس محنك صقلته السنون والأحداث وكان قد اعترض على خروج مالك بن عوف مع الرجال والنساء والاطفال والأموال وراءه فقال له وهل يرم المنهزم شي انك قائد قطيع فإذا كانت الدائره لك لم ينفعك الا رجل وسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت فى أهلك لكن مالك لم يأخذ بمشوراته وكان دريد بن الصمه يشكل خطراً حقيقا على الاسلام فدوره فى الحرب اخطر من المقاتل إذ أن خروجه فى المعركه لم يكن لاجل أن يشارك فيها بسيفه لانه قد بلغت شيخوخته مائه عام ولم يعد لديه قوه للقتال وانما خرج رغم فقدانه القوه لاجل أن يتمنوا به وليقتبسوا من حكمته فكان خطره على المسلمين اشد من المقاتل الذى يحمل السيف ولهذا فإن المسلم لايامن على نفسه من ناحيته وقد قال الطحاوي فى مشكل الاثار عن ذلك بقوله (أن نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الشيوخ فى دار الحرب ثابت فى الشيوخ الذين لامعونه لهم على شي من

أمور الحرب فى قتال ولاراي ولا اري على الشيوخ الذين لهم معونه فى الحرب كما كان لدريد فلا بأس من قتلهم وان لم يكونوا يقاتلون لان تلك المعونه إنما تكون منهم أشد من كثير من الذين يقاتلون ولعل القتال لايتم لمن يقاتل الابهذه المعونه فإذا كان ذلك كذلك قتلوا والدليل عن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رباح اخي حنظله عن المراه المقتوله ماكانت هذه تقاتل اي فلا تقتل لأنها لاتقاتل ..وهو مايفهم منه أنها إذا كانت تقاتل فإنها تقتل وكذلك تقتل المراه اذا كانت ذا رأي وتدبير كالشيخ الكبير ذو الرأي فى الحرب فهذا يقتل لأنه يشكل خطراً على المسلمين

القسم الأخير من المقطع الاول

يايها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء أن الله عليم حكيم)

بعد أن تناولت السوره من بدايتها الأحكام والتشريعات النهائيه فى علاقات المسلمين بالمشركين فى الجزيره العربيه المتعلقه بمرحله التمكين والعز والتى ابتدأت بإعلان البراءه من العهود والمواثيق التى كانت قائمة مع المشركين قبل نقضهم للعهد قبل فتح مكه وحددت مهله لذلك اربعه اشهر لمن نقض العهد وبالنسبه لمن لم ينقضوا العهد أمرت بالوفاء بعهودهم حتى انتهاء مدته وكان اعلان ذلك يوم النحر وبينت حق تأمين اللاجئ من المشركين حتى يسمع كلام الله ثم بينت النصوص أسباب قتال المشركين ودواعي عدم التهاون معهم ثم بينت وجوب منعهم من عماره المسجد الحرام أو القيام بمصلحه لأنهم ليسوا أهلا للقيام بذلك فقال تعالى(ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر)

وقدم لذلك تعليل أنهم شاهدين على أنفسهم بالكفر ثم بينت النصوص من هم أهل الحق فى عماره المساجد وصيانتها ثم جاءت الآيات بذكر الولاء والبراء وان يكون الحب والبغض فى الله والنهي عن مولاه أعداء الإسلام ثم ذكرت نعم الله على المؤمنين ونصره واختتمت بهذه الايه التى توجهت بالخطاب للمؤمنين بالنهي عن تمكين المشركين من الاقتراب أو الدخول الى المسجد الحرام معلله ذلك أنهم نجس

ومبينه أن عليهم أن لايخافوا الفقر والفاقه والخساره التى تلحق بهم عند منع المشركين من دخول المسجد الحرام فالله سوف يغنيهم من فضله إن شاء وهو عليم باحوالهم وحكيم فى تدبير شوونهم وبالوقوف على ا لايه نجد الآتي

اولا

التوجيه بالخطاب للمؤمنين بأن يمنعوا المشركين من دخول المسجد الحرام أو القيام بمصلحه فيه لفت انتباه المؤمنين أن مهتهم لم تنتهي بالقضاء على الظلم والفساد والتخلف بنجاح الثوره بحصول فتح مكه لان قوله (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)

يدل أن الحكم على البيت الحرام قد صار بعد الفتح لله ورسوله بعدما كان قبله الملوك والرؤساء على البيت هم المشركون وهذا ما يدل على نجاح الثوره وتحقيق أهدافها بتحرير المسجد الحرام ومكه من قبضه المشركين فهذا هو هدف التحرير

إلا أن الايه توحي أن المشركين بعد الفتح كانوا مازالوا يعيشون ويقيمون بالبيت الحرام وفى مكه ولهذا تبين الا يه إن مهمه المؤمنين هنا تنتقل من مرحله التنظيم الايماني الحركي الثوري الى مرحله تنظيم الثوره بصياغه وتحديد أبعادها فى دستور وقوانين يحدد الأحكام النهائية فى مرحله التمكين قوانين تحدد ضوابط حركه التنظيم الايماني وعلاقاته بالآخرين بغض النظر عن صله القرابه والنسب والمصالح بحيث تنسجم مع هدف التحرير والجهاد والنضال الثورى ولهذا كان استناف الآيات بهذا النداء الذى فيه تنظم أوضاع المسجد الحرام و

الكعبه ومكه المكرمه والجزيرة العربية وحكم المقيمين فيه فلابد من وضع وتشريعات وقوانين تنظم أوضاع البيت الحرام التي اختارها الله تعالى لتكون اطهر بقعه فى الأرض وقد أمر ابراهيم وإسماعيل ببناءه وتعميره وتطهيره فقال تعالى (وعهدنا الي اسماعيل وإبراهيم أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)

فقد كان اعداد البيت الحرام لتكون المكان الذى تنطلق منه رساله الاسلام التى جمعت جميع مظاهر الأديان و التدين فيه لتكون رساله للعالم أجمع وهو ما اضفى عليها قداسه وميزه عن غيره من الأرض

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين (يايها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن مهتكم هي عدم تمكين أي مشرك من الاقتراب من المسجد الحرام لان اقتراب هولاء منه فيه تدنيس لقداسه المسجد الحرام الذى كان اساس بناءه قائما على الطهاره وهولاء قد كان منهم تلويث المسجد الحرام بالاصنام التى تم إزالتها بفتح مكه وحصل تنظيف المسجد الحرام منها لكن بقى أعيان المشركين وذواتهم فإنه يجب إبعادهم عن المسجد الحرام لان وجودهم يمثل نجاسه ينبغى تطهير المسجد الحرام منها ولهذا جاء النص (إنما المشركون نجس) بفتح النون والجيم لكلمه نجس حيث أن ذلك يعني نجاسه العين بينما نجس بفتح النون وكسر الجيم مصدر يدل على حدوث شي عارض يمكن إزالته فالاناء قد يتعرض للنجاسه اذا لعق منه الكلب مثلا وهذا يمكن تنظيفه بغسله سبع مرات بالماء احدهن بالتراب أما عين النجاسه نفسها فإنها لاتتطهر ولهذا كان التعبير بهذا الأسلوب لبيان اهميه ابعاد المشركين عن البيت الحرام ومنعهم من دخولها لانهم مصدر التلوث و النجاسه فوجودهم داخل الحرم يدنسه مثل الكلب فإنه يمنع من دخول المسجد لانه حامل للنجاسه فالمبالغه هنا لاتعني النجاسه البدنيه للمشركين وانما تهدف الى بيان أن بقاءهم بأجسادهم داخل الحرم أمر مرفوض فلا بد أن يكون المكان طاهرا من النجاسه الماديه والمعنوية لان المكان تم بناءه وتطهيره من قبل ابراهيم وإسماعيل لاجل أن يقيم فيه أهل الطهاره الذين يعبدون الله بالطواف والركوع والسجود وبالتالي لايسمح ببقاء المشركين فيه فالاناء الطاهر إذا وقع فيه شي من القذورات وجب ازاله النجاسه منه وتنظيفه من آثار النجاسه ليعود له طهارته التى كان عليها سابقا وهكذا هو حال البيت الحرام

الأمر الثاني

أن التضخيم الوراد فى التعبير عن نجاسه أرواح المشركين وتصويرهم كأنهم قذورات يجب تحاشى الاقتراب منهم والنفور من كل علاقه معهم لانهم مصدر القذره قد ورد بعد أن اختتمت الايه الكريمه السابقه بقوله تعالى (والله غفور رحيم) فكان مجئ الايه بصيغه (نجس) بفتح النون والجيم والتي تستعمل في التعبير عن الذوات اي عين النجاسه نفسها لان الله يقول (أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

فاراد بهذا التحذير من اقامه اي علاقه حميمه مع المشركين تحت عنوان الانفتاح والمرونه والاتصال بالعالم الخارجي التى غالبا ما تظهر الحاجه لها بعد التمكين

فأراد بهذا أن تفهم أن العلاقه الحميمه مع المشرك تعني دخولك فى متاهات لان المشرك حياته كلها نجاسه هو حامل النجاسه ومصدرها لان الذى يبتعد عن الله يتجرد عن القيم والمبادئ وعلاقه الصداقه معه تتسع للغدر و الخيانه من قبله فلا يؤتمن فهو إذا حل بمكان نجسه فأنت أن تعاملت معه دخلت فى مشكله وان دخلت معه فى صفقه تجاريه فلا بد أن ينجسك لان عقائدهم وأعمالهم كلها نجاسات وكلها إفساد فى الأرض لان المجتمعات الماديه تقوم على النفعيه البحته وهي أمور متغيره ومن كان هذا حاله فهو لاقيم ولامبادي لديه لانه يقوم بتغيير ها تبعا لتغير المنفعه ولهذا نشاهد فى المجتمعات الوثنيه المادي الذى أصبح هو المهيمن على العالم

مظاهر الانحلال والتمزق لدرجه فقدان حتى مؤسسه الاسره فلم تعد هنالك عواطف بين الآباء والابناء والاخوه والزوجه والأمهات كل شي بنظرهم هو الماده وكلما تقدمت الحضاره زاد الانحطاط فى القيم والأخلاق لدرجه أنهم ينظرون لاقامه العلاقات الجنسية خارج نطاق العلاقه الزوجيه أمر طبيعي طالما أنه ليس على فراش الزوج حتى إنجاب الأطفال أصبح قضيه نفعيه فقد وضعت قوانين تمنع إنجاب زياده عن ابن واحد او بنت فى بعض البلدان للاسف الشديد ولهذا تحذر الايه من اي علاقه حميمه مع المشركين وتحدد لنا أن التعامل مع الاخرين وتضبطها بضوابط بربط المرونه والانفتاح بالمقاصد الاساسيه التى جاء بها الإسلام حفظ الدين و النفس و العقل والنسل والعرض والمال وتحقيق الحفظ فى كل منها على مراتب حسب مستوي الحفظ أو العمل بهذا المقصد فمنها الحتميه التى لاتقبل فيها ادني تهاون والتى أسماها الشاطبي الضروريات ويأتى بعدها الحاجيات ثم التحسينات وجميع التكاليف تصنف على ضوء درجه أهميتها فى تحقيق المقاصد الذى تحققه سلم الأ ولويات فى الاسلام وهذا التصنيف يندرج فى جميع المجالات العقائد والعبادات والمعاملات ولهذا كان تقسيم ابواب التعامل فى الاسلام بالنسبة للمسلم فى شؤون حياته أفراد ومجتمع ودول الي قسمين قسم يوثر على تحقيق مقصد من المقاصد مثل الزنا فلا يسمح بقيام علاقات ومشاريع يتخللها انتهاك مقصد حفظ النسل فلا يسمح بهكذا علاقه وكذلك شرب الخمر أو السرقه لان الأولي تضر بمقصد حفظ المال والاخيره تصر بمقصد حفظ العقل وكذلك فإن وجود المشركين فى الحرم أو السماح لهم بدخول المسجد الحرام فيه انتهاك لقصد حفظ الدين الذى كان بناء الكعبه لاجل عباده الله وحده لا شريك وتطهيرها من النجاسات الماديه والمعنوية هو ما أمر به ابراهيم وإسماعيل لتكون جاهزه لاستقبال الموحدين المتطهرين من الاوساخ والنجاسات الماديه و المعنوية ولهذا فإن التهاون فى ذلك فيه تفريط بمقصد حفظ الدين وهذه الأمور وضعت لها احكام ثابته لاتقبل التهاون أما العلاقات التي لاتوثر علي مقصد من مقاصد الاسلام الخمسه فقد ترك الاسلام فيه قدرا كبيرا من المرونة على قاعده أن الأصل فى أشكال التعامل وصوره الاباحه

ثانيا

كما أن المبالغة فى تجسيم التعبير فى نجاسه أرواح المشركين بجعلها كأنها ماهيتهم وكيانهم تهدف الى تقويه مناعه المسلمين للقيام بما كلفوا به من حفظ الدين ومقاصد الاسلام الخمسه باراده قويه فالايه تبين للمؤمنين أن موقف الاسلام من تغير القيم مرتبط بدور هذه القيم بحمايه المقاصد أو ضمان تنفيذها فهذا هو الأساس فى تغيير القيم والمرونه والانفتاح والثبات بالنسبه للقيم فكان هذا التشديد فى الخطاب لان غياب المبدأ الثابت المستمد من عقيده راسخه تتكون منه القيم الاجتماعيه والأخلاقيه كما هو حال الحضارات الماديه التى تقوم علىمبادئ النفعيه والماده تعني اختلال منظومه القيم فيها لان المنفعه متغيره ولهذا يكون حال المجتمعات فى ظل المصالح الماديه والمنفعه المنظوره للفرد أو الجماعه أنفسهم مضطرون لمجاراه الأوضاع واللّهاث وراء المصلحه ولو كان على حساب القيم والمبادئ وهذا ما شاهدناه من حال الكنسيه فى الغرب اليوم حيث أنها فرطت بالقيم والمبادئ التى كانت تنادى بها لاجل إرضاء من يدعمها من الموسسات الماليه التى تشترط عليها أن لاتقف فى وجه مصالح رجال المال والأعمال ولهذا كان عليها أن تتكيف هي وقيمها مع استثماراتهم واطماعهم وليس العكس

أما موقف الاسلام من تغيير القيم فإن الضابط لها هو ارتباطها بالمقاصد الخمسه فإن القيم التى تحمى المقاصد وتضمن تحقيقها فإنها ثابته لاتتبدل ولاتتغير ولا يجوز تعريض القيم والمبادئ والمقاصد للخطر باي شكل من الأ شكال فكل قيمه تحمى هذه المقاصد هي قيمه ثابته فلايسمح بالزنا ولا الربا ولا الخمر ولا مجامله أعداء الإسلا م فى أمر الدين فلا يمكن السماح للمشرك بدخول المسجد الحرام اطلاقا ولا يجوز تعريض القيم لاي خطر مهما كان الأمر فالتاجر الذى تكون له علاقات تجاريه مع شركات اجنبيه لايجوز له مجامله أصحاب تلك الشركات بأن يستضيفهم ويقدم لهم على المادبه الخمر أو غيرها من الأشياء التى تتنافي مع عقيده الاسلام ومقاصدها الخمسه

لايجوز لك أن تجلس على مادبه طعام معهم فيها اطعمه محرمه وان لم تأكل منها اوتشرب انتبه من العلاقه الحميمه التى تدفعك الى التكييف مع المصلحه عليك التمسك بالقيم والمبادئ حتى لو تعارضت مع مصالح الربح الفردي والجماعي ولهذا يقول تعالى (وان خفتم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء أن الله عليم حكيم) والايه نزلت بمناسبه تحريم دخول المشركين المسجد الحرام فقال البعض سوف نتعرض للخساره لان اهل مكه كانوا يعيشون على التجاره فى مواسم الحج والعمره ومنع المشركين من دخول مكه يعني الخساره الماديه وتفويت المنفعه التى كانت تعود عليهم من دخول المشركين مكه فأنزل الله الايه وهذا فيه

الأمر الأول

فهذه الايه الكريمه تضع بين أيدينا قاعده القيم بالمفهوم الاسلام بأن ما أمر به الدين فهو قيمه خير ومانهي عنه فهو قيمه شر

ولهذا يتضح لنا بجلاء اختلاف النظره الاسلاميه عن النفعيه فى مجال القيم

ذلك أن منع دخول المشركين مكه المكرمه فيه خساره فى مقياس الدخل السياحي لكن الله وضح أن سلم الأ ولويات هو منع دخولهم فالمسلم عليه أن يعرض اي أمر سواء كان تجاره أو تعامل ونحوه على منهج الله فإذا كان فيه تعارض مع شريعه الاسلام فإن اللازم قطع هذه العلاقه دون تردد فالعبرة ليست بالمصلحه والماده و المنفعه وانما العبره فى موافقتها لشريعه الله

فالله يريد أن تخلص القلوب كلها للعقيده الاسلاميه ولهذا يطمئنهم بأن الأرزاق بيد الله وهو متكفل بها فلا تخافوا الفقر والفاقه والخساره وهذا فيه رد كافى لاولئك الذين يسمحون بتدوال الخمور والزنا فى اماكن السياحه للاسف الشديد فى بعض البلدان الإسلامية بحجه تشجيع السياحة والاستثمار والحصول على العمله الصعبه فهذا خروج عن الدين وتفريط بالقيم والمبادئ فالإسلام لايمنع من اقامه علاقه مع الاخرين لكن فى إطار الشريعه الاسلاميه فالمسلم ثابت على مبادئ الشريعة ولا مجال للمساومه عليها

الأمر الثاني

يامر الله العباد أن يلتزموا بشريعه الله وان لايخافوا من الفقر والفاقه والخساره التى قد يتعرضوا لها بالتمسك بأمر الله لأن ذلك ليس فيه خساره فالخساره الحقيقيه هى خساره القيم والمبادئ والدين فالمسلم لايبنى مجده على أنقاض الاخرين والمسلم ينطلق من عقيدته فى كل قول أو فعل أو علاقه أو نحوه ينطلق من إيمانه بالله تعالي وهو يؤمن بيقين أن كل مانهي الله عنه هي قيمه شر يجب الابتعاد عنها فقد أراد أن يكون ميزان المسلم للربح والخسارة هو مدي التزام المسلم بالشريعة لا على النفعيه والماده ولهذا عندما تعرض للمسلم مصلحه فاسده فيها ربح ومال ظاهره وفيها تفريط بالقيم والمبادئ فإنها لا يقبلها ويتركها ويفضل الخساره الماديه على خساره القيم والمبادئ فالمسلم لايتعايش مع الفساد والخبث والنجاسه ولايقبل بها

وليس ذلك فحسب بل يتركها وهو واثق أن الله سوف يعوضه عن هذه الخساره بما هو افضل منها لان عقيده المسلم تقوم على فكره ان الذي يدع شئيا لله فلابد أن يعوضه الله عن ذلك أضعافا كثيره

الأمر الثالث

أن المسلم مطالب منه أن يبحث عن بدائل اقتصادية اسلاميه أخري ليس فيها حرام بدلا عن المشاريع الا قتصادية التي تحوم حولها الشبهات ولهذانجد أن الايه الكريمه تبين عدم قدح النظر في الأسباب في صحه التوكل علي النفس بالتعلق بالارزاق لان الايه تنقل لنا تطمئن الله لما شعر به بعض المسلمين من انقطاع أرزاقهم وأنهم سوف يقعون في الشده والحاجه لان المشركين كانوا يأتون بتجاره وحمولات ولهذا اخبرهم الله أنه

سوف يعوضهم إن شاء مبينا سعه فضله فقال تعالي (فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء أن الله عليم حكيم)

وهذا فيه

المفهوم الاول

يدعوهم المولى سبحانه وتعالى أن يبحثوا عن بدائل أخرى حلال وأنه تعالى متكفل أن يرزقهم بما يغنيهم عن الحاجه والفاقه والخساره التى لحقت بهم ففضل الله واسع وليس محصورا بما كانوا يجدونه من مكاسب مجئ المشركين من مناطق كثيره الى مكه وهو تعالي اعلم باحوالكم ومصالحكم وبما يكون عليه حاضركم ومستقبلكم حكيم فيما شرعه فاستجبوا له لتنالوا سعاده الدنيا والاخره

فهذا الأسلوب فى الخطاب من رب العزه مع عباده المؤمنين كان باعثا للبحث عن البدائل الاقتصادية بالتوكل على الله تعالي وقد رزقهم الله من فضله

المفهوم الثاني

يدعوا الله المؤمنين أن يتادبوا مع الله فى طلب أسباب الرزق فعليهم أن يجعلوا اعتمادهم عليه وان يتضرعوا إليه لا الى غيره ولهذا جاء تعليق عطاءه على مشئيته سبحانه وتعالى لتعليم المؤمنين مراعاه الاداب مع الله كما قال تعالي (لتدخلن المسجد الحرام انشا الله آمنين) والبيان أن العطاء بارادته سبحانه وتعالى وللتنبيه على أن عطاء الله هو من باب التفضيل لا الوجوب لانه لو كان واجبا لما علق على المشئيه وهو تعالى يعطي الدنيا من يشاء اي من يحب أو من لايحب ولايعطي الايمان الا من يحب فالله عليم بمن يليق به الغني من عباده ومن لايليق به وهو يضع الاشياءفى موضعها فمشئيه الله تجرى وفق علمه وحكمته

المقطع الثاني من سورة التوبه

اولا

ابتدأت ايات هذا المقطع بالتحريض على قتال أهل الكتاب حتى يخضعوا لحكم دوله الاسلام وتحديد مسؤوليتنا بعد القضاء على الانظمه التابعه لاهل الكتاب باعتبارهم رعايا الدوله الاسلاميه وأهل ذمه فقال تعالى(قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولابااليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

حيث أن هذه الآيات والتاليه لها كانت تمهيد ا لغزوه تبوك ومواجهه الروم وعملائهم من القبائل العربيه التى كانت تابعه لدوله الروم ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد أن ساقت النصوص الأحكام النهائية المتعلقه بالمشركين فى الجزيره العربيه فكان مجئ ايات هذا المقطع المكون من سبع ايات متضمن الأحكام النهائية المتعلقه بوضع أهل الكتاب وقواعد التعامل معهم سواء كانوا داخل الجزيره العربيه او خارجها تحدد الايه وجوب قتالهم واخضاعهم لدوله الاسلام ثم تبين حقوقهم و واجباتهم فالايه تحدد تنظيم العلاقه بين مكونات المجتمع المسلم والاقليات وحقوقهم وواجباتهم وكذلك ترسم السياسيه الخارجية للدوله بعد حسم الوضع السياسي الداخلي حيث أن فتح مكه مثل بدايه مرحله جديده فى تاريخ الامه الاسلاميه فقد اتجهت الأنظار صوب الشام باعتبارها هدف حيوي للدوله الاسلاميه والدعوه فقد حاولت الدولة الإسلامية احتوي القبائل العربيه على أطراف الشام الوثنيه منها و النصرانيه بالصلح أو غيرها من الوسائل نظرا لما تمثله من اهميه متعلقه بالسيطرة على طريق التجاره الذى ظهر فيه خطر الوجود البيزنطى على الدوله الاسلاميه ومصالحها حيث حصل تقطع على سريه زيد بن حارثه فى السنه5هجريه حيث تعرض لاعتداء من قبل جماعه من فرازه فى مكان قريب من وادي القري وعاد زيد الي المدينة فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستانف مهمته ونزل فى المكان نفسه واصطدام مع الجماعه التى اعترضته فقتل منهم وأسر وعاد الى المدينه وحدث بعدها عده مناوشات قبل غزوه تبوك منها سريه عبد الرحمن بن عوف والذى تزوج ابنه شيخ قبيله الكلبي الذي اعتنق الاسلام بعد ذلك ثم معركه موته واخيرا معركه تبوك و التى علم الرسول صلى الله عليه وسلم باستعداد الروم للهجوم على الدوله الاسلاميه وكذلك كان هناك يهود ونصاري داخل الجزيره العربيه مازالوا لهم انظمه تمارس الخيانه والتآمر ضد دوله الاسلام من الداخل ولهذا نجد الآيات تتحدث عن قواعد تنظيم أهل الكتاب سواء داخل الجزيره العربيه ا وخارجها وابتدات الآيات بالتحريض علىقتالهم حتى يخضعوا لحكم دوله الاسلام

ومسوولیتنا اتجاه أهل الذمه هذا واضح بالايه الأولي من هذا المقطع فى قوله تعالى

(قاتلوا الذين لايومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

وهذا فيه :_

الأمر الأول

تبين الايه أن أمر القتال قرار للسلطه فى دوله الاسلام فلها الحق فى تقريره وليس لأحد من المسلمين أن يقرر مساله القتال أو السلم فالذى يحدد مساله اعلان الحرب والقتال هو ولى الامر فالسلطه من اهم مكونات الحضاره ا لاسلاميه والأسس التى يقوم عليها مفهوم الحضاره الاسلاميه المتميزه كونها مستمده من طبيعه النظره الاسلاميه للإنسان وتقدمه والغايه من وجوده والأهداف التى يجب عليه تحقيقها فردا كان أو جماعه أو دوله

ولهذا فإن وجود السلطه التى تتولي تنظيم المجتمع والدوله وتعمل على تحقيق الأهداف الاساسيه للدين وحمايته وحمايه الامه الاسلاميه أمر مهم ولهذا فليس من حق تنظيم سياسي أو جماعه أو أفرادا داخل دوله الاسلام اعلان

الجهاد والحرب فى حال وجود الدوله فهذا الأمر فى غايه الاهميه ذلك أن عدم فقه هذه المساله يعني نشر الفوضي داخل الدوله الاسلاميه كما هو حال التنظيمات الجهادية اليوم التى لم تفقه معني الأمر بقتال الكفار و الجهه التى تملك اعلان هذا الحق فتقوم بقتل ذمي مستامن داخل دوله اسلاميه دون وجه حق وهذا من أهم عوامل تعطيل مفهوم الجهاد والأهداف التى من اجلها أمرنا الله بالقيام به

وتبين الآيات أن السلطه فى الاسلام ليست مطلقه اليد فى التصرف وانما هي مقيده بالدستور (الكتاب والسنه) وعلى اساسهما يكون اقامه السلطه التى تتولى تنظيم امور الحياه وحمايه الدين والامه ورعايا الدوله من الأ قليات ولهذا تختم الايه بقوله (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

فالجزية هي الخراج المقدر علىرؤوسهم مقابل ضمان سلامتهم وضمان حياتهم ودينهم لان الجهاد لايكون الا من مؤمن وهؤلاء لايسمح لهم بالقتال وقد أخذت من اليهود والنصارى وحتى المجوس مع انهم مشركون ولهذا فإن ا لايه تحدد مسؤوليه السلطه فى الدوله الاسلاميه عن رعايه حقوق أهل الذمه مقابل هذا الخراج ولهذا عندما اسلم امير التتار الذى كان قد اسر مسلمين ومسيحيين فأراد إطلاق سراح المسلمين والإبقاء على المسيحين فقد رفض شيخ الإسلام ذلك وقال لن نقبل الا بإطلاق جميع أسرنا من أهل المله وأهل الذمه) فهذه هي شريعه الاسلام وليس معني هذا أن الجزيه لاجل رفاهيه الملوك والرؤساء كما هو حال الانظمه الكافره وانما الغرض من ذلك اظهار دين الحق ومنع الهرج والمرج والفوضى فإذا أدوا ماعليهم وجب حمايتهم وحمايه معابدهم وضمان حقوقهم

الأمر الثاني

تبين الايه الأسباب التى اقتضت الأمر بقتال أهل الكتاب فقال تعالى (قاتلوا الذين لايومنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب)

والسؤال هنا لماذا ربط الأمر بقتال أهل الكتاب بعله ذلك فقال تعالى (قاتلوا الذين) عبرعنهم بالعله الاسم الموصول الذى فيه إيذانا لعله مافى ضمير الصله بالأمر بالقتال بأن عله قتالهم أنهم لايؤمنون بالله ولا يؤمنون باليوم الآ خر... وأنهم لايحرمون ماحرم الله ورسوله وأنهم لايدينون دين الحق رغم أنه تعالى سماهم أهل الكتاب وهو ما يقتضى إيمانهم بالله واليوم الآخر وكذلك لايمكن ارغامهم على تحريم ما حرم الله والرسول صلى الله عليه وسلم لأن ذلك إنما يكون لمن اسلم وهولاء ليسوا بمسلمين والله يقول لا اكره فى الدين ...الخ

الجواب :_

أن التعليل هنا لان المسلمين كانوا ينظرون أن هنالك قواسم مشتركه بينهم وبين أهل الكتاب هى الايمان بالله و اليوم الآخر...الخ

وكذلك كانوا يتسالون كيف نقاتل الروم وهم الذين كان انتصارهم على الفرس من دواعي فرح المسلمين واعتباره نصر للمؤمنين كما قال تعالى (الم غلبت الروم فى ادنىالأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون .....الي قوله (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ...الخ

فكيف يأمرون بقتالهم لهذا جاءت الايه لازاله هذا اللبس لان الفرح بانتصار الروم على الفرس هو لان ذلك مثل انتصار لنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته بما أخبر به من أنه سوف يكون انتصار الروم على الفرس فى بضع سنين وليس أن هنالك قواسم مشتركه مع أهل الكتاب. فقال تعالى (قاتلوا الذين لايومنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب)

تضمنت عله قتال أهل الكتاب (بنفي إيمانهم بالله واليوم الآخر...وأنهم لايحرمون ما حرم الله ورسوله...وأنهم لا

ايسلكون طريق الدين الصحيح واصواله)وهذا فيه

المفهوم الاول

أن كل من لم يؤمن بالله بما وصف به الله نفسه على السن الرسل فهو فى الحقيقه مشرك بالله وان ادعي الا يمان فهو كاذب فى ادعاءته لان اصل الايمان هو الايمان بالغيب كما قال تعالى(الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) والغيب الذى يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الأمور العامه ويدخل فى ذلك الا يمان بالله ومعرفته باسماءه وصفاته وأفعاله وكماله بما أخبر سبحانه وتعالى عباده عن نفسه وكماله وصفاته فى كتابه والايمان بالله يقتضى الايمان باليوم الاخر والملائكه والجنه والنار والرسل والكتب السماويه ..فالإيمان بالله واليوم الآخر والرسل يتضمن الايمان بالغيب لان وصف الرساله هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان ب الله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله...كما ذكر الله فى قوله (ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين)والايمان بالغيب لايقبل تجزئه الايمان كان تومن بالله وتنكر وجود الملائكه أو تكفر بأحد الرسل مثلا كما قال تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) ولهذا تنفي الايه عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الايمان بالله واليوم الآخر عنهم :ـ

لان الرب عند اليهود هو رب لم ينزل الانجيل ولا القرآن ولا ارسل عيسى ولا محمد صلي الله عليه وسلم فالرب عندهم موصوف بأنه فقير وبخيل وعاجز فالله يقول عنهم

(وقالت اليهود يد الله مغلوله) (وقالت اليهود أن الله فقير ...الخ فالرب الذى تؤمن به اليهود وتعبده ليس الرب الذى يؤمن به المؤمنون ويعبدونه أن مايعبده المؤمنون رب له صفات الكمال ومنزه عن أي وصف وكذلك فإن النصاري اشركت في إيمانها بالله لأنهم وصفوه بما هو برئ منه كالصاحبه والولد والشريك وكذلك فإن إيمانهم بـ اليوم الآخر يختلف عن إيمان المؤمنين الصادقين ذلك أن اليهود يعتبرون أنفسهم غير محاسبين علي أعمالهم فقد قالوا (لن تمسنا النار الاايام معدوده)

وأما النصاري فقد بنوا عقيدتهم على إرضاء الرهبان وشراء صكوك الغفران فهذا ليس ايمان منهم وغير مقبول

المفهوم الثاني

يجب تعظيم أمر الله والالتزام بما فيه لان التهاون فى حرمه أمر الله يعني عدم الإيمان بالله والشك فى عقابه فا لإيمان بالله واليوم الآخر يقتضى أن يكون له أثرا فى السلوك فالانسان يحتاج إلى العلم الذى يستحضر فيه وجود الله فى كل حركه لتكون فاعليته ايجابيه لامجرد العلم بوجود الله واليهود يعرفون ما لا تعرفه النصاري لكن بلا عباده وعمل بالعلم ولهذا وصفوا بأنهم المغضوب عليهم بينما النصاري ضالون فهم يعبدون الله ويشركون به أما اليهود فلا يعبدون الله بل هم معطلون لعبادته مستكبرون عنها كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم استكبروا ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون

ولهذا قال تعالى فى ذم أهل الكتاب (لايحرمون ماحرم الله ورسوله)

المفهوم الثالث

أن مخالفه الكتاب والسنه والتمسك بما هو بدعه فى الشرع ومشتبه فى العقل من أخطر الاشياء التى تهدد كيان ا لامه ويجب الوقوف لها بحزم لان التقاعس عن دفع هذا الشر يترتب عليه مخاطر كبيرة يصعب بعد ذلك تداركها لأ نها تخرج العبد من دائره الايمان الى دائره الضالين والمغضوب عليهم

ولهذا فإن المسلم لايحرم الا ماحرمه الله تعالى ورسوله فى الكتاب والسنة ولا يحل شي إلا بنص شرعي ونتيجة خطوره البدع فقد أرسل الله الرسل ليعبد الناس الله بما أمرهم به على السن الرسل واليهود لايعبدون الله إنما

يعبدون الشيطان لان عباده الله إنما تكون بما شرع وأمر ولهذا فهم كفار وكذلك هو حال النصاري فقال تعالى (ولا يدينون دين الحق) فالايه تبين أن هؤلاء قد جعلوا لأنفسهم دينا واصوال دين ابتدعوها برأيهم وهم يعرضونها على مافى الكتب فإن وافقتها احتجوا بها اعتقادا لا اعتمادا وان لم توافقه فهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويتاولونه على غير تأويله هذا ما يتم من علماءهم الذين فقدوا قوة الخشيه من عقاب الله رغم معرفتهم بالله و اليوم الآخر فالعلم إذا فقد الخشيه ولم يمنع صاحبه من الافتراء فلاقيمه له ولهذا عطف على عدم الإيمان بالله واليوم بقوله (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) بأنهم تركوا ماقاله الله ورسوله الذى هو الأصل تركوا دلاله الكتاب والسنه وأخذوا بالمتشابه وهنا تكمن خطوره العلم الذي لاتصاحبه خشيه والضلال ولهذا تبين الايه بعدها أن هولا ء ضيعوا الاصوال فحرموا الوصول فقد أحدثوا أصولا ظنوا أنها اصوال ثابته وبنوا عليها دينهم ولم يعتصموا بما جاءت به الرسل فالاصل هو اتباع ماجاء به الرسول وانبياءهم قد اخبروهم باتباع النبي الخاتم المعروف لديهم فى التوراه والإنجيل لكنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوه واتبعوا الكتب الشيطانيه وعلى هذا كان بناء عقيدتهم على اساس هش وقواعد مضطربه وغير مستقره باطله ليس لها اصل ومن كان هذا حاله فقد ضيع دينه ولايصل الي غاية محموده كما قال تعالى (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين الا فى ضلال)

يقول شيخ الإسلام

والله سبحانه وتعالى بعث الرسل وانزل الكتب بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على السن الرسل

واصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه فى كتابه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولاتبديل ولاتعطيل

المفهوم الرابع

تبين الايه ماهو مفهوم الحضاره الشرعيه ومنطلقاتها حتى تجسد مراد الله ولهذا تنفي الايه عن أهل الكتاب (الا يمان بالله واليوم الآخر)

لماذا لأنها أخفقت فى تجسيد مراد الله فى كونه الفسيح عندما رفضت التحول فى قراءه مراد الله من التوراه وا لإنجيل الى القران بعد توقف العمل بالتواره والإنجيل ولهذا وصمتهم الايه بعدم الايمان بالله واليوم الآخر لانهم لو كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر لما رفضوا الامر باعاده النظر فى ثوابت قراءتهم لتنطوبضمن التجديد الرباني فى العالم بلغه القرآن فقال تعالى فى سوره ال عمران (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)

فحضارتهم أصبحت تعمل على تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الابليسي عندما رفضت التحول الى الاسلام التى أصبحت هي الحضاره الشرعيه بعدما منحها الله الاذن فقراءه مراد الله يعني التحول الى القران الكريم والسنه النبويه لكن هؤلاء رفضوا أن يكون التشريع للحلال والحرام مصدره القرآن واصروا علىالعمل بشريعه التواره والإ نجيل التى توقف العمل بهما بانزال القرآن وإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن ما فيهما من تحريف وتبديل ولهذا فإن هؤلاء يخدمون المشروع الشيطاني

كما قال تعالى (الم تر الي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت)

فهم لايعبدون الله بل يعبدون الشيطان والطاغوت وقد أخبر الله أنهم المغضوب عليهم والضالين فقد خرجوا عن دائره الايمان وتمسكوا باستمرار حضارتهم التى لم يعد لها إذن رباني فقد انتقل الاذن الى الاسلام فى قياده العالم والعمل على تجسيد مراد الله ولهذا فإن تمسكهم بالتوراه والإنجيل لم يعد إيمانا وتنفيذا لأمر الله وتجسيدا لمراد الله بل خدمه للمشروع الشيطاني لأنهم لو كانوا متمسكين بالتوراه والإنجيل لاتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وتحولوا الى القرآن فهم محرفون مبدلون لشرع الله لايحرمون ماحرم الله فى كتبهم وما حرمه رسلهم

المفهوم الخامس

تبين الايه أن اللازم على من يعيش فى دوله الاسلام أن يحترم القانونين والأحكام الشرعية التى جاء بها الإسلام فى الكتاب والسنة ولهذا هنالك فرق بين حريه الفكر والتدين وبين احترام القواعد والقوانين وشريعه الله وسنه رسوله فالجهاد هو لارغام المخالفين للمسلمين من الالتزام بهذه القوانين وليس ارغامهم على اعتناق الإسلام وهذه أحد المعاني التى تحملها الايه القرانيه فى قوله تعالى(ولايحرمون ماحرم الله ورسوله)

لان الالتزام بأحكام القانون الذى ينظم حياه الناس داخل الدوله الاسلاميه يحتاج الى قوه تضبط كل من يتهاون بها ولايراعي اداب العيش فى دوله الاسلام باحترام شريعه الاسلام (كتاب الله وسنة رسوله)

فمثلا لو سمح لهولاء البقاء بقوتهم العسكريه ولم يتم نزع هذه القوه فإنهم لن يتورعوا عن شرب الخمر علنا واكل الخنزير وغيرها من المحرمات

المفهوم السادس

تبين الايه أن من الأسس التى تقوم عليها الحضاره الاسلاميه هو الالتزام بالقيم والمبادئ لما لها من اهميه فى بناء الحضاره الاسلاميه ولهذا نجد الآيات تذم اليهود والنصارى بأنهم لايلتزمون بالقيم والمبادئ فهم لا يهتمون بـ العيش وفقا للمبادئ والقيم ولهذا لا يهتمون بأن يكونوا صادقين مع ما يؤمنون به من مبادئ وقيم فقد أخبرنا الله أنهم يقولون ما لا يفعلون فقال تعالى في سوره البقره (لما تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ....الخ

فالالتزام بالقيم يعني أنك تبقي صادقا مع نفسك فعندما نتمسك بقيمنا نبقي صادقين مع أنفسنا ومعتقداتنا وأما إذا فرط الشخص بالقيم فإن ذلك يعني التنازل عن الهويه وهولاء فرطوا بقيم الايمان لقد ضيعوها وقتلوا المبادئ لان الانتساب للأديان أصبح وسيله الوصول للمصالح الشخصية والامتيازات ولهذا كان انسلاخ هؤلاء عن الايمان وقيم أهل الإيمان لان المصلحه سيطرت على كيانهم واصبحوا محكومين بها فهم يتحركون داخل إطارها الضيق ولهذا فهم قد تخلوا عن فكره الدين الحق وطمست المصلحه هويتهم وانحرفت بمسارهم فهم يعيشون حياتهم وفقا لأغراض الدنيا الزائله وهم يقدمون المصلحه العاجله على الاجله ولهذا فهم عاجزون عن اتخاذ قرار التحول فى قراءه مراد الله من التوراه والإنجيل الى القرآن لأنهم لم يلتزموا بالمبادئ والقيم التى جاء ت بها التوراه والإ نجيل وعيسى وموسي والتى لو التزموا بها لساعدهم ذلك فى القبول بالإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان منهم كتمان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الوراد فى كتبهم فقال تعالى (ولايحرمون ماحرم الله ورسوله) لان من يلتزم المبادئ والقيم يصبح اتخاذ القرارات عليه اسهل لان القيم تكون بمثابة وصفه ترشده نحو الخيار ات التى تتوافق مع معتقده فمن كان مؤمن ومصدق بالله واليوم الآخر معظم لأمر الله فإن التحلي بـ الصدق يجعله يقول الحقيقه ويقف فى صف الحق حتى لو كان ذلك يعني مواجهه العواقب فمن كان ملتزم بـ القيم والمبادئ فإنه يصبر على مشقه وتكاليف التزامه بالشعور بعظمه القضيه واهميه الوصول الى الغايه فى رحلته وسفره الى الله والدار الآخرة فمن يتمسك بالقيم والمبادئ يسهل عليه الخضوع لأمر الله ولهذا قال تعالى في سوره البقره (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون)

ولهذا فإن الذى يكون فعله مخالفا للمبادئ والقيم التى يدعي الايمان بها فإنه يولد لديه شعور بالنقص وفقدان الا حترام للذات ومن كان هذا حاله ودينه من الصعب أن توجد بينك وبينه قواسم مشتركه ولايمكنه الحفاظ على علا قات صحيحه مع الاخرين ومن كان هذا حاله فإنه يفتقر للنزاهه حيث تصبح المصلحه هي دينه ومذهبه فالاهواء هي التى تحدد نظام حياته فهي تابعه لهواه ولهذا تغيب عنه القيم نظرا لأن تطلعاته محكومه برغباته ولهذا فنظام حياته يحكمه الاهواء والملذات ومن اتبع هواه فإنه من اتباع الشيطان ولهذا تبين النصوص ان هولاء يعملون مع الشيطان ومشروعه الابليسي فقد جعلوا لله ولد وحركتهم مخالفه لاتجاه الحق بل هي مع الباطل فقد أصبحوا جزء من تحالف الكفر والشرك والشيطان فمشروع هؤلاء هو الافساد فى الأرض لأن تمردهم على امر الله باتباع الا

اسلام خروج عن الغايه التى خلق الانسان لأجلها وهي عباده الله ومعرفته ومحبته وحده لا شريك له بان يكون ا لإنسان لله وحده فقال تعالى (ولايدينون دين الحق) لان الدين الذي يحقق هذه الغايه هو الاسلام كما قال تعالى (أن الدين عند الله الاسلام) لانه تعالي قد ادوع الاسلام فطره الإنسان كما قال تعالى (فطره الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

فالإسلام دين الحق الموافق لسنه التكوين التى خلق عليها الناس والمطابق لما خلق الله عليه الخلق والواقع الذى يوصل الي الغايه والهدف من وجود الإنسان حيث تنسجم حركه الإنسان عندما يلتزم بدين الإسلام مع حركه الكون التى تعبد الله فى حركتها فهذا هو التدين الحق لا تدين أصحاب الأهواء والشهوات فقد أخبرنا الله فى موضع آخر (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض)

ولهذا فإن حركه هولاء سلبيه وفاسده يجب محاربتها لأنها تضر بالبشريه وبالحياه على الارض فهي تستغل تسخير الله الكون للإنسان بما يودي الى التخريب والتهديد للنوع البشري أنه مشروع إفساد بينما الحضاره الاسلا ميه تقوم على الاستفاده مما سخر الله للإنسان ببذل جهده فى تعمير الأرض وتطويره وتحسينه فمن أسس الحضاره الاسلاميه التحسين والإعمار بينما هولاء حضارتهم تقوم على إفساد الأرض فالعالم اليوم مهدد بالا نقراض والدمار نتيجه تكديس اسلحه الدمار الشامل الذى تمتلكه دول الكفر

الأمر الثالث

إن أهل الكفر لايبالون ولا يهتمون بكرامه الإنسان فحياتهم تقوم على فكره المصلحه ولهذا فإن هؤلاء يشكلون خطراً محدق يقتضى شحذ الهمم وعدم التقاعس عن قتالهم فهم لايومنون بالله واليوم الآخر ومن كان هذا حاله وتمكن من السيطره علي العالم فإنه لن يتردد في نشر الرذيلة ومحاربه كل مظاهر الخير في الحياه

أنهم لايعظمون أمر الله ولايرعون حقوق العباد أنهم ينظرون الى حقهم بأنه مقدس بينما لا يهتمون بحقوق الآ خرين هكذا هو حالهم إذا احتلوا أرضنا أن تقاعسنا عن قتالهم لقد شاهدنا كيف أن العالم المنافق اليوم يتحدث عن أسرى اليهود لدى المقاومه والذين لايتجاوزن مائه اسير ويصمتون عن عشرين ألف أسير فلسطيني وعن مائه الف شهيد فى هذه المعركه فهذه هي العنصرية وعدم الاكتراث لحقوق الآخرين هل الإنسان العربى المسلم يختلف فى مركباته عن الإنسان اليهودي الأوروبي

حتى يتحدث الغرب بتلك الطريقه الحقيره ولايخجل من ذلك ثم إن هولاء لو انتصروا فإنهم لايلتزمون بقيم و لامبادي ولايابهون من نشر الشر على أوسع نطاق وقد شاهدنا كيف أن الاستعمار نشر الرذيلة والفاحشه وحاول ملئ عقول الشباب بالافكار الهادمه وكيف أنهم انتهكوا الحقوق ونهبوا الثروات فى الدول الإسلامية لقد شاهدنا ماتم فى سجن ابوغريب بالعراق إبان الاستعمار الأمريكي إن هؤلاء بلا قيم ولامبادي ولا اخلاق فمن كان الأهواء هو القائد الذى يقوده ويتحرك بلا ضوابط فكل ما يرغب فيه يندفع الى تحقيقه دون النظر هل هو حلال أو حرام حتى لو كان ذلك على حساب حقوق الآخرين لانه يري مصلحته مقدمه على مصالح الاخرين يري أن مصلحته يجب مراعاتها أما مصالح الاخرين فلا قيمه لها فاعمالهم لاتهدف الى استقرار الأوضاع للجماعه وانما زعزعه كل شي مقابل ملذاتهم فهي حضاره مضطربه الهدف لها أما حضاره الاسلام فهي حضاره ثابته وهادفه تتجه نحو الحق الذى قام عليه الكون كله ولها هدف تتحرك باتجاه وهو إرضاء الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له ولهذا فإن حضاره الاسلام تراعي مصالح الناس كلهم وتحترم مبادئ العداله وترفض الظلم والاستبداد بينما أهل الباطل يسعون الى استغلال الاخرين واستغلال ثرواتهم وإذلالهم فهي فكره عنصريه ودعوه مضطربه ليس لها هدف بل تقوم على اساس تلبيه رغباتهم واهواءهم دون الاكتراث لمعاناه الاخرين ولهذا فإنه من الخطاء التقاعس عن قتال هولاء فلتكن هذه الأخطار نصب اعينيكم فقاتلوهم بهمه وعزيمه فلا يجب أن يمكنوا من التحكم فى مصير العالم يجب أن يسلبوا القياده على العالم لأنهم ليسوا أهلا لحمل الامانه فالقياده والرياده هي لامه الشهاده امه الا سلام التى تحفظ حقوق كل الناس وتقوم على العدل وان هولاء يجب عليهم أن يذعنوا لاختيار الله المسلمين

لقياده العالم

وذلك بتسليم الجزيه عن يد وهم صاغرون فقال تعالي (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وليس معني ذلك احتقارهم واهانتهم كما ذهب إليه البعض من المفسرين فإن هذا القول لايستقيم وعداله الاسلام وسامحته وقيم ومبادئ الشريعة الإسلامية التى تضمن احترام حق حريه التدين وكرامه الإنسان وحريته ولهذا فإن المراد بما ذكر من تسليمهم الجزيه عن يد وهم صاغرون خضوعهم للسنه الاسلاميه والحكومه الاسلاميه العادله فى المجتمع الإسلامي فلا يكون منهم التطاول على دوله الاسلام او اشاعه مظاهر الفساد الذى بنظرهم أنه مباح مثل اكل لحم الخنزير شرب الخمر فيجب عدم اظهار مثل هذه الأعمال وانما يجب عليهم الخضوع لشريعه الاسلام اقصد بهذا القوانين التى تحكم الدوله الاسلاميه فلا يجوز مثلا فتح مصانع خمر أو المتاجره بالربا فهناك فرق بين حريه الدين وبين احترام النظام والقانون فالاخير هو المراد هنا بقوله وهم صاغرون...اي فليس لهم أن يتعرضوا على قوانين الاسلام التى تنظم أحوال الناس ولا معاونه أعداء الإسلام ولايقفون حجر عثره فى وجه الاسلام وتقدمه

ثانيا

تنتقل الآيات الى بيان جانب من اعتقادهم الفاسد الدال على شرك أهل الكتاب فقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون)

الأمر الأول

يحكي الله عن اليهود والنصارى أقوالهم الشنيعه الدال علي شرك أهل الكتاب فقال تعالي (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)

حيث أن اليهود بعد أن تعرضوا للأسر على يد بختنصر البابلي كان من دواعذلك فقدان الواح التوراه ونسيانها من الصدور وانقراض العلماء حتى ظهر عزير حفظ التوراه فكان من حب اليهود له أن زعموا أن جبريل علمه فقالوا إنه ابن الله وان لم تقل بذلك جميع اليهود وقد ذكر أن مجموعه من اليهود جاوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم سلام بن مشكم وسايس بن قيس واخرون فقالوا ذلك ...فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم إن كنتم تبجلون عزير أو تكرمونه لخدمته العظيمه تطلقون عليه هذا الاسم فعلام تسمون موسى وهو أعظم عندكم من عزير بهذا الاسم فلم يجدوا جوابا واطرحوا برؤوسهم

فهذا نوع من الشرك فى سلوك اليهود وان لم يكن معروفا عند نزول الايه لدى العوام لكن هذا مذهب بعض اليهود بدليل أنهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا الايه مع شده حرصهم على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فإن هذا القول ورد على سبيل الجنس الغالب

وكذلك فإن النصارى قد اشركوا لما زعموا أن المسيح هو ابن الله فإن عقيده اليهود والنصارى قد جعلوا لله أوصافا تشبه البشر ومن كان هذا قوله فمن الموكد أنه لايؤمن بالله الذي لايلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

الأمر الثاني

تبين الايه أن من تدبر ما ذكروه من قول يتبين له أنهم لم يقيموا حجه على قولهم الذى تنازعت فيه كلا الطائفتين بما وصفت به الخالق من أوصاف لايجوز إطلاقها على الخالق فقد وصفوا الخالق بمثل ما يوصف به المخلوق بدون دليل فقال تعالى (ذلك قولهم بافواههم) فهذا حال من يخرج عن الكتاب والسنه فليس معه علم لاعقلي ولا سمعي لاسيما فى هذا المطلوب الاعظم الذى لاتتوقف الفطره عن بحثها عن معبودها ومحبوبها ولهذا فإن الناس

يسلكون طرق متعدده للبحث عن الاله المعبود فهو معروف بالفطره العقليه وتظل هذه المعرفه ناقصه اذا لم تكمل بالوحى اضافه الى ماتتعرض له الفطره من غيار ينحرف بها خاصه عندما يسلك طريق التقليد المورث من البئيه حيث ادي الجهل الى عباده الأوثان والاصنام لدى الكثير من الامم نتيجه تعاقب الأجيال وانقطاع الرسل كما هو حال المشركين العرب والهنود والمصريين ولهذا يذم الله اليهود النصارى فقال تعالى(يضاهئون قول الذين كفروا من قبل)

اي يشبهون ويوافقون من سبقهم من أهل الكفر فى عباده الأوثان فشبه كفرهم بكفر الأمم الكافره قبلهم كما قال (وهم على آثارهم مهتدون)

ولهذا قال بعدها تعالى (قاتلهم الله انى يؤفكون) فيه دعاء عليهم بالهلاك لان القتل يعني الهلاك وقال ابن عباس اي لعنهم الله ومن لعنه الله فهو بمنزله المقتول الهالك

والافك بمعني الانصراف عن الشي الحق الواضح والابتعاد عنه الى الزور والبهتان والكذب والاستفهام للتعجب والإ نكار لأنهم أهل كتاب عندهم الدليل العقلي الفطري المفطور عليه الناس كلهم ولديهم الدليل السمعي الوحي المنزل على الرسل فهم كان بإمكانهم أن يكونوا معتقدين لعقائد صحيحه يعرفونها بالفطره العقليه وبما سمعوه من التوراه والإنجيل فقلوبهم يمكن أن تثبت ما تثبت وتنفي ما تنفي بنا ءا على هذه الفطره المكمله بالشرعيه المنزله لكنهم سلكوا طريق البدع والشبهات وليس فيها علم اصلا فكيف كان منهم الانصراف والابتعاد عن الحق الواضح الي الباطل بدون وجود داع لذلك فكان الاستفهام انى يؤفكون..فيه بيان أن هذا الطريق مخالف للعقل والشرع فهي مخالفه لما بعث به الرسل ولما فطر عليه العباد وأهلها من جنس الذين (قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) فالايه بيان لقوله تعالى (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق...الخ

ولهذا يخبرنا الله بعدها بأن هذا القول الفاسد الذى جعل كل طائفه تبين فساد قول الأخرى وفى كل قول من الفساد ما يوجب الامتناع من قبوله نتيجه أنهم وافقوا الأحبار والرهبان علي اصل قولهم ودينهم فحصل منهم الا نحراف فقال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله...الخ

ثالثا

تنتقل الايه من الشرك القولي الاعتقادي الى الشرك العملي فقال تعالى

(اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)

فالايه فيها الآتي

الأمر الأول

تبين الايه أن على المسلم الالتزام بأن تكون جميع الطاعات للرؤوساء فى إطار طاعه الله فلا يحق للمسلم طاعه انسان بخلاف ما أمر الله به لأن ذلك مساوا للعباده فالطاعه لاتكون فى مخالفه أمر الله مهما كانت قوه هذا المطاع ومنزلته ومكانته ولهذا تذم الايه اليهود والنصارى بأنهم اتخذوا علماءهم اربابا من دون الله ...مع انهم لم يصلوا لهم ولاصاموا كما ورد في حديث عدي بن حاتم قال أتيت الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عنقي صليب من ذهب فقال ساعدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سوره براءه هذه الايه (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم)

فلما فرغ منها قلت له أنا لسنا نعبدهم فقال أليسوا يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله ...قال قلت بلي قال فتلك عبادتهم)

الأمر الثاني

أن اللازم على المسلم أن لايقبل كل قانون يخالف شرع الله وان ينكر ذلك أما بيده أو بلسانه أو بقلبه لان القبول بتشريعات البشر عباده لهم فالطاعه للإنسان بدون قيد أو شرط كالعباده لغير الله لان الرب هو المطاع من غير قيد أو شرط فهو المعبود وحده لا شريك ويدل علي هذا قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا)

اي وما أمروا الا ليتخذوا ربا واحدا ولهذا كان طاعه اليهود والنصارى لاحبارهم طاعه مطلقه اتخاذهم اربابا وعباده لهم من دون الله لان من ترك عباده الله بما أمر واتبع هواه أو هوى الرؤساء والقاده فهو مشرك بالله فالتقنين أمر اختص الله به نفسه فلايجوز لأحد أن يجعل لنفسه أو غيره قانون يحكم أوضاعهم ويترك شرع الله

الأمر الثالث

لماذا ذكر أنهم اتخذوا عيسي ابن مريم ربا من دون الله ولم يذكر أن اليهود اتخذوا عزير فهل هذا حكم خاص بـ النصارى اي ماورد في الايه ؟

الجواب الايه جمعت اليهود والنصارى فى مساله اتخاذ الأحبار والرهبان اربابا فهذه صفه مشتركه بينهم وافردات النصارى بأنهم اضافه الى اتخاذهم الأحبار والرهبان اربابا من دون الله اتخذوا عيسي معبودا من دون الله ولم تذكر عزير لان اليهود قالوا (عزير ابن الله) ولم يعبدوه ولم يفعلوا كما فعلت النصارى فقد قالت المسيح ابن الله وعبدته

فاليهود لم تشرك مثل النصارى لكنهم لم يعبدوا الله وقد استكبروا عن عبادته وعطلوا الصفات وعبدوا الشيطان و الطاغوت وهم عابدون الشيطان لأنهم عطلوا شرع الله وكان منهم طاعه الأحبار والرهبان فكانت تلك الطاعه مع عدم عبادتهم لله هي عباده منهم لمجموع من الالهه وليس لله وحده فالطاعه المطلقه للبشر نوع من أنواع العباده والشرك بالله فهم يعبدون الله وغيره فمعبودهم المجموع وهذا شرك والحق أمر بعباده الله وحده لا شريك له وقد قصر العباده عليه سبحانه وتعالى فقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا اله الا هو)

فأراد بقصر العباده هنا قصر العباده بمعناها المتعارف عليه لله تعالى وكذلك اريد قصر الطاعه له سبحانه وتعالى لا ن عدم القصر يعني عباده المجموع والله يقول في الحديث القدسي انا اغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا وأشرك فيه غيري فأنا منه برئ ...الخ

ولهذا تختم الايه بتنزيه الله عن ذلك الشرك فقال تعالى (سبحانه عما يشركون)

رابعا

(يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

الايه تهدف الى تحريض المؤمنين على قتال أهل الكتاب ولهذا نجد الايه تضمنت الآتي

الأمر الأول

تهدف الايه الى أن تعرف ايه المسلم فى كل زمان ومكان الى قيام الساعه طبيعه المعركه مع .هذا العدو (أهل الكتاب)فعليك أن تفهم ان أهل الكتاب لايقفون عند حد الانحراف عن دين الحق وخروجهم عن دائره الايمان الى الباطل والشرك بل هم محاربون للإسلام وهم يسعون الى إطفاء انوار الحق فقال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور

الله بافواههم) وهذا فيه

المفهوم الاول

عليك ايه المسلم ان تكون مستيقظا من محاولاتهم النيل من دنيك وعقيدتك بدرجه اساسيه فالمعركه مع هذا العدو لن تقف عند حد القتال بالسيف فهم إن استطاعوا هزيمه المسلم عسكريا سوف يلجأون الى الاستيلاء على مركز القرار فى الامه حتي يلحقوا بالامه الهزيمه الفكريه حتي يجعل المسلم يعيش بثوابت واصوال غير ثوابت ا لاسلام وهذا ماحدث فعلا بعد حصول الاستعمار لامه الاسلام صحيح أن القرآن ما زال يتلى والمساجد تمتلئ ب المصلين ومازال المسلمون يودون فريضه الحج وصيام شهر رمضان صحيح أن هنالك مليارين بطاقه شخصيه حول العالم مكتوب عليها فى خانه الديانه مسلم لكن دون أن يكون لهم دور فى اداره العالم ليس لهم كلمه ولا شرف لماذا لأنهم تخلوا عن الجهاد ولأنهم انقسموا الى جماعات متفرقه منحرفه عن الإسلام امه لاتستطيع أن تحول معتقداتها الى واقع حياه بل أصبح المسلم يقعد فى مقاعد التلاميذ فى حين يكون الكافر هو المعلم للاسف الشديد

لقد أصبحت الشخصيه الاسلاميه قابله للامتلاء بالخرافات والأوهام وتحول الدين الى عقيده بعيده عن التوحيد تم تقليد الغرب بفصل الدين عن الدوله غزت الشبهات والشهوات عقول ونفوس الكثيرون من ابناء الامه الاسلاميه ابتعدت عن منهج الله وهذا كله عندما ترك الناس دين الله وتركوا الجهاد

المفهوم الثاني

عليك ان تدرك أن لديك سلاح عظيم أن تمسكت به فإنه قادر على تبديد الظلام الذى يحاول الاعداء احاطه الامه به من كل جانب سواء بالفتن أو اثاره الشبهات أو بالقتال لاجل اجتثاث العزائم والهمم والمدركات يريدون أن تعيش فى إحباط تتخبط فى ظلمات الشك والحيره والعجز والضعف إن استطاعوا إطفاء النور الذى يضى لك الطريق ويرشدك الى سبل النجاه والسلامه والفوز والنجاح فعليك أن تعتصم بحبل الله وتتمسك بدينك فإن محاو لات الاعداء لاتجدى نفعا أن انت تمسكت بدينك وكتاب الله وسنه رسوله فمحاولاتهم ضعيفه فهم ينفخون بافواههم انوار الله العظيمه ويتصورون أنهم بذلك قادرون على إطفاء انوار الحق بافواههم (النفخ) فقال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم) فاستخدم للتعبير عن تلك المحاولات أنها نفخ بالافواه وهذا فيه تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لان التوسل بالفم لإخماد الانوار أمر صعب فذلك إنما يؤثر فى الانوار البسيطة دون الا قباس العظيمه ولهذا جاء تشبيه حال الكفار بالنفخ بآلافواه وهم يحاولون أطفأ انوار عظيمه فيه تصوير مشهد مضحك لمحاولاتهم اليائسه

وكذلك فإن هذا التعبير فيه الايماء الى اسلوب الحرب الناعمه التى يلجأ إليها هولاء فى محاولاتهم القضاء على الا سلام ودولته وقوته لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لتنقض عري الاسلام عروه عروه كلما نقضت عروه تشبث الناس بالتي تليها اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه)

ولهذا انشاءات مراكز دراسات للعلوم الإسلامية فى دول الغرب لهدم الدين ولأجل الاستيلاء على مركز القرار ونشر الاستعمار القوميات والمذاهب والأحزاب المتناحره داخل الامه الاسلاميه واستطاع الغرب أن يسلب الامه هويتها وكرامتها بهذه الوسيلة

المفهوم الثالث

تبين الايه أن اللازم أن يكون الاسلام (الكتاب والسنه) هو المحرك للمسلم وفاعليته فى جميع جوانب الحياه فأنت ملزم أن تقوم بالعمران والتحسين على الارض وحمايه الحق والدفاع عن القيم والمبادئ ولما كانت الحركه تتطلب النور حتى يتحرك الإنسان وهو يدرى أن يضع خطواته التى يخطوها لبناء مجتمع إنساني متكامل يخبرنا الله أنه

تعالى قد أنعم علينا بنعمه عظيمه فيها الانوار العظيمه التى تجعلك عالما بنهايه كل حركه وخطوه تخطوها فعليك اصطحاب هدايه الوحى كبوصله ودليل هدايه حتى لاتضل الطريق وحتى لاتتخبط فى جنح الظلام وعليك أن تحذر محاولات الاعداء التى تستهدف هذه الانوار لان اهل الشر لايعيشون الا فى الظلام فقال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم) وقال في سوره الصف (يريدون ليطفئوا) والفرق بينهما أنه فى سوره الصف فيها تصوير محاوله الكفار البائسه لإطفاء نور الله بالتوسل بالمقدمات وفى هذه السوره تصور المحاوله بدون مقدمه فأراد بهذا بيان أنهم لن يستطيعوا ذلك سواء توسلوا بالاسباب ام لم يتوسلوا فإن نهايه محاولاتهم الهزيمه و الخسران

الأمر الثاني

تأتى الايه بالوعد للمسلمين بتحقيق الله لهم النصر فى المعركه مع أهل الباطل أن تمسكوا بدينه فقال تعالى (ويابى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

فالايه تهدف بهذا التطمئن للمسلمين أن تدفعهم الى حمل الامانه والتمسك بمنهج الله فهو سبحانه لن يسمح للأ عداء باطفاء انور ه فعليكم الثقه بالله بأنه سوف يظهر الإسلام والقرآن على التمام ولهذا استعمل (يابى) واصل الآباء المنع والامتناع دون الكراهيه علي ما ادعته المجبره ولهذا تقول العرب فلان يابى الضيم وهو ابى الضيم ولا مدحه في كراهيه الظيم لان ذلك يستوي فيه الضعيف والقوي وانما المدحه في الامتناع والمنع عنه ولهذا لابد أن تكون ابى الظيم في المنع منه والامتناع عن فعله

فكان هذا الوعد من الله للمؤمنين فى التعبير عن منعه محاولات المس بدينه حتي لو كره الكافرون مدعاه لا طمئنان المسلمين بأن المستقبل لهم فالله ناصرهم وبالتالي فإن هذا يدفعهم الى الصمود والثبات

خامسا

تستمر الايه فى نقل تأييد الله لرسوله واولياءه فقال تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

يقول الله لك ايه المسلم لماذا تتردد فى مقاومه الظلم وأهل الكفر لماذا تتردد فى نشر دين الله ودعوه الناس للإ يمان بما فيه لماذا تتردد فى حمل السلاح للدفاع عن دين الله إذا استدعت الحاجة ذلك هل تخاف الهزيمه ام ماذا هل تخاف الحضاره الماديه مثلا فأنت لو وقفت مع نفسك وسألتها من الذى ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباده الله ومعرفته ومحبته وحده لا شريك له أليس الله تعالى ؟

اذا كان الجواب حتما هو أن الله ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل منهج الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها فما الذى يجعلك تتردد أو تتحرك حركه المرتعش لاتخاف من غضب أهل الكفر ورده فعلهم لاتخشي قوه امريكا واسرائيل وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا والبرتغال فأنت تحمل دين الحق ولابد أن ينصر الله دينه هكذا ينبغي أن تكون عقيده المسلم ومعنوياته انظر الى أهل فلسطين أنهم لايملكون سلا ح يمكن أن يقف أمام قوى الاستكبار من حيث النظره الماديه أكثر ما يملكونه هو البندقية فى الوقت الراهن وقبل ذلك لم يكونوا يملكون سوى الحجاره فهل خافوا من غضب اسرائيل وبطشها هي وقوى الاستكبار العالمي التى تملك السلاح النووي والكيماوي يملكون القنابل والطائرات الحربية والعتاد والأموال والاقمار الصناعية...؟

لقد شاهدنا صمود الشعب الفلسطيني بعقيده المؤمن بالله عقيده المجاهد الذى يؤمن بنصر الله وان المستقبل للإ سلام لان الله يقف مع أولياءه يقف مع من يحمل دينه ويقاتل أعداء دين الله فمن تكون امريكا واسرائيل وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا والبرتغال...أمام قوه الله هل يترك الله دينه بلا نصره أمام أعداءه من المؤكد أن الله لابد أن ينصر دينه فهو يقول فى موضع آخر (ينصر رسله والذين آمنوا فى الحياه الدنيا)

فأنت مؤيد بنصر الله فكيف تخاف وهو تعالى يجزئ الإنسان من جنس عمله فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فمن قدح فيهم ونسب لما يقولونه ابى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلي فى عقله وعلمه وظهر من جهله ما عواقب به فقارون وفرعون وهامان لما تعمدوا التطاول على موسي واتهموه بالكذب والسحر وأنه عاجز عن الكلام فقالوا (ام انا خير من الذي هو مهين ولايكاد يبين)

فقد اهلك الله فرعون وأظهر كذبه واذله غايه الإذلال واعجزه عن الكلام النافع وهكذا الجزء من جنس العمل فمن اغتر بقوته وبطشه عوقب من جنس عمله

فالله ارسل رسوله حاملا القران الكريم الذي فيه الحجه والبرهان الداله علي صدق دعوته ويحمل المنهج الذى فيه جميع الشرائع السماوية النافعه لجميع شوون الحياه لاجل أن يظهر الحق ويزهق الباطل يظهره بالغلبه على كل مادونه بظهور الحجه فلن يستطيع الاعداء إطفاء انوار الله فلابد أن يظهر ويغلب كل ما سواه ولو كره المشركون ظهور الدين وهذا واضح فى هذا العصر حيث أصبح الغرب وأهل الكفر كلما اكتشفوا شي من العلوم بعد بذلهم جهود جباره يسعون من خلالها الى ابهار العالم بما توصلوا إليه من اكتشاف يجدون أن القرآن قد سبقهم فى الاخبار عن هذه الاكتشافات بالف وأربعمائة سنه مما يزيد من ظهور الإسلام وتحقيق وعد الله بنصره دينه ويزيد من ثقه المؤمن بدينه فلا ينبهر بالحضاره الماديه وجميع الحركات المضاده للإسلام لن تنجح بالنيل من الإسلام وهي مهزومه

سادسا

تبين الآيات أوصاف العلماء والعباد من أهل الكتاب وادراتهم للأموال فقال تعالي

(يايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

المبحث الأول

تنقل الايه لنا واقع اغلب الأحبار والرهبان بأنهم يقيمون حياتهم علي التعلق بالمصلحه والماده وهم يضحون بالقيم والمبادئ مقابل الماده فقال تعالى(يايها الذين آمنوا إن كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

والايه فيها الآتي

الأمر الأول

التحذير من سلوك علماء السوء وأهل السلطه الذين يقدمهم الناس ويرفعون مكانتهم فوق ما يستحقون و التبيجيل المبالغ لهم بالنظر إليهم أنهم معصومون فإن ذلك مدعاه لفسادهم ولهذا تحكى لنا الآيات فى النداء حال ا لأحبار الذين هم علماء اليهود والرهبان الذين هم مجتهدوا النصارى فى العباده بأنهم قد انحرفوا عن الحق واتخذوا من الدين وسيله يتاجرون بها للاستيلاء والاستحواذ على أموال الناس بالباطل ولهذا فقد كانوا يأخذون الرشوه مقابل الفتاوى الفاسده والتحريف لدين الله وتحول الدين من رحمه للناس الى وسيله لمنع الناس من السير فى طريق الله المستقيم حيث أنهم أصبحوا يحاربون ويمنعون الناس من الأخذ بالحق ومنعهم من السير فى طريق الحق لأنهم أصبحوا ينظرون للحق عدوا سوف يسلبهم سلطتهم التى صنعوها ونسبوها كذبا الى الله فقالوا (هذه من عند الله)

لقد حولوا الدين الى خرافه لتخويف الناس من كل شي وجعلوا من أنفسهم الوسيله الوحيده لتخليص البشر من

تلك المخاوف ولهذا فرضوا على الناس اتاوت وأموال مقابل تخليص الناس من الالم ببيع صكوك الغفران ولأجل التوسط لدي الرب لرفع العذاب عنهم وقبول توبتهم ولهذا فهم يخافون من ظهور نور الاسلام الذى يفتح اعين الناس وعقولهم ويزيل عنهم ظلمات الجهل والخوف والشرك والكفر ويعتبرونه عدوا يهدد مصالحهم ولهذا فهم يعملون جاهدين لصد الناس عن الدخول في الإسلام

الأمر الثاني

ماهو المراد بالمال ؟ ولماذا خصه بذم العلماء والرهبان بأنهم ياكلون أموال الناس بالباطل ؟

سمي المال بهذا الاسم لان النفس تميل إليه وترغب فيه والمال مفهوم اشمل من النقود والمال كل ما يمكن الا نتفاع به وبيعه وشراءه سواء كان ذهبا أو فضه أو منفعه فهو اشمل من النقود فكل نقد مال وليس كل مال نقد والناس يحتاجون الى المال لاجل العيش والحاجه الى التكامل وتبادل المنافع ولهذا فإن الناس ينقسمون فى موضوع الحصول على المال ووسائل تحقيقه الى فريقين يختلفون تمام الاختلاف بشأنه تبعا للمنطلق الذى ينطلقون منه في نظرتهم للمال ..وطريق الحصول عليه

فالفريق الاول :ـ

هم الذين ينظرون للمال وسيله لإعمار الأرض والقيام بأمر الله فى الخلافه على الارض بالعمران والتحسين وفقا لمنهج الله ينظرون للمال أنه مال الله وان الإنسان مستخلف على هذا المال وسوف يحاسب عليه كيف اكتسبه وفيما أنفقه ولهذا فهو يتحرى كسبه عن طريق الحلال المباح

أما الفريق الثاني:ـ

فهو يجعل من المال غايه حياته وهدفها ولهذا فهو يصير معبودا اي المال من دون الله

ولهذا فإن صاحبها يسعي الى كسب المال باي وسيله كانت دون النظر الى المصدر الذى يكسبه هل هو حلال ام حرام وبالتالي فلا يتردد صاحبه من التفريط بالقيم والمبادئ والمثل العليا والأخلاق الفاضلة مقابل كسب المال ولهذا ينتشر بين عناصر هذا الفريق الغش والكذب والتدليس والخداع فى سبيل الحصول على المال لايتورع صاحبه من

استخدام كل ما يتمتع به من قوه ونفوذ من اجل جمع المال وتحسين مستوى دخله دون الاكتراث بالمبادئ و القيم دون النظر لمصدره هل هو حلال أو حرام ولهذا يحدث الانحطاط فى القيم والمبادئ خاصه اذا انحرف العلماء وأصحاب الكلمه المسموعه والمثقفين والنخبه لأنهم القدوه التى يتاسى بها الناس ويطيعونهم ظنا منهم أنهم معصومون وأنهم يرشدونهم الى السعاده والنجاح والفلاح بينما هم يغشون الرعيه ويستغلون تلك الثقه لاجل الحصول على المكاسب المحرمة ويقومون بتطويع الدين لاجل كسب المال الذى جعلوه هدفا لحياتهم ولهذا يلجأون الى نزيف الحقيقه لكي يتلبس على الناس الحق ومحاربه الدين ولهذا قال تعالى (يايها الذين آمنوا إن كثير من الأحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن من أكل أموال الناس بالباطل لابد أن يوجد منه صد عن سبيل الله وخداع ودجل وكذب فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسى كافرا أو يمسى مومنا ويصبح كافرا يبيع (أحدهم) دينه بعرض من الدنيا قليل)

ويقول بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون الافقرا منسيا أو غني مطغيا أو مرضا مفيدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر ...الخ

فالأمر بالمبادرة اي المسارعه بالأعمال الصالحة يعود الى وجود خطر خفى قد لايدركه الإنسان يشير إلى أن سياسيه الشيطان وأتباعه أنهم يسعون الى تجويع الشعوب حتى يملكون رقابهم وحاضرهم ومستقبلهم من خلا ل تجريعهم عضه الفقر المنسي والغني المطغي فهذه هي سياسيه أعوان الشيطان والدجال الاعور الذى يري مصلحته ولايري مصلحتك والدجل يعني تزيف الحقائق وهم يستخدمون المال وسيله للسيطرة على الشعوب والإ سلام تحت شعار الزمن زمن المصالح ولهذا يحذر القران المسلمين من هذه المهالك بكلمات وجيزه عميقه المعاني كثيره المفاهيم حيث أن الفقر المنسي الذى تعيشه الشعوب الواقعه فى دوامه الرأسمالية والاشتراكية وبنك النقد الدولي التى تسعي من خلال التوليفات الاقتصادية أن تنسي الشعوب قواعد الادب والقيم الدينية من اجل لقمه العيش وفى سبيل تحصيلها حيث يضطر الكثيرون الى استخدام الحيل لاجل كسب لقمه العيش يضطر الى أخذ الرشاوي وخيانه الامانه تتسع العلاقات للغدر والكذب والخيانات ولهذا ليس غريبا أن تجد الفقراء من هذه الشعوب من يدافع عن النظريه الرأسمالية والشيوعيه وكأنها من مله الاسلام نتيجه الفقر المنسي

وكذلك فإن الغني المطغي القائم على نهب ثروات الشعوب واقامه المشروعات الغير نافعه والتى تهدف الى تدمير القيم والأخلاق والآداب والمبادئ مشاريع اللهو والغناء وأثاره الشهوات بدل الاستثمار فى مجال الصناعات والحرف والزراعه وكافه انواع الانفاق الاستثماري كل هذه السياسة تهدف الى قتل المبادي وابقاء المجتمعات تحت هيمنه الاستعمار لانه لو انشئت مشاريع زراعيه انتاجيه فإن ذلك سوف يحقق الاكتفاء الذاتى والاستغناء عن خدمات الاستعمار وهكذا ولهذا فإن من أكل أموال الناس بالباطل لابد أن يحارب الدين والتدين

المفهوم الثاني

أن على المسلم أن يدرك أن الرجوله ليس فى اكتساب المال الكثير بأي طريقة كانت وانما الرجوله تكون فى الحفاظ علي القيم والمبادئ والتضحيه بالمال والنفس للدفاع عن القيم والمبادئ فالرجوله هو فى الاستقامه على منهج الله فالمسلم مطالب بتحرى الحلال فى كل علاقه مع الاخرين وفى كسب المال يتحرى أن لاياكل اي شي حرام

الأمر الثالث

ينقل لنا القرآن حال الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى فى إطار الحديث عن قبائحهم والحاجه الى قتالهم حتى يعطوا الجزيه عن يد وهم صاغرون بهذا النقل الرائع المنصف فقال تعالى (يايها الذين آمنوا إن كثير من ا لأحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل)

فالقران كما أنه جاء فيه التكاليف للعباد ومافيه من وظائف متعدده فإنه وثيقه شرعيه لعرض وحفظ ماسارت عليه الأمم والشعوب من الخير أو الشر فالايات تعطي المؤمنين صوره كامله عن هولاء الذين سوف يصبحون جزء من مكونات المجتمع المسلم باعتبارهم أهل الذمه فأراد الحق بهذا

المفهوم الاول

أن يعطينا صوره كامله عن هذا الواقع الذى نعيشه والتحول الذى انتقلت إليه امه الاسلام فالامه تحتاج الى معرفه فقه التحولات لمواجهه تلك المتغيرات فى حياتها سواء فى مرحله البناء أو الارتقاء والنهوض ولهذا فإن هذه المعرفه التى تحتوي عليه النصوص فى كتاب الله وسنة رسوله هي أساس بناء ذات الامه وعلاقاتها مع الا

اخرين من خلال القراءه الصحيحه والسليمه لها وحسن انزالها علي الواقع وكم نحن اليوم بحاجه الي قراءه النصوص والدراسه الواعيه للخروج بما يجدد لنا المعاني والمفاهيم فقد أخبرنا الله بحال هذه الأمم لنحذر الوقوع فيما وقعوا فيه من جهه لان فساد الامه بانحراف الائمه المضلين.كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم إني لا اخاف على أمتى الا الائمه المضلين)

فهم أهل الفتن فى كل زمان فقد ورد في صحيح مسلم يكون فى اخر الزمان دجالون كذبون ياتونكم من الأ حاديث بما لم تسمعوا ...الخ

المفهوم الثاني

للتحذير من الانحرافات التى وقع فيها علماء اليهود ورهبان النصارى فمن جعل المال هدفه وغايه حياته فانه يصبح محاربا لدين الله تعالى (لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

فجاء التعبير بالاكل بناء على أن الاكل هو غرض معظم عند من يتصرف بالمال وتقبيحا لحالهم ليحصل التنفير من ذلك السلوك لدى السامعين فعليك أن تحرص على أن يكون رزقك واكلك حلال تحرى ذلك فى كل حركه تتحركها

الأمر الرابع

أن من الملاحظ فى الايه إسناد الجريمه الشنيعه فى الانحراف واكل أموال الناس بالباطل وصد سبيل الحق جاء إسنادها الى أغلبهم وليس الى كلهم فقال تعالي (أن كثيرا من الأحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل) وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

يعلمنا القران الكريم الموضوعيه فى قراءه النصوص وقراءه تاريخ الشعوب ودراستها وفى التعامل مع الاخرين ويدعونا الى ترك اسلوب التعميم الذى يسلكه الحمقى من الناس الذى اذا حصل له مضايقه من أحد من الناس فى منطقه أو زمان فإنه يطلق عبارات الذم على جميع أهل تلك القريه أو الطائفه لمجرد الانزعاج من موقف ما فيقول كلهم كذبون وغشاشون وخونه فهذا القول تعميم لايستقيم والدور المناط بأمه الشهاده التى تتصف بـ الوسيطيه والاعتدال الذى يلزم المسلم أن يكون راقيا فى تعامله وموضوعيا ومنصفا فى حديثه وخطابه يختار عباراته ويجعلها راقيه موضوعيه يخاف أن يسقط من عين الله

بل إن من من شروط حسن قراءه ودراسه التراث والنصوص فى الكتاب والسنة للوصول الى ثمرات تلك العلوم وحسن النظر هو إرجاعها الى اصوالها عند النزول وكذلك الابتعاد عن اسلوب التعميم لان ذلك من عوامل التجنى على التاريخ وهو سبب التخلف الذى تعيشه الامه اليوم حيث سيطر على أبناءها التعصب والأحقاد وضياع الحقيقه بين ركام الأقلام والكتب التى امتلأت بالاغواش والتفرعات والجزئيات والأحكام العموميه على مرحله أو جماعه أو طائفه بأنها سبب كل المخرجات السلبيه التى تعيشها الامه كما نلاحظ عند قراءه تلك الكتب نجد هنالك من يرمى بالاخطاء كلها على بنى اميه مثلا وفى المقابل نري هناك من يلقي الأحكام جزافا بتكفير الشيعه أو غيرها من الجماعات وأنها هي سبب ماهي عليها الامه من الضعف والهون وبالتالي إذا أردنا الخروج من هذه الدائرة فعلينا أن نترك اسلوب التعميم وان نتحلي بالموضوعية فى الحوار الذى يجب أن نتحلي به ليحصل التقارب بيننا فهذا هو السبيل الوحيد لخروج الامه من أزمتها وحتى تستعيد دورها ومكانتها وفاعليتها باعتبارها امه الشهاده

المفهوم الثاني

اعلم أن من صفات الحق الثبات والنماء وان الباطل يعني الزوال والعبث والاضطراب

ولهذا فإن المال الحلال ينمو ويكبر ويثبت أما المال الحرام المأخوذ بالباطل فإنه يزول ويضيع مهما كان حجم الثروه فإنها تضيع ولهذا فإن الذى يستعمل الغش والخداع لكسب المال عليه أن يدرك أنه ماله مهدد بالزوال و الضياع فلا يتصور نفسه ذكي أن فعل ذلك فمن أراد أن يكبر ماله فعليه أن يتحرى الخير وان يكسب ماله بالحلا ل

المفهوم الثالث

أن النظام الاقتصادي الذى جاءت به الأديان كلها جاء مرتبط بمفهوم العداله الاجتماعيه الذى يمنع استغلال الإ نسان لأخيه الإنسان ولهذا فإن اللازم أن يكون تبادل المنافع قائما على اساس النظر فى هذه المنفعه هل بنيت على منفعه حلال ام حرام فإذا كانت حلال فإن المقابل المال المأخوذ الذى يتقضاه يكون قد أخذه على وجه الحق أما إذا كانت المنفعه التى تحصل عليها المال أو نحوه هو مقابل منفعه مبينه على مضر ه فإن هذا المال حرام ومن صور الباطل المهدد بالزوال فعملك نوع من العبث يجب أن تحذر القيام به فالسارق مثلا يحصل على منفعه (المال المسروق) مبينه على مضره بالمسروق صاحب المال فإن هذه المنفعه محرمه لأنها مبينه على مضره فهذه هي نظريه الاسلام للنظام الاقتصادي بأنه يقوم على تبادل المنافع من مصادر حلال ولهذا جاء إسناد جريمه أكل أموال الناس بالباطل والصد عن السبيل الى الاغلبيه منهم وليس كلهم لتفهم أن نظام الطبقات التى تشكل النظام اليهودي والمسيحي بتقسيم الناس الى فقراء واغنياء طبقه الساده والعبيد هذه ليس لها أصل فى الأديان بل هي من الاباطيل التى صنعها الأقوياء الظالمون الاحتكاريون لتكون حواجز تمنع كسر النظام الاقتصادي و السياسي الظالم والجامد المتسلط على رقاب اغلبيه الناس فهم يهدفون من ذلك فرض بقاء الظلم فهو من صور الباطل الذى يعني العبث والاضطراب وليس له أصل فى الأديان لان الأديان كلها قفزات نحو الأمام والتقدم والا زدهار وليست قهقره الى الوراء والتخلف فهذه هي مسيره الأديان (الحق) لولا أن حرفها المغرضون واحالوها الى ادوات خداع وتضليل واستغلال الجماهير فعرقلوا مسيره الأديان نحو العداله والمساواة والتقدم والرفاهية حيث ادي ذلك الى تسلط طبقه على الناس أدخلت البشريه بعهود ظلامها دامس توقفت فيها عقارب التقدم وتبددت خلا لها عبقريات المصلحين فذلت هامات المفكرين تحت سيوف الكهنه والجلادين الذين تستروا بأصوات الماذن واجراس الكنائس لاستغلال الناس بالباطل حيث باعوا الاوهام والخرافات للناس مقابل أموال طائلة فالقوا بجماهير الشعوب فى طواحين الحكام والاقطاعيين باسم الله وصكوك الغفران ولهذا لابد من التعاون لاجل القضاء على هذه الانظمه التى أصبحت تخدم المشروع الابليسي فلا يمكن التغيير الا بالقوه التى ترغم هذه السلطه على التخلى عن فكره الظلم والاستبداد للشعوب لابد من قهر هذه السلطه الجامده والظالمه واستبداله بنظام الحق والعدل والمساواة الذى يحترم حقوق الإنسان

الامر الخامس

تبين الايه أن المسلم عندما يتحرك لكسب المال الحلال فإنه ينطلق بحسب قدرته على الكسب وليس بحسب حاجاته لماذا ؟

لان المسلم مكلف بازاله الفوارق الناتجه عن التقدم والتطور والحضاره فقد كان انتقال الإنسان من الزراعه الى التجاره والصناعه ظهور الفوراق لان التطور والتقدم والازدهار والحضاره تودي الى مزيد من التخصص ومزيد من تقسيم العمل والإنتاج وذلك ما ينتج عنه ظهور الفوراق الطبقيه بحسب كفاءتهم وتخصصاتهم ومثابرتهم حيث نجد أن أي مشروع فيه طبقات عمال مختلفه فعندما تبنى مشروع فأنت تحتاج الى. المهندس والعامل والمقاول تحتاج الى الممول صاحب راس المال وهكذا تختلف اجره المهندس عن العامل مستحيل أن يتساوى فى الاجره فلا يمكن أن يتساوى ما يتقاضاه الدكتور الجامعي من أجره مع عامل التنظيف فلابد من التفاوت فى الاجره ولهذا فإن هناك تفاوت فى القدره على كسب المال الحلال ولهذا كلف الاسلام القادر على الكسب الكثير والفائض

على حاجاته أن يتحرك لكسب المال الحلال بحسب قدرته لا من حيث حاجاته للمشاركه فى معالجه التخلف الناتج عن الفوراق الطبقيه نتيجه الكسب لمن يعجز عن كسب ما يسد حاجاته لتقريب المسافه بين الأغنياء و الفقراء فى إطار العداله الاجتماعيه وتكافؤ الفرص من خلال إلزام من يقدر على الكسب الكثير برفع معاناه غيره من ا الفقراء والغير قادرين على الكسب بإنفاق مازاد عن حاجاته فى سبيل الله من خلال النفقات الخيريه مثل الزكاه والصدقات لمن لاقدره له علي الكسب وكذلك وضع المخططات التى تمنح الفقراء والغير قادرين على الكسب القدره على الكسب وتحسين مستوى دخله فى ظل نظام العدالة والمساواة وتكافو الفرص هذا النظام الذى يقوم على تكافو الفرص والاشتراك فى تأسيس دوله العداله وتكافو الفرص ولهذا فإن الطبقه الظالمه المستفيدة من بقاء المستضعفين تحت سلطانها تحاول منع انظمام اراده الاغلبيه الساحقه من المظلومين فى الا نصهار فى تجمع الحق الذى يسير فى طريق الله المستقيم كي تحافظ على بقاء نظامها الظالم فالإسلام لم يدعوا المستضعفين الى اقامه ديكتاتورية بعد النصر كما أقامت الاشتراكيه فكرتها بل دعا الى اقامه نظام سياسي واقتصادي واجتماعي تسوده الاخوه والعداله وتكافو الفرص ثم جاء بقواعد ينظم احوال مكونات المجتمع المسلم للتضامن بالجهاد من أجل القضاء على الظلم والاستبداد للشعوب والاشتراك فى تأسيس دوله العداله وتكافو الفرص والحصول على فرص متكافئة كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده فيصل الى المكان السياسي والا قتصادي المتناسب مع هذه المواهب والجهود فى إطار التكامل بين هذه المكونات فصاحب راس المال يقدم ماعنده للمساهمه فى بناء دوله العداله وتكافو الفرص من خلال بناء المشاريع الاستثمارية وعلى الفقراء أن يعملوا بجد ومثابره فالباب مفتوح للنبوغ والعبقريه والتفوق والإيجابية البناءه فكل مجتهد يأخذ نصيبه فلا يسمح الاسلام بالتصادم بين مكونات المجتمع ولا الاستغلال لان التطور يحتاج الى مواطنين ذوي كفاءه والى جهود بناءه متناسقه ومتكامله ومتعاونه ومنسجمه فى إطار من التراحم والتآخي بين أفراد المجتمع فلا يسمح الاسلام باقامه ديكتاتورية من الفقراء ولا نظام استبدادي من الأغنياء بل يقيم دوله العداله وتكافو الفرص للجميع ولهذا تأتي الايه بعد ذكر حال أهل الكتاب وفسادهم بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

المبحث الثاني

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

(فى من نزلت الايه)

حيث ذهب البعض للقول إن الايه خص بها اهل الكتاب الذين كانوا يأخذون الرشاوي كما ورد عن معاويه وقال الضحاك والسدى أنها نزلت فى أهل القبله اي المسلمين الذين لم يودوا حقه بالزكاه وان هذا هو الكنز المذموم

وقال أبو ذر المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين لانه لو أراد أهل الكتاب خاصه لقال (ويكنزون) بغير الا سم الموصول (والذين)

فلما قال (والذين) فقد استناف معني اخر فهو عطف جمله على جمله وهذا القول هو الأرجح

لان الآيات تتحدث عن الاستثمار ولايقصد بها الزكاه وهذا يصح أن يخاطب فيه المسلمين وغير هم من الأقليات داخل الدوله الاسلاميه حيث أن الدوله لها حق منع الاحتكار الذى يرهق المجتمع ويعوق تقدمه فهذا الاستثناء الممنوح للدوله التدخل فيه لمنع الاستغلال الذى يعيق تطور المجتمع وتنميته أمر يسمح للدوله صياغه قوانين

وتشريعات تلزم جميع مكونات الدوله الاسلاميه أهل المله وأهل الذمه ولهذا فهم مخاطبون بهذه التشريعات و الفرق بينهم وبين المسلمين أن المسلم يجد فى التوجيه قوه الزم تسد الثغرات التى لاتصل إليها القوانين و اللوائح الوضعيه بينما أهل الذمه لايلتزمون فى حاله وجود امكانيه لديهم للافلات من العقاب

الأمر الثاني

ما هو المراد بالكنز هنا ومتى يكون الكنز محرم ؟

الكنز يعني وضع الشي فوقه بعضه البعض وادخر المال وكنزه هكذا عرفه البعض

حيث نظروا الى المراد بالكنز المحروم هو الذي يدخر ولايودي حقه من الزكاه أما إذا أتيت حقه فلك أن تدخر ما شئت ولو أخذنا بهذا الرأي فمعني هذا أن أهل الكتاب غير معنيين بالايه لأنهم غير مكلفون بأداء الزكاه حتى لو أخذنا بقول السدى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعه فإن هذا القول غير منطقي لان الزكاه من اصوال الاسلام وأداء الزكاه تتطلب اربعه شروط (الاسلام والحريه والنصاب والحول)

فكيف يقال أنها تخاطب الكفار فهل معني هذا أن الزكاه واجبه عليهم فهذا القول لايستقيم وشروط الزكاه

فليس هذا هو المراد بالكنز فى هذه الايه كما سنوضح تبعا وانما الإشكال الذى وقع فيه المفسرون يعود الى اساءه تنزيل النصوص على الواقعه وعدم قدرتهم على وضع النقاط على الحروف بتحميل ماذكره ابن عمر رضي الله أن كل مال اودي زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وإن كثر وان كل مال لم تودي زكاته فصاحبه معاقب بالوعيد وإن قل ..الخ فقد حملوا ما أسند الى ابن عمر مالا يحتمل من المفاهيم نتيجه الخلط بين مفهوم الادخار ومفهوم الاكتناز وجعلوهما واحد مع أنهما مختلفان

لان الادخار مباح فى الاسلام وهو يعني الاحتفاظ ببعض المال بعد أداء حقه اي زكاته

وصاحبه يدخره لوقت الحاجه فهذا مباح بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لمن اراد أن يتطوع بكامل م اله الثلث والثلث كثير انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عاله يتكففون الناس)وقوله صلي الله عليه وسلم فى حديث آخر امسك عليك بعض مالك فهو خير لك)

فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم انفاق كل المال حتى لو كان ذلك فى الصدقات مادام هناك من يجب عليك الانفاق عليهم وأنه يجب الإبقاء على شي من المال للورثه حتى لايتعرضوا لمخاطر الحاجه والفاقه وبالتالي فإن الادخار مباح وهذا هو المراد فى قول ابن عمر

أما الاكتناز فهو يعني جمع المال وتكديسه والاحتفاظ به مده طويله والمصطلح مأخوذ من كلمه الكنز وهو المال المدفون فى باطن الأرض كنايه عن الشخص المكتنز الذى يقوم بجمع وتكديس المال والذهب والفضة وغيرها وا لاحتفاظ بها وحبسه من التداول ومنعه من أن يجرى بين الناس فى الأوجه المتخلفه بما يودي الى نموه وانتفاع المجتمع من حركه المال حيث كان الناس قبل ظهور البنوك يقومون بجمع المال ودفنه فى باطن الأرض وهذا فيه إهدار لحق المجتمع بالانتفاع بهذا المال لو تم استثماره فانفاق هذا المال هو إخراجه من محبسه وتشغيله فى المشاريع الاستثمارية فهذا النوع من الإنفاق يختلف عن الإنفاق الخيري الذى من الأخطاء الفادحه التى وقع فيها المسلمون هو حصر مفهوم الانفاق بالانفاق الخيري فحسب فى معالجتهم لمشكله التنميه والفقر وهذا الحصر لا يحل المشكله بل يحصر المشكله بين أغنياء وفقراء وهذا الوصف غير دقيق ويهدد كيان الامه لأنه يجعل التفكير يتجه صوب تجمع طبقات الفقراء لانتزاع السلطه واحداث القتال ودفع الجميع الى الفوضي وهذا لايحل المشكله التى ينبغي أن توصف بأنها مشكله تطور اقتصادي يجب أن يتجه التفكير الى زيادة الدخل ورفع مستوى المعيشه وازاله الفوراق بين الطبقات حيث أن هذا الأمر لايحصل الا من خلال مسلمتان الأولي (أن لقمه العيش

حق للجميع) والثانيه (أن العمل واجب على الجميع)

ومن هنا فإن الدوله تقوم بتوفير لقمه العيش لجميع المواطنين وتوفر الأعمال وهذا الهدف يشترك فى تحقيقه السلطة مع الشعب وعلى اساسهما تقوم نظريه الاقتصاد الاسلامي حيث أن الحركه الاقتصادية لابد لها من مشاريع تودي الى زياده الانتاج بدعم ارداه المنتج بأن يلتزم تشغيل الأموال فى المشروعات التى يحتاجها المجتمع والمشروعه وان لايستغل حاجه الناس وأن يودي ماعليه من زكاه ونحوها وتدعم المستهلك بالابتعاد عن ا لاسراف فتكون الحركه بين المستهلك والمنتج مضوبطه ومن هنا يستفيد الناس من المال ومن هنا نفهم أن الإ نفاق ثلاثه انواع :

١/ انفاق خيري مثل الزكاه والصدقات ٢/ انفاق استهلاكي مثل انفاق الرجل على أهل بيته وإنفاق الدوله على رعاياها والانفاق فى بناء المساجد والمدارس والمستشفيات

٣/الانفاق الاستثماري والذى يعني استغلال المال بقصد الحصول على عائداته وزياده المال من خلال انشاء المشاريع التى تجعل المال فى حركه انتقال من يد الى أخري بما يودي الى تحريك الطاقات العاطله وتفعيلها بحيث يودي الاستثمار الى تحقيق العمران فى الأرض ولهذا جاء الوعيد بالعذاب الشديد وتفسيره لمعني الكنز المحرم بقوله (ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) متضمن الأمر بإنفاق كل المدخرات وليس التبعيض كما هو الحديث عن الزكاه والصدقات (ومما رزقناهم ينفقون) وبالتالي فالمراد بهذا استثمار كل المال الباقي وليس الزكاه

ولهذا فإن حبس المال واكتنازه فيه حرمان الدوله والمجتمع المسلم من الانتفاع بهذا الجزء الباقي من المال باعتبار أن الجزء الاول اخراج الزكاه ولهذا يحث الاسلام على إخراج الجزء الباقي الى النشاط الاقتصادي لتوفير السيولة اللازمه لتشغيل المشاريع ولأجل أن تأخذ دوله الاسلام مكانها فى عالم الاقتصاد الذى يحدد مكانه الدول وفعاليتها بين الأمم ولهذا فإن هذا يتطلب التكامل بين إمكانيات الدوله والمجتمع والربط بينها وكم نحن اليوم بحاجه اللى فهم خطوره عزل عناصر الاقتصاد القومي عن بعضه سواء الموراد البشريه والطبيعيه أو راس المال لا ن ذلك يمنع أمتنا من الوصول الى مقعدها العالمي بامكانياتها المتاحه فنحن بحاجة الى علاج هذا العيب الذى جعل الكثيرون يحبسون أموالهم فى بنوك اوربا ويحرمون المسلمين من فائده أمواله أن المتأمل لحال الدول الغنيه الاسلاميه يشاهد أن الأموال تذهب الى دول الكفر فى حين تموت الشعوب العربية والإسلامية جوعا وانتشر الفقر والأيدي العاطله والبالغه فى بعض البلدان الإسلامية نسبه ثمانين بالمائة

أن الامه اليوم مطلوب منها مراجعة أنشطتها الاقتصادية وتجميع إمكانيات الامه وتشغيلها واستثمارها فى اوطان المسلمين فالمال هو مال الله وفيه حق لكل مسلم فإذا كانت الايه تحرم اكتناز المال على المسلم فكيف الحال باستثمار هذا المال فى دول الكفر وحرمان المسلمين من عائداته فالمسلم لو التزم بالمنهج الاسلامي فسوف يوجه أمواله ومداخرته كلها للاستثمار داخل وطنه وشعبه المسلم وبالتالي لن تجد مال معطل وهذا ما تميزت به النظريه الاقتصادية الاسلاميه على سائر النظريات كونها تستمد قوتها من اعتبارها القيام بالاستثمار في المشاريع المشروعه عباده لله تعالى فالمسلم يشعر أن حبس المال واكتنازه يورده موراد الهلاك لما تضمنته الايه من الايعاد بالعذاب الشديد فقال تعالى (ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم...الخ

فالايه فيها التهديد والانذار لمن يحبس المال ولايقوم باستثماره فى سبيل بالعذاب الموجع

فالإسلام عالج الأمر من خلال تشريعات بناء تتجاوز الحفظ والصيانة لأنها تربط ذلك بالارتباط بالدين فهذه التشريعات تدفع الجميع للعمل والمساهمة فى بناء المجتمع واقتصادها المنشود من درجه الصفر أو من الدرجه التى وصل إليها المجتمع الى درجه الكمال البشرى ولهذا فإن الاستثمار هو المقابل للاكتناز شكلا ومضمونا ف المجتمع المسلم لايوجد فيه ادخار سلبى بل استثمار يستفيد منه الجميع والايه نزلت بعد فتح مكه فى مرحله

النهضه فكان حث المومنين على المساهمه فى بناء اقتصاد الدولة الإسلامية المستقل وهذا أمر فى غايه الا هميه اقصد الاستقلال الاقتصادي نظر لارتباط المسلمين مع اليهود بعلاقات اقتصادية فكان لابد من الاستقلال الا قتصادي لان عدم الاستقلال يفقد الدوله استقلالها السياسي وهو ما يجب الانتبا ه له

وكذلك لابد أن تكون هذه المشاريع مشاريع منتجه ومشروعه فقال تعالى (فى سبيل الله) اي فى مشاريع ايجابيه وان لايكون الربح هو الهدف الأساسي بل هدف الإنتاج هو اسعاد البشريه كلها بالتوجه الى مافيه تلبيه الحاجات الحقيقه بدون احتكار ولاظلم لحقوق العمال والمستهلكين فتنميه المال وتحقيق الربح يكون ببذل الجهد عن طريق الأساليب والوسائل المباحه التى تخضع لقاعده الحلال والحرام ورفض كل مايتعارض مع الشريعه فلا يعد الاستثمار فى سبيل الله اذا سعي لتحقيق الربح ولو على حساب حقوق الآخرين ولهذا حرم الله على الناس ١ /أكل أموال الناس بالباطل ٢حرم الاحتكار ٣حرم الغش والتدليس ٤/منع بيع وشراء السلع الضاره بالمجتمع

وبنى عقيده المومن ونظرته للثروه بأنها ليست غايه بل هي وسيله الوصول الي الهدف السامي والعظيم هو رضا الله في الدنيا والآخرة ولهذا تميزت النظريه الاقتصادية في الاسلام عن غيرها حيث كفلت تحقيق مبدأ توزيع الثروه وازاله الفوراق بين الطبقات في المجتمع الإسلامي فالمسلم يحرص أن تكون عائدات الاستثمار حلال يحرص أن تكون المشاريع الاستثمارية تخدم مصالح الناس كلهم الأغنياء والفقراء ويعطي العاملين أجورهم كامله وتوجيه الانشطه الي الضروريه منها وليس الرغبه في تحقيق الربح وزيادة المال فالإسلام جعل الالتزام بالالوويه التي يحتاجها المجتمع المسلم وكل مسلم يشعر أنه مكلف بالمساهمة في نهضه الامه وتقدمها فالتفاضل بينهم يقوم علي من يبذل المال ويساهم في معالجه المشكله الاقتصادية وقت الازمات فهو أفضل من ذاك الذي يبذل بعد استقرار الأوضاع وازدهار الدوله كما يتبين من سوره الحديد ,

التي ذكر فيها أن هنالك فرق بين من أنفق في سبيل الله قبل الفتح وبين من أنفق بعد الفتح فمن أنفق قبل الفتح أعظم لان الحاجه والضروره كانت ملحه فهم شاركوا في مرحله الإنقاذ للاقتصاد والتأسيس اما بعد الفتح فهذا كان بعد تجاوز مرحله التاسيس والخطر الي مرحله التحسين

الأمر الثالث

ترسم لنا الايه نهايه المكتنز كيف أنه يعذب بما اكتنزه فقال تعالي (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

دعوه الناس الى أن لايجعلوا الاموال هي غايه حياتهم وخص بالذكر الذهب والفضة لأنها أكثر الأموال التى تميل إليها النفوس وترغب بها ..فأراد بهذا ان يخرج من القلوب التعلق بالدنيا وزينتها وان يجعل المسلم غايته وهدفه اسمى من الأموال بأن ينظر الى ماعند الله في الاخره فتلك هي السعاده والنجاح والفلاح الحقيقي وليس الدنيا وبالتالي فإن الكنز الحقيقي الذى ينبغي على المسلم أن يجعله نصب عينيه هو الأعمال الصالحه التى توصله الى الجنه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال يا عبدالله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنه قال بلى يارسول الله قال قل لاحول ولاقوة الا بالله)

فكنز الاخره هو ما أعده الله لاولياءه لان قيمه الشي هو فى ثمرته ولهذا فإن الأعمال الصالحه هي افضل الكنوز المخبوه والرصيد المدخر النفيس الذى تجده وقت الحاجه فهذا هو أفضل الكنوز حيث أن لفظ الكنز يطلق على الشي الذى توفرت فيه خمس اشياء (المخبوء.النفيس الكثير المدخر المتنافس عليه)

فالله لم يأمر بالتنافس الا على الجنه فقال تعالي (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال شداد بن اوس إذا كنز الناس الذهب والفضة فأكثروا من هذه الكلمات اللهم انى اسالك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك لسانا صادقا وقلبا شاكرا وذكر دعاء طويل فأراد بهذا الاهتمام بالاخره وان لاينشغل الناس بالدنيا والثبات على مطلب الدين فهذا مطلب أساسي لكل مسلم يريد سلوك الطريق المستقيم والفوز بالجنة وهذا يكون برضا الله والثبات يعني أن يصبح المسلم ويمسى وهمه هو رضا الله والدعاء هو افضل وسيله للثبات التى يحتاجها العبد أكثر من حاجته للطعام والشراب الذي يكنز المال لاجلهماعند الحاجه ومن هنا نفهم الحاجه الى سؤال الثبات من الله على الحق بأنها أفضل من الكنز لان انتشار الفتن والشبهات تفقد الإنسان معرفه المخرج ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (بادروا بالأعمال الصالحة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا...الخ

فأنت بحاجه الى تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر بالأعمال الصالحة والدعاء مثلما تقوم بتنميه المال و الحفاظ عليه وقت الازمات والعواصف الماليه حيث أن عواصف الفتن تهلك رصيد الإنسان إذا لم يوافقه الله للثبات وكذلك فإن اقبال الدنيا على الناس وانشغالهم بها تبعدهم عن الكنز الحقيقي الذى هو محل التنافس وهو ا لاخره ولهذا نحتاج الى سؤال الله الثبات وكذلك فإن القلوب تتقلب كما ورد في الحديث (مثل القلب كمثل ريشه بأرض ملاه ...وكان السلف يقولون يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ...

المفهوم الثاني

هل تريد ان يكون رصيد مكنوز في الدنيا ام رصيد مكنوز ينفعك يوم القيامه انتبه أن تجعل المال هو هدف وغايه حياتك فتقدمه على طاعه الله لأن من احب شيئا وقدمه على طاعه الله عذبه الله به فالله يقول (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)

ذكر أن من جمع المال وكنزه فلم يودي حقه من الزكاه من جهه ومن جهه اخرى لم يقوم باستثمار المال فى المشاريع الاستثمارية التى يحتاجها المجتمع المسلم فإنه يعذب بهذا الكنز حيث يكوي جباههم وجنوبهم وظهورهم بها وخص بالذكر هذه الأعضاء لأنها أكثر إيلاما ولأن الذي يفضل نفسه على الآخرين ويجعلها فوق الناس فإن أول ما يفعله هو صرف وجهه عن حاجات الناس ويعبس ثم يتبع ذلك بالاعراض بالجنب ثم يوليه ظهره فكان تخصيص هذه الأعضاء متناسبا مع التهديد والانذار للذى يوثر نفسه على الجماعه فى وقت هي أمس ما تكون بحاجه الى هذا المال ولهذا جاء العتاب بعدها بقوله (هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

لكونهم خصوه بأنفسهم واثروها على سبيل الله مع قيام للضروره القصوى والحاجه لهذا المال

المقطع الثالث

تستمر الآيات بتحريض المؤمنين على القتال وازاله المعوقات التى تعترض طريق الاستنفار فى مواجهه الكفار حيث أن الآيات وردتفى إطار الحديث عن غزوه تبوك اخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم والتى ظهر فيها تثاقل البعض نتيجه وقوعها فى موسم الحصاد اضافه الى وجود حاجه الى المال وكانت القبائل العربيه تهاب قوه الروم البيزنطية التى كانت تمتلك قوة ضاربه عظمى اضافه الى التردد الحاصل لدى البعض بالتعلل أن الشهر الذى وقعت فيه المعركه رجب من الأشهر الحرم.التى كانت العرب تقدس حرمتها منذو زمان ابراهيم وإسماعيل وذكر البعض أن من كثره الانحرافات التى وقعت بها قريش والقبائل فى الجاهليه هو استحلال حرمه هذه الأشهر بتقديم وتأخيرها فجاءت الآيات مبينه الآتي

الموضوع الاول

أن عده الشهور التى تتألف منها السنه بأنها أثنا عشر شهراً فقال تعالى (أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض)

وذكر أن هذه العده (عند الله) إي فى حكمه وقضاءه وقدره

وذهب البعض للقول إن المراد بقوله (فى كتاب الله) بأنه اللوح المحفوظ أو فى كتاب الله ...لكن بالرجوع للايه نفهم منها إن المراد بقوله تعالى (عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض)

وبالتامل وامعان النظر والوقوف على مدلولات الايه نجد الآتي

الأمر الأول

اي فى علم الله سبحانه وتعالى وهي التى أثبتها الله فى كتاب التكوين يوم خلق السماوات والأرض بأنها أثنا عشر شهراً ناتجه عن حركه الارض حول الشمس وحول نفسها فهي الأصل الثابت فى هذا الكون حيث أن حركه ا لارض حول الشمس تودي الى تحول الفصول الصيف والشتاء والربيع والخريف بينما حركه الارض حول نفسها تودي الى تعاقب الليل والنهار حيث ينتج عن ذلك تقسيم ايام السنه الى اشهر عددها اثنا عشر شهراً

الأمر الثاني

تبين الايه أن الأشهر المعتبره عند الله هي الأشهر الهلاليه وليست الشمسيه فالاشهر القمريه التىلها أصل ثابت فى الحس هي الأشهر القمريه والتى عدد أيامها بالسنه ٣٥٤بينما ايام السنه الشمسيه هو ٣٦٥ يوما ولايمكن إدراكها ب الحس وانما هي افتراضية فالايه تبين أن هذه العده لاسبيل للتغير لها أو التبديل أو الاختلاف لأنها ثابته عند الله وكذلك لايغير علمه وكونها فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض فهي ثابته لاتتبدل ولاتتغير ولهذا جاء تعليق الظرف فى قوله تعالى (يوم خلق السماوات والأرض)بالجار والمجرور الذى يفيد معني الثبوت والإستقرار فهي لها سنه ثابته لاتتبدل ولاتتغير كما قال تعالى (والقمر قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)

ومايوكد إن المراد بها الأشهر الهلاليه هو قوله تعالى بعدها (منها اربعه حرم)

وهذه الأشهر هي ذي القعده وذي الحجه ومحرم ورجب ... وسميت حرم لانه كان يحرم القتال فيهن

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

لفت الإنتباه الى كتاب التكوين فهو يدل على وجود الله تعالى ووحدانيتة وكماله وأنه المتحكم المدبر لهذا الكون الذى يتحرك وفق نظام دقيق ومحكم فالشمس لها مسارات محدده لاتعداه وكذلك القمر كما كشف العلم الحديث أن دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها ناتج عن كرويه الارض حيث يودي ذلك الى تعاقب الفصول الاربعه وتعاقب الليل والنهار وهذه من نعم الله على الإنسان وعنايته ورحمته بمخلوقاته كما أن تلك الحركه لتدل على وجود الخالق سبحانه وتعالى وعظمته فلا ينكر ذلك إلا جاحد

المفهوم الثاني

تبين الآيات أهميه التزام المسلم شرع الله اثناء قيامه بحمل امانه الخلافه فى الأرض فهو تعالي جعل للكون نظام محكم ودقيق فى حركته لانه مجبور لا اراده له فهو مسخر وفق السنن والقوانين التى تنتظمه منذو خلق السماوات والأرض ولهذا فإن الإنسان مكلف بالخلافه على الارض والقيام بالعمران والتحسين فى الكون المسخر له وفق الخلق التكويني الذى خلقه الله ولهذا فالانسان بحاجه الى الانسجام فى حركته مع حركه الكون حتي تكون حركته ذات فاعليه ايجابيه فلا تكون إفساد وتخريب ولهذا ارسل الله الرسل وانزل الكتب التى هي منهج هدايه ودليل عمل وتعامل مع الحياه بكافه تحولاتها واطرداها ولهذا اللازم الالتزام بمنهج الله بامتثال أمره واجتناب نواهيه ومن ذلك اتباع ترتيب الله للأشهر والتزام أحكامها بترك ما تفعله الجاهليه فقال تعالى (منها اربعه حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)

الموضوع الثاني

تثبت الايه حرمه الأشهر الحرم الاربعه فقال تعالي (منها اربعه حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)

حيث نجد الاشاره الى حرمه الأشهر الاربعه (ذلك) والدين تطلق على مجموع ما أنزل الله على رسله فاستخدم اسم الاشاره للتعبير عن عظمه انتهاك هذه الحرمه

وسماه القيم اي المستقيم الذى لا اعوجاج فيه اي ذلك الذى شرعناه لكم فى عده الشهور وان منها اربعه حرم هو الدين القويم والشرع الثابت والحكم الذى لايتبدل ولايتغير لا ماشرعته أهل الجاهليه والأهواء وحذر من المخالفه بأنها ظلم للنفس

وهذا فيه

الأمر الأول

تبين الايه أن تعظيم الأمور بالنسبة للمسلم ليس للشي ذاته وانما يعود الى تعظيم الله لهذه الأمور والأشياء ولهذا فإن تعظيم العبد للكعبه يستمد من تعظيم أمر الله وليس للاحجار الصماء فهذا عمر يقبل الحجر الأسود ويقول انى اعلم انك حجر لاتنفع ولاتضر ولولا أنني رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك

ومن هنا نفهم التزام المسلم بتعظيم الجهات والأشهر التى حرمها الله هو الرغبه فى السير فى الطريق المستقيم و الدين القويم ولهذا كان مناسبا مجئ الاشاره لحرمه الأشهر الحرم للتعبير عن عظمه انتهاك حرمتها بأنه ليس نابعا من العاده والعرف التى كانت تسود قبل الاسلام فى المجتمع الجاهلي بل من طاعه الله وامتثال أمره

الأمر الثاني

تبين الايه أن منهج الله موافق للفطره التى خلق الله الناس عليها وموافق للسنن والقوانين التى تحكم الكون كله

ولهذا فإن اللازم على المسلم أن يحدد موقفه بالالتزام بمنهج الله تعالى لان المخالفه يعني ظلم النفس فاللازم على المسلم للنجاه من العذاب أن يلتزم منهج الله بالسعي فى طلب رضاه فطريق النجاه والسلامه فى صحه العلم والثبات باليقين ولهذا فإن المسلم ملزم بمعرفه الحق وطريقه والالتزام به وإن يحذر الخروج عن الحق لانك أن خ الفت منهج الله فقد ظلمت نفسك بأن أوردتها موارد الهلاك فالخلافه تتطلب الخلاص من الجهل والظلم ولهذا انزل الله المنهج الرباني الذى فيه تحديد الطريق المستقيم والعلم النافع ولهذا فإن المسلم ينظر قبل الاقدام على اي فعل هل هو موافق لمنهج الله ام هو مخالف لان المخالفه تعني فقدان شرف الخلافه ولهذا فإن المسلم يحرص أن تكون حركته كلها نحو الغايه من وجوده ويحذر الخروج أثناء السير عن هذه الغايه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول تركت فيما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ابدا كتاب الله وسنتي ..الخ

الأمر الثالث

الحكمه من تحريم القتال فى الأشهر الحرم

أن الحرب تدمر البشريه وتفسد الأرض ولهذا نجد الشريعه الاسلاميه تحث على وقف القتال فى لاربعه الأشهر (ذي القعده وذي الحجه ومحرم ورجب)

فقد كان العربي يجد قاتل أبيه فلا يتعرض له فى الأشهر الحرم فالإسلام اول من وضع الحصانه الزمنيه فهذه الفتره يتم التهدئه والتوقف عن القتال وهو ما يعطى الفرصه لكل فريق لمراجعه حساباته وتهئيه الظروف للحلول السلميه حيث يتذوق الناس طعم السلم والأمن وايضا التوقف عن القتال احترما لحرمه الأشهر الحرم تغني عدم وجود طرف يشعر بالنصر أو الهزيمه فى وقف الحرب وبالتالي يودي ذلك الى إنهاء الحرب ولو كان هذا التشريع يحكم العالم اليوم لما وجدت الحروب المستعصيه التى يصعب إيقافها ويعجز مجلس الأمن عن إصدار قرار بوقف إطلاق النار فى بلد ما كما شاهدنا في عجز العالم وقف الاباده الجماعية فى غزه وهذا ما يدل على رقى شريعه ا لاسلام التى جاءت قبل الف وأربعمائة وسته وأربعين سنه

فقد جعل الله التزم المسلمين بوقف الحرب فى هذه الأشهر شريعه ملزمه يستشعر المسلم فيها عظمه الله فلا يتجرأ على مخالفه ذلك فجاءت الايه بالاشاره (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) اي ان انتهاك حرمه هذه الأشهر جريمه شنيعه وعظيمه فيها خروج عن الدين القويم فيه اعوجاج وانحراف وتفريط بامانه الخلافه والقياده على العالم التى انتقلت الى المسلمين وهذا ما يغرس فى نفس المسلم الشعور بضخمه جريمه انتهاك حرمه هذه الأشهر حتى لو كان هذا العدو كافر

الا فى حاله انتهاك العدو لحرمه وحصانه هذه الأشهر فالمسلم لايقف مكتوف الأيدي أمام عدوان الاعداء واستغلا لهم حرمه هذه الأشهر عند المسلمين كما حصل من الروم الذين وصل خبر للنبى صلى الله عليه وسلم أنهم يستعدون للهجوم على المدينة وكان ذلك فى شهر رجب وهو ما أحدث التردد لدى البعض من الخروج للقتال نظرا لأن الوقت كان فى رجب فأنزل الله الايه بتثبيت حرمه الأشهر الحرم لكن أمرهم بالقتال للأعداء فى حاله انتهاك العدو حصانه هذه الأشهر فقال تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)

اذا أراد أهل الكفر أن يستغلوا حرمه هذه الأشهر عند المسلمين فاللازم أن تقاتلوهم عاملوهم بالمثل والايه تبين أن أهل الكتاب من جمله المشركين بعد أن انتهت الآيات السابقه من كشف حقيقتهم وازاله الاقنعه التى كانوا يتسترون خلفها من خلال اللافتات التى رفعها هولاء عن الايمان وغيرها من لافتالات القواسم المشتركة التى اردوا أن يخدعوا المسلمين بها كما يفعل أهل الكفر اليوم من رفع لافتات حقوق الإنسان والحريات وهم ينتهكون ابسط الحقوق للإنسان فتجد بعض المسلمين المخد وعون يعقدون الآمال على فرنسا وامريكا بأنها سوف ترفع معاناه أهل فلسطين يعلقون الآمال عليهم ولاينهضون للقتال مع أهلهم فى فلسطين ويحاولون اظهار الحياد زاعمين انهم بذلك يضغطون على الغرب لاجل ايقاف الحرب فى غزه يلجأون الى منظمات اليهود والنصارى ط

البين وقف الحرب ضد العزل فى غزه بينما الله يامر عباده بقتال المشركين كافه اي جماعه مثلما اجتمعوا هم ضد المسلمين رغم اختلاف عبادتهم وعقائدهم

الموضوع الثالث

تبين الايه أن الوصول الى رضا الله يكون بصحه العلم والثبات باليقين فلا نجاه للمسلم الا بأن يجعل معيار حركته هي انسجامها مع الحق والغايه التى خلق من اجلها فالعلم لافائده منه إذا لم يصاحبه عمل بما فيه وقد أخبرنا الله فى المقطع السابق عن فساد أهل الكتاب لأنهم لم يصدقوا فى العمل بما لديهم من علم ولذلك أخبرنا الله أنهم ليسوا بمومنين فمن يسعي لرضا الله فعليه أن يكون صادقا مع ربه عليه أن يدريك أن العمر قصير ولهذا فعليه أن يستعد لدار الخلود وهذا إنما يكون ببيع الإنسان نفسه وماله خالصا لله تعالي ليصل الي ما وعده الله بـ الجنه فهو تعالي يقول (أن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد ذكر تحريم الكنوز وان صاحبها يعذب بها فى إطار التحريض على القتال و الخروج لغزوه تبوك حيث أن بعض المسلمين كانوا قد ترددوا نظرا لأن وقتها كان متوافقا مع موسم الحصاد اضافه الى مافى النفوس من هيبه لدوله الروم البيزنطية التى كانت تمتلك القوه العسكريه والسلاح والمال فكان ازاله كل تلك العوائق من خلال الدعوه الى الاقبال على الكنز الحقيقي المحقق لبيع النفس والمال لله تعالى مبينا أن الزمان قصير وان على المسلم أن يغتنم هذه الفرصه قبل موته فلا يضيع الأوقات فى غير ما يستفيد منه فى الوصول الى رضاء الله يقول لك الحق أن الوقت هو رأس مالك وكنزك الذى تدخره ليوم لاينفع مال ولا بنون فعليك أن تعرف كيف تستغل وقتك بما ينفعك يوم القيامه عليك أن تستوعب الحق فى قضاء كل لحظه من لحظات حياتك انتبه أن تهدر لحظه من عمرك فى الباطل يجب أن تكون كل حركه تتجه نحو هدف مرتبط بالغايه من وجودك وهو عباده الله يقول ابن عقيل رحمه الله لايحل لى أن اضيع ساعه من عمري)

فالمسلم يحرص على أن يكون قضاء وقته فيما يرضى الله أن الوقت عند المسلم غالي بعكس الجهال والحمقي فـ الوقت لديهم رخيص لايابهون فى ضياعه بدون فائدة بينما المسلم ينظر الى الوقت أنه الرصيد الذى ينبغي أن يستغله فى طاعه الله فكل نفس من أنفاسه ينبغي أن يكون استهلاكه فى سبيل الله فلا يضيع منه لحظه فمن يفهم معني الوجود يستغل موسم العمر فى طاعه الله وامتثال أمره واجتناب نهيه وينشغل بالزاد والتاهب للرحيل قبل القوات ولهذا قال تعالى (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) فالواجب الانشغال بفعل الخير وان تستغل كل لحظه فى طاعه الله لأن من أهمل ذلك فهو الخاسر لهذا ينبغي علي المسلم أن يستوعب الحق فى كل لحظه من حياته وتحقيق ذلك يقتضي أن يحرص على الانتظام فى جماعه الايمان الذين يساعدونه على استغلال وقته بالأعمال الصالحة فهو تعالى يقول (والعصر أن الإنسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتوصوا بالصبر)

فالعلم لاقيمه له إذا لم يستوعب الحق فمن تفوق فى دراسته وصارا عالما أو طبيا أو مهندس او غيره لكنه لم يسلك طريق الحق ولم ينتظم بجماعه أهل الصلاح فإنه خاسر وهالك لانه يضيع وقته فيما لافائده منه كما قال تعا لى في سوره الكهف (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

ولهذا يقول الله للمسلمين (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)

عليكم أن تقاتلوهم جماعه ويقول تعالى(أن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فالا يه تقرر اجتماع أهل الكفر من عبده الأوثان مع مشركي أهل الكتاب فى الحرب ضد المسلمين فهذه سنه ثابته فى التاريخ فهم مهما اختلفوا فإنهم يجتمعون ضد الإسلام ولهذا فإن على المسلم أن يحرص على التزام جماعه المسلمين فى مواجهه الباطل كما أن التزام المسلم الانتظام فى جماعه المسلمين هو الكنز المأمون الذي فيه

الخير المحض والنفع المحقق لافتنه فيه فالانتظام فى صف المؤمنين يساعدوك على السير فى الطريق المستقيم والتوصى بالحق والصبر ولهذا يقول الله تعالى (واعلموا أن الله مع المتقين) فالعلم ينبغي أن يطفئ بنوره الشهوات التى لو ترك لها العنان فإن الإنسان يظلم نفسه بذلك كما قال تعالى (ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ولهذا فإن المسلم ينظر الى ماعند الله فيزهد عن الدنيا ويميت بالورع حرصه بالرغبه فيما عند الله فقال تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) لانه قد باع نفسه لله ويحسم بالتقي طمعه فهو يتراقب الموت فى اي لحظه ويشفق على نفسه من النار ولهذا فهو يترك المحرمات ويبتعد عن كل ما يغضب الله ولهذا فإن التقوى يترتب عليها الوصول الى الوعد الجميل والسلامه والنجاه من العذاب فالمسلم بحاجه للعمل بالعلم و التحرز بالخوف والاستغناء بالله تعالى والانس به عند الوحشه ولهذا فلا يخاف قوه الاعداء لانه يشعر أن الله معه

المبحث الثاني

تنتقل الايه الكريمه الى بيان إلغاء العادات الجاهليه التى كانت تتلاعب بحرمه الأشهر الحرم فقال تعالى (إنما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين)

الأمر الأول

ما المراد بالنسئ هنا هل تأخير موسم الحج ام تأخير حرمه القتال فى الأشهر الحرم ؟

حيث أن العرب كانوا أهل حروب ولهذا كان يشق عليهم التوقف ثلاثه اشهر عن الحرب ولهذا كانوا يقومون بتأخير تحريم المحرم من محرم الى صفر وبهذا يستحلون الحرم وعلى هذا المعني فليس فيه تأخير موسم الحج كما ذهب البعض للقول أنهم فى سنه نزول الايه قاموا بتقديم ذي الحجه فكان تقديم الموسم شهر وان رجب الذى وقعت فيه غزوه تبوك إنما كان شهر جمادى الآخرة فهذا القول لايستقيم وأحوال ذلك العام الذى كان حج المسلمين فيه اضافه لعدم وجود حرب مع اهل مكه تستدعي التأخير أو التقديم لان مكه كانت فى ذلك الموسم خاضعه لسلطان الدوله الاسلاميه فهذا القول لا يستقيم فلم يكن هناك تأخر ولاتقديم موسم الحج من شهر الى شهر فهذا القول لا ينطبق وظروف الواقعه وانما الواضح ان الذى تذكره الايه عنهم هو تأخرهم حرمه الشهر الحرام لاجل القتال لا تأخير الحج ومايوكد هذا قوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) فيه ذكر الحكم الخاص بحرمه القتال فى الأشهر الحرم كما ورد في سوره البقره (يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه)

ولهذا أمر بقتال الروم والقبائل العربية المتحالفه مع الروم من نصارى ووثنين لما وصل العلم بأنهم يستعدون لقتال المسلمين وكان ذلك فى شهر رجب فكان ازاله التحرج بالأمر بقتال المشركين كافه دون حرج معامله بالمثل لأنهم لم يراعوا حرمه الشهر الحرام

الأمر الثاني

تبين الايه أن غياب دور الرقابه التى تعني الخوف من عقاب الله والشعور بوجود الله نتيجه بناء الكثيرون دينهم على اساس المصلحه هو طريق يفسد كل شي لان صاحبه ينظر الى الدين من زوايه المصلحه فعندما تكون احكام الدين تخدم مصالحه يتمسك بها وعندما يشعر أنها ضد مصالحه فإنه يتهرب منها فهذا الشخص يكثر منه التلاعب بالاحكام الشرعيه لماذا

لانه لايبحث عن الدين المستقيم وانما يبحث عن المصلحه وبالتالي فإن مثل هذا الشخص لا يكتفى بالخروج عن الدين ومخالفته لأحكام الشريعه بل يحصل منه العدوان على حق الله بالتشريع (التحليل والتحريم) فهو يلجأ ا لى تحليل جريمته وإضفاء المشروعيه على فعله الباطل ولهذا سمي الله مزواله التشريع زياده فى الكفر فهو كفر

اضافي الى كفر الاعتقاد فقال تعالى (إنما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما ليوطئوا عده ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله) لانه اعتدي على حق الله الذى له سلطه التشريع فمن خلق السماوات والأرض والإنسان فالله هو من له الحق بتشريع الحلال والحرام ولهذا فإن تنحيه الدين عن دوره فى التشريع يعني خروج عن الحق وانحراف فيه إفساد وخروج عن الحق الذى قامت عليه السموات والأرض ويوكد هذا ماورد في الحديث في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الزمان قد استدار هئيته كهئيته يوم خلق الله السموات والأرض السنه اثنا عشر شهراً منها اربعه حرم ذي القعده وذي الحجه ومحرم ورجب مضر الذى بين جمادي الاخره وشعبان)

اي استعاد صفته التى كانت عليها لان فتح مكه مثل استقرار الاحكام الدينيه على ماتقتضيه الفطره وسنه التكوين حيث صار تمكن الدين الصحيح من الرقابه في أعمال الناس ومن ذلك حرمه الأشهر الحرم

ولهذا تبين الايه أن الخروج عن حكم الدين فى الحلال والحرام يعود الى اتباع الهوى والفسق الذى يعاقب صاحبه بتسهيل طريق الشر له فيكون ذلك سببا لجعله مستجيبا لداعي الضلال وهو الشيطان فيري القبيح حسنا فقال تعالى (زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين)

المقطع الرابع من سوره التوبه

هذه الآيات تتحدث عن غزوه تبوك حيث بلغ النبى صلى الله عليه وسلم استعداد هرقل لغزو المدينة المنورة بجيش وقوه عسكرية ضخمه مضاف اليها قوات القبائل العربيه المتحالفه مع الروم من الغساسنه حيث أن ملك الروم بدء ينظر الى الدوله الاسلاميه أنها قوه يجب القضاء عليها لأنها أصبحت تزداد كل يوم قوه فنظر أنها تشكل خطر على مصالحه وزاد تحريض بعض مشايخ القبائل لهرقل حيث ذكرت كتب السيره أنهم كتبوا له أن هذا الرجل (يقصدون النبى صلى الله عليه وسلم)الذى قد خرج يدعى النبوه هلك واصابت أصحابه السنون فهلكت أموالهم ...الخ

فخرج هرقل بأربعين الف وبلغ هذا الخبر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الروم جمعت جموعا كثيره فى الشام وأنهم قدموا مقدمتهم الى البلقاء المحل المعروف

ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الاستعداد للمعركه وبدأ باستنفار القبائل للخروج للقتال وكان ذلك فى مواسم الحصاد وفى وقت الحر فحصل تثاقل البعض من الاستجابة فأنزل الله الايه (يايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخره فما متاع الحياة الدنيا فى الا خره الا قليل)

تضمنت الآيات

اولا :_

عليك أن تفهم أن تطوير المجتمعات علاج اجتماعي له اصوال وقواعد مثل الطب البشرى ولهذا لابد من دراسه الواقع الاجتماعي وتشخيص الداء لمعرفه الدواء القادر على دفع المجتمع نحو التقدم وإثاره غرائز أفراده التى تتطلع الى الرفى والتقدم ولهذا ابتدأت الايه بقوله تعالى (يايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا)

فأراد بهذا الأسلوب الذى ابتدأ بالتلطف بالنداء (يايها الذين آمنوا)

اي الذين صدقوا بما جاء به القرآن الكريم من الدعوه للإيمان بالله واسماءه وصفاته ووحدانيته وكماله والجنه و النار والطريق الموصل الى ذلك باتباع منهج الله والايمان الصادق بالرسل والكتب السماويه والقضاء والقدر....الخ

وهذا التلطف فيه استمالتهم الى أن يعيشوا فى مستقبلهم المرجوا بأن يكون منهم تقديم أمر الله الذى يؤمنون به على كل أمر يعرض عليهم بالإحساس بقضية الايمان التى آمنوا بها وأنهم المسؤولون على الدفاع عن العقيده باعتبارهم يحملون مبادئ الإسلام والحفاظ عليها بمقتضى الايمان بالله واليوم الآخر والرسل والكتب والجنه و النار فأنت ايه القارئ عندما تسمع هذا النداء عليك أن تشعر انك معنى بالخطاب وانك تتحدث مع الله عليك الإ نتباه والحضور بالقلب والعقل لتفهم ماهو المطلوب منك القيام به ماهو الخطاء الذى وقعت به لأن النداء تضمن قضية مصيريه أنها قضية ايمانك فإما أن تستمر العلاقه بينك وبين ربك وأما أن تنقطع

فالايه نزلت بمناسبه غزوه تبوك حيث وصل خبر الى النبى صلى الله عليه وسلم أن ملك الروم هرقل وبايعاز من قبائل الغساسنه المتحالفة معه قد أعدوا جيش ضخم للهجوم على المدينه المنوره واستئصال دوله الاسلام التى أصبحت بنظرهم قوه تمثل خطرا عليهم وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن قوام ذلك الجيش أربعين ألف وان مقدمتهم بلغت منطقه البلقاء المحل المعروف فى الشام وقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستعداد للمعركه باستنفار القبائل التى دخلت فى الاسلام بعد فتح مكه وحنين والطائف وقد كان زمان الواقعه حار وهو مواسم الحصاد اضافه الى القحط والجوع فضلا عن الدعايه الاعلاميه التى كان المنافقون يبثونها بتهويل وتضخيم

حجم جيش الروم فكان الخوف يتسورهم كلما سمعوا أصواتا غير معتادة الا ظنوا أنها زحف الروم فضلا عن الحاله النفسيه التى كانت تعيشها القبائل العربيه الناتجه عن النظر للروم أنها قوه لاتهزم ينظرون لها انها لاتغلب فكانت الروم بنظرهم قوه لاتقهر خاصه بعد غزوه موته ولهذا جاء هذا الحوار الموضوعي للاتى

الأمر الأول

لازاحه الهزيمة النفسية والفلسفة السائده التى كانت تتصدي وتقاوم رغبه الناس فى إسقاط دوله الروم والحلم بنشر دعوه الله ودينه فى ارجاء المعموره واول ذلك تحرير القبائل العربيه على أطراف الشام من بطش الروم ورغم كل هذه الظروف والاحوال والتحديات التى كانت تواجه المسلمين لم يجد الرسول حلا الا مواجهه الروم رغم التحديات التى كانت تواجه المسلمين ولهذا ابلغ الرسول صلى الله عليه وسلم القبائل ودعاهم الي الاستنفار على الحرب وتقديم الدعم البشري والمالي للمعركه فوجد أبطأ وتثاقل فى الاستجابه من البعض نظرا لما سبق ذكره فنزلت الايه (يايها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الأرض)

يستنكر عليهم هذا الابطا ء فى الاستجابه يقول لهم ما الذى يحجم المؤمن من النفره للجهاد فى سبيل الله دون وجود عذر معتبر لان الاصل أن الإيمان يجعل أهله يميلون عاده الى تحرير حوافزهم التى تشدهم الى مستويات أفضل من كل العوائق التى تمنع مسيره التقدم فالاصل أن يودي الايمان الى سرعه الاستجابه لما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ويساهمون فى أحداث التقدم واجتياز مرحله التخلف ولهذا شرع فى عتاب المتخلفين (مالكم إذا قيل لكم انفروا)

اي مالذى امركم بعدم الاستجابة عندما قال لكم الرسول صلى الله عليه وسلم انفروا

واصل النفر مفارقه مكان الى مكان لامر هام واستعمل عاده فى الجهاد فأراد بهذا الاستفهام إنكار وقوع ذلك الموقف منهم المناقض لمفهوم الايمان لان الايمان الحقيقي له علامات فليس الايمان بالغيب وبيع النفس والمال مقابل الجنه كلام يردده المؤمن دون عمل هل تؤمن بفكره الخلافه وهيمنة الاسلام على العالم ايمان حقيقي ام مجرد فلسفه وكلام وشعارات أن فكره عقد صفقه البيع مع الله بالتضحيه بالمال والنفس مقابل الجنه هي فلسفه النفير والجهاد بان تقاتل أعداء الله فى كل وقت بالمعني الخاص حتى تصبح كلمه الله هي العليا وبالمعني الواسع تعني تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر بالأعمال الصالحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاهد شهواتك ورغباتك بأن تضبطها وفقا لأوامر الله فتكون حركه جوراحك كلها مضبوطه بما أمر الله به واجتناب نواهيه تقيم الاسلام فى نفسك وفى عملك وفى بيتك ..فهذه فلسفه النفير فى الاسلام للتقدم وصولا الى اقامه الخلافه الاسلاميه وقياده العالم أجمع وهذه الفلسفه (نظريه علميه) وهو لايحدث الانتقال الي التقدم المنشود لان الانتقال الى التقدم حركه تتجه نحو إرضاء الله والدار الاخره

وهذا يتطلب تقديم التضحيه وبذل الجهد ومن يؤثر الراحه أو الاكتفاء بالاقل ولابيذل الجهد لايمكن له الخلاص من واقعه المذموم المتخلف الا اذا تخلص من الكسل والخمول والقعود وعمل بجد واجتهاد وعزيمه واراده قويه على تحويل المعتقد الى واقع حياه

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن أي مجتمع على عتبه التقدم يمر بظروف خاصه خليط بين التخلف والتقدم أما تساعده على اجتياز مرحله التخلف أو تبقيه أسيرا لها ولهذا يخاطب الله المؤمنين بعد فتح مكه وحنين والطائف وهم يستعدون لغزوه تبوك يدعوهم الى التحرر من أسر حب الدنيا وشهواتها التى انفتحت لهم بعد فتح مكه يقول لهم أن الإيمان يقتضي أن تجعلوا هدفكم هو ارضاء الله والدار الاخره دار السعاده والنجاح والفلاح الحقيقي وهذا إنما يكون ببيع الإنسان نفسه وماله خالصا لوجه الله وبالتالي

ما الذى يحجم المؤمن الذى يريد ماعند الله من جنه ونعيم عن النفير فى سبيل الله

ولهذا قال تعالى (مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الأرض)

أن الإيمان يعطي المؤمن نور وبصيره يجعله يعيش فى نعيم الجنه ويتغذي على طاعه الله وامتثال أمره واجتناب نواهيه وبالتالي فإن القيم الروحانيه التى تمده بالطاقه والغذاء تجذبه دوما نحو العلو ذلك أن الإنسان مخلوق من جسد وروح الجسد ارضي من التراب بينما الروح سماوي ولهذا من الطبيعي أن يعيش الانسان فى معركه بين القيم الماديه التى تحاول شده الى الأرض وبين القيم الروحانيه التى تشده الى السماء المصدر الذى جاءت منه فمثلا الإنسان يسمع الاذن بالفجر فى أيام الشتاء فيجد فى نفسه مايشده الى طاعه الله وإيثار الطاعه وتلبيه النداء وفى نفس الوقت يجد هاجس يدعوه الى ايثار الراحه والنوم وترك التعب فهذا الصراع الذى بداخل الإنسان ماهو الا صراع بين القيم الماديه التى تربط الإنسان بالأرض التراب المكون لجسد الإنسان وبين القيم الروحانيه التى تريد أن تتصل بمصدرها العلوي ومن هنا تتجاذب الإنسان قوتان قوه جذب سماويه وقوه جذب ارضيه فإذا كان الإنسان صادقا فى إيمانه وحمل الامانه بصدق وإخلاص ووفاء فإن الله يوفقه الى طاعته فتكون أعباء العباده غذائه الوحيد الذى يغذي به روحه والعماد الذى تقوم عليه حياته حيث أنه يتخلص من قوه جذب الدنيا فتغلب قوه الجذب السماويه شده نحوها فالمعركه تبدأ من داخل الإنسان قبل قتال الاعداء فإذا استولي الصدق على قصر فطرته فلابد أن يتغلب الحق ويزهق الباطل فمن استطاع أن يهزم عدوه الداخلي فى المعركه بين قوه الجذب الارضيه وقوه الجذب السماويه كان قادرا على خوض المعركه مع العدو الخارجي والمعركه تبدا بتحريك الرغبات الحسنه فى الإنسان وتوليد النفور الحقيقي إزاء الرغبات الشريره وهي تاخذ شكل اللوم الذى تلقيه النفس اللوامه للإنسان على حياته الدنسه حيث تظل مترددة بين قوتي الجذب المذكوره والإنسان أما أن يفشل وتصبح نفسه اماره بالسوء حيث تجذبه قوه الجذب الارضيه نحوها الى أسفل السافلين وهذا يكون بـ القبول بالدنيا وملذاتها وشهواتها فتصبح الدنيا هي هدفه وغايه حياته ولايرضي بالدنيا مؤمن فالهزيمه تعود الى ا لاستسلام للنفس الاماره بالسوء ابتداء والرضي بالدنيا وملذاتها وشهواتها وبهذا تنقطع الصله بينه وبين الخالق فتصبح النفس هي القائد لهذا الانسان وعندها تشتعل نيران الشهوات فى كيانه ويتحول الى وحش يلهث وراء رغباته وشهواته التى تزيد من حسرته ولايجد السعاده حتى يهلك فعيش محملا باثقال الدنيا من الخوف على فقدان المال والخوف على الحياه ثقل تغير المألوف ثقل المصلحه العاجله ثقله الدعه والراحه والاستقرار فكلما رفعته سقط من ثقله وجاذبيه الأرض كان هناك قوه تضطره الى الهبوط الي أسفل السافلين أما الذى ينتصر على نفسه يصبح لديه قوه نفور من الرغبات الشريره وتخمد الشهوات النفسانية من تلقاء نفسها بالزهد عن الدنيا بالنظر الى ماعند الله من جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فيها ما للعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فايمانه باليقين بما عند الله يولد فيه قوه شوق تدفعه الى التضحيه بنفسه فى سبيل الله دون تردد وبهذا يتخلص من القيود التى كانت تكبل انطلاقه من الأرض

ثانيا

أن الملاحظ في الايه أنها تستجش قوه الايمان فيهم وقوه العقل لتحفيزهم على القتال فى سبيل الله حيث ابتدأت الايه بالنداء للمؤمنين (يايها الذين آمنوامالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض) ثم اتبعت اسلوب الحوار الذي يخاطب العقل الإنساني بالدليل المنطقي (ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخره فما متاع الحياة الدنيا فى الاخره الا قليل) ثم اتبعه بالتهديد (الاتنفروا يعذبكم)

لان معيار التميز الذى يضع المؤمنين فى قمه الخليقه ويضع الكفار فى مرتبه ادني حتي من التراب والصخور هو وعي الإنسان بحقيقة وجوده واكتشافه أنه سيد من صنع الله ولهذا فإن نظره المؤمن تختلف عن نظره الكافر بسبب هذا الوعي الذى كرم الله به الإنسان فاسجد له الأرض وذللها لعقله وجعله سيدا مختارا على الكون المسخر لخدمه الإنسان ليكون خليفه الله فى أرضه فهذا الوعي هو الذى جعل الإنسان مختلف عن سائر المخلوقات لكنه

يتساوي معهم ومع بقيه الخلائق من بنى جنسه فى الافتقار الى الله والحاجه إليه وعدم القيام بنفسه وعدم الا ستغناء عن ربه ابدا يستوي فى فقره الى الله من يعرفه ومن ينكره ويستوي فى الحاجه اليه من يعبده ومن يلحد فى اسماءه احتياج الناس جميعا الى الله تعالي وان اختلف احتياج المؤمنين عن الملحدين فى الوعي يدريك المؤمن بوعيه أنه يحتاج الى رحمه الله وعونه ولايعي الكافر أنه يعيش عاله على نعم الله رغم أنه يجحد المنعم ..ولهذا نجد الايات

الأمر الأول

تنادي المؤمنين الذين يطلبون رضوان الله تعالي والدار الاخره يقول لهم أن الرغبه بالآخر ه لاتتم الا بالزهد بالدنيا ولهذا يدعوهم الى النظر فى الدنيا وملذاتها وشهواتها الفانيه ومافيها من تنغيص وانكاد وزوال وينظروا فى الاخره وما فيها من نعيم دائم وخيرات ومسرات عند الله فهي دائمه بينما الدنيا خيالات ناقصه منقطعه وبالتالي فإن الا نصراف عن الاخره ونعيمها الأجل الى الدنيا الزائله لايكون الا من شخص لم يؤمن بصدق بما أخبره الله فلم يتبين له فضل الأجله على العاجله يقول المحاسبي فى كتابه رساله المسترشدين كل علم لايصحبه ثلاث اشياء فهو مزيد من الحجه كف الاذي بقطع الرغبه ووجود العمل بالخشيه وبذل الإنصاف بالتباذل والرحمه)فالله عرف بالعقل واطيع بالعلم فالاصل أن المومن قد علم أن الاخره افضل لان الايمان متعلق بالإيمان بالغيب وهذا لاوسيله لمعرفته الا بالوحي المنزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم فمن لم يترك التعلق بالدنيا فمعني هذا أنه يشك ب الحساب والعقاب والبعث والنشور يشك بوجود الله لأن العلم بالله واسماءه وصفاته ووحدانيته وكماله وعبادته ومحبته إنما يتحقق باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وبالتالي كيف لايستجيب المومن الحقيقي للرسول وهو يدعوه للنفير فقال تعالي (مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله) من الذي قال لهم انفروا أنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن أمر الجهاد يعلنه ولي الامر فما بالكم أن القائد هو الرسول صلى الله عليه وسلم أما السبب الثاني هو أنه تبين للشخص فضل الاخره لكن الرغبه لديه ضعيفه وهذا ناتج من فساد العقل لخسه النفس وحقارتها ودناءتها فهي لم ترغب فيه فاختارت السي وتركت الجميل والاعلي

فدل هذا على سقوط الوعي وانخلاعه عن صاحبه وبالتالي فإن نتيجه سقوط الوعي بالله وانخلاعها عن الإ نسان يعيده عاريا الى التراب الذى جاءت منه نشاءته الأولي ولهذا يقول تعالى (مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض)

أن التراب الذى يشدكم إليه تدوسه الاقدام فكيف لك أن تنجذب الى التراب وتتخلي عن الوعي الذى كرمك الله به وميزك به عن الملائكه

ولهذا جاء الحوار مع العقول ما الذى يستمتع به المستمتعون به في الدنيا من عيشها كم تعيش اسال نفسك هذا السؤال كم مده بقاءك فى هذه الدنيا أن الجواب لو وقفت مع نفسك هو أن اكثر عمر يعيشه الإنسان على الدنيا لايتجاوز مائه عام ثم بعد ذلك يكون الحساب والعقاب وبعدها أما الى الجنه او النار كيف لك أن تركن إليها

ومتاعها الزائل فالواجب ايثار الاخره على الدنيا فالعاقل لاينشغل بالدنيا وملذاتها فهي لاتصلح أن تكون غايه لحياه الإنسان عليك أن تنظر الى ما أعد الله لك من نعيم في الاخره لتكون هذه النظره قوه تستعملها فى وزن الأ مور عندما تقف فى موقف خيار بين ملذات الدنيا بالمعصيه وبين ماعند الله بالطاعه أن ذلك يولد فيك قوه تجعلك تترك المعصيه وتطيع الله وتشعر بلذه وسرور تعيش فى جنه الدنيا قبل أن تموت فتقدم طاعه الله على كل أمر فهذا هو سلوك العاقل ولافائده للعقل إذا لم يصاحبه ثلاث ايثار الطاعه على المعصيه وإيثار العلم على الجهل وإيثار الدين على الدنيا ..لأن العقل الذى يفتقد لهذه الأمور فهو مكار مخادع يزين لصاحبه الشر خيرا وبهذا يفقد ا لإنسان زينته فالعقل والايمان يكمل بعضهما الآخر يقول المحاسبي فى كتابه الرعايه مثل العقل مثل البصر ومثل العلم مثل السراج فمن لابصر له لاينتفع بالسراج ومن له بصر بلا سراج لايري ما يحتاج إليه ..

الأمر الثاني

تحث الآيات كل مؤمن أن يعي قضيه وجوده بأنها لمعرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وطاعته وأنه سيدا على الكون من صنع الله تعالي ولهذا فإن المؤمن يتحرك وفق هذا الوعي الذى يجعله عارفا بربه والطريق الموصل إليه بطاعه الله ورسوله ولهذا يبادر المؤمن الى النفير للجهاد بالمال والنفس عند الحاجه لايتقاعس ولا يتثاقل ولايتبطاء لانه يدريك أن مكانته وشرفه بهذا الوعي يعي أن سقوط الوعي بالله عنه يعيده عاريا الى التراب الذى جاءت منه نشاءته الأولي ولهذا فنفس المؤمن شريفه لاتنظر الى ماهو ادنى وهمته عاليه لانه يدريك أن الخروج عن طاعه الله ورسوله يعني خروج عن شرف الخلافه وعن الكرامه التى تعود الى النفخه بالروح فقال تعال. (مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض) بل إن انخلاع الإنسان عن وعيه بإرادته وكفره بالله تعالي يجعله ينزل لمرتبه ادنى من التراب الذى جاء منه وهذا ماتخبرنا به الايه ٤٠من سوره النباء (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا)

لقد صار التراب امنيه ورغبه مشتهاه فمن يتمني ذلك إلا انسان بلا وعي ومن هنا تجي اهميه معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له لانه بغير معرفه الله ينعدم وعي الإنسان ويهبط الى مستوي ادنى من الأحجار يصير تراب الحقول اشرف من عقله واكرم لماذا لأن الاحجار والتراب يذكر الله ويعبده بأسلوب غامض قد يخفي على بقيه المخلوقات وان كان الله وحده يعرفه قال تعالى (وان من شي الايسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ولهذا فإن الإنسان الكافر يكون ادنى منزله من الأحجار والتراب الذى جاء منه فى حاله سقوط الوعي بالله لدى الإنسان الكافر كما قال تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشيه الله)

فالقلوب هي التى تعقل وتبصر ولهذا فإن سقوط الوعي يعني أن يعيش الإنسان بلا وعي لهم قلوب لاتشعر وعقو لا لاتعرف واذانا لاتسمع وعيونا لاتري عندما يسقط الوعي بالله فإن هذا يعني موت الوعي الانساني وهذا اخطر من الموت الحقيقي لانه موت الاحياء الذين لايدركون ولهذا لاينتفع من كان هذا حاله بنور العلم فحاله مثل الا عمي هل يستفيد الاعمي من ضوء الشمس فى النهار وانتشاره الجواب إن الاعمي لافرق لديه بين الليل والنهار لا ن حياته كلها ظلام وكذلك فإن الحكمه لاتثمر فى قلب محب الدنيا ومن الف هواه قل آدابه ومن لم ينفعه دواءه كيف يدوي غيره ولهذا نجد الحوار ينتقل للتهديد والوعيد (الاتنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير)

لان الخطاب للمؤمنين الذين يجب عليهم أن يستبقلوا أمر الله بالتعظيم يقول لهم أن شرفكم هو بطاعه الله والا ستجابه للرسول صلى الله عليه وسلم بالنفير والجهاد ضد أعداء الله وإذا تقاعستم عن الخروج و الاستجابه لدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للنفير فمعني هذا أنكم تطلبون الدنيا وأنكم تصرون على ايثار الدنيا على الا خره وبالتالي فعليكم انتظار العذاب الموجع فى الدنيا اضافه الى عذاب الاخره فهذا عقاب العالم كما ورد عن الحسن البصري إذا احب الدنيا مات قلبه ومن مات قلبه فإنه يطلب الدنيا بعمل الاخره) ولابد أن يكون فعل وقول من يحب الدنيا باطل حتى ولو كان عالم ومن هنا كان الاهتمام بالقلوب لأنها المحل الذى يستقبل الانوار فإذا كان المحل غير صالح لاستقبال انوار الله فانها تعمى وتصبح لاتشعر ولاتدرك شئيا فهي غير قابله لنمو شجره التوحيد لأنها مثل الحجره الضخمه الصلده لاتنبت زرع ولاتنتفع بالمطر الشديد فمن يرضي بالدنيا ويجعلها غايه له يموت قلبه ويسقط عنه الوعي وهذا اكبر عقاب فاتعب الناس قلوبا واكثرهم شغلا أهل الاهتمام بالدنيا تجد التاجر مهموم بجمع المال لايعرف الراحه مشغول بجمعه وعده وحفظه ثم مشغول بالخوف من ضياعه وهكذا أصحاب الرئاسه و الجاه والسلطان والمال يعيشون فى قلق وعذاب وهو ما يفهم منه أن أكثر الناس راحه لابدانهم اهل الزهد فقد س ال محمد بن واسع اوصني قال أوصيك أن تكون ملكا في الدنيا والاخره قال كيف هذا قال ازهد في الدنيا (من كتاب تاريخ الاسلام) الذهبي ٥:١٥٩

فالمسلم ينطلق فى كل حركه من وعيه بربه الخالق ومعرفته بنفسه أنه مخلوق ليعبد الله ويحبه وحده لا شريك له فهذه هي قضيه وجوده فى الأرض التى ينطلق على اساسها فهي التى تحفظ له كرامته وسلامته ونجاته بأن يكون كله لله فالمسلم

يضحي بنفسه وماله وكل شي فى سبيل الله ليحافظ على مكانته وشرفه الذى كرمه الله به عندما اختاره أن يكون خليفه له فى أرضه فالمسلم لايتقاعس ولايتخلف عن النفير وحمل السلاح للذود عن دينه من العدو الذى يريد استئصال الاسلام فإنه يدريك أن الفلاح هو بالكفاح والجهاد فى سبيل الله أنه ينفع بذلك نفسه فالامم التى تثاقلت عن الجهاد أصابها الذل والهون وهذا هو حال المسلمين اليوم عندما تركوا الجهاد

المسلم يستحضر هذه الايه فى كل وقت وموقف يقف فيه يواجه الحياه بإدراك أنه بذلك إنما ينفع نفسه فلا يتأخر عن طاعه الله ورسوله فى الجهاد وغيره من الأحوال والمواقف التى تعترضه فى حياته لانه يدريك بوعيه ان جسده ملك لله الذي سخره للإنسان يدريك الإنسان أنه لايعطي شئيا ولو أنفق ماله كله فى سبيل الله لأن المال هو مال الله الذي استامنك عليه واودعه عندك هذه هي قاعده حركه المؤمن فالحياه يخاف من غضب الله ويسعي فى طلب إرضاء الله ونيل محبه الله تعالى يدريك عظمه اختيار الله ونعمه الايمان التى انعم الله بها عليه يدريك أن تكليف الله للإنسان ببذل روحه وماله فى سبيل الله هو من حب الله لعباده أنه دعوه من الله الغني الحميد لنا نحن الفقراء الي مائدته سبحانه وتعالى ورحمه منه تعالي بنا ليدخلنا الجنه فهو تعالى يقول (يايها الناس انتم الفقراء الي الله والله هو الغني الحميد)

فهو المعطي الغني الحميد ولهذا يتوعد الله الذين لايستجيبون لما يدعوهم إليه ولايطيعونه بالعذاب الموجع وان يستبدل بهم قوما آخرين لايتثاقلون فقال تعالى (ويستبدل قوما غيركم)وقال في موضع آخر (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذاله على المومنين اعزة على الكافرين .....الخ

يهددهم بأن يستبدل بهم قوما يحبهم ويحبونه فالقيمه الوحيده التي تقف على نقيض الكفر والشرك هي حب الله ومن هنا نفهم ماجاء بعدها (ولاتضروه شئيا)

أي أن من تقاعس ولم يستجيب لنداء الله ورسوله وتأخر عن طاعه الله ورسوله في الجهاد وغيره من الأحوال و المواقف التي تعترضه فى حياته فهو لايضر الانفسه ولايضر الله شئيا لان ربك هو الغني الحميد وليس محتاج للبشر بل المخلوقات هي المحتاجه لعطاء الله وحبه وختم بقوله (والله على كل شئ قدير)

اي قادر على اهلاك العصاه واستبدالهم باخرين يقومون بطاعه الله ورسوله

ثالثا

بعد أن اختتمت الايه الكريمه السابقه بذكر أن الله تعالى قدرته وعظمته سبحانه وتعالى بقوله (والله على كل شي قدير) يقول للمتقاعسين بأنه قادر على نصره دينه من الاعداء بدونكم فعندما امركم بنصره دينه وإنفاق أموالكم فى سبيله لم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم انفاق المال في سبيله من فقر استقرضكم وهو له خزائن السموات والأرض وهو الغني الحميد واستنصركم وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم إنما أراد أن يختبركم كيف تتصرفون أراد أن يتفضل على من يشاء من عباده بنعمه الطاعه ليدخلهم جنته ولهذا يضرب لهم مثال على قدرته فى نصره نبيه بقوله تعالى (الاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن أن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودا لم تروها وجعل كلمه الذين كفروا هي السفلى وكلمه الله هي العليا والله عزيز حكيم)

هذا المثال يتحدث عن واقعه الهجره حيث أراد المشركون قتل الرسول أو نفيه أو حبسه فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكه متخفيا برفقه صاحبه الصديق رضي الله عنه يقول لك الحق لاتخشي على دين الحق فالله

ناصره وحافظه وهذا المثال ينبغي أن يكون حاضرا فى ذهنك انظر لحال الرسول صلى الله عليه وسلم عام الهجره لقد خرج من مكه مضطرا ولهذا قال (إذ أخرجه الذين كفروا) مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج من نفسه فهذا اشاره الى اجتماع المشركين وتامرهم للنيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والذى ضطره للخروج

المهم هنا ترسم لنا الايه الكريمه موقف خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مطارد من الاعداء الذين انتشروا فى كل مكان خاصه مع إعلان قريش جائزه ماليه لمن يلقي القبض على الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر مغريه فى هذا الأحوال التجاء الرسول صلى الله عليه وسلم الى غار ثور أنه غار موحش لايدخله أحد واذا بكفار قريش يصلون الى هذا الغار ويقفون عن فوهته يقول ابوبكر للرسول صلى الله عليه وسلم لو نظر أحدهم لقدمه لشاهدنا ؟

يرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه الواثق بالله وبمعيه الله فى هذا الموقف الصعب.(لاتحزن أن الله معنا)

فأول درس يجب أن تتعلمه انت ايه المسلم من هذا الموقف أن تضحي بمالك ونفسك فى سبيل الله فالله تعالي قادر على نصره دينه وهو ناصره وحافظه بك أو بدونك فهو تعالى عندما امركم بنصره دينه بالتضحية بالنفس و المال لم يستنصركم من ذل ولااستقرضكم من قل فهو له خزائن السموات والأرض وهو تعالى له جنود السموات وا لأرض وهو العزيز الحكيم إنما استنصركم ليختبركم هل تقدمون أنفسكم واروحكم واموالكم في سبيل الله ام تبخلون بالتضحيه بما هو ملك لله فى الأساس فقد أراد أن يتفضل على أولياءه بهذه النعمه التى يصطفي من عباده من يشاء لينعم عليهم بجناته ونعيمه فعندما يطلب الله منك التضحيه بنفسك ومالك فمعني هذا أنه يدعوك الى مائدته ايه الفقير المحتاج الى الله فلا تتأخر عن ذلك

ثم إن الدرس الثاني من هذا الموقف انه مهما اوحشتك الغربه فعليك أن تثق بالله وأنه ينصر أولياءه تذكر أن الله معك فإن هذا الذكر من القلب الخالص فيه الانس بالثقه بالله فقلوب الأولياء اشد انسا بالله من كل أليف و يجب أن يكون الله عندك هو ما تانس به وإن تتوكل عليه فهو تعالى اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه وان صبت عليك المصائب الجاء الى الله بالاستجاره به كيف تحزن وانت تعلم أن الله معك طالما أنك على الحق ومن كان الله معه لايحزن فازمه الأمور بيد الله ومصادرها من قضاءه سبحانه وتعالى وهذا إنما يكون بالإ يمان باليقين إذا أن صحه هذا اليقين تكون بسكون القلب الى الثقه بالله وهذا يفسره قوله تعالى (لاتحزن أن الله معنا) والانقياد لأمره فالرسول صلى الله عليه وسلم حمل الدعوه تنفيذا لأمر الله ولم يخش قريش وبطشه ولهذا قال تعال (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنودا لم تروها)

الضمير فى كلمه (عليه) قيل إنه عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل إنه عائدا على ابي بكر الصديق لما قلق فقال له الرسول (لاتحزن أن الله معنا) والسكينه من السكون والاطمئنان والرسول صلى الله عليه وسلم من الموكد أنه مطمئن على الدوام ولم تزوال عنه السكينه قال ابن عباس وهذا لايناقي تجدد سكينه خاصه بتلك الحال ويجوز أنها عائده على ابي بكر الصديق وهذا فيه شحذ للهمم أن الواثق بالله لايمكن أن يستسلم فى الحرب وهو مؤمن بحقيقة أن الله معه فماذا يجعله يخاف من العدو فقلب المؤمن المطمئن بالله يثبت وقت الشدائد ولايضطرب لان الله ينعم عليه بالسكينه التى هي من تمام النعم فى مثل هذه المواقف

كما أن هذا الموقف فيه بيان لمنزله ابوبكر الصديق رضي الله عنه نتعلم من هذه الشخصية الثبات والتضحيه ب النفس والمال والأهل فى سبيل الله فأبو بكر الصديق خرج مع الرسول فى هذا الموقف الصعب ترك تجارته وخرج فى سبيل الله وشاركت بناته فى هذا الجهاد فقد كانت اسماء بنت ابي بكر الصديق تحمل الطعام للرسول صلى الله عليه وسلم وابوبكر داخل ثوبها فسميت ذات النطاقين وكان اخوها يقوم بمحو آثار الأقدام فى الطريق هكذا يجب أن يربي كل واحد منا نفسه وأهله أن يكونوا حاملين قضيه الدعوه

يجب أن تكون شجاعا فالداعيه لابد أن يكون شجاعا فهذا ابوبكر يخرج مع الرسول فى هذه الظروف الصعبه يشاركه هم الدعوه والذود عن دين الله فهذه الايه الكريمه تبين شرف ومنزله ابوبكر الصديق ولهذا قال العلماء أن كل من قدح بابي بكر الصديق رضي الله عنه فهو كافر استنادا لهذه الايه فمن مدحه الله فى القرآن الكريم كيف لإ نسان أن يقدح به

أما الدرس الرابع فعليك أن تدرك أنك إذا توكلت على الله واثقا بنصره فإنه ينصرك سبحانه وتعالي فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم الذى خرج من مكه طريدا يدخلها بعد ذلك فاتحا فكلمه الحق دائما مرفوعه وأما كلمه الباطل فهي سفلى على الدوام فالله عزيز لايغلب وهو حكيم يضع كل شي فى موضعه فكن واثقا بقدره الله ووعده الذى وعد به رسله واولياءه فقال (ل انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)

رابعا

بعد الوعيد الشديد والتهديد للمتقاعسين عن الجهاد والمثال المضروب بنصر الله لرسوله واولياءه فهذا المثال كافى لإسقاط هيبه الروم من نفوس المسلمين قبل اللقاء حيث كانت بنظر القبائل العربيه أنها قوه ضاربه لاتغلب فكان مجرد التفكير فى لقاء الروم خيال لايطال اضافه الى الظروف الصعبه جدا التى أحاطت بغزوه تبوك

لهذا بعد اعلام الله المؤمنين بنصر رسوله على أعداءه وضرب ذلك المثال لهم بأنه نصر رسوله ودينه فى ظروف اشد صعوبه منها تأتي الآيات تدعوا المؤمنين للنفير العام فى كل الأحوال المسره والمكره العسر واليسر والشده و الرخاء فقال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالهم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)

دعوه للنفير العام نظرا لظروف المعركه كما أوضحنا سابقا فقال تعالى (انفروا خفافا وثقالا)

الأمر الأول

اي اخرجوا للجهاد فى سبيل الله خفافا وثقالا اي فى العسر واليسر خفافا من السلاح وثقالا حاملين السلاح خفافا اي شبابا لان الشاب خفيف الحركه وثقالا اي شيوخ لان الكهل صعب الحركه وثقيل فى سيره خفافا اي ركبانا وثقالا اي مشاه خفافا نشطاء كما هو حال الشباب والرشيق وثقالا غير نشطاء كما هو حال الشيوخ ومن كان سمين لا ن حركته تكون بطئيه فهذا فيه ذكر الصفه وهذا يوجب عليك ايه المؤمن وانت تقرا الايه أن تستحضر عظمه من استنفرك أنه الله تعالى فإذا استقرت هذه المشاعر فى أعماق نفسك فمن الموكد أنها سوف تحدث انقلاب فى حياتك يدفعك للنهوض فى جهاد النفس والهوى والشر والكفر وحمل السلاح فى سبيل الله عندما يعلن داعي النفير للعام لأهالي البلد للخروج لاجل الدفاع عن دين الله خاصه عند وجود خطر يداهم وطنك فلا تنظر لمن يدعوا الى النفير انظر الى من أمر بالنفير العام خفافا وثقالا لاتقول فلان دعي للنفير العام فتلجأ الى اختلاق الأ عذار والمبررات كي تتهرب من هذا الواجب بل عليك أن تحس ان الذى يأمرك بهذا النفير هو الله تعالى عليك أن تتعامل مع الأمر بجديه والتعظيم فى تلقى امر الله تعالى فتنهض وتخرج مسرعا للجهاد فى سبيل الله هكذا تلقى الصحابه والتابعين هذه الايه فقد ورد عن التابعين أنه فى احدي الغزوات خرج شيخ هرم فى السن عندما سمع مناديا ينادى للجهاد وقال لأولاده ربنا يستنصرونا فاحملوني فقال له بنوه يرحمك الله لقد غزوت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى مات وغزوت مع أبي بكر حتى مات وغزوت مع عمر حتى مات فنحن نرد عنك فرفض القعود وقال إن الله استنفرنا شيوخا وشبابا وابى إلا أن يركب البحر فمات فلم يجدوا جزيره يدفنوه فيها وظل عشره ايام ولم يتغير هكذا كان تلقي الصحابه لأوامر الله فى القرآن الكريم

الأمر الثاني

تبين الايه أن على المسلم أن يبذل ماله ونفسه فى سبيل الله وابتدا بالمال فقال تعالى (وجاهد وا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم وان كنتم تعلمون)

نظرا لان الحاجه للمال كان ضروريا فى هذه الغزوه مبينا أن البذل والتضحية بالمال والنفس والنفير خفافا وثقالا خير للمؤمنين من الدنيا والاعذار ومن التثاقل فيه سعادتكم الابدايه فالقضيه مصيريه متعلقه بسعادتكم الابدايه يتوقف عليه مصيركم ولهذا فإن العالم بهذه الحقيقه يهون عليه التضحيه بالمال والنفس فى سبيل الله

وهذا فيه التحفيز على القتال فى سبيل الله والبذل والتضحيه بالمال والنفس

المقطع الخامس من سورة التوبه

ابتدأت ايات هذا المقطع بالحديث عن المنافقين الذين هم جزء من مكونات المجتمع المسلم وكان لهم دور سلبي الحركه ينعكس على وضع المجتمع المسلم ودولته لأنهم اندسوا داخله وصار عملهم يتجه نحو هدم دوله الاسلام من داخلها وهو ما يشكل خطر يجب الإنتباه له وكانوا حتى تاريخ نزول سوره التوبه غير معروفين فهناك من كان يتستر ويختفي عن الأنظار كما قال تعالى (لاتعلمهم نحن نعلمهم)..حيث ورد ذكر أوصاف المنافقين فى سوره البقره والنساء والأحزاب والمنافقين والانفال والحشر لكن ظلت تلك الاوصاف غير كافيه فى فضح ممارسات وحيل المنافقين حتى نزلت سوره التوبه ولهذا سميت بالفاضحه فقد فضحتهم حتى خاف أغلبهم أن تكشفهم بالا سم حيث وبالوقوف على الايات تتضح لنا حقيقه هذا الاسم كما يتبين من الآتي

القسم الاول

فقال تعالى (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك لكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لايستئذنك الذين يومنون بالله واليوم أن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والله عليم ب المتقين إنما يستئذنك الذين لايومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددن ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خب الا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمرالله وهم كارهون)

وايات هذا القسم المكون من سبع ايات كلها تدور حول بيان أوصاف المنافقين وأحوالهم وكيفيه التميز بينهم وبين المؤمنين وسوف نتناول طرح المفاهيم والدروس المستفاده من هذه الآيات من خلال الآتي

اولا

ابتدأت الآيات بهذا الخطاب الموجه للنبى صلى الله عليه وسلم المتضمن اخبار الله عن حال المنافقين والمتثاقلين عن اجابه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالنفير للجهاد فى سبيل الله فقال تعالى (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك لكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون)

والسؤال هنا لماذا جاء الاخبار عن حال المتثاقلين بأسلوب الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب :

لان دأب المجتمع المسلم وعاداتهم كانت إذا استنفرهم الرسول صلى الله عليه وسلم للجهاد أن ينفروا بهمه ونشاط وعزيمه لكن فى هذه الغزوه لما استنفرهم الرسول صلى الله عليه وسلم حصل تثاقل من بعض المسلمين وهذا التثاقل كان متفاوت من شخص لآخر بتفاوت الأسباب والظروف التى أحاطت بالغزوه من جهه ونظرا للدعايه الاعلاميه التى بثها الطابور الخامس من المنافقين من خلال تهويل أمر جيش الروم وأنه قد جاء لا ستئصال دوله الاسلام فكان لذلك وقعا فى قلوب ضعاف الإيمان خاصه من الذين دخلوا في الاسلام حديثا حيث نجح الإعلام المعادي للإسلام من اختراق الصف فى هذا الجانب فقد كان بعض المسلمين كلما سمعوا صوتا تصوروا أنه جيش الروم لكن كان من المؤمنين النفير عندما استنفرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وان كانت خطوت اقدام البعض ثقيله الحركه وبطئه أما المنافقون فقد عظم عليهم الأمر ولهذا قاموا باختلاق الأعذار الواهيه للفرار من القتال ولهذا فإن توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المربى الذى يسعي لمدواه أمراض المجتمع وإصلاح أحوال الناس فهي امتداد للايات السابقه التى أنكرت التثاقل عن تلبيه دعوه الرسول

صلى الله عليه وسلم لهم للنفير فقال تعالى (لوكان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك لكن بعدت عليهم الشقة)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

(تتحدث الآيات عن بواعث التثاقل عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم للنفير العام فابتدات بتشخيص المرض الذ ى احدث التثاقل بشكل عام بأنه أمر يعود الى ماطبع عليه الإنسان أنه يندفع مسرعا إذا كان هنالك من يدعوه الى متاع دنيوي سهل المنال فقال تعالى (لو كان عرضا قريبا) فهذا لان الإنسان كما وصف الله عجولا فإنه يسرع فى طلب الشي العاجل وهذا أمر مطبوع عليه الإنسان فرغبته قويه فى طلب العاجل وتفضيله على الأجل فقال تعالى (لو كان عرضا قريبا) والعرض الحاضر وسمي عرض لانه متغير بعكس الجوهر ف لا يطرأ عليه الغيار وسمي عرض لانه لايدوم فهو كل متاع الدنيا ومنافعها (اي متاع العاجله) والمعني لو كان غنيمه قريبه مثل تجاره رابحه او رحله سياحيه (وسفرا قاصدا) اي سهلا قريبا (لاتبعوك)طمعا فى المال أو النزهه والمتعه لكن اذا كانت الدعوه للنفير فى مواطن الرجوله والتضحيه والبذل والعطاء فإن النفس عاده تكره التعب والمشقه فقال تعالى (لكن بعدت عليهم الشقة) الشقه تعني المسافه اي صارت بعيده بنظرهم لماذا لأنهم صاروا يفكرون بالاهوال والمتاعب والأخطار التى تنتظرهم إذا خرجوا لقتال الروم هذه الدوله العظمي فصارت المسافه بعيده وهكذا فإن حال النفس عند الخروج للقتال فإنها تري المسافه بعيده وان كانت قريبه أما لو كان الخروج لجمع المال أو للنزهه فإنها تري المسافه قريبه وان كانت بعيده فالمساله تخضع لعوامل نفسيه بحته ولهذا كان مجئ الايه الاخبار عن حال المتثاقلين بأسلوب فيه توبيخ للمتخلفين بالاشاره الى أنهم فضلوا العاجله على الاجله وهذا لايصدر الا من نفس ضعيفه الايمان أو منافق لان المؤمن الحقيقي يجتهد فى تطوير واقعه المرفوض ويري أن مستقبله المرجو الذى يريد أن يعيشه ويعمل للوصول إليه مرتبط بالغايه من وجوده حيث انقسم المتثاقلين الى قسمين منافق تخلف عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للنفير ومؤمنين حصل الخروج والنهوض وان كان هنالك تفاوت فى درجات التثاقل بالاستجابة فى تلبيه النداء كلا بقدر ايمانه فاراد بهذا التشخيص والتوبيخ

المفهوم الاول

اشعار المؤمنين بنقص من يتثاقل عن اجابه داعي الجهاد باختلاق الأعذار لان ذلك يدل على نقص الايمان وضيق الأفق و ضعف الملكات الباطنه وحاجتها للتنميه وهو ما يؤثر سلبا ويهدد كيان الامه بخطر التخلف فالإيمان يزداد وينقص كما أن تقدم المجتمعات وتخلفها وتطورها مرهون بنظرته العامه حين تفاضل بين عائد العمل وبين الجهد اللازم بذله للوصول إلى الغايه والهدف المنشود حيث أن بعض المجتمعات يؤثر الراحه مع الاكتفاء بالاقل و البعض يبذل أقصي الجهد وصولا إلى الاكثر ولهذا جاء التوبيخ للمتخلفين عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج فى سبيل الله لقتال الروم لبيان أن هنالك ضعف ناتج عن نظرتهم العامه بأنهم يؤثرون الراحه والا كتفاء بالاقل ولايريدون بذل الجهد اللازم للوصول الى إعلاء كلمه الله يفضلون الراحه فهم أما ضعاف ايمان وأما منافقين فأما ضعاف الإيمان فهذا يعود الى حاجتهم الى تنميه ملكاتهم من خلال اصلاح الحالات الروحانيه للوصول الى اعلي درجاتها وهي أن يطمئن الإنسان الى ربه وان يجد كل السلوان والسرور واللذه فى الله بان يظفر المؤمن بجنه الدنيا جزاء على كامل صدقه وصفائه ووفاءه وهذا يكون بتزكيه النفس وكذلك توسيع افاقهم للخروج من النظره الضيقه للعاجله ومتاعها الزائل لان من كانت نظرته للعاجله فمن الطبيعي أن يتثاقل ولا يستجيب كان هنالك قوه تمنعه من الارتفاع والقيام من مكانه الا اذا كان الغرض دنيوي وهذا واقع نعيشه فعلا فأنت لو لوقلت لمن كان ضعيف الايمان أو منافقين تعالوا للنزهة أو لسهره لطيفه أو السفر للسياحه مثلا وقلت إن تكاليف الرحله مجانيه مع مايلزم من نفاقتها فإنك تجد أعدادا كبيرة من الناس تتزاحم لاجل السفر لماذا لأنه سهل ليس فيه مشقه ولاتعب لكن اذا قلت لهم تعالوا نخرج للوقوف فى ساحه قريبه للوقوف احتجاجا على المذابح

فى غزه مثلا فإنك تجد اعذار واهيه فما بالك لو كان الطلب فيه مشقه وتعب

المفهوم الثاني

أن اللازم على المؤمن أن يدرك أن الوصول للعز والقوه يحتاج الى بذل جهد والنظر الى الغايه والهدف المنشود و النظر لمن يناديك للقيام بحمل تكاليف الطاعه أنه الله تعالى فالامه اليوم إذا أردت التقدم والتطور فعليها أن تبذل قصارى جهدها عليها أن تتحمل المشقه فى سبيل الله وان تقدم ثمن العز فالعجز الذى نعيشه اليوم يعود اساسا الى تخلف المسلمين وجمود وخمول حركتهم يعود الى ضيق الأفق و غياب روح الاسلام عن المسلمين حيث وقع روح المسلم فى قبضه الغرب الذى غرس فى المسلمين حب القعود والراحه والتمتع بالحضاره الماديه التى صنعها الغرب ولم يشارك المسلم فيها لم يكلف المسلم عناء الصناعه والعمران مثلما تخلي عن الجهاد وصار المسلم يتغني بامجاد أجداده مثل الباس الفقير الذى يتغني بأموال أسلافه صارت الشعوب الاسلاميه فى حاله تلكا غير قادره على الحركه عندما تخلت عن دينها وقدوتها وهذا ما حذرت منه الايه بالتوبيخ لمن يتخلف عن اجابه داعي الله

المفهوم الثالث

توجيه المؤمنين الى توطين أنفسهم على تحمل المشقه والصدق مع الله وترك الكسل والخمول والقعود وللخروج من هذا الحال تحتاج الى عزيمه قويه وهمه عاليه

بتلقي أمر الله بتذكر عهدك الذى أعطيته خالقك ومعبودك ومالكك فتاخذ عهدك بقوه وقبول وعزم على تنفيذ مافيه وهذا يتطلب فهم مافيه وتدبره وتنفيذه توطن نفسك على امتثال أمر الله والعمل به وتنفيذه فهذا يمدك بنور يغزو قلب المؤمن ويوجد همه الى الهمه الأولي وعزيمه اقوي من العزيمه الأولي عندها يرزق الاذن الواعية والقلب الذى يعقل وتكون آفاقه عاليه فشرف النفس وقدرها يكون بالهمه العاليه ولهذا فإن صاحب الهمه العاليه لا يتاثر بالمتاعب التى فى طريقه لان مطالبه عالي أما أصحاب النفوس الهزيله الذين لاياخذون العهد بقوه ولا عزيمه ولم يحدثوا أنفسهم بفهمه فإن هولاء يتساقطون فى الطريق لان مطلبه سافل وافاقه ضيقه وهمته ضعيفه فهو ذو نفس خسيسه يقبل أن يعيش لغرض رخيص فيتخلف عن الركب لغرض رخيص وتافه فهذه هي حال من لم يوطن نفسه على تحمل تكاليف الطاعه وهذه هي حياه المنافقين الذين لم يحملوا العهد ولم يأخذوا بقوه وعزم وهمه وهو ما يجب الحذر منه وما يجب الأخذ به فى عين الاعتبار لمن يعملون فى حقل الدعوه أثناء تربيه الا جيال المؤمنه

المفهوم الرابع

أن على المسلم تزكيه نفسه وتنميتها وتكبيرها بالطاعات حيث أنها سوف تجد فى ذلك أن مشقه الطاعه غذاء للروح وبالتالي لن يجد المسلم مشقه فى تحمل تكاليف الايمان والسفر الى الله والدار الاخره بل العكس سوف يجد لذه جميله جدا لايتذوقه غيره أنها جنه يدخلها العبد المؤمن وهو فى الدنيا فى حين يعمل الآخرون لاجل أن يدخلوها بعد الموت

المفهوم الخامس

أن على المؤمن أن يلتزم الانضباط لأوامر القياده وتغليب المصلحه ذات الأثر الممتد على المصلحه العاجله واحترام الهيكل التنظيمي للموسسه التى يعمل فيها لان المخالفه يعود الضرر فيها على الجميع فوجود الاداره الرشيده والتزام الجميع بتنفيذ الأمر دون تردد من أسباب القوه والقدرة على مواجهه المواقف والتحديات

الأمر الثاني

تبين الايه أن طبيعه المنافقين هو التداعي الى أهواء الباطل والميل الى الدنيا وهم يعتمدون على سياسيه المراوغه ولهذا يخبرنا الله عن أساليبهم فى هذا المجال فقال تعالى (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم)

وهذه الايه الكريمه فيها الآتي

المفهوم الاول

تبين الايه صدق القران ومعجزاته فى هتك حاجز الزمان حيث أن السين فى قوله تعالى (سيحلفون) تتحدث عن أمر لم يقع عند نزول الايه وانما يتحدث عن شي سوف يقع فى المستقبل يقول للرسول صلى الله عليه وسلم عند رجوعكم الى المدينه سوف ياتى اليك المتخلفين من أهل النفاق وسوف يحلفون بالله أن هنالك اعذار اضطررتهم للتخلف عن الخروج للقتال وهذا ماحصل فعلا

والمعجزه أنهم كان بمقدوراهم أن لايختلقوا الأعذار وان لن ياتوا يقسمون بالله كما وصفهم القران الكريم فلو حصل هذا منهم لاستطاعوا أن يسقطوا معجزه القران الكريم مثلما أن القرآن أخبر عن كفر ابولهب فلو اسلم ابو لهب حتى كذبا لكان استطاع إسقاط معجزه القران التى حملوا السلاح لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل إطفاء أنواره

فما الذى جعل المنافقين يحضروا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ويقسموا بالله أن هنالك اعذار منعتهم من الخروج مثلما أخبرنا الله الحقيقه ان الله اعماهم فحلفوا وبهذا أظهر الله لنا صدق القران وأنه منزل من عنده تعالى فقد جاوا وحلفوا لتأكيد صدق القران فيما أخبر به عنهم

المفهوم الثاني

أن المنافق جبان وضعيف يخاف من انكشاف أمره وافتضح خبثه ولهذا يلجأ الى الحلف الفاجره لإثبات كذبه فهذه هي طبيعه المنافقين تتصف بالكذب وكثره الحلف بالله الفاجره لأنهم ينظرون أن هذه هي الوسيله الوحيده للخروج من المازق الذى يقعون فيه اختلاق الأعذار والمبررات الواهيه وحلف اليمين لإثبات صحتها كذبا

فهو يري أن السبيل الوحيد للنجاه هو الحلف بالله وهو في الحقيقه يوقع نفسه فى الهلاك لماذا .؟

لان الكذب يهدي ال الفجور والفجور يهدي الى النار فمن اعتاد الكذب فإنه اول مايسري الى لسانه فيفسده ثم يفسد الجوارح فيعم الكذب أحواله وأقواله وأعماله

فيستحكم عليه الفساد ويترامى داره الى الهلكه أن لم يتداركه الله بدوا الصدق يقلع تلك الماده من أصلها (نقلا من كتاب الفوائد لابن القيم)

ويتضح استحكام الفساد عليهم من استهانه هولاء باسم الله بالحلف الكاذب فالكذب

اصل العجز والكسل والجبن والبخل والكبر والفخر والبطر والمهانه فكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب فهولاء يريدون معالجه الباطل بالباطل ويدعمون الإجرام بالاجرام لقد لجأوا الى الحلف الفاجره لتغطيه الفضيحه عن أنفسهم عندما تخلفوا عن الجهاد فالجمله تبين حالهم أو ماكان سببا لما وصلوا إليه فهم اردوا النجاه فوقعوا في الهلاك ولهذا ذيلت الايه بقوله تعال (والله يعلم أنهم لكاذبون) فيها التهديد لهم بأنه تعال يعلم الحق ولهذا يكشفه للناس ويفضحهم فى الدنيا والاخره ولأنه تعالي يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه فجميع مفاسد الدنيا والاخره ومضارهما استجلبت بالكذب فعلى المسلم أن يحذر الكذب وان يكون صادقا مع ربه

ثانيا

بعد ذكر حال المتخلفين وبواعثهم تأتي الآيات ببيان اسلوب التعامل في مثل هذه المواقف مع الذين يلجأون الي الأعذار بأن لاتسمح له ان يتوراى خلف الأعذار للهروب من داعي القتال ومقتضاه .فالتجربه كفيله بفضحهم وكشف مافيهم من خبث وجبن وذل فالتجارب مهمه لدراسه المجتمعات ومعرفه أمراضها بالنسبه لمن يريد أن يقوم بإصلاح أحوال الناس فذلك علم له أسراره وأدواته مثل الطب البشري

فقال تعالي (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

الأمر الأول

ابتدأت الايه بالعفو عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل العتاب فقال تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) يقول له لماذا قبلت اعذار المنافقين بالمكوث بالمدينة وترك الجهاد فكان عليك الانتظار حتى يظهر لك صدق اعذار هم وتكتشف الصادق فى عذره من الكاذب وهذا فيه

المفهوم الاول

تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء لمنزلته عند الله بدليل أن العفو سبق العتاب

المفهوم الثاني

تدعونا الايه أن نتعلم الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فالله يخبر نبيه ويودبه بالعفو قبل العتاب وهذا فيه لطف وتكريم منه تعالى لنبيه يوجب علينا أن نتادب فى حديثنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم

المفهوم الثالث

تعلمنا الايه اسلوب القياده الحكيمه فى التعامل مع الإتباع بأن عليهم التاني وامتحان الإتباع حتى تعرف المتصف بالصدق فى عذره أو غيره وتعرف الكاذب

الأمر الثاني

اذا كان المعلوم أن العفو يستعمل للدلاله على التجاوز عن الأخطاء وعدم العقاب لفاعل الأخطاء فهي تعني المسامحه والغفران للذنب فهل يجوز اتيان النبى بذنب وهو معصوم ؟

من الخطاء الشائع لدي الناس اعتبارهم معني الذنب أنه مرداف للمعصيه بينما كلمه ذنب اعم فهي فى اللغه كل عمل ينتج ضررا أو فوات مصلحه أو منفعه مأخوذ من ذنب الدابه ولهذا فإن العفو هنا عن فوات مصلحه منصوص عليها فى الايه (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

وكما قال تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر)

وأخطاء الانبياء هي بالقياس الى اعمال البشر هي حسنات الصالحين

وبيت القصد أن العفو لايدل على ارتكاب ذنب متعلق بالعصمه المتفق عليها وهي الخاصه بتبليغ الوحي وبيانه و العمل به فهذا لايجوز أن يصدر من الأنبياء لأنهم معصومون وانما أخطاء الانبياء متعلق بالاجتهاد الذى لايمس الوحي فهذا يجوز

وهذا لايعد نقص بحقهم وانما يراد بهذه التجارب ترسيخ مفاهيم هامه فى الحياه كما ورد فى عتاب الله للنبي

صلى الله عليه وسلم (عبسي وتولي ..الخ وكما ورد بشأن قبول الفديه فى أسري بدر فى سوره الانفال حيث أن وضع النبي صلى الله عليه وسلم فى هذه التجربه تكون لها قوه التزام عند الإتباع فالمراد بهذا ايجاد النموذج السياسي (القدوه الحسنه) التى يجب أن يلتف حوله طاقات الشعب فهذا النموذج يجب أن يجذب إليه كل من يستطيع الإسهام فى النهضه ويبعد عنه كل من يعترض سبيلها ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) لان النهضه لاتتوقف على جهد رجل واحد بعينه أو مجموعه بعينها وانما تتوقف على تنسيق كامل بين جهود كثيره ومتنوعه تنتظم فى نغم جماعي وليس فى لحن عازف منفرد ولهذا فإن القياده تعمل على دراسه أحوال المجتمع من خلال التجارب التى تمر بها لتعرف من يمكن أن يكون لبنه صلبه لبناء الدوله ومن يشكل خطراً على الامه فالمواقف الصعبه تكتشف فيها القياده حقيقه الإتباع وتسقط الاقنعه عن الكاذبين فى انتمائهم للإيمان جاء التعبير عن الصادقين بالاسم الموصول (حتى يتبين لك الذين صدقوا)بالفعل الماضي وذكر الكاذبين باسم الفاعل(وتعلم الكاذبين) يقول الشيخ محمد رشيد رضا نقلا عن ابو السعود لأسلوب التعبير عن الفريق الأول الذى صلته فعل دال على. الحدوث وعبر عن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للا يذان بأن ماظهر من خبر الفريق الأول صدق حادث فى أمر غير مصطنع لتضمنيهم فى سلك الصادقين وان ما صدر عن الفريق الثاني وان كان كذابا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه أمر حاضر على عاداتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم فى الكذب

والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو مشهور فى تعريف مدلول الخبر بأنه يحتمل الصدق والكذب اي احتمال عقلي فظهور صدقه إنما هو بتبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا

أما كذبه فأمر حادث لا دلاله للخبر عليه فى الجمله حتى يكون ظهور شناعته بل هو يقتضي فيما يتعلق له بأن يكون علما مستنافا وإسناده الى ضمير الرسول صلي الله عليه وسلم لا الى المعلومين ببناء الفعل المفعول مع إسناد التبين والعلم لما أن المقصود هاهنا علمه عليه الصلاه والسلام بهم ومؤاخذته لهم بموجبه بخلاف الأولين حيث لايؤخذه عليه يقول صاحب المنار (ومن لم ينتبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق فى عذراه ممن كذب فيه وإسناد التبين الى الأولين وتعليق العلم بالآخرين مع أن مدار الإستناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما أشير إليه و لما ان المقصد هو العلم بكلاهما باعتبار اتصافهما بوصفهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما ولا باعتبار قيامهما بموصيفاهما

ثالثا

تنتقل الايه الى كشف حقيقه المنافقون واعطاءنا المعيار الذى نميز فيه الصادق من الكاذب فى الأعذار عند الدعوه للنفير العام فقال تعالى (لايستاذنك الذين يومنون بالله واليوم أن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين)

تبين الايه أن الذين يومنون بالله واليوم الآخر لايمكن أن يلجاوا الى اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف عن الجهاد لماذا ؟

/١

لان مقتضي الايمان بالله واليوم الآخر يمتنع عن المؤمن بصدق أن يتخلف عن الجهاد فهذا هو واقع من يعتقد بوجود الله لانه يتوكل على الله تعالي فلايجزع ولايصيبه الهلع اطلاقا

/٢

لان من صح علمه وثبت يقينه علم أنه لاينجيه من ربه الا الصدق ولهذا لايمكن أن يكذب لانه يشعر بوجود الله وعلمه بما تخفي السرائر وبالتالي كيف له أن يكذب ويتعذر للفرار من الواجب فهو يعلم أنه اذا استطع ان يخدع الناس باعذاره فإنه لن يخدع الله ولهذا يدريك أنه لاينجيه من تقصيره الا الصدق ولهذا يسعي فى طلبه ثم إن المؤمن لو أمن باليقين أن هنالك حساب وعقاب وجنه ونار .فإنه يغنتم حياته فى طاعه الله ليستعد لدار الخلود بعد وفاته ولهذا لاتقف أمامه العوائق لانه قد باع نفسه وماله لربه حيث سمعه يقول (أن الله اشتري من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

فهو مستغني بالله عن الخلق يسعي فى طلب القرب من الله ولهذا لايخاف على نفسه أن مات في سبيل الله بل تلك أمنيته لاجل الانتقال الي حياه فى جنه عرضها السموات والأرض ولهذا لايستاذن من أجل التخلف عن الجهاد فشعار المؤمن الثقه بالله وحاله المراقبه يستحضر وجود الله فهو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم

(أعبد الله كانك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ولهذا ختم الايه (والله عليم بالمتقين) لأنهم يراقبون أنفسهم بـ الشعور بوجود الله ولهذا يحاسبون أنفسهم ويسارعون فى امتثال أمر الله واجتناب نواهيه بإدراكه فضل الغايه ولهذا يوطن نفسه على الصبر فى تحمل مشقه الطريق لما يؤمل عند الغايه

رابعا

الايه (إنما يستاذنك الذين لايومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددن)

الأمر الأول

تبين الايه أن الذين يلجأون ال. اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف عن الجهاد هم

أصحاب الهمه السافله الذين تعلقت نفوسهم بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الاعلي

وانما تعلقت نفوسهم بالدنيا فقال تعالى (إنما يستاذنك الذين لايومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددن)

جاء باداه الحصر (إنما) لبيان أن الذين يلجأون إلى اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف عن الجهاد بالنفس والمال ا لا الذين تعلقت نفوسهم بالدنيا وملذاتها فهم لايومنون بالله واليوم الآخر لأن نفوسهم متعلقه بالدنيا وحب الحياه فلا يريدون تعريضها للقتل والخطر فهم لايرجون لقاء الله والدار الاخره وهم يشكون فى البعث والنشور و الحساب والجزء ولهذا هم فى قلق واضطراب وحيره

الأمر الثاني

ذهب البعض للقول إن هذه الايه منسوخه بما ورد في سوره النور

وهذا القول غير دقيق للاتي

المساله الأولي

أن الايه فى سوره النور نزلت قبل هذه الايه وبالتالي فمن الخطاء القول إنها ناسخه لهذه الايه لان الناسخ يكون نزوله بعد المنسوخ لا العكس

المساله الثانيه

أن موضوع الاستئذان فى هذه السوره يختلف عن موضوع الاستئذان الوراد فى سوره النور الذى جاء متعلق بآداب الاستئذان أثناء الاجتماع مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر جامع بالعيد والجمعه ويدخل فى ذلك الجهاد بالحراسه والبقاء فى المواقع لكن هذا الموضوع يختلف عن موضوع الاستئذان هنا بالتخلف عن الخروج للقتال

خامسا

فالايه هنا مع الايه التى قبلها فى قوله تعالى (لايستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستاذنك الذين لايومنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددن) تضعان لنا معيار التميز والتفريق بين المؤمنين والمنافقين فى الاستجابه لداعي النفور للجهاد:_

بان المطلب الاعلي موقوف حصوله على همه عاليه ونيه صحيحه فمن فقدهما تعذر عليه الوصول إليه فمن كانت نيته صحيحه فانه سوف يسلك الطريق الموصل الى الله تعالي يشعر أنه مسافر الى الله والدار الآخرة ولهذا فالطريق الى الله واضحه أمامه ومستقيمه وبالتالي لايتردد ولايتلكا الا من كان طريقه غير واضحه ولا يعرفها أو ضعيف همه يتجنب مشقه الطريق اتقاء المتاعب وهذا يعود الى ضعف الهمه وخستها لان من كانت همته عاليه تعلقت بالمطلب الاعلي وحده دون غيره يقول ابن القيم رحمه الله فالهمه تفرد له المطلوب والنيه تفرد له الطريق فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصل إليه كان الوصول الى غايته أما من كانت همته سفليه تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الاعلي وإذا كانت النيه غير صحيحة كانت طريقه غير موصله إليه حيث أن الإنسان حين يتأهب للسير الى الله والدار الآخرة تظهر له العوائق ويحس بتعويقها له فهي تقطع عليه الطريق بحسب قوه سيره وتجرده للسفر وكذلك فإن القلب يتعلق أما بحب الله ورسوله وأما بحب الدنيا والشهوات وحب الرئاسه ولايمكن قطعها الا بتعلق النفس بالمطلب الاعلي لان النفس لاتترك محبوبها الا لمحبوب هو احب إليها منه واثرعندها منه وكلما قوي تعلقه بمطلوبه ضعف تعلقه بغيره وكذلك بالعكس والتعلق بالمطلوب هو شده الرغبه فيه وذلك علي قدر معرفته به وشرفه وفضله علب ماسواه (نقلا بتصريف عن ابن القيم في كتاب الفوائد) ولهذا يقول تعالى بعدها (لو اردوا الخروج لاعدوا له عده)

الأمر الأول

تبين الايه أن هولاء لم يكن لديهم اراده التطور والتقدم والتغيير فالاعذار التى لجأوا للتواري خلفها تدل أنه ليس لديهم ارداه ولاهمه فهم لم يقصدوا الخروج بالكليه وانما اعذرهم باطله فلم يوجد مانع حقيقي فقال تعالى (لو اردوا الخروج لاعدوا له عدة)فالارداه الحقيقه تعني رغبه مشفوعة بعمل تنفيذي محدد وقاطع ومدعمه بإصرار متواصل ومقصود وتصميم متطلع الى هدف معروف ومطلوب فلو أنهم كانوا يريدون الخروج للجهاد فعلا لاعلاء كلمه الله لعملوا ما يمكنهم عمله بالاخذ بالاسباب بوضع الاراده فى قالب تنفيذي يكتسب الصدق من الحركه الدؤوبه التى تستهدف إعلاء كلمه الله من التجهز للمعركه فلديهم القدره على ذلك والوسائل فهم أغنياء فالارده ليست رجاء ونيه حسنه فهم لم يعدو له العده فعلم أنهم لم يريدوا الخروج

الأمر الثاني

تبين الايه أن هذا الخذلان عقوبه من الله لهولاء فقال تعالى (لكن كره الله انبعثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين)

لماذا جاء الاستدارك هنا مبينا أن الله لم يحب مشاركه المنافقين فى هذه المعركه؟

المفهوم الاول

أن يراد بهذا بيان أن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال نعمه عظيمه وشرف لايستحقه هولاء لأنهم منقطعون عن الله لان حبهم للدنيا واردتهم انصرفت لها فكان الخذلان عقوبه لهم لانهم لم يريدوا نصره الحق لخبث بواطنهم وانشغلها بالباطل الذى يهدف الى ستر الحق فتلك النوايا منطويه على كراهيه الحق واراده السؤء بالمسلمين فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (قال الله يابن ادم اعمل الخير ودع الشر فإذا أنت جواد قاصد) اي إذا رأيتم خير فاعينوا عليه وإذا رأيتم شر فاذهبوا عنه وهذا لمن كان مقصوده هو الوصول الى الله والقرب منه تعالي فكلمه قاصد يعني مستقيم وقريب من الله والسعاده لكن هولاء لم يريدوا القرب من الله ولايرغبون فى الخير فأخبر الله أنه بحكمته لم يحب خروجهم ولهذا لم يمدهم بالعون الذى يساعدهم على مقاومه الجبن وحب الراحه المطبوع عليها النفوس فهم لم يعملوا على تزكيه نفوسهم ومجاهدتها بل دنسوها بالنفاق بإظهار خلا ف الباطن

المفهوم الثاني

أن يراد بهذه الايه بيان حرمانهم من شرف المشاركه فى صناعه النصر الذى كان به سقوط امبراطوريه الروم العظيمه فهو عمل محبوب مثله مثل بقيه الأعمال الصالحه التى تدخل ضمن الأعمال الحسنه حيث ينقسم الناس فيها الى قسمين قسم ينتفع بها فى الدنيا والاخره وهو المؤمن الذى يعمل العمل الطيب ويكمل به حظه من السعاده وأما الكافر أو المنافق الذى يكون خبيث الباطن ويشارك فى الجهاد والذود عن الوطن فإن عمله هذا محبوب عند الله لكنه لاينتفع به إلا مؤقتا فى الدنيا ولهذا تتحدث الايه عن حرمانهم من الانتفاع بشرف هذا العمل حتى مؤقتا فى الدنيا فقال تعالى (ولكن كره الله انبعثهم فثبطهم) والانبعاث مطاوع من البعث وهو اثاره الإنسان او الحيوان وتوجيهه الى الشي بقوه ونشاط بغض النظر عن الباعث وكان يمكن اثاره بواعث القتال فيهم ولو حميه باعتبار الهجوم على المدينه من دوله الروم خطر يهدد الجميع أو اثاره الرجوله والشجاعه نظرا لان الخروج للقتال له بواعث غير إعلاء كلمه فقد يكون لحميه وعصبيه ودفاع عن وطن ومن أجل أن يقال فذكر الحق أنه ثبطهم بالعوائق التى قدرها سبحانه فمنعتهم من المشاركه أما بالتفشل أو التخذيل ولهذا قال (ولكن كره الله) فهذه حاله خاصه متعلقه بحرمانهم حتى من الانتفاع بالعمل المحبوب نفعا مؤقتا فى الدنيا كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه) اي ان الله تعالى يحب من العبد المؤمن إيمانه ويبغض مایاتيه من سئيات الأعمال ولايفيد ذلك الحب مع هذا البغض الا عذابا يتطهر به من خبث أعماله ويحب من الكافر عمله أن كان حسنا ويبغض ذاته لالتيائها بدنس الكفر ولاينتفع بالعمل المحبوب الا نفعا مؤقتا فى الدنيا وله فى الاخره عذابا شديدا فاخبرنا تعالى هنا أنه كره خروجهم فثبطهم بـ العوائق التى احدثها فى قلوبهم لحرمنهم من الانتفاع من هذا الشرف فى الدنيا بالتباهي والتفاخر

اي حتى الانتفاع المؤقت فى الدنيا حرموا منه ولهذا قال بعدها (وقيل اقعدوا مع القاعدين) فهذا القيل أما أن يقصد به /١

تمثيل لداعيه القعود التى هي اثر التثبيط وفى معناه أنه أمر قدري تكويني لاخطاب كلام

/٢

قول الشيطان بالوسوسه

/٣

قول بعضهم لبعض

/٤

أنه حكايه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وأنه قالها بما يدل على عدم رضاه عنهم فقال اقعدوا مع الاطفال والنساء والعجزه والمرضي المعذورون

والأرجح الاول لان الايه تتحدث عن حاله خاصه متعلقه بحرمانهم حتى من الانتفاع مؤقتا بالمشاركة فى إسقاط اسطوره دوله الروم لما في ذلك من الشهره والفخر الذى كانت العرب تتسابق على مواطن التفاخر فكان تثبيطهم فيه تفوت فرصه عليهم لان الإسلام انتصر فى تبوك بدون قتال

سادسا

قال تعالى (ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنةوفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين .)

ابتدأت بهذا الخطاب الذى فيه التفات من الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم الى خطاب مع المؤمنين لبيان حال المنافقين فيما لو خرجوا مع المؤمنين للقتال فى تبوك فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن يشعر المؤمنين بأن تخلفهم فيه خير للمسلمين ودولتهم وللدعوه أراد منك أن لاتحزن عندما تجد نفسك فى وقت الحاجه لزياده العدد لمواجهه الاعداء تقابل بخذلان المقربين عنك فاعلم أن الزياده الحقيقه هي التى تمد الجماعه بالقوه بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر لا زياده الأعداد والكيان هش لان هذه الزياده لاتزيد القوه للجماعه بل تصبح عامل تتاكل بسببه القوه الموجوده ويحدث نقص فيها اي زياده سلبيه ولهذا قال تعالى (ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا)فهم لايزيدونكم قوه ومنعه بل ضعف فوق الضعف وفشل فوق الفشل لان قلوبهم فيها جبن وضعف وشك وخيانه فهم يشكلون خطراً على الجيش ومعنوياته وسوف يلحقون به مزيدا من الضعف فخروجهم نقص وزياده ضرر وشر وفساد

المفهوم الثاني

أراد أن تفهم أن التقدم والتطور يتطلب تضامن كل القوى المؤمنه الصادقه الراغبة فى تحقيق التطور والتقدم كي تدفع البلاد في طريق الحق الذي فيه الازدهار والتقدم والعز والنصر والتمكين من خلال الاجتماع على كلمه الحق وعقيده التوحيد فإذا بقيت بعد ذلك فئه فى هذا الوطن ملحده وخائنه لاتريد الخير للامه والمساهمة فى صناعه العز فلا تبالى بهم ولاتحزن لتخلفهم فهم لايرجي نفع منهم فتخلفهم فيه خير للامه ومبادئها

المفهوم الثالث

عليك أن تفهم أن اتحاد كلمه الامه واجتماع شمل أبناؤها وتجمع سواعدهم لبناء مستقبلهم أمر عظيم ونعمه عظيمه ينبغي الحفاظ عليها ومنع تسلل المغرضين الذى لايرضيهم اتحاد كلمه المؤمنين الذين يسعون الى استغلا ل الفرص وانتهازها لاثاره الفتن لتمزيق الامه أما لكونهم مشدودبن للماضي غير مستفدين من دروسه وأما لكونهم مستفدين من الماضي غير مبالين بدروسه لهذا قال تعالى (ولاوضعوا من خلالكم يبغونكم الفتنه) وهذا أمر طبيعي أن يحدث عاده فى كل المجتمعات وفى كل الأوقات حيث لايخلو شعب من شعوب الأرض من دعاه تفرق ومستغلي صراع

ولهذا قال تعالى (ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم) فكلمه وضع كما قال الأزهري يقال وضع الرجل إذا عدي اي اسرع وهو مجاز ويقال وضع راحلته وخلال الاشياء مايفصل بينها من فروج ونحوه والمعني اي لاسرعوا فى الدخول من خلالكم لاثاره الفتن والشرور لاجل تفريق كلمه المؤمنين فقال تعالى (يبغونكم الفتنة) فهم أهل تخذيل وتوهين ويسعون بالنميمه لاجل تمزيق الوحده لان دعاه التفرقه ومستغلوا الصراع لا

ايقرون اتحاد الكلمه ولايقبلون بالتجمع حول كتاب الله وسنه رسوله الذى يضع مصلحه الامه فوق المصالح الشخصية خوفا على امتيازاتهم الذاتيه التى تذوب وتنصهر داخل هذا التجمع الكبير الذي يحدد الأهداف بأنها لا علاء كلمه الله ويلتزم بالعمل من أجل تحقيقها تجمع ميزان التفاضل فيه هو التقوي

المفهوم الرابع

أن اللازم على المؤمن أن يحذر طاعه دعاه التفرق ومستغلي الصراع لان تلك الطاعه يترتب عليها خطر يداهم الا مه ويهدد وجودها ولهذا ا يمتن الله على المؤمنين لانه ثبط المنافقين من الخروج فى تبوك فقد كان من بينهم من يتمتع بقوه تأثير كبير امثال ابن أبي والجد بن القيس لهم كلمه مسموعه عند اقوامهم وبالذات ضعاف الإيمان ولهذا يقول تعالى (وفيكم سماعون لهم) فقد ثبطهم الله عنايه بالمؤمنين مع هذا الضعف الذى يعني منه المسلمون ولهذا أخبر عن تمام علمه (والله عليم بالظالمين) فأخبر أنه تعال. عليم ماكان ومايكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون ولهذا قال (ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنه..الخ

فأخبر عن حالهم والخطر المترتب لو خرجوا معهم

المفهوم الخامس

أن اللازم على المؤمن أن يدرك أن دعاه التفرق ومستغلي الصراع يرفعون شعارات وطنيه ويظهرون حرصهم على الناس لاجل أن يتمكنوا من بث سمومهم وهم فى الحقيقة لهم اغراض دنئيه يريدون تحقيق مصالح شخصيه او خدمه لأعداء الامه ولهذا فعلى المسلم أن يحذر استحسان كلام غير المؤمن وعليه أن يلتزم طاعه القياده والادراه لاينظر الى القبيله أو العشيره أو ماشابهه ذلك لأن ذلك من أسباب الوقوع فى الفتنه التى يسعي الاعداء إثارتها داخل المجتمع المسلم للاستيلاء على مقدراته واستئصال أسباب العز والتمكين والكرامه وهو هذا الدين

المفهوم السادس

أن اللازم على المسلم أن يوزن النصيحه التى يسمعها من الآخرين بميزان الشرع هل هي موافقه لشرع الله ام لا

عليه أن يحذر من لين الكلام ورنق حديث المنافقين الذين يحاولون خداع الاخرين من خلال النصائح التى تهدف الى بث الشرور فى كيان الامه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول الدين النصيحه قلنا لمن قال لله ولرسوله وللمؤمنين)

فإذا كانت النصيحه تدعوا الى الخير وأعمال الخير فأنت ملزم بها أما إذا كانت تهدف الى شق الصف وبث الخلا ف والخروج عن طاعه ولي الامر والقياده بالذات فى موقف الشده فهذه ليست نصيحه وصاحبها ليس محب لك بل هو عدو يلجأ الى هذا الأسلوب للإيقاع بك وقد ورث هذه الخبره من ابليس الذى أقسم لادم أنه لمن الناصحين

سابعا

تعود الايه الى كشف حقيقه المنافقين وطبيعتهم الخبيثه فقال تعال. (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتي جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

هذا فيه اهميه دراسه تاريخ الشعوب وافاتها وامراضها لتدرك كيف تتعامل معها ولهذا تذكر الايه تاريخ المنافقين فى بدايه الامر عند قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينه فقد اجتهدوا فى الوقوف للإسلام والتشكيك بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم والكيد له ولاصحابه وتعاونوا مع أعداء الإسلام من قريش واليهود وغيرهم وبذلوا كل مافي وسعهم من جهد وحيل لابطال الدعوه وخذلان الدين ولهذا قال تعالى (وقلبوا لك الأمور) فأراد

بهذا بيان أن نفس المنافق معرضه عن الحقيقه الموجوده نزاعه الى العدم مؤثره للباطل فالنفاق مقرون بالكذب الذى يفسد تصوره فهو يصور المعدوم موجودا والموجود معدوما والحق باطل والباطل حقا والخير شرا والشر خير ا ولهذا يخبرنا الله أنهم لم يتوقفوا عن وقوفهم ضد الحق وابطال الدين والدعوه حتى وقعت غزوه بدر وانتصر الاسلام على الكفر وكان ظهور الإسلام كقوه ودوله فقال تعالى (حتى جاء الحق وظهر أمر الله) حينها دخلوا الاسلام نفاقا فأظهر الايمان وابطنوا الكفر فقال تعالى (وهم كارهون)

القسم الثاني

تنتقل الايه الى الشروع فى بيان حال المنافقين وأقوالهم وأعمالهم وابتدات ببيان امثله ونماذج لمعاذيرهم التى كانوا يعتذرون بها ويكشف حقيقه مافى نفوس المنافقين من بغض للإسلام والتربص بالمسلمين فقال تعالى (ومنهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى.الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين)

اولا

ابتدأت الامثله بهذا النموذج القبيح (ومنهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى) الذى يلجأ الى الاستئذان للقعود بعذر عجيب فيقول (ائذان لى) فى التخلف (ولاتفتنى) بالخروج للجهاد وقتال الروم وبالوقوف على لايه نجد الآتي

الأمر الأول

(الرجل الذى نزلت فيه الايه والمناسبه)

نزلت الايه فى الجد بن قيس سيد بني سلمه والمناسبه لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بتجهيز جيش العسره لغزوه تبوك قال للجد بن قيس هل لك ياجد فى جلاد بنى الأصفر اي الروم فقال يا رسول الله ائذان لى و القعود ولاتفتني بالخروج لقد عرف قومي مارجل اشد عجبا بالنساء مني وان أخشي أن رأيت بنات بنى الأصفر ا لا اصبر عنهن فأعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فكان ابتدأ الايه بهذا المثال والنموذج المتضمن اعذار المنافقين للتخلف عن الجهاد فى تبوك فابتدات بهذا النموذج القبيح (ومنهم من يقول ائذن لى و لاتفتنى) الذى يلجأ إلى الاستئذان للقعود بعذر عجيب فيقول (ائذان لى) فى التخلف ولاتفتنى بالخروج للجهاد فى قتال الروم بحجه خوفه من الافتتنان بجمال بنات الروم والمراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

تقديم نموذج لحال المنافقين ليعرف المسلمين فى كل زمان حال المنافقين واعذارهم لتسويغ خطيئتهم فلا ينخدع المسلمين بأساليب المنافقين الملتوية والكلام المعسول ولهذا ابتدأت الايه بذكر هذا النموذج القبيح للمنافقين لتكشف حقيقه المنافقين والتشنيع بهم وكل من سلك طريقهم ولأجل أن يحذر المسلمين من سموم المنافقين وخيانتهم فمواقف الشده والحروب تكشف معادن الرجال ومعرفه المنافقين أمر مهم لمنع تسلل هولاء الى مراكز القياده والقرار لأنهم لو وصلوا لذلك فإنهم سوف يضحون بالامه ويبيعونها لاهل الكفر فالأمر خطير ولهذا نجد تركيز سوره التوبه التى هي الاعلان الاخير للبشريه على كشف حقيقه المنافقين وطبيعتهم الخبيثه واوصافهم فابتدات بهذا المثال والنموذج الذى يحكي قصه الجد بن القيس فهو سيد بنى سلمه وهم رهط من الأ نصار منهم كعب بن مالك وثابت بن عبدالله اي ان الايه ابتدأت بذكر نموذج للمنافق الذى له سلطه وكلمه مسموعه بين قومه

فالجد بن قيس كان صاحب كلمه مسموعه وهو ما أخبرنا الله به فى الايه السابقه أن هذا التأثير لأمثال الجد بن قيس كان له أثر سلبي خطير فيما لو خرجوا معهم فقال تعالى (وفيكم سماعون لهم) ولهذا كان ذكر هذا المثال ليحذر المسلمون فى كل زمان من الانجرار وراء كل ناعق وان لايسمحوا لأمثال هولاء بالوصول الى مركز القرار

فى دوله الاسلام فإذا كان يخشي من خطرهم الناتج عن تأثيرهم على اتباعهم على مستوي الفخذ مثل بنى سلمه التى كان الجد هو سيدها فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم يخشي على تفكيك الجيش الذى يقوده الرسول صلى الله عليه وسلم من أمثال هولاء فكيف بنا نحن إذا لم نتبه من تسلل هولاء الى مركز القرار فى الا مه وهذا فعلا ما نعيشه اليوم لقد أصبح قاده الدول العربية والإسلامية اليوم يخدمون الصهيونية العالمية ويقومون بمحاوله استئصال الايمان من قلوب الشعوب واستبدالها بنظريات أهل الكفر أنهم يقفون ضد كل داعيه وجماعه تدعو ا الى التزام دين الله ويحاربونها خدمه للامبراليه والصهيونية لقد أصبحت أبواق الإعلام العربي اليوم تستهدف الاسلام وعلماء الامه بالتشكيك وآثاره الشبهات كل ذلك لأننا سمحنا لامثال الجد بن قيس وعبد الله بن أبى الوصول الى مركز القرار والتحكم فى رقاب العباد لاننا لم نأخذ بهذه الايه فنحذر وصول المنافقين الى مراكز القياده والتسلط على قرار الامه

المفهوم الثاني

عندما تفقد العقيده قوتها فى باطن الإنسان لابد أن يظهر أثر هذا الضعف على ظاهره وان حاول المنافق اخفاءه حيث أن المنافق يسعي الى تطويع قوه العقيده فى توجيه الناس على نحو مثير للاعجاب كي يبرر الاشياء كما هي لاجل أن يفقد العقيده قدرتها على المبادرة بالتغيير وهنا تكمن خطوره وصول المنافقين الى مراكز القياده و القرار والتسلط على مقدرات الامه ويتضح هذا من خلال امعان النظر فى مشاهد المنافقين فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يبحثون عن المسوغ الشرعي لخطيئتهم وتخلفهم بينما اليوم نجد المنافقون يبحثون عن فتاوي لإضفاء المشروعه على جريمتهم فنجد الحكام اليوم يذبحون الناس باسم الإسلام ينتهكون الحقوق باسم الدين والفتاوي من علماء السلطه فهذا هو حال النفاق إذا سيطر على مركز القرار فى الامه لم يحدث يوما أن ازدهر الرياء والمرواغه الشعوري واللاشعوري كما ازدهر فى هذا الزمان فما جدوي الحديث عن الحريه وحفنه من الأثرياء متربعه على كل قناه من قنوات التعبير تروج للاستبداد باسم الإسلام ماجدوي رفع كلمه التوحيد (لا اله الا الله) أو (الله اكبر) على اعلام الدول وهم يدعون الى هدم قيم الإسلام ويقومون بالتنكيل بالدعاه و العلماء وينشرون الفساد ما جدوي الحديث عن الأخلاق وحب الخير فى نظام يقوم على استغلال الشعوب من أجل تحقيق الربح ماجدوي الحديث عن العداله وتكافو الفرص فى مجتمعات يعيش أكثر من ثلثي تلك الشعوب محرومين من ضرورات الحياة ما جدوي الحديث عن السلام وحقوق الإنسان والحيوان فى حين المسلم اليوم تنتهك كل حقوقه أن النفاق اليوم يحكم العالم كله أن المنظومه العالميه اليوم كلها محكومه بعقيده النفاق ولهذا نري العالم اليوم يقف متفرجا لما يحدث من جرائم فى غزه ولايحرك ساكنا فلا عجب فهذه هي دوله النفاق وحاكمها إذا وصل الى الحكم واستولى على السلطه المنافقون وهو ماراد المولي سبحانه وتعالى أن يحذرنا من وصول المنافقين الى مركز القرار والتحكم فى رقاب الناس فإنهم سوف يلجأون الى التستر وراء القيم والمبادئ والأديان والأخلاق لنشر الفساد لان ثقافتهم مستمده من الرياء والمرواغه باستعمال الحيل الشرعيه ولهذا جاء التعبير عن قول هذا المنافق بالفعل المضارع لاستحضار تلك الحال لذم المنافق والتشنيع به لأن مثله تربي على ثقافه الفسق والفجور لايخشي اثم الافتتنان بالنساء اصلا لانه ليس لديه دين يمنعه من غشيان الشهوات الحرم اصلا وبالتالي فإن هذا التعبير لتدراك أن بضاعه المنافق هي المراوغه والرياء فاحذره

المفهوم الثالث

يحذر الحق من النفاق الذى يلبس ثياب أهل التقي والورع ليتذرع بهذا الورع كي يتخلص من واجب اولاجل أن يباح له مخالفه أمر منهي عنه حيث أن هولاء يلجأون الى استدعاء الدين لاجل أن يتم حصول التصديق الروحي لمشاريعهم الفاسده بعد أن فشل التصديق العقلي فى أن يقنع أحد ولهذا تلاحظ أثناء الأزمات أن المجرمين يلجأون الى تبرير جرائمهم من خلال الاستشهاد بالايات القرانيه وإظهار أنفسهم أنهم يقصدون خدمه ا لاسلام وان نواياهم حسنه على عاده المنافقين شاهدنا بعض المطبعين مع إسرائيل من حكام العرب من يبرر ذلك بأنه يهدف الى خدمه الفلسطينين للاسف الشديد من خلال التطبيع وكذلك نلاحظ أن كثير من علماء السلطه من

يلبس ثياب وأقنعه الورع ويتذرع به للتخلص من واجب على دول تجاه نصره اهلنا فى غزه تجده يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث لتبرير هذا الخذلان بانه يجب الوفاء بالاتفاقيات أو الادعاء بأن استمرار العلاقه مع اليهود تخدم المقاومه لاجل أن يلعبوا دورا فى الوساطه بين المقاومه واسرائيل فهذه الأعذار والمبررات للتخلف عن الواجب لاتختلف كثيرا عن المعاذير التى احتج بها المنافقون في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

تبين الايه أن الذي يلجأ االى استعمال الحيل الشرعيه أو غيرها من الحيل فإن هؤلاء يسقطون الى داخل هاويه الفتنة فقال تعالى (الا فى الفتنة سقطوا)

لماذا جاء التعبير برسم مشهد تجسد للسامع كان الفتنة هاويه يسقط فيها المفتون ليقع فى قعرها عندما تخلفوا عن الجهاد وان الخطئيه أحاطت بهم من كل اتجاه فهم لايستطيعون الخروج منها أو الفرار من نيران جهنم التى تحرق أجسادهم وأرواحهم من كل جهه فقال تعالى (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) فهذا التعبير للاتى

المفهوم الاول

أن المنافق يظن نفسه ذكي معللا ذلك بقدرته على اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف ويتصور نفسه أنه قادر على خداع الاخرين باختلاق مبرر يظهر فيه الورع ويتذرع به للتخلص من واجب بإظهار أن مقصوده حسن كما فعل الجد بن قيس بقوله أن خروجه فتنه وتعريض للشر وان عدم خروجه عافيه وكفايه من الشر ولهذا سامحني من الخروج معك للقتال لانه إذا خرجت فسوف اقع فى الإثم العظيم فلا توقعنا فى المعصيه ...فأعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك

فظن الجد بن قيس أنه ذكي استطاع أن يتنصل من مسؤوليه الخروج لقتال الروم

وهو في الحقيقه غبي لم يدرك أنه بذلك وقع فى الاستدراج فقد أوقع بنفسه فى مصيده الخطيئه فهذه الأعذار والمبررات بمثابه القش الذى يضعه الصياد لاصطياد فريسته فهم قد سقطوا الى عمق الفتنه ووصلوا الى منزله الهواه المهلكه وتردوا الى أسفل السافلين فى قعر الفتنه ولهذا جاء التعبير فى الافتتنان بالسقوط فى الفتنة

المفهوم الثاني

أن الورع الكاذب لايرفع عن المنافق حقيقه الكفر والنفاق ولايدفع عنه العذاب يوم القيامه ولهذا ابتدأت الاجابه على من ادعي أن تخلفه عن القتال دفعا الفتنة برد الله عليه بقوله (الا فى الفتنة سقطوا)

بدا الجمله باداه التنبيه (الا) لتأكيد الخبر وتوجيه السامع الى ما اشتمل عليه من توبيخ لهولاء المنافقين وقدم الظرف (الا فى الفتنة) على عامله (سقطوا) للدلاله على الحصر اي فى ذات الفتنة قد سقطوا لا فى اي شي غيرها قال الرازي (وفيه تنبيه على أن القوم لما اختاروا القعود أخبر الله أنهم فى عين الفتنة واقعون لان أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله والتمرد على قبول أمر الله والتكاليف التى يامر بها الدين ...فهذا قد سقط فى فتنه الكفر وفتنه التخلف عن القيام بواجب الجهاد ولهذا جاء بعدها قوله (وان جهنم لمحيطه بالكافرين) تقريرا لكفرهم وان كانوا يتظاهرون بالإسلام فهذا جزاء الكافر فالجنه والنار ليس شي جديدا وانما هما انعكاس لاعمالنا التى عملناها فى الدنيا فمن عمل بعمل أهل النار فان يعيش فى قلق وحيره تشتعل النيران بداخله من جميع الجهات ويوم القيامه لايجد من عذاب جهنم مفر ولامناص ولامحيد عنها ولاخلاص ولامحيص ولامهرب

المفهوم الثالث

تبين الايه أن الكذب الذى يستعمله كل منافق للتخلص من الواجب أو لاجل فعل المنهي عنه يوقع صاحبه فى فتنه

الفجور لان الكذب يهدى إلى الفجورولهذا قال تعالى (الا فى الفتنة سقطوا) فهذا سقوط فى الفجور والفجور يهدى إلى النار ولهذا قال تعالى (وان جهنم لمحيطه بالكافرين) فالنار حتما هي جزاء التخلف والكذب و الهبوط الى هذا المستوي المنحط من المعاذير فلا مفر منها وعبر عن احاطتها بهم باسم الفاعل الدال على الحال لافاده تحقيق ذلك التهديد والوعيد حتى كأنه واقع ومشاهد وقالوا إنها محيطه بهم لانهم عملوا بالاسباب الموصله الى جهنم

ثانيا

تبين الايه أن المنافقين أعداء حقيقيون للإسلام والمسلمين فقال تعالى

(أن تصبك حسنه تسؤهم وان تصبك مصيبه يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)

الأمر الأول

تدعو ا الايه المؤمنين الى أخذ الحيطه والحذر من المنافقين فلا ينخدع المؤمن بما يظهره المنافق من كلام معسول فهو فى الحقيقه شديد العدواه للإسلام والمسلمين

بدليل

١

أنه إذا حصل نصر للمؤمنين أو غنيمه أن هذا المنافق تظهر عليه علامه الحزن والغم فهم لايريدون الخير للمسلمين فدل هذا على كراهيتهم الاسلام والمسلمين

/٢

أنهم يفرحون لما يحل بالمسلمين من مصائب مثل هزيمه او قحط أو غيرها وينصرفون الى اتباعهم وذويهم وهم فرحون بما حل بالمسلمين من نكبات فدل هذا على شده عدواتهم

الأمر الثاني

أن اللازم على المسلم أن يفرح بنصر المسلمين وان يحزن إذا أصاب المسلمين مصيبه فالمسلم يشارك المسلمين أفراحهم واحزانهم فإذا حزنت لان أخاك المسلم حصل على غنيمه ما أو نصر او فرحت لان أخاك المسلم وقع فى مصيبه فعليك أن تتهم قلبك لان ذلك يدل على وجود خصله من خصال المنافقين فيك

الأمر الثالث

تعطينا الايه علامات تظهر فيه شده عدواه المنافقين بأنهم يظهر عليهم امارات الحزن والغم اذا حصل نصر للمسلمين على الاعداء أو اي خير وأنهم اذا حصل للمسلمين نكبه يفرحون لما يحل وينزل بالمسلمين من مشقه ومصيبه ولهذا يظهر المنافق وجهه القبيح عند حصول الابتلاء حيث يبدأ بالتبجح بسلامته عندما تخلف عن الخروج فقال تعالى (يقولوا) يظنون أنهم بتخلفهم يحققون لأنفسهم الخير فهم يأخذون بظواهر الاشياء وقلوبهم لم تستلم لأمر الله ولهذا يدعون أنهم اذكيا لأنهم لم يخرجوا فحصل لهم النجاه والسلامه فقال تعالى (يقولوا) لترسم الكلمه التبجح والشماته بما حل بالمسلمين وادعي المنافقين الحنكه والذكاء وأخذ الاحتياطات (قد أخذنا أمرنا من قبل) اي أنهم يقولون اننا قد كنا اهل حكمه لاننا لم نخرج معكم فقد تلافينا حدوث الضرر قبل وقوعه وعملنا بما ينجينا من الوقوع فى مثل هذه المصيبه فلم نلقي بأيدينا الى التهلكه كما فعل قاده المسلمين المتهورين هكذا يلجأ هولاء الى محاوله استماله ضعاف النفوس من المسلمين لصفهم وإظهار انهم اهل حنكه

وذكاء بهدف التسلل الى مراكز القياده والقرار والتسلط علي المسلمين لان هذا غالبا ما يحدث من قاده النفاق الذين لهم تأثير فى أوساط المجتمع المسلم ولهذا يقول تعالى (ويتولون وهم فرحون)

تصوير لحالهم عند انصرافهم لما وجدوا من وسيله للشماته بالمسلمين فهم يعتبرون ذلك فرصه للقضاء على الاسلا م وسحب البساط على قياده المسلمين يفرحون أنهم وجدوا ثغره للنيل من الاسلام وقيادته ولهذا جاء فى مقابله الحسنه المصيبه وليس كما في سوره ال عمران ذكر مقابله الحسنه السئيه وهذا لان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم هنا وهي فى حقه مصيبه يثاب عليها لاسئيه يعاقب عليها اما فى ال عمران فالخطاب كان للمومنين

ثالثا

لما بينت الايه السابقه حرص المنافقين على استهداف قياده المسلمين من خلال تحطيم قوه الطاعه من المسلمين للقياده والتزامهم الأوامر والنواهي بأمر الله فدل هذا أن غرض المنافقين نشر الفوضي لاجل الانقضاض على السلطه ولهذا عندما يجدون فى المسلمين ضعفا نتيجه مصيبه وقعت بهم فإنهم يسعون الى استغلال هذه الفرصه لاظهار أنهم المنقذ الوحيد والمخلص للبلاد من الازمه ويحاولون التأثير على الصف المسلم من خلال اثاره حفيظه الناس على قيادتهم بالقاء اللؤم على القياده وأنهم بعد ذلك ينصرفون الى اتباعهم وذويهم من المنافقين ليبشروهم بما حل بالمسلمين من اذي ولهذا يعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم ويرشده الى الجواب الذى يرد به على هؤلاء المنافقين فقال تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

فهذا الجواب فيه بيان الآتي

الأمر الأول

المؤمن لاتؤثر به المصائب مهما صبت لانه يلجأ الى الله تعالى بالعلم أن ازمه الأمور بيده تعالى وقضاؤها من قدره تعالى ولهذا فإن المؤمن لايقترح على الله فلا يعترض على قضاء الله وقدره ولهذا لايضعف المسلم عند الأ زمات لانه يعتمد على الله فهو اشد الانساء انس لاولياؤه كيف للمسلم أن يعترض على اختيار الله وهو يؤمن أن الله يتولي رعايته وهو أشد النصرا ء حضورا بما يكفى المعتمدين عليه

الأمر الثاني

أن المؤمن يرضي باختيار الله فهو يفوض أمره الى الله موقنا بأن الله يختار له مافيه خيرا له فى دنياه ودينه واخرته ولهذا جاء التعبير عن هذا الإيمان والرضاء والتسليم من المؤمنين (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) فلم يقل (علينا) فالمصيبه بنظر المسلم ليست عليه بل هي له من الله نعمه عظيمه تستحق الشكر لان البلاء تنقيه للصف المؤمن وإعداد للمؤمن فالازمه لم توجد لتقضي على الامه بل لتنقيتها من الشوائب ولهذا فإن المؤمن أن اصابه خير شكر وان إصابته ضراء صبر

الأمر الثالث

أن المؤمن لايسخط من قضاء الله وقدره كيف للعبد أن يشكو مولاه وسيده ومالكه ومتولي رعايته الذى يمده ب الفضل والانعام فالمؤمن يعتمد على الله ويتوكل عليه ويستعين بالله فلايفزع ولايجزع عند الحوادث فهو يعتمد على الله تعالى وحده فى جلب المصالح ودفع المصائب مع الأخذ بالاسباب فالمؤمن لايقترح على ربه ولا يختار عليه ولايساله ماليس له به علم فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لايعلم ولهذا فالمؤمن لايختار على اختيار ربه شيئا بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره فلا انفع من ذلك

رابعا

تستمر الآيات فى إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم للجواب الذى يرد به على تبجح المنافقين من ما يحل ب المسلمين من كوراث ومصائب أو قتل فى المعارك فقال تعالى

(قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنين ونحن تتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا قل فتربصوا انا معكم متربصون)

الأمر الأول

أن اللازم على المسلم أن لايتخاذل عن نصره الحق مهما كانت الأسباب لان التخاذل عن نصره الحق والضعف عن توهين الباطل مدخل لطمع الانذال والحقراء والاراذل فى السيطرة على أرض المؤمنين ودولتهم ويقوي أهل الباطل حيث أن أهل الباطل يحاولون تسويق الاوهام لأشغال الناس عن الحق ولاقامه حجابا مانعا عن مشاهده الحقيقه لاجل ستر الحقيقه باستغلال المصائب والكوارث كسلاح فى المعركه لإدخال المؤمنين فى نفق التيييه وتقويه الباطل ولهذا فإن المسلم لايتخاذل عن نصره الحق حتي لايقع فى التيييه ولايضعف مهما كانت المصائب كيف للمؤمن أن يحتار طالما هو متمسك بالحق فالحيره والتيييه إنما تكون لمن ترك الحق وراء ظهره واختار ماهو ادني أما المسلم الكامل فأمره كله خير سواء نال النصر والظفر على الاعداء ام نال الشهاده ولهذا لايخاف المسلم من تربص المنافقين فقال تعالى (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنين)

فما الذى يجعل المؤمن يخاف إذا كانت الشهاده فى سبيل الله هي غايته ومطلوبه

ولهذا فالمسلم لايضعف نتيجه الأحداث فما اجمل حياه يحياها المؤمن وقد تهيا للموت فى سبيل الله بعكس الكافر أو المنافق فإنه يعيش فى تييه الحيره والقلق والخوف والاستسلام للباطل لانه يستعلي بالعشيره أو المال أو الجاه والسلطان فإذا سقط انهار كليه وانبطح أما المسلم فيظل شامخا لاتوثر به العواصف

الأمر الثاني

المؤمن يتوكل على الله ويفوض أمره الى الله الذى يعلم عواقب الأمور ويرضي بما يختاره له ويقضيه له لما يرجو فيه من حسن العاقبة ولهذا فلا يجزع ولايخاف لان صحه تفويض أمره الى ربه والرضي بما يختاره له يمده بالقوه والعزيمه والصبر فهو يصير بين عطف الله ولطفه فعطفه يقيه ما يحذره ولطفه يهون عليه ماقدره

ولهذا بعد أن ختم الايه السابقه بقوله (هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تأتي الايه بقوله تعالى (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا أنا معكم متربصون)

المفهوم الاول

أن المؤمن يدريك أنه لا انفع له من امتثال أمر الله تعالى واجتناب نواهيه وان شق عليه ذلك وأن كرهته نفسه لانه ينظر الى اللذه الحقيقه هي فى طاعه الله وان كانت مر الطعم فالدواء طعمه مر لكن يصبر المريض على طعمه لا نه يدريك أن فيه منفعه ثقه بالطبيب الذى وصفه وكذلك فإن الإنسان لايشرب السم وان كان طعمه لذيذ لانه يدريك أن هذه اللذه سوف يتبعها الم عظيم وكذلك فإن المؤمن الحقيقي يعتمد على الله ويثق بوعد الله له ولهذا يمتثل أمر الله وكذلك يجتنب نواهيه لانه يراها قاتله مثل السم ولهذا فإن المسلم يتوكل على الله ويفوض أمره لله الذى يعلم بعواقب الأمور ويرضي باختياره تعالى الذى يكون بين أمرين إما النصر والظفر وأما الشهاده ونيل الدرجات العليا فى الجنه فالنهايه لاتخرج عن احدى الحسنيين بالنسبه لهم

المفهوم الثاني

تبين الايه أن فساد نفوس المنافقين تعود الى فساد تركيبها لأنها تشبثت بالسفليات ولهذا فإن نظرتهم قاصره ونفوسهم فارغه من اراده الله والدار الاخره ومن طلب ذلك ولهذا لاعزيمه لهؤلاء ولاهمه نتيجه نظرتهم الماديه التى تنحصر فى الشهوات والملذات ولهذا كان منهم التبحج عند اصابه المسلمين بهزيمه فهم لايتجاوزن فى نظرتهم وتفسيرهم للاشياء نطاق الشهوات والملذات ..ولهذا فهنالك فرق بينهم وبين نظره المؤمنين للاشياء ف المسلم ينظر الى الغايات من وراء ستور مبادئها فيري ما وراء تلك الستور من غايات محموده أو مذمومه وهذا ناتج عن علم المسلم بنفسه وضعفه وافتقاره لربه وعلمه بربه وعظمته وكماله ولطفه وبره يعلم أن طاعه الله وامتثال أمره واجتناب نواهيه توصل الى غايه محموده إما النصر أو الشهادة ولهذا فإن هذا العلم باليقين يجعل كل شي يهون لاجل الوصول الى الغايه التى يرجوها فهذا اول قوه لرؤيه الاشياء فقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المومنون) ولهذا قال تعالى بعدها (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) فالقوه الثانيه الصبر الذى يوطن به المؤمن نفسه على تحمل مشقه الطريق لما يؤمل عند الغايه فمن قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقه يتحملها فى طلب الخير واللذه الدائمه ولهذا قال تعالى بعدها

(ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا أنا معكم

متربصون)

فتربص المؤمن بالمنافق هو الانتظار والتمهل حتى ينفذ الله وعده لهم بالنصر سواء باهلاك المكذبين كما أخذ الأ مم السابقه بكفرها بالعذاب الشديد أو بتسليط الله المؤمنين على الكافرين بالقتل والأسر فدل هذا على رد المؤمن الموقن بحقيقه أن العاقبه للمتقين والصابر على تحمل مشقه الوصول الى النصر بالثقة بالله والتوكل عليه ولهذا جاء بعدها الفاء فى قوله (فتربصوا أنا معكم متربصون) للافصاح اي إذا كان الأمر كما تزعمون من القول الزور الذى تتبجحون به لما أصاب المسلمين فى جوله من الجولات فانتظاروا لتروا عاقبتنا وعاقبتكم لتروا من يكون له التكريم ومن الذى له العذاب والنكال

القسم الثالث

(قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولاياتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لويجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون)

اولا

تنتقل الآيات الى نقل نموذج آخر وصوره من اقوال وأفعال المنافقين فى كل زمان ومكان أن هذا النموذج متعلق بمسألة الجهاد بالمال فقال تعالى (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولاياتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون)

ذهب بعض المفسرين للقول أنها نزلت فى الجد بن قيس بأنه عندما دعي لجهاد الروم وقال ماقال من دعوي الا عتذار بأنه يخاف على نفسه من فتنة بنات بني الأصفر أنه قال بعدها أنه عرض مشاركته بالمال وقد ضعف ابن جرير الطبري هذا القول بالتعبير عنه فى تفسيره بعباره (قيل) وقد اعتاد استخدم هذه الكلمه للتعبير عن ضعف الرؤيه غالبا يؤيد هذا أن الايه نزلت مع غيرها فى هذا السياق فى أثناء السفر لاعقب قول الجد بن قيس ماقاله و التى نزلت الايه السابقه فيه

ولهذا فإن الايه عامه تشمل ماحصل من عرض المنافقين المشاركه بالمال والتخلف عن القتال أو غيره وخص ذكر

هذا النوع من الجهاد هنا لانه ذكر قبلها الجهاد بالنفس

لان الصدقه من جنس القتال فالجبان يرجف والشجاع يثبت والتثبيت تعني القوه والمكنه وضده الزلزله والرجفه وقد ذكر الله فى الايه السابقه تخاذل المنافقين فى الجهاد بالنفس وذكر المولي سبحانه وتعالى أنه كره انبعثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين...فالتثبيط هو للبواعث الدافعه للخروج من حميه أو عصبيه أو الخوف على الوطن أو من أجل أن يقال أو شجاعه لحكمه هو أن خروجهم كان يشكل خطراً على الجيش ومعنوياته فذكر هنا الجهاد بالمال بأنه لم يخذلهم من المشاركه بالجهاد فيه فكان حصول العطاء من المنافقين أما طوعا بغرض الرياء او طلب الشهره أو خوفا من العقاب فهذا العطاء لم يثبط الله بواعثه كما فعل فى بواعث القتال بالنفس

لكن صاحبه نتيجه هذه البواعث لم يخرج المال ابتغاء مرضاة الله كما فعل الصحابه الكرام امثال سيدنا ابوبكر الصديق وعثمان بن عفان بل اردوا بانفاقه أما الشهره والفخر وأما خوف العقاب ومداره المسلمين بالمال ولهذا جاءت الايه ببيان الجزاء على هذا المال في كلا الحالات فى الاخره لماذا لأن الله كما ذكرنا فى تأويل الايه السابقه يحب عمل الكافر الذي فيه بر مثل انفاق المال فى أعمال البر واغاثه الملهوف لكنه تعالى يكره بدن الكافر كما ورد فى الحديث ولما كان الله عادلا لايظلم عباده فإنه تعالى يجازى لكافر بعمله الحسن بالدنيا كما ورد فى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الله لايظلم مؤمنا حسنه يعطي بها فى الدنيا ويجزي بها في الا خره أما الكافر فيطعم بحسنات ماعمل لله بها فى الدنيا شي وإذا قضي فى لاخره لم يكن له حسنه يجزئ بها)

ولهذا نجد الايه تضمنت

الأمر الأول

اخبار الله عن الجزاء على انفاق المال لغير وجه الله فى الاخره فكل من أنفق ماله لاجل الرياء والشهره وغيره فلم يقصد بها وجه الله لايقبل صدقته فقال تعالى (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين)

فاخذ الصدقات منهم والزكاه حقيقه تاخذ الا فى حاله واحده كما سوف تبينها الآيات اللاحقة فى قوله (ومنهم من عاهد الله ...الخ

وانما الذى لايقبل هو الثواب عليها فى الاخره ولهذا خرج قوله تعالى (قل أنفقوا) مخرج الأمر ومعناه الخبر فالأ مر بمعني الشرط والجزاء للمبالغه فى تساوي الأمرين وعدم الاعتداد بنفقتهم سواء قدموها عن طوعيه بقصد الرياء او قدموها خوفا من العقاب فلن تنالوا عليها ثواب

الأمر الثاني

تأتي الايه بتعليل عدم قبول نفقاتهم القبول المترتب عليه الثواب عند الله فى الاخره

(انكم كنتم قوما فاسقين)

فهم لم ينفقوا ما أنفقوا عن إيمان وامتثال أمر الله ورغبه فى طاعه الله تعالى بل أنفقوا أما طلبا للشهره أو خوفا من العقاب ومداره ولهذا أخبر الله أن نفقتهم غير مقبوله عند الله لأنهم خارجون متمردون على دين الله

الامر الثالث

تبين الايه أن المانع من قبول نفقاتهم هي تلاثه أمور

كفرهم بالله ورسوله

/٢

الإتيان بالصلاه وهم كسالى

/٣

الانفاق مع الكراهيه

المفاهيم والدروس المستفاده مما سبق

المفهوم الاول

يريد الحق أن تعلم أن رساله الاسلام ليست رساله جبايه أموال وانما يريد الحق من فرض انفاق المال أن يتعبد به المؤمن بانفاقه وان يقصد به مرضاته تعالى ولهذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن الناس بهذه القاعده العامه (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين)

بان شرط قبول الأعمال الصالحه الايمان فإذا فقد الايمان فلا قيمه للاعمال فى الاخره

المفهوم الثاني

يقول الحق أن الفسق الأكبر وهو الكفر مانع من قبول العمل ولاينتفع معه صاحبه بصدقه ولايحمد على عمل فالا يه تناقش بطلان العمل وعدم قبوله لفقدان شرط قبول الأعمال عموما وهو غير الفسق الذى يفقد قيمه العمل لفقدان شرط من شروطها فمثلا يشترط لقبول النفقه من المسلم شرطان إذا اختل أحدهما حرم الثواب وهذان الشرطان

الاول / الاخلاص بأن تقصد بها وجه الله

الثاني/ التثبت بانفاقه عن طيب نفس

ولهذا ذكر أن انفاق المال طواعيه بقصد الرياء او طلب الشهره او إنفاقه مكرها والمن والاذي لايختلفان بحق هؤلاء لانهم اصلا غير مقبول عملهم لأنهم فاسقون خارجون متمردون على طاعه الله ولهذا فإن الايه لاتدل على قول المعتزلة بأن الفسق يحبط الطاعات مستدلين بهذه الايه انه تعالى بين أنه لن يقبل نفقتهم وعلل ذلك بكونهم فاسقين ومعني التعليل أن الفسق يؤثر فى ازاله الثوب عن الطاعات والمدح ...الخ

حيث أن مجئ التفصيل المبين للفسق المقصود بالايه السابقه بقوله تعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولاياتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون)

بأسلوب الاستثناء فيه ازاله شبهه من قال أن الفسق يحبط الطاعات فقد أخبر الله أنه لايؤثر فى قبول هذه الأ عمال الا الكفر وعدم تعظيم أمر الله وعدم اداء حق الناس فمجموع الأمور الوراده فى الاستثناء الكفر بالله ورسوله...وعدم الإتيان بالصلاة على الوجه الذى أمر الله والانفاق على سبيل الكراهيه هي التى تحبط الأعمال

المفهوم الثالث

أنه تعالى لايقبل من الأعمال الا ماكان طيب الظاهر والباطن ولهذا لايقبل أعمال البر التى يعملها المنافق لانه خبيث الباطن وان تظاهر بالصلاح فالإيمان الصادق ظاهرا وباطنا شرط لقبول الأعمال والثواب عليها فى الاخره

ولهذا لاتقبل أعمال البر عن المنافق لان قلبه منحرف وباطنه خالى من الايمان فهو إذا أنفق لايكون بقصد عباده الله وتعظيم لأمر الله وطاعه منه لله وانما لاجل خداع المسلمين أو لاجل الشهره

المفهوم الرابع

أن الناس فى الصلاة والزكاة ثلاثه مؤمنا يصلي مخلصا لله وينفق برغبه ونشاط لإرضاء الله طاعه وكافر لايصلي بالكليه ولايزكي ومنافق يصلي رياء أو كسلان وينفق رياء أو بدون رغبه ولهذا يقول تعالى (ولاياتون الصلاة الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون)

فهذا لان نفوسهم فارغه ولاتطلب هذه الأعمال فلا يوجد باعث عليها ينبثق من أعماق النفس بل يجدون أنفسهم يدفعون إليها دفعا بدون رغبه منهم

المفهوم الخامس

على المسلم أن يراجع صلاته لينظر هل هي صلاه المؤمنين ام تشبهه صلاه المنافقين

ليصلح حاله فلينظر هل يقوم الى الصلاه برغبه ونشاط يجد فيها حلاوه الطاعه يترتب عليه غذاء روحي أم أنه ينهض إليها بدون رغبه ولايجد اثرا ينتج عن قيامه بالصلاه لان من ثمرات الصلاه أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر فهذه هي العبره بما تنسكب على الروح من قوه تخمد الشهوات والملذات وتولد قوه نفور من الرغبات الشريره وهذا إنما يتولدفى حاله الإتيان بالصلاه على الوجه الذى أمر الله القيام به بأن تقوم بكليتك وجمعك قلبا ونفسا وعقلا مع اتقان هئيتها فالظاهر الاطمئنان والخشوع والتأمل وعدم الانشغال بغير الصلاه وفى الباطن/استشعار خشيه الله وتعظيم أمره بعمل ما أمر واجتناب نواهيه

فمن ثمرات الصلاه عندما تودي على اكمل وجه أنها تنهي صاحبها عن كل منكر وتبعده عن كل فحش وان يتعود المسلم على الاستهانه بالشدائد وتحملها بقلب مطمئن وعزيمه صلبه فالله يقول (واستعينوا بالصبر والصلاه)

ومن ثمراتها انها تمحو الخطايا لقوله تعالى (اقم الصلاه طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السئيات)فعليك أن تراجع صلاتك لتنظر هل هي صلاه المؤمن ام أنها مثل صلاه المنافق

المفهوم السادس

عليك أن تدرك أن من ثمرات الصلاة التى يوديها صاحبها كما هي على الوجه الذى أمر الله به أنها تضع بين صاحبها وبين التذبذب فى دائره الجزع والبخل سدا منيعا قال تعال. (أن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)

ولهذا إذا رأيت انسان يصلي ولاتكسبه صلاته ثمره من ثمرات الصلاه الثمينه نحكم عليه أن صلاته ليست هي الصلاه التى أمر الله بها وانما هي صلاه من قال الله فيهم (ولاياتون الصلاه الا وهم كسالى(

المفهوم السابع

تبين الايه أن اللازم على المسلم أن ينفق برغبه ونشاط وحب اخراج المال طاعه لله فهذه هي العبره من فرض انفاق المال في سبيل الله فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (أدوا زكاه أموالكم طيبه بها نفوسكم) ولهذا فإن الذى ينفق وهو كراه الانفاق

لايجد الثواب لأنه يعتقد أنها مغرم او أن الذي حمله على الانفاق هو الرياء وليس حب طاعه الله ولهذا قال تعالى (ولاينفقون الا وهم كارهون)

اي قلوبهم فيها كراهيه للإنفاق اذا كيف ينفق عن رغبه وإخلاص من تهاون بالصلاه وهي من أعظم العبادات ومن لايؤمن بالله ورسوله وما جاء به في كتاب الله وسنه رسوله ولايومن بالثواب والعقاب فلابد أن المال معظم لديه وإخراجه صعب

ثانيا

لما قطع رجاء المنافقين في الانتفاع بما ينفقون فى لاخره جاءت الايه لتبين أن ما يظنون أنها منفعه فى الدنيا فانه تعالى جعلها أسباب عذابهم فى الدنيا والاخره فقال تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياه الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

ابتدأت الايه بهذا التوجيه (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم)للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لك ايه السامع لتفهم الاتى

الأمر الأول

تكليف من الله تعالى جل جلاله لك بان تحذر ايه المسلم من الإعجاب باستحسان ومحبه وتعظيم ما أنعم الله به على المنافقين من نعمه المال والاولاد والمساكن لان ذلك استدارج لهم فالله يختبر عباده بالاموال والبنين ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمته تعالى والله يعلم مافي نفوس الناس ولكن ليظهر الأفعال التى يستحق بها الجاحد لنعم الله العقاب وليظهر الأفعال التى يستحق بها الشاكر لنعم الله بشكر الله والصابر عند الحاجه ولهذا فمن لم يجعل لله نصيب فى ماله يبذله فى سبيل الله ولا فى روحه بالجهاد فى اعزاز دينه فلا يكون له رجاء فى فضل الله فإنه يكون عبدا للمال وليس عبدا لله ولهذا فإنه يعيش فى قلق جمع المال و نكد تحصيله ثم فى خوف ضياعه فيعيش حياته كلها أسيرا يحرس المال خائفا على ضياعه حتى يتفاجا بالموت وخروج نفسه وهو على كفره

الأمر الثاني

أن الأمر فيه بيان الفرق بين نظره المؤمن ونظره الكافر لمتاع الدنيا وزينتها فالنهي هنا هو عن النظر لمتاع الدنيا وزينتها على وجه المحبه والتعظيم لها ولاهلها فهذا الأمر منهي عنه كما قال تعالى (ولاتعد عيناك عنهم تريد زينه الحياه الدنيا)

فالنظر الى ذلك فتنه يتوجب على المؤمن أن يحذر الوقوع فيه

والسؤال هنا هل معني هذا تحريم النظر الى زينه الحياه الدنيا وهل التحريم هو تحريم مجرد النظر ام هو لأمر اخر ؟

الجواب النظر ليس محرم وانما التحريم هو النظر لها على وجه التعظيم والمحبه لها ولاهلها لانه فتنه فمن هذه الزاويه كان التحريم أما النظر إذا كان للعبره فهو مأمور به وكذلك النظر الي المخلوقات السفليه والعلويه على وجه التفكر والاعتبار فهو مأمور به لقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)

أما عله التحريم للنظر لمتاع الدنيا وزينتها على وجه التعظيم والمحبه لها ولاهلها

فهذا يعود للاتي

المفهوم الاول

يريد الحق انتزاع من قلب المؤمن كل حب وتعظيم للاشياء فلا يبقي فى القلب الا محبه الله وحده محبه تعظيم وإجلال

لان القلب لايخرج المال والمحبوب لنفسه الا لوجود محبوب احب للنفس وأعظم

ولهذا فإن من عظم الله وأحبه التزم بما أوجب الله عليه فيخرج المال عن حب ونشاط ورغبه لانه عندما يعطي يري أنه يأخذ بعكس الذى يتعلق بالمال ويعظمه فإنه إذا أخرج المال فانه يتالم ويشق عليه ذلك فهو يخرجه وهو كراه لذلك

كذلك فإن المؤمن إذا رزق مال فإنه يوفق الى حمد الله وشكره على ما أنعم وهو يستغله فى طاعه الله أما الكافر فإنه يستغني بالمال ويحجد النعمه

المفهوم الثاني

إن الهالك بالمال هو أحد رجلين عاجز مفتون بالنظر الى المال .....ومستطيع مفتون فيما أوتي لانه يعيش غارق بـ الحرص على جمع المال لغيره من الورثه فهو يعذب به لانه يعيش غارق بهموم جمع المال وخوف ضياعه فلا ينفقه فى ما يجلب رضاء الله حتى يموت وهو على ذلك الحال وعندها يحاسب على هذا المال فيما اكتسبه وكيف أنفقه فلايستطيع إنقاذ نفسه من هذا المال فى الحياه.الدنيا ولا فى الاخره

المفهوم الثالث

الايه فيها توجيه بعدم الركون الى المنافقين وما يمتلكون من مال وجاه وسلطان وشرف فلا تهتم بهم ظنا أنهم وما يملكون من عناصر القوه يمكن أن ينفعوا الاسلام فتنشغل بالاهتمام بهم فإن هذه الصوره والمنظر الذى تراه فيهم إنما هو فتنة وابتلاء من الله كما قال تعالى (ولاتمدن عينيك الي مامتعنا به ازوجا منهم) وقال (ولاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون) فكان مناسبا مجئ الايه معطوفة بالفاء على. ماقبلها والتى تحدثت عن المال وانفقهم وهم كارهون فكان التوجيه لبيان أنهم لا يستحقون الاهتمام والاستمرار بالخطاب بسبب كفرهم وماهم عليه من النفاق فكان اختلاف الايه عن الايه رقم (٨٥)فى هذا التعبير منسجما مع نظم الآيات نظرا لأن الا يه رقم (٨٥)تتحدث عن الجهاد ولهذا جاء العطف بالواو ونظرا لأن الايه هنا تتحدث عن المال ومافيه من فتنة وان كان هنالك حاجه له فعند النظر لما فى أيدي هؤلاء لاتدفعك الحاجه الى التودد لهم لتقويه المسلمين نظرا لما يملكون من المال وكثره الاولاد فلا بد أن تنزع من قلبك أي شعور اعجاب بثرواتهم وممتلكاتهم فلا تغتر بها فإن تضخيم أموالهم وكثرتها هي فتنة من الله تعالى واستدراج لهم لاجل أن يستمروا في غفلتهم وكفرهم حتي الموت فقال تعالى (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) جاء ت الايه معطوفه على قوله تعالى (ليعذبهم بها) لبيان اتصال عذاب الدنيا بهذا المال وصولا الى الاخره دون انقطاع

الأمر الثالث

تبين الايه المال وكثره الاولاد ليس دليلا على رضاء الله والنقص فيهما ليس دليلا على سخطه فإن الثاني ابتلاء وأما الأول فهو فتنة واستدراج فقال تعالى (إنما يريد الله ليعذبهم بها وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

فالحق يبين العله لجهل الناس بمواقع الفتنه والاختبار فى مواضع الغني والاقتدار فقد قال تعالى فى موضع آخر (ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون)

ولهذا جاء تعالى باداه الحصر (إنما) لبيان أن تضخيم ثرواتهم هو استدارج وفتنة لهم فلا يحب تركها ويستمر

حتى تخرج روحه وهو كافر مغترا بهذا الاستدراج فظن أن ذلك دليلا على رضا الله عنه فجاء باللام هنا (ليعذبهم بها) لتأكيد هذا الاستدارج اي إنما يريد بهذا الاعطاء أن يستمروا فى كفرهم حتى يفاجاءهم الموت وهم كافرون وهذا فيه

المفهوم الاول

أن لا يتواضع المسلم للغني لاجل مالديه من مال أو اولاد وان كان يقصد بذلك خدمه الاسلام والجهاد لان ذلك فيه ذهاب للدين فاستعظام المال ضعف اليقين بالله وكذلك فإن المسلم لاينخدع بالمظاهر الماديه الكاذبه فالمسلم يستمد قوته من الانتساب للحق وليس من المال ولا الجاه ولا السلطان

المفهوم الثاني

المؤمن يعلم أنه خلق لعباده الله وأنه من أبناء الاخره لا الدنيا ولهذا فإن المسلم يري أن سبب قوته هي بالتوكل على الله و سبب الثروه هي بالثقه بما عند الله ولهذا كان مناسبا مجئ الآيات بعد أن تناولت الآيات قبلها الا ستعانه والتوكل على الله فقال تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا أنا معكم متربصون)

فذكر أن أمر المستقبل لايعرفه الا الله تعالى فإذا وقع فإن علينا الصبر والتسليم والرضي بأمر الله

كما ورد عن عمار بن ياسر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول (اللهم أسألك الرضاء بعد القضاء) وكان يقول (لاحول ولاقوة الا بالله) فهذا لانه يوجب الاعانه ولهذا أمر أن يقول السامع للاذن عندما يسمع الموذن يقول حي علي الصلاه) أن يقول لاحول ولاقوة الا بالله فإن هذا يمده بالعون فيقبل علي الصلاه بنشاط وانشراح صدر وهذا يتطلب التعظيم لله ولامره والخشوع والخضوع ولهذا قال تعالى فى ذم المنافقين (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولاياتون الصلاه الا وهم كسالى ولاينفقون الا وهم كارهون) والمسلم مأمور بالتوكل على الله وحده يقول شيخ الإسلام (فمن سراه أن يكون اقوي الناس فعليه بـ التوكل على الله ومن سراه أن يكون اغني الناس فعليه بالثقه بالله)

المفهوم الثالث

لاتغبطن انسان حصل على ثروه من معصيه الله فإذا رأيت قصرا ومظاهر الترف والغني المطغي الذى يعيشه الأ ثرياء وابناءهم فلا تفتن بها فعليك أن تسأل نفسك اين مصيرها وتسأل من ملكها وهل سوف يحاسب عليها ومن الذي انعم عليه بهذه النعم ولماذا وهل قام باداء حقه ام لا ؟

فإن الاجابه لهذه الاسئله تجعلك اغني الناس بالثقه بما عند الله لان من كانت الاخره أكبر همه حصل له غناء الدنيا والاخره وأما من كانت الدنيا اكبرهمه فإنه يعيش في ضنك ونكد وحسره متصله في الدنيا والاخره فيموت ولا يجد السعاده

المفهوم الرابع

عليك أن تعلم أنه لاتجاره اربح من الأعمال الصالحه وان كثره الأموال والأولاد قد يكون نقمه مثلما هما نعمه لان الله يستدرج عباده بالاحسان إليهم مع إمهال المرء فى طغيانه والامعان فى عصيانه خالقه حتى يهلك وهوكافر فإن هذا هو الخاسر الأكبر

المفهوم الخامس

أن أعظم عذاب يعيشه الكافر الغني البخيل هو أنه يجمع المال بحرص ويبخل فى إنفاقه فى سبيل الله بل إنه يريد الحاجه فلا يقترب منها ويعلم الحق فلا يوديه فهو يعيش فى الدنيا عيشه الفقراء ثم يموت ويحاسب حساب الأغنياء ويترك المال الذي جمعه لمن خلفه من الورثه فى حين يحاسب هو عليه فمن قصر فى عمل الطاعات ابتلي بالحسره والهم والندم على فوات ثمراته

ثالثا

تعود سياق النصوص للحديث عن قبائح وفضائح المنافقين فقال تعالى

(ويحلفون بالله أنهم لمنكم)

هكذا هم المنافقون يريدون أن يحصلوا على المصالح من دوله الاسلام ولهذا يحاولون إقناع المؤمنين بأنهم فى صف المؤمنين لاجل الحصول على المصالح والمناصب أو خوفا من انكشاف أمرهم ولهذا كعاده المنافقين يلجأون الى حلف اليمين كذبا كما قال تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا وإذا خلوا الى شياطنهم قالوا أنا معكم ..الخ

ولهذا جاء التعبير بالمضارع (ويحلفون)للدلاله على تجدد ذلك منهم وأن ذلك دابهم وعاداتهم فى كل زمان ولهذا تكشف الايه كذب هولاء فقال تعالى

(وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون)

هم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم الى تأكيد الانتماء للمسلمين بحلف اليمين الكاذبة هو نتيجه اضطرار لأنهم جبناء يخافون منكم ايه المومنون ولهذا ترسم الايه لنا صوره لحال المنافقون لو يجدون مكانا يتحصنون فيه أو كهفا أو نفقا في الأرض فقال تعالى (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا)

والملجا الحرز أو الحصن وقال عطاء أنه يعني مهربا والمغارات جمع مغاره وهو الموضع الذي يغور فيه اي يستر وقال عطاء سراديب والمدخل يعني النفق في الأرض

فالايه ترسم صوره حال المنافقين بأنهم يعدون بغير نظام يلهثون كما تلهث الكلاب يتسابقون الى تلك المغارات فقال تعالى (لولوا إليه وهم يجمحون) اي لادبروا إليه هربا منكم تصوريا لشده كراهيتهم للمؤمنين بأنهم يسرعون فى اباء ونفور لو وجدوا مخلصا من المؤمنين ومهربا لحصل منهم الفرار بسرعه

القسم الرابع

تستمر الآيات بكشف وفضح قبائح وفضائح المنافقين فقال تعالي

(ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون إنما الصدقات للفقراء و المساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله و الله عليم حكيم)

اولا

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)

تبين الايه أن بعض المنافقين ينتقدون الرسول صلى الله عليه وسلم فى موضوع الصدقات وتوزيعها وطريقه

اخذها وانفاقها فقال تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) حيث كانوا يعتبرون توزيع الرسول صلى الله عليه وسلم لها غير عادل ويقولون إنه ينفقها على من يحب ولاينفقها بالحق والعدل وهم لايقولون ذلك بقصد قول الحق والغضب للعدل وانما ناتج عن الطمع فى المال ولهذا فإذا أعطوا منها رضوا وإذا لم يعطوا منها يسخطون وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

(اهميه أن يكون المؤمن موضوعيا أخلاقيا)

ابتدأت الايه بقوله تعالى (ومنهم) وهذا فيه توجيه لك ايه المسلم بأن يكون تعاملك مع الاخرين قائما على اساس الموضوعية الأخلاقية التى توجب عليك تجنب التعميم فى إطلاق الأحكام على الآخرين ولكن الواجب إذا رأيت خطأ من أفراد جماعه عند إنكار المنكر أن لاتنسي الجوانب الايجابيه فيهم فهذه هي الموضوعية الأخلا قية فالله يقول (وان من أهل الكتاب من أن تامنة بقنطار يؤده اليك ومنهم من أن تامنة بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما)

فالإسلام يامر اتباعه التحلي بالموضوعية الاخلاقيه التى توجب الإنصاف بذكر الجانب الإيجابي ولهذا يقول تعالى. (ومنهم من يلمزك في الصدقات)

فجاء بلفظ التبعيض (ومنهم) ولم يقل وهم يلمزونك ..لان الإسلام جاء بشريعه يرتقي بالإنسان فاول خطوه تكون باعاده انسانيه الإنسان بالتحول من التوحش التى كان عليها الناس فى الجاهليه الى انسان ثم من انسان الى انسان أخلاقي ثم من انسان أخلاقي الى انسان رباني

ولهذا نعرف أن الإنسان أخلاقي إذا اتصف بالموضوعية فى تعامله وحديثه وهذا التحول يتطلب

التخلص من التعصب لان الذى ينحاز يعني أنه غير اخلاقي فهو يخضع للانانيه وحب الذات ولهذا يقال كل من ينهج نهج التعميم فهو أعمي لان المتعصب اعمي لاينظر للاشياء الا من زوايه المصلحه الشخصيه او القبيليه ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس منا من قاتل على عصبيه وليس منا من دعا الى عصبيه)

ولهذا فإن الانتقال الى الإنسان الأخلاقي يتطلب التخلص من الأنانية وحب الذات فقول الحق والانصاف يعني أن يخرج الإنسان من الانانيه لصالح تقويه الشخصيه الاجتماعيه وان يعيش الانسان لخدمه المجتمع كله وان يتحرك الإنسان وفق منهج ومبدأ وفق قيم لابد لمن اراد التطور أن يتخلص من المعوقات التى تمنع التقدم

الدرس الثاني

تنقل لنا الايه كيف تفاعل المنافقين مع توزيع الرسول صلى الله عليه وسلم للصدقات فقال تعالى

(ومنهم من يلمزك فى الصدقات)

لبيان أن النفاق داء خطير لانه يضرب الفعاليه العقليه والانفعالات الخلاقه التى أوجدها الله فى الإنسان حيث خلق فى الانسان العقل للتميز بين الأشياء وكذلك زوده بالغرائز والنزاعات الاجتماعيه فالانسان يميل للاجتماع مثله مثل باقي المجتمعات الحيوانيه وغيرها وفق نظام ينطوي على اتساق وترتيب وهو مايقتضي خضوع عموم العناصر لبعضها البعض فما هو الفارق بين المجتمع الإنساني عن المجتمع الحيواني أن المجتمع الحيواني لايشعر بتلك الحياه ولابفائده القوانين التى تضبط المجتمع وتنسق حركته اما المجتمع الإنساني فإنه يشعر بها من خلال الاحساس بقيمه القوانين والأنظمة تلبيه لحاجات الاجتماع وهذا الشعور إنما يحدث فى حاله الالتزام بهذه القوانين وامتثال أوامر القياده والانضباط والخضوع لها حتى يحصل التقدم والتطور ولهذا تنقل لنا الايه صوره

لتمرد المنافقين على النظام فقال تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات)

واللمز يعني الطعن والتعيب فى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يقسم الصدقات بالعدل اي أنه غير عادل فهذا انتقاد منهم للقدوه الحسنه بإساءة الاداب والخروج عن نظام الاجتماع يعني أنهم لايشعرون بإلزام الشرع الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف أهل اللغه والتفسير فى التميز بين الهمز واللمز فاختلط المعني فى دلاله كلامنهما فهناك من قال أن الهمز يكون بالخفاء بينما اللمز يكون انتقاد بالعلن وبين من قال ان العكس هو الصحيح وبين قائل إن الهمزه بالقول بينما اللمز بالاشاره والفعل وبين قائل إن العكس هو الصحيح المهم هنا هو أن نفهم بوجود انحراف فى انفعال هؤلاء فى الغرائز التى تقوم بتوجيه الفعالية العقليه التى تخيرنا بين المصلحه الشخصيه والمصلحه الاجتماعيه الغيريه لأن العقل يمكنه الاختيار لكن الاختيار الفعال لممكن من الممكنات لايمكن تفسيره بالعقل وانما يفسره الانفعال ولهذا أخبرنا الله أن معيار هولاء للتميز بين ماهو حق وعدل وبين ماهو باطل وظلم يقوم على أساس تقديم المصلحه الشخصيه الفرديه والمنافع الخاصه فهذا هو المعيار فى قاموسهم ولهذا قال تعالى بعدها (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)

إذا الانتقاد منهم للرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لاجل الحق والحفاظ على المبادئ والقيم والعدل بل نتيجه طغيان الانانيه فى نفوسهم فهم إذا فقدوا الشخصيه الاجتماعيه ويتمسكون بالشخصية الفرديه والمنافع الخاصه وينظرون للاشياء من هذه الزاويه ولهذا كان تفسيرهم للاشياء تفسيرا منحرف نتيجه انحراف الغرائز وتحولها عن الاجتماعيه الي الانانيه الفرديه يعني أنه حصل طغيان لغرائز الانانيه الفرديه وخروج عن النزاعات التي خلق عليها الإنسان فالخليه التي أوجدها الله فى الإنسان تعيش لعباده الله تعالي ومعرفته ومحبته ولهذا فإنها لاتشعر بـ الغرابه ولذلك تتفاني فى خدمه الكائن الحي طاعه لله ولذلك يضحي بنفسه فى سبيل الله خدمه للمجموع ولهذا فإن الإلزام الذى يتضمن الايمان والالتزام بالمبادئ والقيم هو الذى يميز بين المصلحه الشخصيه والمصلحه الا جتماعيه فالتضامن الاجتماعي لايكون الا فى أن تنضاف في كل منا (انا اجتماعيه) الى (الأنا الفرديه)

الدرس الثالث

تربيه المؤمنين على القناعه بحقوقهم المشروعة وان يكون المعيار والمقياس للاشياء هو بالنظر الى الالزام الذى جاء به المنهج الرباني فهو الذى يحدد ماهو الحق وما هو الباطل لاينظر المسلم لمصلحته الشخصيه لانه صاحب مبدا مؤمن بالله ولهذا يستعمل مافى نفسه من الطمع فى طلب الزياده من أعمال الاخره بالحرص عليها والرغبه فيها ولهذا هو يتعهد قلبه على الدوام أما المنافق فإن رضاءه وسخطه قائم على المصلحه الشخصيه والمنفعه الذاتيه لأنه جعل اداه الطمع فى طلب الزياده فى طلب الدنيا ولهذا نتيجه هيجان الرغبه فى اغراضه الفاسده فإنه صار تابعا لهواه مقهورالرغباته فاستبعدته فاذهلته واذلته فاستعمل اله الطمع فى طلب الدنيا ولهذا صيرته سفهيا احمقا فرضاه مرهون بالمصلحه وليس فى طلب إرضاء الله ولا طلب الحق ولا غضبه لاجل الحق

فهم إذا أعطوا من الصدقات رضوا وإن لم يعطوا يسخطون فقال تعالى (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)

فالايه تبين أنهم أصحاب مصالح لامبادي لهم ولهذا عبر عن رضاءهم بصيغه الماضي للدلاله على أن رضاءهم مؤقت بالمنفعه هو لاجل العطاء فى وقته وينقضي ..يقول صاحب المنار (ولايعدونه نعمه يتمنون دوام الاسلام لدوامها وعبر عن السخط باذا الفجائيه والفعل المضارع للدلاله أن سخطهم غير ثابت لايزوال وعلى سرعته واستمراره وهذا ماداب عليه المنافقون في كل زمان فأنت تلاحظ فى ميادين الحياه صورا كثيره فقد شاهدنا نحن فى اليمن أناس كانوا فى أحزاب سياسية يتمتعون بمراكز قياديه نسمعهم يتغنون بمبادئ هذه الأحزاب ويتحدثون انها تمتلك الحقيقه فإذا تم استبدالهم باخرين ظهرت منهم النقمه والسب لتلك الأحزاب والتشهير بها بأنها ظالمه ومنحرفه لمجرد أنه عزل من ادراه مدرسه وشاهدنا الكثيرون من هذه النماذج من كان يقف فى صف تيار ما بصوره مبالغ فيها وبمجرد خروجه من المشهد السياسي انتقل الى التيار المضاد وبدأ يقف معاديا لرفقاء الا

امس لان مصلحته تتطلب إثبات ولاءه بإظهار العداء لرفقاء الامس ولهذا فإن علينا أن نفرق بين الشخص صاحب المبادئ وبين الإنسان النفعي المصلحي علينا أن نعرض أنفسنا علي هذه الايه لنري اين موقعنا فى الحياه هل نحن مع أهل الإيمان ام النفاق هل نقوم بالتفريق بين الحق والباطل والظلم والعدل وفق معيار الله ومنهجه ام وفق مصالحنا الشخصيه فإذا كان المعيار مصالحنا الشخصيه فاعلم انك فيك سلوك نفاق ينبغي أن تطهر نفسك منه لان المعيار الذى تنطلق منه يحدد موقعك فالمنافق ينطلق من منطلق نظرته للماده والمنفعه والمصلحة فلا مبدأ له ولهذا نظر الى موضوع الصدقه من حيث المبدأ أنها مخالفه لمنطق الماده فقالوا كيف يكون لشخص يجهد بجمع المال والآخر يأخذه بلا تعب ..وكذلك نظروا الى طريقه أخذه وطريقه توزيعه أنها مخالفه لان تفسيرهم كان منطلقا من الأهواء الشخصيه ولهذا فإن اللازم عليك اخي المسلم أن تتمسك بمبادئك وعقيدتك ودينك مهما كانت المصالح الماديه التى سوف تفقدها إذا تمسكت بالقيم والمبادئ فالرسول صلي الله عليه وسلم قال لعمه ابوطالب الذى حضر يفاوض الرسول صلى الله عليه وسلم بلسان قريش بأن يترك الدعوه مقابل المال والملك و السلطان فماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال ياعماه والله لووضعوا الشمس فى يمني والقمر فى شمالي على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه)

ثانيا

تنتقل الايه الى بيان كيف يستقبل المسلم أمر الله تعالى فى كتابه وسنه رسوله فقال تعالى

(ولو أنهم رضوا مآءاتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون)

الأمر الأول

ان المسلم ينظر الى مصدر الأمر بأنه من الله تعالى ولهذا فإنه يستقبل الأمر بالتعظيم ويخضع ويستسلم لأمر الله فالله يقول في موضع آخر (وماكان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيره من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

فقد استخدم المولي (وما كان) لنفي ضمير الشأن وهو أشد أنواع النفي لبيان أن المسلم يخضع لأمر الله بالقبول والرغبه فلا يناقش المؤمن أمر الله ولا يعارضه لانه لااجتهاد مع النص فالمؤمن صاحب مبدا غير نفعي لان النفعي المصلحي هو المنافق ولذلك فسلوك المنافق أنه لايعبا بمنهج الله ولاينظر لمن أصدر الأمر ولايتلقي أمر الله بـ التعظيم ولايتادب مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما ينبغي على المسلم أن يحذر من الوقوع فيه

الأمر الثاني

الايه فيها تأديب المسلم وبيان منهج أهل الإيمان فتبين الايه أن قوه المسلم فى التوكل على الله تعالى وان الغني يكون بالثقه بما عند الله ولهذا قال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون)

فأول شي علي المسلم أن لاياذن لقلبه في استصحاب مايعسر طلبه وينطفي نور القلب من أجله

فلا يسمح المسلم للاهواء أن تستحوذ على قيادته وينبغي أن يجعل يخضع لمنهج الله فيما وافق هواه أو خالفه فـ اللازم أن يجعل هواه تابعا لمنهج الله وسنه رسوله

وكما يجب على المسلم أن يلزم نفسه بالقناعه بما قسم الله له فهذا اساس الغني للإنسان فلا تنظر الى مابيد الناس عليك ترويض قلبك وتاليفه النظر للعاقبه المحموديه وان تخوف نفسك عقوبه مافى يديك فلا تنشغل بـ التفكير بالدنيا والمحبه الزياده منها فمن ذكر الزيادة فى الدنيا وحملتها على درجه الخوف مما فى يديها قنعت ورضيت وعفت عن طلب الدنيا بالحرص والرابع ورجعت بالحرص على الاخره

والأمر الثاني بالاياس من المخلوقين وان يعتمد المؤمن على ربه ولهذا قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) اي كافينا الله لماذا لأن المسلم يدريك باليقين أن سبب القوه فى التوكل على الله والاستعلاء بالحق وسبب الثروه الثقه بما عند الله فقال تعالى (سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون)

فالأمر متعلق بالمستقبل فيكون الاستعانه بالله تعالى أما مامضي ووقع فيجب التسليم والرضى

ولهذا قال فى الماضي (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) لانه قد وقع فلو للتمني وجعل الرضا كأنه ضمن معني الأخذ والايتاء فعدي ذلك بنفسه اي اخذو ذلك راضين به لماذا

لان ما مضي يجب التسليم الفوري ولهذا ورد عن عمار بن ياسر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال اللهم أسألك الرضاء بعد القضاء)

فالمسلم العارف بالطريق الموصل الى الله لايجزع ولايفزع من المصائب مهما صبت عليه ولهذا قال تعالى بعدها (وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله)

فالأمر المتعلق بالمستقبل من أمور الغيب فعليك أن تستعين بالله فى طلبه بالثقة بما عنده فهذه هي سبب ثروه المؤمن الثقه بما عند الله ولهذا ختم بقوله (انا الى الله راغبون)

فهو يرغبون ان يوسع الله عليهم من فضله فهو له خزائن السموات والأرض

ثالثا

تبين الايه المستحقون للصدقات فقال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

وهذا فيه

الأمر الأول

الايه تتحدث عن اسلوب توزيع الزكوات الواجبه لان الصدقه تجب لكل واحد فلا يخص فيها أحد دون أحد

الأمر الثاني

تبين الايه المستحقون للصدقات على سبيل الحصر بهذه الأصناف الثمانيه :_

١/ الفقراء ٢/ المسكين. ٣/ العاملين عليها ٤/ المؤلفه قلوبهم ٥ / (وفي الرقاب) ٦/ الغارمين ٧في سبيل الله ٨ابن السبيل

الأمر الثالث

تبين الايه اهميه وجود الاداره الرشيده التى تقوم باداره اي مؤسسه وفق قوانين وتشريعات ثابته

لان غياب الاداره الرشيده يعني ان تسود المؤسسه الفوضي وتضارب التعليمات والعجز عن القيام بإصلاح الخلل حيث يودي الى الخلط بين الأولويات ولهذا تكون قرارت الاداره خاطئه تخلق أزمات داخل الكيان وتحوله الى هش ولهذا فإن وجود الاداره الرشيده أمر فهي المكلفه بتنفيذ شريعه الله والتخطيط وترتيب الأولويات ولهذا يخبر الله عباده بالآتي

"*

بأن المستحقون للزكوات محصورون بهذه الأصناف الثمانيه

**

يبين اهميه مراعاة ترتيب الأولويات فى توزيع الصدقات ولهذا جاء الترتيب وفقا للغرض الذى تحققه كما يتضح من الايه حيث نجد الآتي

/١

ابتدأ (بالفقراء) والفقير يطلق على المحتاج والكلمه مشتقه من الفقرات وهذا فيه تصوير لحاله فكأنه الذى كسرت الحاجه فقار ظهره

٢

(المسكين) ذكره تاليا للفقير مع أنهما يشتركان فى الحاجه وقله الحيله فالمسكين هو الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركه فى طلب القوت وجاء فى الترتيب بعد الفقير لان الفقير لايجد ما يكفي كل حاجته أما المسكين فهو الذى قد يجد نصفها ولايجد تمام كفايته

/٣

العاملين عليها

هو الذين يقومون بجمعها والحفاظ عليها أي الموظفين

/٤

المؤلفه قلوبهم

هو السيد المطاع في قومه ممن يرجي إسلامه أو يخشي شره أو يرجي أن يقوي إيمانه بالعطاء

/٥

فى الرقاب

من العبيد الذين يعقدون مع أسيادهم مكاتبه بدفع مبلغ مقابل عتق رقابهم من العبوديه فهولاء يجب اعانتهم فالإ سلام جاء لاجل تحرير الإنسان من الرق

/٦

الغارمون

وكذلك الغارمون الذين عليهم مديونيات وهم معسرون عن السداد

/٧

في سبيل الله

يشمل الجهاد ودور العلم والعباده وغيرها مما يدخل تحت هذا المعني

/٨

ابن السبيل

المسافر الذي ترك أهله وديارة فهو بحاجه الى أن يشعر أن جميع المسلمين أهله وكل الديار داره

***

تبين الايه أن اداء الزكاه لأهلها المذكورين أمر أوجبه الله فهذا التقسيم والتوزيع لها على مصارفها أمر تولي الله أمره بنفسه ولم يؤكل ذلك لاجتهاد أحد فقال تعالى (فريضه من الله)

وبالتالي فلا يصح البخل بتسليم الزكاه أو الاعتراض علي طريقه توزيعها فهذه شريعه الله تعالي للناس وهو تعالى (عليم حكيم) عليم بما يصلح احوال الناس وحكيم يضع كل شي فى موضعه

القسم الخامس

تستمر السوره فى فضح وكشف قبائح وفضائح المنافقين

فقال تعالي (ومنهم من يؤذون النبى ويقولون هو إذن قل إذن خير لكم يومن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه أن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحاد الله ورسوله فأن له نار جهنم خلدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا أن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم أن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين

اولا

ابتدأت ايات هذا القسم بنقل صوره ترسم لنا بشاعه المنافقين وقبح أخلاقهم وهذه هي صفات المنافقين في كل زمان ومكان الي قيام الساعه فالسوره هي البلاغ الاخير للبشريه وهي الفاضحه للمنافقين لتكشف حقيقتهم لك انت ايه المسلم لتحذر منهم فقال تعالى

(ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو إذن قل إذن خير لكم يومن بالله ويومن للمؤمنين ورحمه للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)

الأمر الأول

أن هولاء المنافقين لايبالون ولايكترثون بما يقولونه عن النبى صلى الله عليه وسلم فهم كانوا يتحدثون بما يسئ للرسول صلى الله عليه وسلم فيما بينهم بالخفاء فيقول بعضهم لبعض كيف لو وصل هذا الخبر لمحمد وبلغة قولكم فيرد عليه البعض الآخر حينها سوف نعتذر إليه وهو سوف يقبل اعتذرنا فهو يصدق كل ما يقال له ولو كان كذبا ويمكن خداعه بسهولة فمن حلف بالله له صدقه فأنزل الله الايه(ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو إذن) وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

عدم تأدب هولاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينظروا الى مقام النبوه الذى ميز الله به نبيه بالاختيار والا صطفاء ليبلغ الناس رساله ربه ويدعوهم الى مافيه الخير لهم ولهذا قال تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى) ولم يقل يؤذون محمد والذي يؤذي النبي يعني أنه يؤذي الله الذي أرسله لتبليغ الناس دينه ولهذا كيف ينجو هولاء من عذاب الله

المفهوم الثاني

أن هولاء قد اساوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم الاهتمام كونهم يؤذون النبى الذى حمل الوحي لاخراجهم من الظلمات الى النور وفوق هذا أنهم يقدحون بعقل الرسول صلى الله عليه وسلم ويتهمونه بعدم الإدراك والتميز بين الحق والباطل ويدعون أن فهم النبى للأمور سطحي

وهذا فيه جراءه على الله الذى ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه الجراءه تخرج صاحبها من المله

المفهوم الثالث

اللازم على المسلم التادب مع النبي صلى الله عليه وسلم ليحذر ما وقع فيه المنافقون فإذا سمعت حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا فعليك أن تذعن له لانك إذا خرجت عن سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فإنك بذلك توذي الرسول صلى الله عليه وسلم لأن اذيه النبي صلى الله عليه وسلم هو عدم الاستجابه لما يدعوك إليه ولهذا عليك ان تعظم الرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن المنافقين فى كل زمان يقومون بتحريف الصفات الحسنه في المؤمن وتصويرها علي انها مذمه فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يستمع لهم ويهتم بهم عندما يتحدثون وهذه صفه مدح لاذم ولهذا يامر الله نبيه أن يرد عليهم بقوله (قل هو إذن خير لكم) وهذا فيه

/١

يدعو كل داعيه أن يسمع أكثر مما يتكلم فالاستماع أكثر أفاده من التحدث لان الاستماع الجيد للآخرين وحسن ا لاصغاء يساعد القائد على رؤيه العالم من خلال أعين الاخرين ويزيد من فهم القائد ويوسع قدرته على التعامل وفهم مواقف الاخرين وفهم أفكارهم وطرق تفكيرهم ومعرفه ولهذا فإن من أكثر العقبات التي تواجه حسن الا ستماع هي الرغبه في مواجهه المتحدث بالافصاح عن الأفكار الدفينه التي يدركها المستمع والتي قد تجرح المتكلم لو افصح عنها ولهذا فإن المستمع الجيد هو يتغلب على هذه الرغبه والعقبه ولهذا يقول تعالى

(قل إذن خير لكم)

يوافقهم باتصاف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه (إذن) اي مستمع جيد لما يقول الاخرين بإظهار الاهتمام بما يقولون وان كان يعلم كذبهم فإن الذى يستمع أكثر مما يتحدث ويظهر الاهتمام بما يردده المتكلم حتى لو لم يكن مهتما فإن هذا يدل علي أنه مهذب

/٢

أن من صفات القائد الناجح أن يكون مستمع جيد لانه يجعله أكثر قدره على التواصل مع الآخرين

وفهم مواقف الاخرين ومعرفه الردود المناسبه للموقف والاخرى التى يفضل تجنبها ولهذا لم يعنف الرسول صلى الله عليه وسلم المنافقين عندما اعتذروا باقاويل كاذبه برغم أنه يعلم أنهم كاذبون فلم يقول يا فلان انت كاذب انت دجال انت غشاس انت مخادع لا اصدق اخباركم فالذي رده عن قول ذلك لهم هو كمال وعلو منزلته وترفعه عليه الصلاه والسلام وليس أنه يصدق ما يطرحون من اعذار كاذبه

ومن هنا نفهم أن حسن الاستماع ليس بسيطا كما يتصور البعض بل يتطلب براعه ومهاره خاصه وقت الاختلاف مع من يتحدث معك فيما يطرح من أفكار وأقوال تعلم بكذبها لكن الموقف يتطلب منك أن تترفع عن الرد عليه

٣

القائد الذى يتولي اداره شؤون الناس ينبغي أن يكون مستمع جيد حتى يتمكن من اصلاح أحوال الناس وفهم مواقف الاخرين وطريقه تفكير المتكلم لان الاشخاص الذين يستمعون أكثر مما يتحدثون والذين يظهرون الا هتمام بمشاعر الآخرين هم الذين يستطيعون فهم افكار الآخرين وفهم الاغراض المستنبطه من الأفكار التي يطرحها المتحدث ويفهمون ما يحدث أكثر من غيرهم

ولهذا يستخدمون الرد المناسب للموقف وما يجب تجنبه من الردود دون تشنج ولهذا فإن عدم تعنيف الرسول (ص) للمنافقين فلم يقول لهم أنتم كاذبون دجالون فيما تقولون هو حسن تقديره للموقف والرد المناسب للموقف وكماله وعلو منزلته وترفعه عن تفاهاتهم وليس أنه يصدق كل ما يقال له وانما المهمه التى كلف بها وهى حمل الوحي من الله للناس والدعوه لدين الله تتطلب منه الترفع عن أفعال وأقوال المنافقين ولايعني هذا أنه يصدق اقوال المنافقين بل يترفع عن الجدل معهم مع علمه بكذبهم وليس لاقوالهم قيمه عنده فلا يثق فيهم وانما عدم تعنيفه لكمال أخلاقه ولاجل أن يجذبهم للإسلام فيتركوا النفاق فالقائد الرحيم والمحنك يجب أن يكون مطلعا على كل شئ لكنه لايفضح اتباعه أمام الجمهور بما هو مطلع عليه منهم من الأمور المجهوله عنهم للآخرين حتي يترك فرصه لمن لديه منهم استعداد وقابليه للتوبه ولهذا يجب أن تبقي أسرارهم طئ الكتمان لانه لو فضحهم فإن ذلك يجعلهم يقفون فى صف الكفر بعد أن كان هنالك احتمال هدايتهم ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسمع لكلام كل واحد ويظهر الاهتمام بما يقولون لكن عند الانتقال الي الجانب العملي فإنه لايقبل الا مقترحات المومنين المخلصين ولايهتم بأقوال المنافقين فالاستماع لايعني بالضرورة التصديق لما تقول

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم يوحي اليه من ربه فهذه هي الميزه التى تميزه عن البشر وهو يومن بالله وما يخبره به ولايمكن أن يخدعه حثاله من المنافقين فالله يقول (وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحيا يوحي) ولهذا قال تعالى هنا (ويومن بالله) الايمان يقصد به التصديق الذي نقيضه الكفر ولهذا عدى بالباء بعكس الحديث عن تصديق المومنين نجد أنه عدي باللام (ويؤمن للمؤمنين)

والمراد منه الاستماع للمؤمنين والتسليم بما يقولون لأن المومن لايكذب ولهذا فالرسول صلي الله عليه وسلم إذا استمع خبر من المؤمن فانه يصدقه وأما إذا سمعه من المنافق فإنه لاياخذ به حتى يتبين صدقه من كذبه كما قال تعالى (إذا جاءكم فاسق بنباء فتبينوا)

المفهوم الرابع

عليك أن تفهم أن اتباع كتاب الله وسنة رسوله هما اداه النجاه والسلامه والفوز فمن اعتصم بهما حصل له النجاه و التوفيق والوصول الى . رحمه الله الخاصه التى يمنحها الله عباده المؤمنين

ولهذا تبين الايه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينقذ المؤمنين ويأخذ بأيديهم الي رحمه الله الخاصه فقال تعالى (ورحمه للذين امنوا منكم)

فدل أن رحمه الله الخاصه هنا التى تمنح للمؤمنين فقط الذين اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله التي تبين وتفصل ما اجمل وابهم فى كتاب الله هي للذين امنوا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فالنموذج و القدوه مهم لتطور الشعوب فمشاكل الشعوب ليست العجز بل فى غياب النموذج والقدوه ولهذا عندما ابتعدنا عن منهج الله وسنه رسوله أصاب الامه الضعف والهون فارسال الرسول صلى الله عليه وسلم فيها (رحمه عامه ورحمه خاصه)

وقد عرفنا الرحمه الخاصة بأنها تكون للمؤمنين أما الرحمه العامه فهى للناس كافه لان دعوه الاسلام هي لإنقاذ البشريه كلها فقال تعالى (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين)

أما الرحمه الخاصة فهي لمن قبل الهدايه العامه واستجاب لما يدعوه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة فإنه ينتفع بمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ودلاله تصرفاته وسلوكه لهذا يفهم كل ما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم الفهم الصحيح كما قال تعالى

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤءف رحيما)

وهنا قال (ورحمه للذين امنوا منكم)

ولهذا فمن يريد النجاه والسلامه ورحمه الله الخاصه عليه أن يتادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء ب الرسول

المفهوم الخامس

عليك أن تدرك أن الذى لايستجيب لدعوه الله باتباع كتاب الله. وسنه رسوله ويقدح فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتعرض لنساءه بالسب والقذف كما يفعل بعض من يدعون الانتساب للإسلام أو ينتقد سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مواقفه فإن هذا يوذي رسول الله وهو كافر خارج عن المله أما الذين كانوا يؤذون الرسول صلى الله عليه وسلم بالجلوس فى منزله ولايخرجون من بيت الرسول صلى الله عليه وسلم كما ورد في سوره الحجرات فهذا الفعل اذيه للرسول صلى الله عليه وسلم وذنب عظيم لكنه لايخرج صاحبه من المله وهو م الزم التنويه له حتي لايحدث الخلط لان الموضوع الذي تتحدث الايه هنا عنه يختلف عن موضوع سوره الحجرات فالايه هنا تتحدث عن الذين يقدحون بالرسول صلى الله عليه وسلم بعقله أو دينه أو أحاديثه أو عرضه أو ما شابه ذلك ولهذا جاء التهديد والوعيد الشديد فقال تعالى (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)

بالعذاب الموجع والشديد فى الدنيا والاخره

ثانيا

بعد أن بينت الآية اذيه المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم بالطعن به وبالدين تنقل لنا الايه صوره متحركه عن رده فعل المنافقين لتغطيه أفعالهم إذا تم مواجهتهم بها فقال تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه أن كانوا مؤمنين)

فالايه تبين الآتي

الأمر الأول

أن المنافقين يتصفون بالجبن والضعف عاجزون عن إظهار ما يتحدثون به فى الخفاء من أقاويل فيها الطعن لدين الله وسنه رسوله والاذيه للنبي صلى الله عليه وسلم هم ضعفاء لايجروءن على المواجهه وإظهار مواقفهم

الحقيقه بل يلجأون الى إنكار أعمالهم القبيحه ويتبرون منها خوفا من الناس ولهذا يلجأون الى حلف اليمين من أجل التغطيه على واقعهم السئ قائلين نقسم بالله ان الذى بلغكم عنا من سب الرسول صلى الله عليه وسلم و الطعن فيه غير صحيح

الأمر الثاني

أن طبيعه المنافقين فى كل زمان أنهم يهتمون بالراي العام وأن خانوا الحقيقة ولهذا تبين الايه أن هدفهم من حلف اليمين الكاذبة بالله هو ارضاء الناس وليس بيان الحقيقه فمقصودهم هو إقناع المؤمنين بصدق نواياهم من خلا ل حلف اليمين الكاذبة لغرض أن يخدعوا المومنين ويكسبوا ثقتهم كما هي عاده المنافقين يلجأون الى استخدام ا لألفاظ المنمقه والعبارات الجميله وتأكيد ذلك بالعهود للوصول الى مقصودهم بالمكر والخديعه أو خوفا من المؤمنين لانه لو كان هدفهم إرضاء المؤمنين بإظهار الحقيقه فإن إرضاء الله ورسوله هو الذى يرضي به المؤمنين

الأمر الثالث

أن من صفات المنافق المذمومه هو أنه يريد إرضاء من حوله ولو كان ذلك عن طريق الكذب فالمنافق غايته وهدفه إرضاء الناس وهو يراقب الناس

بينما المؤمن الصادق غايته وهدفه فى الحياه هو طلب إرضاء الله لانه مخلوق لمعرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك ولهذا فالمؤمن يراقب الله ولهذا فكلا منهما يسعي لإرضاء من يريد مرضاته ويراقبه ولهذا هنالك فرق بينهما فالمنافق مذموم في غايته وهدفه الذى يسعي للوصول إليه لان رضاء الناس غايه لاتدرك وكذلك فإن الناس مخلوقات مثلهم مثل الإنسان فماذا يكون من الناس حتى يخاف المرء منهم ويتحري ارضاءهم ويسعي لذلك ويراقبهم فى كل أفعاله فتجد هذا الغبي قبل أن يفعل اي فعل يقوم بعرض ذلك على نفسه يتسال ماذا سيكون رد فعل الناس إن فعلت كذا يحاول ارضاءهم ولو على حساب دينه وعقيدته ولو كان ذلك فيه سخط الله عليه يخاف العيب والعادات والتقاليد والقبيلة أن هذا الشخص مشرك بالله لأنه جعل الناس الهه يعبدها من دون الله فدل هذا على انتفاء إيمانهم بالله ورسوله وهو لايصل الى هدفه بارضاء الناس لأنها غايه لاتدرك فهو يخسر الدنيا والاخره

أما المؤمن فإن غايته وهدفه هو ارضاء الله وهي غايه لاتترك لان الله هو الخالق القهار الذى بيده كل شي والإ نسان مخلوق لمعرفته ومحبته وطاعته وعبادته وحده لا شريك له والفناء فيه ولهذا فإن هدفك الاول ايه المسلم هو ارضاء الله تعالى وان تحبه وتطيعه وتعبده فلا يخاف أحد إلا الله ينطلق متحررا من كل الضغوطات فهو لا يخشي الا الله لان ذلك فيه النجاه والسلامه والفوز والنجاح

الأمر الرابع

أن الوصول الى هدف المؤمن هو ارضاء الله تعالى إنما يكون بمعرفه الله ومحبته عبادته وحده لا شريك له وطاعته وهذا يتطلب اتباع منهج الله فعلامه محبه الله تكون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ولهذا فإن المؤمن إذا أراد أن يفعل شي ينظر الى موقف الشرع كتاب الله وسنة رسوله من ذلك فإذا كان موافقا لمنهج الله التزم القيام به وإن كان ذلك سوف يسخط الناس لان رضاء الله هو غايه وهدف المؤمن فطاعه الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعه الله تعالي ولهذا نجد أن الضمير في الجمله (يرضوه) جاء مفردا في إطار التثنيه فلم يقل يرضوهما اشاره الى أن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم من رضاء الله وان من اسخط النبي صلى الله عليه وسلم فقد اسخط الله تعالى

الأمر الخامس

(الفرق بين الأحق والاصلح)

أن الأحق يستعمل فى تميز صفات الفعل كقولك زيد أحق بالمال فلا يقال اصلح بالمال لانه من صفات الفعل التى تحمل معني الثبوت واللزوم أما الصلاحيه والصلوح فهو من صفات الاستعداد والتهيؤ وهو تعالى لايتصف بشي من معني الاستعداد والتهيؤ المستلزم لتأثير ه وتأثره عنهم ومن هنا كان استعمال كلمه أحق بان المؤمن يعظم الله تعالى فلا يتجرأ على حلف اليمين الكاذبة لاجل إرضاء الناس وانما يفعل ذلك غير المؤمن ولهذا كان مجئ النص بأسلوب الالتفات الى المؤمنين بما فيه التلويح لهم بما يشمل عليه الأمر فقال تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه أن كانوا مؤمنين) من الحكم بأن الواجب على كل مؤمن أن يسعي لإرضاء الله ورسوله فى كل أمر وقول وفعل وان يعظم أمر الله

ثالثا

بعد بيان أن المؤمن يحرص على إرضاء الله ويراقب الله تعالى فى كل فعل اوقول لانه يؤمن أن الله يعلم السر وما تخفي الصدور وكل شي من الأعمال تنتهي الى الله ولهذا يحرص المؤمن أن يقف فى جانب الحق على الدوام يحذر أن ينحرف عن الحق أو أن يخالفه لانه بذلك يكون قد وقف فى طرف الباطل فقال تعالى(الم يعلموا أنه من يحاد د الله ورسوله فأن له نار جهنم خلدا فيها ذلك الخزى العظيم)

فقد ابتدأت الايه بالاستفهام الذى فيه (التوبيخ _التقريع -اقامه الحجه عليهم) لان من يدعي الايمان يعلم ان الذى يتمرد على طاعه الله ورسوله ويعصي أمر الله ورسوله يعني أنه محاربا لدين الله ومبارزا لله ومعاديا لله بأن الله قد جهز له جهنم التى تحرق أجسادهم وأرواحهم ويمكثون فيها دون انقطاع وهذا الفشل هو الخزي الذى لايقارن وهذا فيه

المفهوم الاول

التحذير من مخالفه منهج الله ومحاربه دينه فالذي يوذي الرسول صلى الله عليه وسلم ويحلف الايمان الفاجره لإ رضاء الناس ولو كان علي حساب دينه فهذا قد تجرا على ربه فهو في حرب مع الله وماهي قوه الإنسان ليقف محاربا لله فالانسان مهما تكبر فإن نهايته هى الى الله ومصير المتمرد هو العذاب في نار جهنم دون انقطاع وبالتالي فإن وصول الانذار له بالنار وعذابها فيها اقامه الحجه عليه فلا عذر له إذا خالف منهج الله

المفهوم الثاني

أن سعاده الناس وشقاوتهم مرهون بخوف الله ومراقبته في كل فعل وقول وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه فسعاده الإنسان مرهون باتباعها ولا يشقي الإنسان إلا مع جحودها واضاعتها

ولهذا فإن المؤمن يطيع الله ورسوله ويقف في صف الحق ولايخرج عن دائره الحق لانه يعلم أن الخروج فيه الهلا ك فيه الذل والهون ولهذا يقمع المؤمن شهوات نفسه ويكفها عن مطامعها أن هي جمحت عليه يحرص علي أن يكون في الطريق المستقيم على الدوام لان الخروج عن المنهج يعني محاربه الله ورسول وبالتالي يعرض نفسه للذل والهون العظيم والخساره العظيمه لان الدنيا زائله بينما الاخره دائمه فأيهما اشد شقاوه وخزي وفضيحه من إرضاء الناس في الدنيا خوفا من العار والفضيحه ولو علي حساب دينه وخساره الاخره وان يكون مصيره جهنم يمكث فيها الي مالا نهايه ايهما اشد فضيحه من الموكد أن العاقل يدريك أن فضيحه الاخره وخسارتها أشد وأعظم فمن علم ذلك فإنه يتضاءل أمامه كل خزي وذل في الدنيا وبالتالي فهو يفضل طاعه الله ورسوله ويخاف من عقاب الله وفضيحه الاخره فيقدم لنفسه حرزا يحرزها من المصير الذي تنتهي إليه بالأعمال الصالحة التي تحفظها

من سوء المصير

ثالثا

(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون)

الأمر الأول

ذهب المفسرين فى تأويل المراد بالآية الى قولين

الأول

أنه اخبار من المولى سبحانه وتعالى بأن المنافقون يخافون أن ينزل الله سوره من القران على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تكشف مافى قلوبهم من الشرك والنفاق

مناسبه الايه لما قبلها

الثانى

أن هذا اللفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر فهو كقولك ليحذر المنافقين أن تنزل عليهم سورة تخبرهم بما فى قلوبهم من النفاق وهذا فيه تهديد لهم

لما ذكرت الايه قبلها أن شقاء الإنسان بسبب عدم طاعته واتباعه ما أمر الله به فى كتابه فهذا الشقاء والخزى و الفضيحه بسبب جحوده منهج الله واضاعتها وعدم التلقي لما ينزل الله بالجد والاجتهاد فى تنفيذ مافيها مبينه أن قلوب هؤلاء فاسده متعلقه بالدنيا ولهذا يحرصون على إرضاء الناس خوفا من العار والفضيحه وانكشاف سرائرهم التى تخفى نفاقهم ومخططاتهم وبرامجهم التى يهدفون من خلالها هدم دوله الاسلام ومحاربه دين الله أنهم يتامرون مع أعداء الإسلام ضد الإسلام والمسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فانهم يعيشون فى خوف من انفضاح أمرهم فقال تعالى

(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون)

لبيان الآتي

الأمر الأول

أن المنافقين يعيشون أسرى الخوف والحذر من أن تنكشف وظهور نفاقهم وخروج ما خبؤه فى سرائرهم الخبيثه فهم كانوا يحذرون من نزول سوره تفضحهم وتظهر حقيقتهم

وهذا ما ذهب إليه اغلب المفسرون فقالوا إن الايه فيها اخبار من الله تعالى بأن المنافقون يخافون أن ينزل الله سوره من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين تكشف مافى قلوبهم من النفاق والشرك

وذهب البعض الآخر للقول أن هذا اللفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر فهو كقولك ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سوره تخبرهم بما فى قلوبهم من النفاق وهذا فيه تهديد لهم

الأمر الثاني

السؤال كيف يحذر المنافقون من نزول سوره تفضحهم وهم لايؤمنون بالوحى اصلا فى حقيقه الامر ؟ ثم كيف يكون الحذر مع الاستهزاء ؟

الجواب:

هنالك عده احتمالات ذهب إليها المفسرون نفيدها بالاتى

/١

أن هذا الحذر إنما ظهر على سبيل الاستهزاء لا على سبيل التصديق أي أنهم حين رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم ينطق فى كل شي عن الوحى قال بعضهم لبعض على سبيل السخريه احذروا أن ينزل وحى فيكم يتناجون ويضحكون

وقيل إنهم كانوا يقولون القول ثم يقولون فيما بينهم عسى الله أن لايفشى سرنا علي سبيل السخريه ولهذا قال تعالى (قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون)

/٢

أن يكون ذلك منهم على سبيل الاستهزاء مع خوفهم من انكشاف أمرهم لأنهم كانوا يشاهدون أن كل ما يسترونه تنزل ايات من القرآن الكريم تفضحهم فيه وهم لم يكونوا يومنون بالوحى وانما كانوا يظنون أن هنالك جواسيس من المسلمين ينقلون الخبر للرسول صلى الله عليه وسلم وان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلوها على أنها قرآن

ولهذا كانوا يحذرون من انكشاف أمرهم فقالوا فيما بينهم انتبهوا من نزول سوره تتحدث عن مخططاتكم لابطال دعوه الاسلام ومسانده الكفار فقالوا ذلك على وجه الاستهزاء لأنهم يظنون أن هنالك من ينقل الاخبار للرسول صلى الله عليه وسلم

/٣

الحقيقه أن النفاق مرض سببه الشك من صدق الدعوه فالله يقول فى موضع آخر (فهم فى ريبهم يترددن) ويقول ايضا فى سوره البقره (فى قلوبهم مرض فازدهم الله مرض)

وهذا الشك يولد فيه القلق والتوتر فهم كما وصفهم الله في موضع آخر (يحسبون كل صيحه عليهم)

ولهذا فانهم لو كانوا مؤمنين بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لما كان فى قلوبهم

محل لهذا الارتياب والخوف لكنهم يترددن بين الشك فى عدم الصدق والشك فى صدقه

ولهذا كانوا يخافون من انكشاف أمرهم والحذر فيه شي من معني الاحتراز والاتقاء ولايتم ذلك إلا بالتوسل بالا سباب ووسائل تحفظ الشي مما يحذره ويحترس منه وهذا يدل أن الأمر يدل أن هنالك شواهد سابقه تحدث عنها القرآن الكريم قد سبق أن فضحتهم ولهذا قال تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم)

فدل هذا أن الحذر حال داخلي فيهم لاسيما مع كفرهم واستهزاءهم ولهذا فليس الضمير عائدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين حصريا فى قوله تعالى (أن تنزل عليهم) كما ذهب البعض للقول لان ذلك يعني تفكيك الضمائر وهوما لايتناسب مع الايه مع عدم الدليل كما أن الايه قبلها ولهذا جاء الخطاب موجها للنبي صلى الله عليه وسلم ووجه الكلام إليه وهو يعلم بتعليم الله أن هذا الكلام الذى يبلغه للناس كلام الله ومنزل من عند الله

فهذا الكلام هو الذى يخاف منه المنافقون بما له من الوصف أنه منزل من الله على الناس ومنهم المنافقون لا على مايراه المنافقون من أنه كلام بشري فهم كانوا يحذرون أن يتلوا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وعلى الناس ك لاما هذا نعته الواقعي وهو أنه سوره منزل عليهم اي أنه متوجها بمضمونها إليهم تكشف وتظهر للناس حقيقتهم وتكشف نفاقهم وسؤء نواياهم فهذا الذي كانوا يحذرون نزوله في السوره ولهذا فليس الضمير عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين حصريا فى قوله تعالى (تنزل عليهم) كما ذهب البعض

لان الايه تتحدث عن المنافقين وكذلك الآيات قبلها ذكرت أن شقاء الإنسان بسبب عدم طاعته واتباعه ما أمر به الله فى كتابه وسنه رسوله فإن مصير من كان جاحدا لآيات الله هو الشقاء والخزى والفضيحه بسبب جحوده منهج الله واضاعته لما انزل الله من أمر بالفعل ونهي بالترك والمحاربه لدينه فإن هذا يعيش فى عذاب القلق و الخوف والضياع والشك والريبه لانه يعيش اسير غايه إرضاء الناس وهي غايه لاتدرك وأنه يعيش ذليل ويوم القيامه يفضح على الملاء فهذا عقاب كل من يقف محاربا لله ودينه ورسوله بانه يعيش فى الدنيا خائفا من انكشاف أمره وافتضح خبثه ونفاقه يخاف من انكشاف ما يضمر من شر وتامر مع أعداء الإسلام ضد المسلمين ودينهم يخاف من الفضيحة على الدوام ولهذا فإن المراد بالاستهزاء بالايه هو:

نفاقهم وما يلحق به من التآمر ضد الإسلام فإن الله سمي نفاقهم استهزاء فقال تعالى في سوره البقره (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا وإذا خلوا الى شياطنهم قالوا أنا معكم إنما نحن مستهزءون)

فالمراد بالاستهزاء هو النفاق الذى يحذرون ظهوره فهذا هو القول الأرجح وليس أنهم قالوا ذلك على سبيل السخريه حين رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم ينطق كل شيء عن الوحى وان كان ذلك سلوك اتصف به المنافقون بل إن ما كانوا يخافون منه حقيقه هو أن تنزل سوره على الناس تكشف نفاقهم الذى فى صدروهم اي يكشف بواطنهم ولهذا جاء التهديد (قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون)

أي استمروا على ماانتم عليه من النفاق فإن الله سوف يفضحكم ويظهر ويكشف للناس حقيقه ماانتم عليه من النفاق فالسوره سميت الفاضحه لأنها كشفت وفضحت المنافقين

ثالثا

تنتقل الآيات عن رده فعل المنافقين إذا انكشف أمرهم وسألتهم عن الدافع لما تم منهم من اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم أو الدين أو كتاب الله بأنهم سوف يقولون إن كنا نمزح ولم نكن بذلك الجد فقال تعالى (لئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب)

حيث أن الايه الكريمه نزلت فى المنافقين وقيل أنها نزلت فى رجل منهم قال ماارى قراءنا هؤلاء الا ارغبنا بطونا واكذبنا السنه واجبنا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال تعالى (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ...الى قوله كانوا مجرمين)

فالايه تبين لنا الآتي

الأمر الأول

طبيعه المنافقين وخطوره أساليبهم الاتري أنهم وفى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتآمرون ضد الإسلا م ويبثون سمومهم فإذا تحقق هدفهم فقد وصلوا الى ما يريدون وإذا لم يتحقق وانفضح أمرهم فإنهم يلجأون الي حيله الاحتجاج بالمزاح لم نكن نقصد أننا نخوض ونلعب كنا هازلين لا جادين

الأمر الثاني

تبين الايه أن المنافقين يعجزون عن تقديم اعذار عند انفضح أمرهم من شده جبنهم وخوفهم من انكشاف حقيقه نفاقهم ولهذا يعطينا الحق هذا المثال أنهم عندما ينكشفون ويتم سألهم عن الدافع عن فعلهم وما صدر منهم فى هذا الموقف الذى يحشرون فى الزوايه فإنهم يقدمون عذرا أقبح من الذنب الذى ارتكبوه فهم يقولون (إنا كنا نخوض ونلعب)

ولهذا يأتي الرد الحازم فقال تعالى (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون)

هل من المزاح الخوض فى الله وآياته ورسوله وهي من أهم المسائل وأدق الأمور

وهل يمكن أن تتخذوا الله جلت عظمته لعبه للتسلي والتلهي وهل ايات الله ورسوله وسيله للتسلي

للاسف الشديد هذا هو منطق المنافقين فى كل زمان ومكان فقد شاهدنا فى وسائل التواصل الاجتماعي ممن يحسبون على الاسلام من يتخذ من الكعبه المشرفه ومقدسات المسلمين اداه للتسلي والتلهي بها بما تقشعر الأ بدان من تلك المناظر تحت عنوان التسليه والترفيه نسال الله السلامه واذا سألتهم فان ردهم لايختلف عن المنافقين فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم لأن منافقي هذا الزمان سوف يقولون إن هذا ترفيه وتسلية للنفس اتركوا التشدد لابد من الانفتاح والترفيه على النفس فهذا المعاذير أقبح من الذنب نفسه ولهذا يامر الله نبيه أن يرد على هؤلاء (لاتعتذروا) بالمعاذير الكاذبة فالاعتذر بدعوي اللهو واللغو يترتب عليه الخروج من الملة فى هذه المسائل الدقيقه والخطيره فقال تعالى (قد كفرتم بعد إيمانكم)

هم في الحقيقة لم يكونوا مؤمنين فى الباطن ومع ذلك وصفهم بأنهم كانوا مؤمنين لان الإسلام يتعامل بالظاهر فهم قبل الاعتراف كانوا بالظاهر أنهم مؤمنون لكن بعد الاعتراف أصبحوا كافرين وصار حكمهم مثل حكم المرتدين ولهذا يقول تعالى بعدها (أن نعف عن طائفة منكم) اي الذين تابوا وتركوا النفاق فالله يقول إنه يعفوا عنهم وأما الذين يصرون على الاستمرار فى النفاق فهولاء يهددهم الله بالعذاب فقال تعالى (نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين)

القسم السادس

تنتقل الايه الى شرح حال المنافقين بشكل عام فهذا الوصف لايخرج منه منافق الى قيام الساعه فقال تعالى (المنافقين والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ا ن المنافقين هم الفاسقون)

وهذا فيه

الأمر الأول

تبين الايه أن النفاق صفه تجمع كل منافق كان ذكرا أو أنثى على هذه الصفه الى يوم القيامه فهم مشتركون بهذه ا لأوصاف فهذه الصفات القبيحه هي النسب الذى ينتسب إليه المنافقون فالنفاق صفه فعندما تقرا القران الكريم فلا تنظر الى الخطاب الذى يحكى لنا واقع المنافقين ويشرح أحوالهم واوصافهم على أن ذلك قصه من الماضي مرتبطه بابن أبى أو الجد بن قيس أو المنافقين الذين كانوا فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم

ليس الأمر المطلوب منك عند القراءه هو أن تقف موقف المتفرج فتحصر ذلك بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم بل عليك أن تدرك أن النفاق صفه توجد فى كل زمان ومكان ولهذا نجد أن السوره تفضح لنا المنافقين فى كل زمان ولهذا ابتعدت النصوص عن الأشخاص واكتفت بالقول (ومنهم) (يحذر المنافقون)

وهكذا حتى تفضح لك المنافقين فى زمانك فتعرف اوصافهم وأحوالهم التى تميزهم عن غيرهم

الأمر الثاني

عليك أن تدرك أن المنافقين فى كل زمان ومكان يجمعهم دين واحد هو النفاق والكفر يشتركون فى صفه النفاق و الكذب والخيانه ولهذا فلا علاقه لهم بالإيمان والمؤمنين

الأمر الثالث

أن من أوصاف المنافقين :ـ

/١

أنهم يشتركون فى الأمر بالرذائل والفواحش والمنكرات أي أنهم يسعون الى تنميه جوانب الشر ونشر ويحاصرون جوانب الخير ويحاولون تجفيف منابعها

هذه هي عقيده المنافقين ودينهم للاسف الشديد إذا نظرت إلى العالم الإسلامي اليوم ومن يمتلك القرار فى الامه تجد أنها تنشر الرذائل على نطاق واسع وتتيح المجال لكل ما يدعو الى الفاحشه وتسخر لذلك مقدرات الامه لاجل صرف الشباب عن دينهم كما أنهم يقومون بمحاصره الخير ومضايقه العلماء وحبس أهل الدعوه ومحاربتهم إعلا ميا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا بشتي الوسائل مع أن الواجب على الدوله أن تسعي الى تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر فهذه اهم واجبات دوله الاسلام قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بـ المعروف وتنهون عن المنكر)

فاي مسلم توقف عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه قد تخلى عن واجبه وفقد خيرته فما بالك اذا صار طريقه معاكس لهذا المبدأ الذى اتصفت به امه الاسلام فإنه يكون في صف المنافقين ولهذا فإن من يحارب الجماعه التى تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر يكون قد حدد موقفه وموقعه بأنه ينتمي الى جماعه المنافقين

/٢

تصف الايه المنافقين بالبخل والشح وحب المال فقال تعالى (ويقبضون أيديهم)

فهذا لبيان أنهم انانيون وفاعليتهم سلبيه قال تعالى فى سوره الليل (فأما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري وانما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري)

فهذه هي قاعده التوفيق والنجاح والفلاح وقاعده الخذلان والفشل فالمنافق يقبض يداه ولا يراعي حقوق الناس ومن صفاته البخل والشح فهم قد اجتمع فيهم البخل والجبن والحرص وهذه الغرائز يجمعها سؤء الظن بـالله تعالي ولهذا قال تعالى بعدها (نسوء الله فنسيهم)

فالخذلان لأنهم تركوا طاعه الله فتركهم الله من توفيقه ومن رحمته فالمقصود بالنسيان هو الخذلان وعدم التوفيق فـالله لاينسي قال تعالى (وما كان ربك نسيا)

فالمراد بهذا أنه تعالى جازاهم على نسيانهم له أن نسبهم فلم يذكرهم بالهدي والرحمه فانساهم أنفسهم فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح وهما الهدي ودين الحق فانساهم طلب ذلك محبته ومعرفته والحرص عليه عقوبه لنسيانهم له فقد جعل لهم طريق الشر سهلا عقوبه لهم ولهذا جاء تذييل الجمله بقوله تعالى (أن المنافقين هم الفاسقون) حصر الفسق فيهم وهو الخروج عن طاعه الله للمبالغه فى شناعه أفعالهم وانسلاخهم عن فضائل ومكارم الاخلاق

ثانيا

بعد بيان أوصاف المنافقين تأتي الآيات ببيان سوء مصيرهم فقال تعالى

(وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خلدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

أن اول ما يلفت الإنتباه هو مجى ذكر سوء مصير المنافقين والمنافقات والكفار بالوعد الإلهي بأنه نار جهنم خ الدين فيها وإبعادهم عن رحمته والعذاب المقيم اى الدائم الذى لاينقطع

فقال فقال تعال. (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)

مع أن الوعد يستعمل للاخبار عن الخير غالبا والوعيد يستعمل للشر فلماذا كان استعمال الوعد فى سياق الاخبار عن سوء مصير المنافقين والمنافقات والكفار ؟

المفهوم الاول

تهدف الايه إلى شد انتباه السامع حتى يستقر الحكم فى ذهن السامع لان استخدم كلمه الوعد فى معنى الوعيد لا بد أن يدفع السامع إلى التفكر والتأمل والإنصات لما تتحدث عنه الآية لانه فبدء الأمر يتوهم أن الآية فيها مدح فإذا به يسمع ذم شديد فتحدث الصدمه فالعاقل لابد أن يسعي الى تصحيح مسار الاتجاه الذى يسلكه لان نهايته مرسومه أنها نار جهنم والمكوث فيها دون انقطاع عقابا كافيا لزجر كل خارج عن طاعه الله والأبعاد عن رحمه الله والعذاب الدائم الذى لاينقطع

المفهوم الثاني

تهدف الايه الى اشعار هؤلاء السفهاء فى كل زمان وكل من يتصف باوصافهم بأن سوء المصير الذى يتوعدبه المنافقين والمنافقات والكفار لايتخلف فهو مثل العقد والالتزام لابد من تحقيقه فجاء بلفظ الوعد لان الوعد أعم من الوعيد فالوعد يطلق على الاخبار بالتزام المخبر للمخبر بشي فى المستقبل نافع أو ضار أو لانفع فيه ولاضرر وهذا ما يتميز به الوعد عن الوعيد الذى يكون خاص بالوعيد فكان استخدام الوعد هنا مناسبا للايه قبلها وموافقا لما تحدثت عنه الايه السابقه من بيان أوصاف المنافقين بأنهم نسوا الله ...لأنهم تركوا طاعته تركوا اتباع منهج الله لم ينتفعوا ببيان الله ولم يقبلوا نصيحه الله ولم يتعظوا بمواعظ الله فالمولي سبحانه وتعالى بين لهم ما يحب من الأعمال ويرضى لاجل امتثال أمره وما يكره لاجل أن يجتنبوها فما الذى حدث لقد أمروا بالمنكر الذي تنكره الفطره السليمه ونهوا عن المعروف الذى تقره الفطره السليمه فالقران مطابق للفطره وهؤلاء لم يستجيبوا لنداء الفطره ولم يسترشدوا بالشرع القويم وانحرفوا عن المسار وضلوا الطريق وهم يعلمون نهايه هذا الطريق بأنه الهلاك والخساره والضياع

فقد انذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم لكنهم فضلوا اتباع نزع الشهوات لم يقوموا بقمع هوى أنفسهم فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (أن الجنه حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات) فلا شئ من طاعه الله إلا وفيه مخالفه لهوى النفس البهيميه فتكره اتيانه ولا شيء من معصيه الله الا وهو موافق لميل حيواني فتشتهي النفوس اتيانه وهؤلاء قد اجتمعت فيهم حب الشهوات والملذات والشبهات وهذا يعود الى سفه هذه النفوس فهذا النوع من السفه اخطر من سفه العقل لانه هو المحرك والباعث على التمرد والعصيان والخروج عن طاعه أنه مرض الشبهات التى التقت مع مرض الشهوات فقال تعالى(أن المنافقين هم الفاسقون)

ومعلوم أن الله قد توعد الفاسقين بالنار وعذابها الموجع والشديد ولهذا فإن الاخبار بسوء مصيرهم هو اخبار عن وعيد تقدم تهديد الله به المنافقين والمنافقات ولهذا جاء هنا بفعل الماضي (وعد الله ..الخ

لزياده تاكيد الوعيد السابق ولأجل اصباغ الوعيد بهذه الصيغه التي تنشأ بها العقود مثل قولك بعت اشعار ا بأنه وعيد لايتخلف مثل العقد والالتزام ولهذا قال تعالى بعدها (هى حسبهم)

أي كافيه لتعذيبهم واذلالهم واهانتهم وتاديبهم وذكر بعدها الابعاد عن الرحمه فقال تعالى

(ولعنهم الله) وذكر العذاب المقيم لهم تأكيدا لقوله خالدين فيها

الأمر الثاني

كما أن استعمال الاظهار فى مقام الاظمار بقوله تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ولعنهم ولهم عذاب مقيم)

هو لتقرير سوء مصير المحكوم عليهم فى ذهن السامع حتى يتمكن اتصافهم بالحكم فى ذهن السامع بأنهم مستحقون لهذا المصير على الصنيع الذي كان منهم من النفاق ومخالفة أمر الله والخروج عن طاعته وخيانتهم دينهم وأوطانهم والمؤمنون الذين وثقوا فيهم وتعاملوا معهم على أنهم اخوه لهم ولهذا جمعهم مع الكفار فقال تعالى

(وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) بل قدمهم بالذكر للاتي

المفهوم الاول

لان خطرهم اقوى من خطر الكفار واضرارهم اشد على الاسلام والمسلمين لان الكافر ظاهر وواضح كفره ولهذا فإن المؤمن يكون حذرا منه يسد الثغرات التى يمكن أن ينفذ منها الكافر أما المنافق فإنه يتظاهر بالإسلام مثلك ويصلي ويصوم ويحج مثلك ولكنه يغش المؤمنين ولهذا فهم أشد ضررا من الكفار

المفهوم الثاني

للدلاله على أن الناس ينقسمون الى صنفان أهل الخير وأهل الشر وهذا هو نسب الناس الذى ينتسبون إليه فاهل الخير ينتسبون الى مدرسه الانبياء ومن اهتدى بهديتهم من ادم الى ان يرث الله الأرض ومن عليها فابواه المنهج الرباني تجمعهم وان الفاسقون الخارجون عن طاعه الله ينتسبون الى مدرسه الشر ومؤسسها ابليس اللعين ولهذا فإن المنافقين والمنافقات والكفار يجتمعون فى المصير السئ فالمنافقين ليسوا باهون من المشركين والكفار فالنار مصيرهم وهم ماكثون فيها أبدا وهى كافيه لعقابهم على كفرهم ونفاقهم فهم مطرودن من رحمه الله ولهذا ختم بقوله (ولهم عذاب مقيم) اى الدائم الغير منقطع لايموت فيها الكافر والمنافق ولايحيا ولا يخفف عنهم العذاب وفيه أيضا تأكيد لقوله تعالي (خالدين فيها) لدفع احتمال إطلاق الخلود على طول المده لان ذلك النوع من الخلود يعني أنه طويل لكنه ليس على وجه التابيد ولهذا جاء بهده الايه لبيان إنه خلود صلي كما قال تعالي (لايصلاها الا الاشقي) فهو عذاب دائم غير منقطع ابدا

ثالثا

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلقهم وخضتم كالذين خاضوا اولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخره واولئك هم الخاسرون)

الأمر الأول

أن أول ما يجب الوقوف عليه هو الأسلوب الذى جاءت به الايه (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر امولا واولادا)

فيه التفات من الغيبه الى الخطاب لزجر المنافقين وتحريك نفوسهم إلى الاعتبار والاتعاظ فهذا التنويع فى الأ ساليب فيه

المفهوم الاول

تعليم المسلم طريقه العلم والعمل فى تبليغ الدعوه للآخرين فالناس أمام الحق نوعان

نوع يتذكر بمجرد مايسمع القران فهذا يحدث له القران ذكرا لان النفس تحب الحق وتريده إذا سلمت الفطره من الفساد فهى إذا رأت الحق اتبعته واحبته فإذا حصل للنفس العلم اندفع عنها الجهل حينها تعود إلى الصواب ويخرج من الضلال

لكن احيانا يكون هناك عارض مانع من معرفه الحق الموجود فيحصل التكذيب للحق وعدم الإقرار به ليس لعدم العلم بل لوجو د عارض من الهوى والاستكبار والحسد وغيره فسبب عدم العلم هو عدم النظر والاستماع للقران هو وجود العارض الأهواء والشهوات والملذات اي الشعور بعدم الحاجه بالاغترار بالمال والقوه والجاه والسلطان حيث يظن أنه يتحصن بتلك القوه ولهذا يعمى عن رؤيه الحق المقصود الذى هو النافع للإنسان وينبغي أرادته والعمل به ولهذا قال العلماء أن أصل الكفر والفسوق والعصيان والسئيات عموما هو الجهل والغنى فلايفعل الشر الا لجهله أو لحاجته فهو إذا كان عالما بمضرتها لن يفعلها فالجهل مناف للفطره ومضاد للعلم والعدل ولهذا يسمى صاحبه ضالا فإذا اندفع العارض عن النفس من الهوى والاستكبار والحسد وغيره فإن القلب يحب العلم النافع والعمل الصالح ف العلم والهوى فى معركه ايهما انتصر كان له الغلبه ولهذا فإن دفع عارض الهوى والاستكبار يحتاج إلى الخوف الذى ينهى النفس عن الهوى (الخشيه) التى تقوى العلم وتكون مانعه من اتباع الهوى ولهذا نجد أن الايه الكريمه السابقه تناولت الاخبار عن وعد الله للمنافقين والمنافقات والكفار بادخالهم نار جهنم خالدين فيها بصيغه الماضى لتأكيد مااخبرهم به من الوعيد بنهاية الكفر والفسوق والعصيان وختم ذلك بقوله تعالي (ولعنهم ولهم عذاب مقيم) و من المعانى التى تحمل عليها أن هذا فيه بيان عاقبه المنافقين والمنافقات والكفار في الدنيا بأن الله يطردهم من رحمته لمخالفتهم أمره ويمهلهم ثم يهلكهم بالموت والعذاب فينتقلون إلى عذاب دائم غير منقطع يتصل فيه عذاب الدنيا بعذاب الاخره فهذا الوعيد يهدف إلى دفع الهوى بالخشيه لانه إذا دفع أبصر القلب وعلم وكان صلاح الإنسان بالعلم والعمل ولذلك كان الالتفات من الغيبه الي الخطاب لزجر المنافقين والكفار وتحريك أنفسهم الي الاعتبار والاتعاظ

يضع لهم قاعده الالم الكبرى وسبب العقاب والذم أنها تكون بترك الواجبات لان المخالفه ناتجه عن ترك الواجبات ولهذا جمع فيها المنافقين والمنافقات والكفار فى هذا العقاب فهو تعالى يجمع فى الذم والعقاب بين الضلال و الشقاء يقرن الضلال والغى والجهل والغضب يجمع بين سئيه الدنيا والاخره مثلما يجمع بين السعاده والهدي و الحسنه فى الدنيا والاخره ويقرن بين العلم والعمل النافع كما يقرن بين الضلال والغى واتباع الظن وماتهوى الأ نفس فالقرينأن متلازمان عند السلامه والهلاك فهذا الوعيد الشديد يهدف إلى دفع الهوى بالخشيه لانه إذا دفع أبصر القلب وعلم وكان بذلك صلاح الإنسان ولذلك كان الالتفات من الغيبه الي الخطاب لزجر المنافقين وتحريك أنفسهم الى الاعتبار والاتعاظ فقال تعالى (كالذين من قبلكم)فالكاف للتنبيه وهى فى محل رفع مبتدأ محذوف و التقدير أن حالكم ايه المنافقون كحال الذين من قبلكم من الطغاه والمستبدين فى الانحراف عن الحق والاغترار ب الشهوات مع أنكم اهون وأضعف منهم فأنتم لم تحصلوا على ما حصلوا عليه من مظاهر القوه والشده فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة وأكثر امولا واولادا) فاحذروا أن يحل بكم ما حل بهم من العذاب

المفهوم الثاني

اهميه أن تكون المواعظه حسنه والتدرج فى المواعظه وأهمية تنوع أساليب طرح الموعظه وتفنيد الحجج خاصه اذا وجد عارض من هوى النفس فلابد من دفع هذا العارض لان النفس تريد الحق وتحبه وتطلبه فالانسان مفطور على حب العلم ومعرفه الحق ويكره الجهل والكذب وكذلك يحب أن يقصد الشي النافع الا اذا اصابه مرض جعله يرغب بالشى الضار لهذا فإن الخشيه والخوف هما العلاج لدفع العارض فالله يقول (لعله يتذكر أو يخشي) فلم يقل ليتذكر ويخشي ولهذا بعد وصف المنافقين والمنافقات تذكر

الآيات سوء المصير الذي ينتظرهم بأسلوب الاخبار ثم تنتقل الى دعوتهم إلى قراءه التاريخ ليشاهدوا نهايه الفاسقين والطغاه والظالمين وهذا الأسلوب أكثر وقعا فى تاديه الغرض فى دفع الهوى والاستكبار لانه يجعل السامع يعيش كأنه فى الأولين فيرى ماحل بهم عندما خالفوا منهج الله وكذبوا الرسل يجعله يشاهد النهايه المولمه وبالتالي توتى الموعظه ثمارها

الأمر الثاني

تبين الايه أن الشقاء والخزى والفضيحه والعذاب الشديد والمصير الذى يتوعدهم الله

به هو سنه الله فقد جعل الله الإنسان محكوم بسنن ونواميس فى هذه الدنيا تحدد نهاية كل انسان فطريق الإ جرام والفسق والعصيان والخروج عن منهج الله معروف النتيجه والعاقبه فالدنيا ماضيه بالناس بسنن ثابته تفعل بأصحابها مافعلت بمن سبق من الفاسقين والطغاه والظالمين والمستبدين فالتاريخ ملئ بالامثله والنماذج من أمثال هؤلاء لقد طغوا في الأرض وافسدوا فكانت نهايتهم هى الهلاك والضياع فالنفاق والفسق والعصيان والتمرد على منهج الله والانغماس بالشهوات هي نتيجه طبيعيه إذا لم يسترشد العقل بالشرع القويم ولم يستجيب لنداء الفطره لان الانسان يضل ويضطرب ويصبح اسير الشهوات والشبهات حتى يتفاجا بالموت والهلاك والضياع ولهذا يخبر الله جل جلاله بأنه اصاب هؤلاء من عذاب الله فى الدنيا والاخره كما أصاب الذين من قبلهم بسبب أعمالهم الفاسده وانحرافهم نتيجه الخروج عن طاعه الله تعالى فهذه الأفعال نهايتها الهلاك والضياع وهذا فيه

الدرس الاول

تهدف الايه إلى حث العبد على معرفه مراده الذى يتوجه إليه بكل حركه وان يقصد بتلك الحركه مرضاته فالإ نسان مخلوق متحرك وهذه طبيعه الكائن الحي فلا يكون ساكن أو جامد الا الميت أو الجماد وبالتالي فكل واحد منا لابد أن يتحرك لكن هنالك فرق بين حركه المؤمن وحركه الكافر والمنافق لماذا ؟

لان حركه المؤمن تنطلق نحو هدف وغايه حياته وهو معرفه الله ومحبته وطاعته وعبادته وحده لا شريك له حركه منضبطه فيها نشر الخير وتنميته ومحاصره الشر والقضاء عليه حركه متفقه مع نداء الفطره السليمه يكملها السير وفق منهج الله القويم

لهذا فإن حركه المؤمن ذات فاعليه ايجابيه

أما المنافق والكافر فحركته تنطلق نحو هدف إشباع رغباته وشهواته فاهداف حياته لاتخرج عن تحصيل الشهوات والملذات حركه فوضوئيه الضوابط لها ولهذا فصاحبها يدعوا الي نشر الرذيلة ويقوم بمحاربه الخير وأهله لانه ينظر الى ما يدعوا إليه أهل الحق من قيم ومبادئ تستهدف شهواته وتضع قيودا على حركته فالقوى يستعلى بـ القوه وبالتالى بخاف من النظام والقانون لانه ينصر الضعيف ويقضى على قوه القوى ومن يستعلى بالمال يخاف من تقريب المسافات بين الفقراء والاغنياء ومن المساواه فى الحقوق والواجبات وهكذا فإن صاحب الملك و السلطان يخاف من وجود قانونين تضبط حركته فتشكل قيودا على رغباته فأهل الكفر والنفاق لايريدون وجود

قانونين تضبط حركتهم لأنهم يتبعون اهواءهم ويتصورون أن ذلك فيه السعاده واللذه فلا يمنعهم من ارتكاب الجريمة الا سلطه الدوله او وجود قوه أو انتفاء قدرتهم كان يكونوا فقراء لاجاه ولاقوه لديهم ولا إمكانيات ولهذا فإن حركتهم ذات فاعليه سلبيه لان مراده فى الحياه هو إشباع رغباته وشهواته فنظرته أن نظرته للاشياء ماديه ولهذا فإن الكافر والمنافق يستعلى بالمال والقوه والجاه والسلطان ينظر لنفسه إذا كان قويا أنه يمنع عن نفسه الأ خطار وكذلك ينظر للمال أنه يمنحه القدره على تحقيق رغباته وشهواته فالكافر

اناني يريد إشباع رغباته وشهواته حتى لو كان ذلك على أنقاض الاخرين لايشعر بالمسؤولية الا عن نفسه وإذا توسعت دائرته فانها لاتتجاوز أفراد أسرته أو قبيلته أو قوميته ولهذا إذا أحس بأنه سوف يفلت من العقاب فإنه لا يتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم فى سبيل تحقيق تلبيه ضغط رغباته وشهواته وهو لايستجيب لنداء الفطره التى تحاول صده عن ارتكاب المنكرات لكنه لايستجيب فهو يدعوا الى المنكر وينهى عن المعروف ومعرض عن الشرع القويم فحركته إفساد في الأرض

أما المؤمن فانه ينظر للاشياء من منطلق الاتصال بمصدر القوه أنه الاتصال بالله تعالى يشعر أنه مسؤول ومكلف من الله بتكاليف يسيره وثوابها عند الله عظيم ولهذا فإن المسلم يحرص على نشر الخير وتنميته ومحاصره جوانب الشر والقضاء عليها ينطلق في حركته من منطلق الشعور بالواجب الذى عليه فى رفع معاناه البشريه كلها فدائره مسؤولية المسلم تتجاوز نفسه وأفراد أسرته ووطنه وقوميته إلى الشعور بأنه مسؤول عن كل البشريه ولهذا فحركة المسلم ايجابيه فهو ينظر للدنيا أنها دار عمل وان دار السعاده هي الدار الاخره

الدرس الثاني

أن من يريد السعاده الحقيقيه فعليه أن يحذر العاقبه التى يصير إليها فيقدم لنفسه من الأعمال الصالحه حرزا يحفظها من سوء المصير وهذا إنما يكون بايثار تقوي الله واتباع منهج الله فى كل حركه يتحركها العبد قاصدا بذلك إرضاء الله تعالي فأنت عندما تتحرك فإنك لك مراد تتجه نحوه أنه الهدف من وجودك فى الحياه (معرفه الله ومحبته وطاعته وعبادته وحده لا شريك له) ووسيله تحقيق ذلك والطريق الموصل إلى الله تعالى وسبيله (السير وفق منهج الله) والحق نوعان فالاول هو الحق الموجود الذي يجب معرفته والصدق فى الاخبار عنه وضده الجهل والتكذيب و الثاني هو الحق المقصود الذى يجب ارادته والعمل به وضد ذلك أراده الباطل واتباعه ولهذا يجمع الحق بين الشقاء والخزي والضلال يقرن بين ألغى والضلال والسئيه فى الدنيا والاخره مثلما يجمع بين السعاده والهدي والحسنه فى الدنيا والاخره ويقرن بين العلم والعمل الصالح كما يقرن بين الجهل والهوي والض لال ولهذا جاء التعبير بالفاء المفيد ه للتعقيب بقوله تعالى (فاستمتعوا بخلاقهم..الخ للاشعار بأن هؤلاء الهالكين هلكوا بمجرد بمجرد أن اتصلت أيديهم بالمتاع فقد استعملوه فى غير ماخلقت له ولم يشكروا الله على انعامه فهذا فيه بيان قاعده العذاب والألم الكبرى بأن سبب الذم والعقاب هو ترك الواجبات فالمخالفه تعود إلى ترك الواجبات قال تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

والعباده اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه فهذه الكلمه تجمع غايه الحب له تعالى وغايه الذل له تعالى ولهذا فمن أحب مع الله أو احب غيره فإنه لايكون محبا لله وكذلك فإن العبد إذا ذل وخضع لغير الله أو معه فإنه لم يحصل منه الذل لله فدل هذا على عدم تحصيل الحب والتعظيم لله ولهذا جمع المشركين والمنافقين فى العذاب لا ن الشرك يوجب نقض المحبه فمن يحب مع الله اندادا لايكون مؤمن وكذلك فإن الاستكبار يمنع حقيقه الذل بل يمنع حقيقه المحبه التى توجب الطاعه والذل لمن تحب فالمحب يخضع لمن يحب ويطيعه وهذا لايتحقق إلا بالإ يمان انك سوف ترجع إلى الله ويحاسبك على أعمالك فعندما تعيش وأنت تنظر انك فى الدنيا مسافر الى الله و الدار الآخرة إيمانا باليقين فإن هذا الإيمان يقتضي منك أن تدرك أن النعيم والراحه والسعاده ليس فى الدنيا بل فى الاخره لان نعيم الدنيا زائل ومحدد فالمال زائل والقوه والجاه والسلطان فكل شئ ينتهي ويبقي العمل الصالح ولهذا يتفانى المؤمن فى طاعه الله ويتلذذ بذلك لانه ينظر أن ذلك فيه منفعته ولهذا يسمي هذا (الحق المقصود)

هو النافع للإنسان الذى يجب إرادته و العمل به وعكس ذلك اراده الباطل واتباعه فالانسان مخلوق يحب الحق والعلم والصدق ويكره الجهل والكذب وكذلك مخلوق يحب النافع دون الضار الا اذا وجد معارض من الحسد والكبر والجهل والهوى فاصل السئيات هو الجهل والغنى فلايفعل الشر الا لجهله أو لحاجته فهو إن كان عالما بمضرتها لن يفعلها والمانع من العلم هو الجهل وعدم النظر والاستماع وسبب عدم النظر والاستماع هو الكبر واتباع الهوى و الغفله التى تصرفه عن اتباع الحق فقال تعالى (فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذين خاضوا)

جمع الله سبحانه وتعالى بين فتنه الشبهات (فساد العلم والاعتقاد) وفتنه الشهوات (فساد القصد والاراده) حيث ابتدأ بالاستمتاع بالدنيا وملذاتها وشهواتها والنصيب المقدر لهم فيها وسماه (الاستمتاع بالخلاق) وهذا فيه فساد القصد والبدن

وعطف عليها بقوله تعالى(وخضتم كالذي خضوا) اى الخوض بالجدل بالباطل وهذا داء الشبهات وهذا يكون باعتقاد الباطل أو التكلم به أو بالعمل بخلاف الصحيح كالبدع فقد اجتمع فيهم فساد من جهه الشهوات وفساد من جهه الشبهات ولهذا فإن هوى النفس هو أساس الفساد لان الشبهه عندما ترد على العقل ولاتكون موافقه لهوى فإنها لاتؤثرا كثيرا فسرعان ماتزوال لان النفس لاتقبلها وتتجاهلها ولهذا جاء التعبير بالفاء المفيده للتعقيب في قوله (فاستمتعوا بخلاقهم) كما أوضحنا بأنها للاشعار بأنهم هلكوا بمجرد أن اتصلت أيديهم بالنعمه لأنهم استعملوها فى غير ماخلقت له للاشاره إلى ترسخ الشبهه وأخذت طريقها إلى القلب فقد وجدت الشبهه سندا ومدد لها من هوى النفس فخطر سفه النفس اشد من سفه العقل لان سفه النفس هو المحرك والباعث على إيجاد الشرك والكفر والفسوق والعصيان

الأمر الثالث

تبين الايه أن اعمال المنافقين والمنافقات والكفار تذهب أدراج الرياح فهى باطله اساسا حتى وإن كانت من أعمال البر لأنهم لم يقصدوا بها وجه الله ولأنهم لم يخلصوا لله تعالى فمن سوء مصير المذكورين هو ضياع قيمه الأعمال فقال تعالى (اولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والاخره)

فهم محرومون من ثوابها فى الدنيا لان هلاكهم يكون لعنه تلاحقهم وكذلك تكون فى الاخره هباء منثورا لعدم الا يمان فقال تعالى بعدها (والئك هم الخاسرون)

لأنهم اتبعوا اهوائهم فقد خسروا كل شي كما قال تعالى (أن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهليهم يوم القيامه..الخ

رابعا

تستمر الآيات بنقل نماذج لنهايه الكفار الذين امتلكوا القوه والأموال وكل عناصر القوه لكنهم انحرفوا فى المسار ولم يقبلوا بامتثال أمر الله واجتناب نواهيه برغم ارسال الرسل الذين يحملون الحجج والبراهين الواضحه المؤكده صدق الانبياء فقال تعالى

(الم يأتيهم نباء الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بـ البينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

والايه فيها

الدعوه الى قراءه التاريخ وربط ذلك بالدين ماهو مواقف تلك الامه من دين الله والرسل الذين ارسلهم الله إليهم ؟

فإذا قرأت ذلك ينبغي أن تنظر إلى حال الناس فى الخير والشر والأسباب التى كانت وراء النجاه للمؤمنين وكذلك انظر الأسباب التي كانت وراء النهايه والعاقبه التى هلكوا بسببها لتدرك أن سنه الله ثابته لاتتبدل ولاتتغير فى أخذ المكذبين بالهلاك والعذاب الأليم وان أساليب وطرق وتفكير الكفار واحده وان تباعدت أماكنهم وازمانهم

وهذه الامثله يعرفها المخاطبون حيث كانوا يمرون عليها فى طريق التجاره التى يمارسونها وهى امثله لحضارات قامت فى الجزيره العربيه والشام والعراق واليمن فاخبارهم معروفه لهم واثارهم مازالت موجودة قال تعالى (وأنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون)

فما هو سبب هلاكهم أنه موقفهم من الدين لقد قابلوا دعوه الرسل لهم بالتكذيب والجحود فقال تعالى (اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)

حيث يفهم من قوله (فما كان الله ليظلمهم)

أنهم كذبوا الرسل الذين ارسلهم الله تعالى ولم يقبلوا اتباع منهج الله ولهذا استحقوا العقاب والهلاك لأنهم اغتروا بنعم الله ولم ينظروا إلى العواقب فتوهموا أن القوه والمال والسلطان والجاه والسلطان سوف يمنع العقاب فلم ينتفعوا بالمواعظ وهم يشاهدون مصارع الأقوياء قبلهم ولم ينظروا أن سنه الله تجري عليهم مثلما جرت على غيرهم

فهم من ظلموا أنفسهم والنفى هنا (فما كان) نفى الشان يعني يستحيل ويستحيل أن يظلمهم الله وانما أفعالهم هى التى كانت سبب هذا العذاب والعقاب (قاعده العذاب الكبري)

القسم السابع

بعد ذكر صفات المنافقين والمنافقات وخصالهم القبيحه وماينتظرهم من العذاب والنكال

جاء بذكر صفات المؤمنين والمؤمنات بضد أوصاف المنافقين والمنافقين فقال تعالى

(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خلدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم)

وهذا فيه

الأمر الأول

أن المقابله التى يجمع الله فيها بين الهدايه والرحمه والسعاده للمؤمنين مثلما يجمع بين الضلال والغضب والشقاء للمنافقين والمنافقات والكفار وكذلك يجمع بين سئيه الدنيا والاخره مثلما يجمع بين حسنه الدنيا والاخره مثلما يقرن بين العلم النافع والعمل الصالح مثلما يقرن بين الجهل والهوي والضلال فهذا يهدف إلى أن تكون الرويه واضحه لدي الجماهير بمعرفه سبيل المؤمنين والمؤمنات وسبيل المنافقين والمنافقات والكفار والأسباب التى وفق فيها المؤمنون والمؤمنات والأسباب التى خذل فيها المنافقين والمنافقات والكفار

فالرؤيه الواضحه تنتج بمعرفه السبيلين حيث يكون استبانه السالك لطريق الايمان الموصول إلى مقصوده و الطريق الموصل الي الهلكه ولهذا كان بعد ذكر أوصاف المنافقين والمنافقات وأحوالهم وعاقبتهم التى فيها الشقاوه والهلاك ذكر أوصاف المؤمنين والمؤمنات وأحوالهم والعاقبه التى فيها السعاده والنجاح والفلاح فكان اتصال الكلام بما قبله اتصال النقيض للنقيض لاجل أن تكون الرؤيه واضحة

الأمر الثانى

تهدف الايه إلى تزويد الامه بالمناعه الفكريه التى تستطيع أن تقف فى وجه تيارات النفاق التى تعيق عملية التقدم داخل الامه وتعرقل التطور ولهذا نجد أنه بعد ذكر صفات المنافقين والمنافقات وخصالهم القبيحه الخمسه (يأمرون بالمنكر..ينهون عن المعروف

أنهم بخلاء ولايرعون حقوق الناس . منقطعون عن ربهم .يخالفون منهج الله)

وذكر ماينتظرهم من العذاب والنكال فقال تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم)

فى مقابل هذا ياتى بذكر ضد أوصاف المنافقين والمنافقات أنها أوصاف التنظيم الايمانى الذي يجب أن يرتبط به المواطنين فقال تعالى (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخضوع والتسليم لله ...الاعتراف بحقوق الناس ...احترام سيادة الشرع) فهذه صفات التنظيم الايمانى الذين آمنوا بما تضمنته رساله الاسلام فهذه هى النظريه الاسلاميه التى دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم الناس من الايمان بالله ورسوله واجتمع الناس حولها على مختلف عصبياتهم فلم يجمع الناس على أساس العصبيه ولهذا كان نشاه التنظيم بعد عرض الفلسفه الاسلاميه للناس فالبداية كانت إيضاح رساله الاسلام وأفكاره وبعد ذلك نشأ التنظيم الايمانى بقياده الرسول صلى الله عليه وسلم المنحصر بـ الذين آمنوا بما تضمنته رساله الاسلام مع التسليم بحصول تسلل عدد من المخربين (المنافقين والمنافقات) بين صفوف المومنين ولهذا يقول لك الحق أنه لابد من تميز الصف حتى لايكون وجود لهؤلاء المخربين دور سلبى فـ التقدم يحتاج إلى حركه للانتقال بالنظريه من الكلام والشعار إلى تجسيدها على الواقع وتحقيق محتواها وكذلك فإن الجماهير مطلوب منها الالتحاق بجماعه المؤمنين وان تقف فى وجه المنافقين والمنافقات ولهذا ذكر أوصاف المؤمنين والمؤمنات بعد ذكر أوصاف المنافقين والمنافقات

لانه لايكفى أن نثبت فساد هذه التيارات ونعلن تمسكنا بالإسلام وانما يلزم على التنظيم الايمانى أن يوضح تفاصيل اختياراته وان يوضح لهم حقيقه ومعنى الايمان والدعوه الى الله والطريق الموصل إليه ويوضح لهم تفاصيل المستقبل الذي ينتظر المؤمنين والمؤمنات ومافيه من نعيم حتى يكون الاجتهاد والتسابق على تحويل المعتقد إلى واقع حياه ولهذا يقول تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات)

لان العبد عندما يدرك أن عمله لن يضيع وأنه سوف يجد ثمرته الحسيه والمعنوية فإن هذا يدفعه إلى عدم تفويت الفرصة عن نفسه ومستقبل المؤمن هو فى الاخره فهو مؤمن أنه خلق لعباده الله ومحبته ومعرفته وعبادته وحده لا شريك له وان الدنيا ليست دار بقاء وان السعاده الحقيقيه في الاخره ولهذا يخبره الله بالمواهب التى يمنحها له فى الاخره من بساتين تجرى من تحتها الأنهار أنها نعمه عظيمه ابدايه ومن النعم الالهيه التى سوف تكون للمومن هى المساكن الجميله والمنازل المرتفهه التى أعدها الله لهم وسط الجنات (ومساكن طيبه فى جنات عدن) فيها الا قامه المطمئنة لان كلمه (عدن) تعنى الاقامه المطمئنة المستقره في مكان ولهذا استعمل من هذه اللفظه (معدن) لـ لاشياء التى يوجد فيها مواد خاصه وعلى هذا فإن هذه التفاصيل التى تبين أن الخلود فى الجنات هى فى محل خاص وسط جنات عدن التى أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن فيها مالا عين رات ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر من النعيم

وفوق هذا يذكر النعم اللذه المعنويه والاحساس الروحاني وهي اللذه والسرور التى يحس بها من يتصل بالله تعالى ويتلذذ بطاعه الله فهو يدخل الجنه وهو فى الدنيا بشعوره بلذه طاعه الله فى حين أن الاخرين ينتظرون

دخولها بعد الموت لكن هذا الذي يتصل بالله ويسعي إلى رضاء الله يجد لذته وسروره فى طاعه الله فيعيش فى جنه الطاعه بالوصول إلى مرتبه النفس المطمئنه قال تعالى (يايتها النفس المطمئنه ارجعى إلى ربك راضيه مرضيه) وهنا قال تعالى (ورضوان من الله اكبر) ثم ختم بقوله (ذلك هو الفوز العظيم)

فإن هذه التفاصيل لاختيارنا الايمان فيها الفوز العظيم الذى يجب ا لتنافس على الوصول إليه وهو لاينال الا برضاء الله عنك ومن هنا يتولد القناعه الفكريه لدى الجماهير وهذه القناعه تولد مناعه تحمى المسلم من أفكار المنافقين وتقف فى وجههم

الأمر الثالث

تبين الايه أن النهوض بالامه تتطلب ازاله كل العراقيل التى تعيق الحركه وان يحصل الالتحام بين الشعب والقيادة حول الهدف والغاية وهذا يتطلب أن يكون المجتمع المسلم لون واحد وذو طبيعه واحده الذكور والإناث فلا يكون لكثره أعدادهم وانواعهم اثرا سلبا

ولهذا تبين الايه أن المؤمنون والمؤمنات طبيعتهم واحده وهدفهم واحد وحركاتهم واحده منسجمه فى تركيبها فهم لهم مراد واحد من ذلك هو معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له فهذا ما يدعون إليه وطريقهم إلى ذلك هو اتباع منهج الله تعالى

فهذا هو طريق الوصول إلى الله والنهوض بالامه فوحده الفكر الذى تقوم عليه ووحده تجمع المومنين مهم لحصول تجميع الطاقات فالشعوب إنما تكون عاجزه فى غياب النموذج ولأنها تعودت على الفوضي وعدم الرغبه فى الامتثال للنظام وهذا ماكانت القبائل العربيه قبل الاسلام وقد أزال الاسلام تلك الأفكار القبيحه إلا أن تلك الأ فكار والصفات القبيحه كان هنالك من يتصف بها سرا ولايجرؤ على الظهور بها وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم مصطلح المنافقون ولهذا كان لابد أن تعرف الجماهير أوصاف المنافقين والمنافقات وخصالهم القبيحه مثلما أنه يجب عليها أن تعرف أوصاف المؤمنين والمؤمنات لان الضد يظهر حسنه الضد وانما تتبين الاشياء باضدادها وهذا يودي الى زياده الرغبه والمحبه فى الانتساب بتنظيم الايمان والارتباط به ونفره وبغض للنفاق وأهله فالنهضه وعمليه البناء تحتاج إلى

١

تعاون وتضامن بين السواعد لنشر الخير وتنميته بالظاهر والباطن وكذلك يحاربون الشر ويقفون فى وجهه فقال تعالى (المؤمنون والمؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)بينما المنافقون والمنافقات لايتعانون من أجل البناء فى واضح النهار بل إنهم يعملون فى الظلام فى مجال التخريب والنسف والتد مير ولهذا يخبرنا الله ان المنافقين والمنافقات يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف لبيان فساد هؤلاء وأخذ الحيطه والحذر منهم ومن أخلا قهم وسلوكهم فاللازم على المؤمنين أن يتعاونوا على نشر الخير وتنميته

٢

اهميه تحويل النظريات إلى واقع و ليس مجرد شعارات حماسيه دون أن يكون عارفا بحقيقه مفهومها ولاقادرا على تنفيذها ولاصا دقا فى التنفيذ هذا الأمر يحتاج الى تعاون بين القياده السياسيه والجماهير خاصه بعد الوصول إلى العز والتمكين والسلطه حيث ان

تسلل المنافقين والمنافقات الذين يسعون وراء الجاه والمال والسلطان والمصلحه إلى مركز القياده والقرار يجعلهم يشعرون أنهم حققوا أهدافهم لان السلطه بنظرهم نقطه وصول للأهداف وبالتالى يتحولون إلى طغاه مستبدين كل همهم احتكار السلطة ويصبح عملها الأساسي والوحيد سيطره حزب النفاق وكيفيه توزيع ثروات الامه فيما بينهم

بناء على معايير التعبئة لهم وكذلك اعداد القوه الكفيله بالقضاء على المعارضين هكذا هو حال الانظمه عند وصول المنافقين والمنافقات إلى مركز القرار وهذا ما نشاهده اليوم فى المجتمعات الإسلامية للاسف الشديد وهو نتيجه طبيعه لحال التيارات التى تعبير السلطه هدف وصول لانقطه انطلاق حيث أن الانانيه تكون هى التى تحكم المجتمع ويصبح الصراع شبيه بما ورد بالاساطير من صراع الانانيه الذي ذكر فيه أن غابه يحكمها كاهن يسودها الصراع بين الكهنه كل كاهن يقتل غيره من أجل الوصول إلى السلطه ثم يصبح هو مقتول فهذه هى طبيعه الفساد الذي يحدثه وصول المنافقين والمنافقات لمركز القرار

ولهذا يعرض لنا القرآن الكريم نموذج أهل الإيمان بأنهم يتعاونون على الخير ويتوصوا بالحق ويتوصوا على الصبر على تحمل المشقه

ولهذا يقول تعالى فى موضع آخر (والعصر أن الإنسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتوصوا بالصبر)

فالمسلم يساعد أخاه المسلم على التمسك بالحق والصبر على المشقه لاجل إرضاء الله

الجميع له دور فى الحفاظ على الحق والقيم والمبادئ ذكور وإناث ولهذا قال تعالى (المؤمنون والمؤمنات)

فارتقاء المجتمع المسلم مسؤوليه الجميع تشارك فيه النساء مثل الذكور المجتمع المسلم لايقف على الحياد عندما يري المنكر يرتكب فلا يقول ليس لى دخل أن الأمر لايعننى بل يتحرك لازاله المنكر يقدم النصيحه لأخيه المسلم يرشده إلى وجود خلل يهدد كيان الامه يجب الإنتباه له فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول الدين النصيحه قلنا لمن قال لله ولرسوله ولائمه المسلمين وعامتهم)

فخيره الامه الاسلاميه مرتبطه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا تخلت الامه عن ذلك فقدت خيرتها قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..الخ

ولهذا فإن التعاون والتناصح والتناصر والاتحاد بين أبناء الامه من أسباب التقدم والتطور والارتقاء للمجتمع المسلم وهو مستمر لايتوقف فالحب والتناصر المأخوذ من قوله (أولياء بعض) لان الولايه هنا من معانيها الحب و المناصره تعنى أن ترشدنى وتساعدنى وتأخذ بيدى إذا أخطأت الطريق حتى يكون العوده الى الصواب والطريق المستقيم

وكذلك فإن الولايه التى بمعني الاماراه والسلطه والحكم تعنى أن يكون احترام سياده الشرع

/٣

وضوح الأهداف والغايات والسبل الموصله إلى الغايات فالإسلام جاء واضحا فى بيان الغايه من الوجود فإذا كان ايمان الشخص بأنه مخلوق لمعرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له فهذا هو مراده ومطلوبه فى الحياه فهذا يعنى أن حركه المؤمن مرتبطه بهذا الهدف ولهذا فإن التعاون بين المؤمنين والمؤمنات ينصب على طلب إرضاء الله تعالى

ولهذا فالتعاون يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف له أصل فى الفطره السليمه فهى تقبل به وتقره وتنفر من المنكر وتنفره ولهذا فإن ذلك فيه راحه المؤمنين لانه أقام حياته على منهج الله الذي يوافق الفطره وهذا ما يحقق التوازن النفسي والاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي لدي المجتمع المسلم ويجعله قادرا على التقدم فكل واحد منهم يساهم فى تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر وإزالتها

فالمسلم لايقف متفرجا من الأحداث فيقول لاعلاقه لى بها فهذا ليس سلوك المسلم الذي يشعر أنه مسؤول عن

انتشار الفساد فى الارض إذا لم يقوم بدوره فى ازاله المنكر ولهذا فإن المسلم يحرص على معرفه ماهو المعروف لكى يأمر به وماهو المنكر لكى ينهى عنه فلايتصور أن يأمر بالمعروف من لايعرفه أو ينهى عن المنكر من لايعرفه كذلك لأن اى غموض فى الرؤيه يتيح للمنافقين الاستفادة من ذلك الغموض لتبرير فسادهم

فالمسلم مكلف بالدعوه إلى الله وان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فلا يكفى أن تلتزم بأمر الله واجتناب نواهيه بل عليك أن تقوم بتنميه الخير ومحاصره جوانب الشر والقضاء عليه ليس مطلوبا منك أن تحب الخير وتنفر من الشر بل تترجم هذه الأمور إلى واقع حياه

/٤

أن المشاركه فى البناء يتطلب من المسلم البذل والعطاء والتفانى فى خدمه الاخرين طلبا لإرضاء الله وهذا الأمر يتطلب الاتصاف بامرين (التواضع ..والسخاء) لان الخيلاء والكبر والفخر والبطر والبخل يمنع من تحقيق ذلك والإ نسان انانى بطبعه ولهذا فهو بحاجه الى التخلص من تلك الاوصاف لتكون حركته ايجابيه وهذا إنما يتحقق من خ لال معرفه الإنسان حق الله عليه بالتعظيم والخضوع والخشوع والإذلال وهذا يتحقق باقامه الصلاه ولهذا قال تعالى (يقيمون الصلاه) لانه أخبرنا أن المنافقين (نسوا الله فنسيهم) نسو الله بترك طاعته فهم لم يستقبلوا أوامر الله بالتعظيم والخضوع والخشوع والإذلال فلم يراعوا حق الله عليهم فقد منعهم الكبر والهوى من ذلك

أما الأمر الثاني فهو مراعاه حق الخلق بالاحسان إليهم ولهذا قال تعالي عن المؤمنين بأنهم

(ويؤتون الزكاه) فدل هذا على العطاء والتفانى فى خدمه الاخرين طلبا لإرضاء الله بعكس المنافقين فقد وصفهم بأنهم (يقبضون أيديهم)

/٥

اهميه سياده الشرع فالتقدم لايتحقق برفع الشعارات بل يتوقف على وجود سلطه وشعب يخضع لدستور ونظام يضبط الحياه يخضع له الجميع وإذا نشب بينهم نزاع كان الاحتكام إليه فالسلطه فى الاسلام ليست مطلقه اليدين ولهذا فإن السلطه متصله بالشعب مثلما تحررهم من العبوديه لغير الله تحررهم من الظلم والاستبداد وتشعر بمسؤوليتها فلا تصبح زعامات انتهازيه عند الوصول للسلطه لان الجميع يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله قال تعالى فى موضع آخر (فإن تنازعتم في شي فردوه إلى الله ورسوله) وقد أخبرنا هنا أن من صفات المؤمنين (يطيعون الله ورسوله)

وربط احترام الشرع والقانون وتنفيذ مافيه بأنه طاعه لله ولرسوله ورتب على ذلك رحمه الله ونصره المؤمنين و المؤمنات فقال تعالى (اولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم)

مقابل ماذكر من طرد المنافقين من رحمته لمخالفتهم أمره تعالى فكان الاشاره للمؤمنين بالرحمه الالهيه مناسبا فى ربط القارى بحب الله والثقه فى رحمته والامل فى عفوه وان السبيل لذلك هو اتباع منهج الله فكان ربط احترام شرع الله والالتزام به برحمه الله وعزته وحكمته فيه بيان أن ذلك فيه تحقيق وعد الله للمؤمنين والمؤمنات بالعز والتمكين والكرامه والفلاح فى الدنيا والاخره فقوه الدفع للالتزام والتنفيذ مستمده من إيمان المؤمن بربه وخالقه والغايه والهدف من وجوده على الأرض

القسم الثامن

بعد ذكر أوصاف المنافقين والمنافقات والكفار وماينتظرهم من العذاب وذكر أوصاف المؤمنين والمؤمنات وماينتظرهم من الثواب والنعيم تأتى الآيات بهذا الخطاب الذي يامر فيه نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجاهد الكفار والمنافقين ويقرر قول المنافقين كلمه الكفر وأن ذلك اظهر كفرهم بعد أن كان ظاهرهم الاسلام وأن كان

باطنهم الكفر ومبينا أيضا جانبا من كفرهم ونفاقهم بمحاولتهم اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم وان الله تولى حمايه نبيه من مكرهم فلم يحصل لهم ماارادوا ويعجب من نقمتهم على الرسول صلى الله عليه وسلم دون مبرر بل إن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم قد كان من دواعى الخير والانعام التى انعمها الله عليهم تستوجب الطاعه للرسول صلى الله عليه وسلم استجابه لداعى الدين والمرؤه الانسانيه ويختم بدعوتهم إلى التوبه ويهدد الذين يتمادون فى الكفر والعصيان فقال تعالى (يايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

اولا

ابتدأ ت الايه بهذا الأمر الالهى للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يجاهد الكفار والمنافقين وان يغلظ عليهم فقال تعالى (يايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومآواهم جهنم وبئس المصير)

قد أوقع الكثير من الأشكال بالمراد بالجهاد نظرا لأن النص جاء على إطلاقه وتضمن أيضا الأمر بأن يشدد عليهم بين قائل إن ذلك يكون بالسيف والقتال وبين قائل أنه جهاد بالكلمه ولهذا قبل أن نبين الرأى الذى يمكن ترجيحه منها لابد أن نقف على الاتى

الأمر الأول

مما لاشك فيه أن توجيه الخطاب للنبى بلفظ النبوه وعدم مخاطبته باسمه هو لبيان علو مقامه ومنزلته عند الله وايضا تذكير للناس بما له من حق الطاعه فيما يأمرهم به لأن اتباعه يعنى طاعه الله لان الله تعالى أرسل الرسل لتبليغ دينه ولتعريف الناس بالغايه من وجودهم وهى معرفه الله ومحبته وعبادته وحده لا شريك له

فارسال الرسل رحمه من الله للبشر كى يصلوا إلى مرادهم فتحقيق الغايه من وجودهم تتطلب أن يسلكوا السبيل المستقيم الذي لاوسيله له إلا بالوحى المنزل على انبياءه فهذا المنهج هو الذى يكون لسالك الوصول إلى غاياته وسعادته فى الدنيا والاخره والأنبياء والمرسلين عليهم السلام عندما يدعون الناس فإن المخاطبون نوعان

نوع يسمع كلام الله فيتذكر وينتفع بما يحدثه القران لان الدين هو الذي فطر الناس عليه

فالفطره إذا سلمت من الفساد فإنها تعرف الحق وتريده وتحبه وتطلبه ولهذا فإنها تبحث عن معبودها تبحث عن الذات العليا التى تحقق سعادتها فإذا لم تعرف معبودها الحقيقي فإنها تنحرف وتضل لكن اذا ذكرتها بما تعرفه فى فطرتها فإنها إذا سلمت من الفساد تتذكر وتنتفع بما تسمع من الوحى لانها تعلم أن اتباع منهج الله فيه سعادتها لكن اذا وجد عارض مناف للفطره ومانع لها من القبول بالحق كالكبر واتباع الهوى فإن علاج هذا الداء يحتاج إلى الخوف الذي يقوى جانب العلم ويضعف الهوى ولهذا قال تعالى (ادعوا الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)

وهذا فيه أن التذكير يكون بالدعوه بالحكمه اما الذي لاينتفع نتيجه وجود معارض مانع من قبول الحق فهو يحتاج إلى الخوف (الخشيه) وهذه هى الموعظه الحسنه هى القادره على إضعاف المانع والمعارض فقال تعالى (لعله يتذكر أو يخشي) ولهذا تهدد الايه المنافقين والكفار فقال تعالى(ومآواهم جهنم وبئس المصير)

يقول للمنافقين والكفار هل تريدون أن تعيشون فى جهنم القبيحه فأراد بهذا ازاحه العارض المانع من القبول بـ الحق بهذا التهديد

فالداعيه ينبغي أن يكون قادرا على تشخيص الداء وإدراك طبيعه العلاج المناسب وإدراك متى يستعمل اللين و الرافه ومتى يستعمل الغلظه والشده كما يدرك الطبيب متى يستعمل العقاقير للعلاج ومتى يكون التدخل الجراحى فمتى اقتضت الحال المبالغة فى جهادهم والغلظه عليهم بحسب الحال فى السلم والحرب فهذا أمر يترك تقديره للأحوال فاللين له أوقاته والشده لها أوقاتها

الأمر الثانى

أن الجهاد كلمه مشتقه من الجهد والبذل فى دفع اشياء سواء بالقتال أو الكلمه اوغيره

والجهاد يكون بالقتال فى ميادين القتال عندما يقتضي الأمر حمل السيف لدفع المنكر

ويسمى هذا النوع من الجهاد القتالى...وهنالك جهاد النفس والهوي الذي هو معركه الإنسان الأولي التى يخوضها المسلم وهذه المعركه هى اخطر الميادين لانه يتوقف عليها قدرتك على جهاد العدو الخارجى فالذي ينتصر على نفسه يكون على غيرها اقدر والذى ينهزم فى معركته مع نفسه فإنه يكون عاجزا لايستطيع مواجهه حتى حشره

ولهذا أخبرنا الله عن أوصاف المؤمنين والمؤمنات التى تدل أنهم انتصروا على أنفسهم لتحفيزك على مقاومه عدوك الباطنى فعندما تعرض نفسك عليك أمر محرم عليك أن تدرك أنك أمام عدو ينبغى أن تنتصر عليه إذا اردت السعاده والنجاح والاطمئنان فى الدنيا والاخره عليك أن تتعلم قمع شهوات نفسك وكسر رغباتها المحرمه ثم ياتى بعد ذلك جهاد تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر وإزالتها من خلال المساهمه فى الحفاظ على خيريه الا مه فعليك أن تنشر الخير وتبنى الوطن وهناك جهاد الدعوه التى أمر بها كل مسلم كما نفهم من الايه السابقه (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...الخ

وهذا مرتبط بالبناء الداخلى للدوله والامه والمجتمع المسلم حيث نجد هناك قوتان قوه المؤمنين والمؤمنات تسعي فى حركتها لتنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر وإزالتها من خلال التزام السير على الطريق المستقيم وهناك فريق داخل الدوله لديه قوالب جاهزه المسارات والمسافات معوجه معكوسه تامر الناس بالمنكر وتنهاهم عن المعروف تريد أن تصنع مسار اجباري الاتجاه تلزم الامه السير فيه تريد حشر الناس فى جحر ضب كما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)

أن دعاه هذا المسار المنحرف هم من مكونات المجتمع المسلم فى الغالب ويتبعون منهج ابليس اللعين والدجال وطريقهم أما إفراط وأما تفريط وهؤلاء يلبسون الحق بالباطل

لاجل القضاء على القيم والمبادئ وتحويلها عن مدلولاتها حيث يصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا فهذه المعركه تحتاج إلى كفاح ونضال ولهذا جاء الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بمجاهده الكفار والمنافقين عقب عقب ذكر أوصاف المؤمنين والمؤمنات وقبلها ذكر أوصاف المنافقين والمنافقات والكفار وخصالهم القبيحه فقال تعالى (جاهد الكفار والمنافقين) فاستعمل لفظ الكفار جمع تكسير التى تختلف عن كلمه الكافرون جمع مذكر السالم لان الكفار جمع تكسير فيه نوع من المبالغة وهو يستعمل للذوات بعكس الكافرين يستعمل للحدث فأنت عندما تذهب الى المحكمه تقول وجدنا كتاب المحكمه فهذا تعبير عن الذوات لكن اذا قلت كاتبين فهذا حدث فالكفار للذوات المقاتلين المبالغين فى الكفر تدل على كثره القيام بالكفر فهم اتخذوا الكفر مهنه لمحاربه الإسلام وأهله (نقلا عن فاضل السامرائي بتصريف)

وبالتالي فإن مجى الأمر عقب ماتقدم ذكره من حال المنافقين وخصالهم القبيحه أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمجاهده الكفار والمنافقين فقال تعالى (يايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

لان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوث بالتفاؤل والبناء وتصحيح ما أفسدته الازمنه والمراحل فى كل منحنى واتجاه ولهذا يامر الله نبيه وهو أمر لكل مسلم ببناء الامه على قيم الإسلام وأن تتمسك الامه بخيرتها من خلال قول كلمه الحق والنهى عن كلمه الباطل وان الواجب محاربه ألسنة الباطل المحاربه بالكلمه الخبيثه للإسلام كما ق ال تعالى فى موضع آخر (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون في المدينه لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا)

وبالتالي فإن الجهاد المراد به هنا هو الجهاد بالكلمه وكشف المنافقين والكفار وفضحهم فكل مرحله لها سلاحها المناسب فأنت ايه المسلم مكلف بالمساهمة فى مجاهده الكفار والمنافقين ولو بالكلمه فالكلمه لاتقل شأنا عن القنبله فى معركه الحق والباطل فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول أعظم الجهاد كلمه حق في وجه سلطان جائر)

المبحث الثاني

ما يؤكد أن الجهاد هنا هو جهاد الكلمه بتوظيف كلمه الحق توظيف صحيحا وسليما فالكلمه تعادل الجهاد بالسلاح بما تحدثه بالاسهام فى تماسك المجتمع وإظهار الحق وكشف الباطل ومنع اثار كلمه الباطل والقضاء على الدمار الذى قد تحدثه كلمه الباطل

التى يجب الوقوف لها بحزم وشده ولهذا يقول تعالى (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمه الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمو ا بما لم ينالوا)

فالشريعه الاسلاميه اعتبرت كلمه الخير والحق تبلغ بالعبد إلى اعلى مراتب العلو والرفعه عند الله (أن العبد ليتكلم بالكلمه من رضوان الله لايلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات)

كما اعتبر كلمه الباطل توقع العبد فى شر أعماله (وان العبد ليتكلم بالكلمه من سخط الله لايلقى بها بألا تهوى بها فى نار جهنم)

وهذا فيه

الأمر الأول

اللازم على المسلم أن يراقب نفسه ويحفظ لسانه وان ينتقى ألفاظه وعباراته

فليست كلمه الجهاد محصوره على القتال والحروب وان كان ذلك مهم جدا فى أوقاته

لكن لكل سلاح وقته ولهذانجد الايه تكشف وتفضح كذب المنافقين الذين حلفوا كذبا لتبرير ماقالوا فى الاسلام و الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فقد ورد فى السيره النبويه أن الجلاس بن سويد بن الصامت اقبل هو وابن أمرته مصعب من قباء فقال الجلاس إن كان مايقول محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه ...فقال له مصعب والله ياعدوا الله لاخبر الرسول بما قلت قال مصعب فاتيت الرسول صلى الله عليه وسلم وخشيت أن ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعه فقلت يارسول الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا.....إلى أن قال فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال له أقلت الذي قال مصعب فحلف الجلاس ماقال ذلك وفنزلت الايه

وكشف الله كذب هذا المنافق وأخبر الله أنهم قالوا كلمه الكفر بالاستهزاء بالدين واظهروا الكفر الذي كانوا قد ابطنوه بعد ما أظهروا الاسلام وهذا فيه

المفهوم الاول

وهو ما يفهم منه اهميه الكلمه كسلاح لايستهان به فى نصره الحق وأهله لان السكوت عن الباطل يعني اتاحه المجال لتحل محلها العماله والخيانه والتخاذل والتواء المفاهيم والرضا بالهوان والذله

المفهوم الثاني

اللازم بناء الأجيال على الشجاعه فى قول كلمه الحق والدفاع عن الدين و قيم ومبادئ الايمان وما يتفرع عنها

من الصدق والإخلاص والامه والوفاء والحرص على أن يكون ظاهر المؤمن مطابقا لباطنه من خلال تزكيه النفوس

الأمر الثاني

أن الكفر كلمه خبيثة تجعل الإنسان خبيثا لايليق الا بجهنم إذا لم يتوب تفسد على صاحبها دينه وأخلاقه حيث تصبح علاقاته أكثر اتساعا للغدر والخيانه وتقتل المروءه الانسانيه ولهذا يقول تعالى (وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن اغناءهم الله من فضله ورسوله)

فالايه تنقل لنا ماحدث فى تبوك من هؤلاء المنافقين فقد اردوا أن يحلوا حزام ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم بـ الليل ليسقط عن بعيره فيموت وأنه أوحى إليه بذلك

وكان بجوار الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفه وعمار بن ياسر الذي كان ماسك الراحله عندما اقبل رهط ملثمون...الخ..وهذا فيه بيان الاتى

المفهوم الاول

أن من رحمه الله بالمؤمنين ورعايته لهم أن لايبلغ المنافقين كل مرادهم وان يرد كيدهم

فقد افشل كيد المنافقين حتى بات عملهم لشده فشله كأنه مجرد وهم لم يعملوه فقال تعالى (وهموا بما لم ينالوا)

المفهوم الثانى

الاشاره الى خبث النفاق وفساد المنافقين وان خطرهم كبير على الامه فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسلم من اذيتهم فهم قد حاولوا إلحاق الاذي بشخصه الكريم ومتى أثناء الخروج لقتال الروم فى غزوه تبوك فقد هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الوقت الخطير خدمه للأعداء الذين يتربصون بدوله الاسلام وقد أعدوا العده لغزو المدينه المنوره واستئصال دوله الاسلام فالوقت حرج يعنى أن الأضرار سوف تحل بالوطن الذي يسكنه فيه المنافقون مثلما هو وطن للمسلمين فدل هذا على عدم اكتراثهم لما فيه خير لهم لأن خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم خارج المدينه فيه صالح جميع اهل المدينه إذ أنه لو قدر للروم غزو المدينة فإن جميع أهالى المدينه سوف يتعرضون للاذي لن يفرقوا بين مؤمن أو منافق فدل هذا على خبث النفاق وأهله أنهم يحقدون على من خرج للدفاع عنهم من يحمل لهم الخير يحقدون على من كان سببا فى هذا التكريم والتفضيل الذي فضل الله بها امه العرب عندما اختار الرسول الخاتم من امه العرب ولهذا جاء التوبيخ لهم من الله تعالى (ومانقموا منهم إلا أن اغناءهم الله من فضله ورسوله)

المفهوم الثالث

تبين الايه فساد عقول ومدراك المنافقين وقلوبهم وارادتهم نتيجه ابتعادهم عن دين الله وعن الحق فقد فقدوا ادميتهم وانسانيتهم وتجردوا من القيم والمبادئ فهم لا اخلاق لديهم فالعلاقات لديهم معرضه للغدر والخيانه التى استولت على أفكارهم وعقولهم ومشاعرهم واحاسيسهم ولذلك توهموا انه بمقدورهم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وغفلوا عن حقيقه ان الله يدافع عن رسله واولياءه ويتولى رعايتهم وحمايتهم

ثم إن انسانيه الإنسان لاتسمح له بالغدر لمن يحمل له الخير فهم يكرهون الرسول صلى الله عليه وسلم ويعيبونه لمجرد أنه أرسل إليهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور يحمل لهم الخير وقد كان من فضل الله بامه العرب أن جعل النبى الخاتم من هذه الامه حيث أخرجهم من الجهل والظلام الى نور الايمان كانوا فى فقر فاغناهم الله بمجى الا سلام واصبحوا قاده العالم فالاصل أن يعظم هؤلاء الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلوه ويؤمنوا به استجابة لداعى الدين وداعى المرؤءه الانسانيه

الامر الثالث

أن الرسول صلى الله عليه وسلم وكل داعيه إنما يحمل الخير للبشريه ولهذا فإن العفو والتسامح عن المذنب الذى يستحق فاعله العقاب يراد منه إيصال الخير لهذا المذنب كى يدفعه للتوبه ولهذا يتطلب أن يكون العفو فى محله تماما اى أن ترك العقوبه سوف يترتب عليها إصلاح حال المسى لكن احيانا يكون العفو عن الاشرار والتعامل معهم باللين باعثا مشجعا لهذا المجرم على مزيد من الإجرام ولهذا يأمرنا الله أن لا نعتاد على العفو الاعمى بل يجب علينا أن ننظر لنرى موضع الخير فى معامله هذا المجرم هل نعفو عنه ام نستعمل العقاب لتاديبه ولهذا نجد الآيات تتحدث عن الباعث لقول المنافقين كلمه الكفر وماهمو به من اراده قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب فيه التوبيخ لهم والتعجب من بعضهم للرسول صلى الله عليه وسلم وكراهيتهم له مع أن بعثته فيها الخير لهم أنهم يقابلون احسان الله الله وفضله عليهم بالجحود والنكران فهذا لايكون الا من لئيم فكان مناسبا مجئ الآيات بهذا التوبيخ بعد أن أمر الله نبيه أن يجاهد الكفار والمنافقين وان يشدد عليهم فلا لين فى مثل هذه المواقف ولهذا عرض نماذج لما يجب الوقوف له بحزم ومن ذلك الاستهزاء بالدين والرسول صلى الله عليه وسلم مبينا أن التمادي منهم قد بلغ حد أنهم حاولوا الحاق الاذي بالرسول صلى الله عليه وسلم فى لحظه حرجه لتحث المسلمين على الوقوف بحزم وغلظه وشده للمنافق إذا تجاوز حده فهذه الشده هى العلاج المناسب للموقف يحذر من العفو المفرط لان ذلك ينافى الحميه والغيره فعليك أن تستعمل العفو فى محله والعقاب فى محله ولهذا ختم الله الايه بقوله

(فإن يتوبوا يك خيرا لهم وأن يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخره ومالهم فى الأرض من ولى ولا نصير)

وهذا فيه

المفهوم الاول

أن باب التوبه مفتوح على مصراعيه لكل تائب مازال لم يغرغر

المفهوم الثاني

أن التوبه اصل السعاده فى الدنيا والاخره فمن يريد هذا الخير فعليه المبادرة بالتوبه فالنفاق خبيث يوصل صاحبه إلى النار مالم يتوب منه ولهذا يقول لنا الله أن الذى يرفض قبول النصيحه بالرجوع والانابه إلى الله ويصير على الكفر والعصيان فإن هذا الكافر يضر بنفسه لانه يضع نفسه فى عذاب الدنيا والاخره

المفهوم الثالث

أن المنقطع عن ولايه الله هو الخاسر فهو يعيش فى شقاء وحرمان والم لبعده عن الله

المفهوم الرابع

أن الذى يستعلى بالمال والجاه والسلطان والأنصار والاعوان فإنه عندما يحل عليه عذاب الله لايجد من يدفع عنه العذاب ولا من ينصره بعكس الذى يستمد قوته من الله فإن الله أكثر النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه

ثانيا

مازالت الآيات تتحدث عن المنافقين وقبائحهم فالسوره سميت الفاضحه لأنها فضحت المنافقين والمنافقات وكشفت خبائثهم ولهذا تمضى سياق النصوص فى استعراض نماذج للمنافقين فقال تعالي (ومنهم من عاهد الله

لئن ءاتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما ء آتاهم الله من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب)

المبحث الأول

الآيات تتناول الحديث عن صفه الطغيان عندما يصبح الإنسان غنيا فهذه القضيه من خبايا النفس البشريه اذا لم يتم تزكيتها فقد خلق الله الإنسان جبانا هلوعا يفزع ويجزع كما خلقه شحيحا حريصا ويبخل ويمنع إذا اصابه خير فالذي يدفعه إلى الجبن والبخل هو شده حبه لنفسه وماله وولده فالانسان ابتلاءه الله بهذه المواد ليثبت جدارته وليحفظ كرامته وعلى قدر الثبات والمقاومة منه لاغراء هذه المواد وجهاده وسعيه لتاديه واجباته يكون إثبات جدراته بشرف الخلافه والأجر والثواب فى الاخر وبمقدار إحسانه ومسارعته فى الخيرات يقدم لنفسه الحياه الكريمه وهذا إنما يكون بالصبر وخوف الله والوفاء بالعهد مع الله فالاصل أن الغرائز تدفع العبد إلى التقوى والصبر وجهاد النفس وقمعها عن الحرام للوصول إلى رضاء الله

وكذلك فإن هذه المواد تثبت درجه فجور الإنسان وانقياده لهواه واستخفافه بأوامر مولاه وما يستحق من عقاب عادل على ماجنت يداه

فالنفس البشريه لها ثلاث مراتب (الإمارة بالسوء ...والنفس اللؤمه ...والمطمئنه)

أما الاماره بالسوء فهى التى تنحط فيها النفس البشريه بالميل عن طبيعه الفطره

وهناك النفس اللؤمه التى تلؤم الإنسان على ارتكاب الجريمة والشر وهناك النفس المطمئنه التى تجد اللذه والسرور بطاعه الله والإنسان سليم الفطره تكون نفسه لؤمه وهو يصارع النفس الاماره بالسوء وللفوز على النفس الاماره وكبح رغباتها فإن ذلك يحتاج إلى قوه ايمان وصدق العزيمه فإذا حصل هذا كان انتصار العبد على نفسه بالاتصال بالله حيث أنه يشعر بلذه طاعه الله عندها يكون جديرا بحب الله ونعمته ودخول جنته فى الدنيا إما إذا انتصرت النفس الاماره فإن هذا يعني فقدان قوه المدد الالهى الذي يساعد العبد على الطاعه والتغلب على الشهوات لان الفشل يعنى أن العبد غير جدير بحب الله ونعمته ولهذا يعيطنا الله صوره لنماذج من المنافقين الذين فشلوا فى الا متحان بسبب طغيان حب المال والاستغناء به يقول تعالى

(ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما ء آتاهم الله من فضله بخلوا به ....الخ

الأمر الأول

تبين الايه أهمية القيام بواجب النعمه من الشكر للمنعم وان تحس برعايه الله وحسنه وإحسانه فالعبد كلما كثرت النعم زاد ثقل الواجب عليه بأداء حقها بشكر المنعم والاعتراف بفضله وأداء حق الفقراء منها عليك أن تدرك أنه كلما زاد عطاء الله لك من مال وغيره زادت عليك التكاليف

فاحذر من التقصير فى أداء حقها انتبه أن تنشغل بالنعمه من جمع المال ومتابعه التجارة والبضائع وحركه البيع و الشراء وغيرها من الأمور على حساب شكر المنعم فإن ذلك الانشغال بالنعمه عن شكرها من أسباب اغلاق باب التوفيق عن العبد ولهذا يقول تعالى (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه...الخ

الأمر الثانى

تبين الايه ضيق أفق المنافق وقله استعيابه فهو إذا كان فى ضيق وفقر وحاجه كان منه الاستسلام بشكل لا

يصدق حتى انك تراه يتمسك بالقيم والمبادئ ويظهر أنه لايحفل بالمال والثروه والسلطه والجاه بل انك تسمع منه انتقاد لاصحاب الأموال بأنهم برجوزيون وغيرها من الأوصاف ويقول لو كنت أملك هذه الأموال لانفقتها فى أعمال الخير فلو عندى هذا المال الذى عند فلان فأنى سوف اقوم بمساعده فقراء الشباب على الزواج وتجهيز ما يحتاجون سوف اقوم ببناء مدرسه لتعليم ابناء القريه سوف افعل كذا وكذا

نسمع من هذه الأصوات الكاذبة من يقول لو وصلت إلى سده الحكم فسوف اقوم برد المظالم لأهلها سوف اساعد المحتاجين متضرعا إلى الله ومعترفا بأن المال والانعام من فضل الله

لكن كيف حال هؤلاء عندما تتحسن ظروفهم المعيشية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمالية تجد أنه يتغير تماما يصبح عليك من الصعوبه أن تتعرف عليه تجده قد انقلب رأسا على عقب تجده لا يقبل أن يسمع حتى الحديث عن معاناه الفقراء تراه يمارس الظلم والاستبداد اشد واعتى ممن كان قبله لانه يعتبر أن ما وصل إليه هو ناتج عن ذكاءه وعلمه ونضاله قال تعالي في موضع آخر (قال إنما أوتيته على علم عندي)

بينما كان سابقا معترف أن الرزق هو من فضل الله فقال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين)

كان يتودد إلى الله طالبا أن يرزقه ويعاهد الله أنه سوف يتصدق به فى أعمال الخير إذا استجاب له وأن يكون من الصالحين الذين يستعملون المال فى نشر الخير والمساهمة فى اعلاء كلمه الله ورفع المعاناة عن المحتاجين فقال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله)

والوعد هنا قد يكون بالقلب أثناء حديث الإنسان مع نفسه والواجب عليه الوفاء بعهده مع ربه وان يعمل على تنفيذ وعده ولهذا يقول تعالي (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) جزاء نقض العهد فالمراد بهذا تعظيم العهد مع الله فعليك أن تدراك انك حين توعد الله انك تتعاقد مع الله واللازم أن تفى بما أبرمت من عقد مع ربك ولهذا جرى الجزاء مجرى عقود المعاوضات لاعقود التبرعات وهذا لان من قال لئن أتانا الله مالا أو انعام فسوف افعل كذا ولو فى قلبه فإن هذا التزام منه على نفسه بفعل طالما تحقق الشرط المعلق وهذا ينسجم مع نظم الايه حيث ابتدات (ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) حيث واللام فى قوله (لئن ءاتانا من فضله) موطئه لقسم مقدر وقد اجتمع هنا القسم والشرط وجواب الشرط محذوف وقوله لنصدقن ولنكونن من الصالحين..اي نعطى الفقراء وتساهم فى عمليه الاصلاح فى الارض ثم ذكر الله تحقق الشرط المعلق فقال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون)فعندما استجاب الله لدعاءه خان العهد ولم يفى بوعده مع الله وهذا فيه مخالفه للوعد والعهد الذى التزم به لربه

فالايه تشير إلى فشل هذا العبد فى الامتحان فهو رفض الانقياد لأمر الله فقال تعالى (بخلوا به وتولوا وهم معرضون) ذكر أن حبه للمال طغى على حب الله تعالى فقد ضعفت مقاومته أمام اغراء المال وأثبت أنه غير جدير بحب الله ونعمته فارداته ضعفت أمام غريزه الشح والحرص والبخل ولهذا يقول تعالي (وتولوا وهم معرضون) لترسم انقيادهم للنقس الاماره بالسوء التى امرتهم بالشر وسولت لهم الخروج عن الطاعه فقد تركت الحق وانحرفت عن الفطره وطبيعتها التى فطر النفس عليها فالتوالى والاعراض ترسم حاله الصراع بين النفس اللؤمه و النفس الاماره بالسوء حيث أن النفس اللوامه كانت تدعوه إلى تنفيذ الوعد أردت أن تكبح جماح النفس الاماره بـ السوء وإعادتها إلى الصواب بالوفاء بالعهد فالفطره تحب الوفاء بالعهد لكن الشح طغى فغلبت شهواته النفس اللوامه فكانت تلك الغرائز نكبه اضلته عن سبيل الرشد باختياره وقذفت به إلى الجحيم فقال تعالى (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون) حرموا الهدايه والتوفيق وعوقبوا بـ الخذلان بسبب الشح والكذب فذكر الحق التعليل لهذه العقوبه لبيان أن فشل وسقوط هذا العبد فى الاختبار بسبب انقياده للاهواء واستخفافه بأمر الله فالكذب يهدي الفجور ولهذا حصل الانحطاط والميل عن الفطره فلم يعد يشعر بان نكث العهد ذنبا ولم تعد الفطره تلومه على ارتكاب الشر لان تغلب النفس الاماره بالسوء تزين له

الباطل وتمده بالامانى الكاذبه حتى يلقى الله وهو على خلق النفاق فقد كانت المعركه بين النفس اللؤمه والنفس ا لاماره بالسوء ولاشك أن النفس اللوامه تكبح جماح النفس الاماره وتصرفها عن الشر لكن هذا يحتاج إلى قو ة تتحكم في النفس وإيمان يضبط الغرائز ويزنها بميزان الشرع فهو لم يراقب الله ولم يزن أعماله بميزان الشرع لم يكن صادقا فى إيمانه فهو كاذب يظهر الايمان ويبطن الكفر ولم يكن قويا أمام شهواته فضعف امام الغرائز وانقاد ل لاهواء لم ينظر إلى أن الله تعالى جعل هذه الغرائز حب المال والاولاد والذهب والفضة ابتلاء للإنسان واختبارا لصدق إيمانه وقوه إرادته فى طاعه ربه بقوه هذا الحب الغريزى الذي يسيطر على عقله ونفسه

ولهذا فشل فى الامتحان لانه لم يوق شح نفسه فلو حدث ذلك وغلبت تقواه غرائزه وغلب عقله هواه لكان من المفلحين الذين انجاهم حبهم لربهم من اغراء حبهم آمالهم وأولادهم وايقظهم فانقذهم من شر غرائزهم وشهواتهم فانفقوا فى سبيل الله وسعوا لنجاتهم ولهذا يقول تعالى (الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب)

فالمؤمن يشعر بوجود الله تعالى ويشعر بلذه مناجاه الله تعالى ولهذا لاينشغل عن طاعه ربه ولاتصرفه المغريات ولهذا يدوام على تزكيه نفسه من الشح على الدوام ويجاهد نفسه لاجل إرضاء الله تعالى

المؤمن يحرص على أداء واجب النعمه فهو ينظر لنعم الله انها اختبار من الله لعبده لمعرفه صدق إيمانه وقوة إرادته فى طاعه الله ولهذا ينهى النفس عن الهوى ويخاف مقام ربه ولحظه الوقوف بين يديه ولهذا فهو يستحضر وجود الله واطلاعه على كل شئ عليك أن تدرك أن النعمه عندما ينعم الله بها عليك إنما هى امتحان لينظر اتشكر ام تكفر فهذا نبى الله سليمان عليه السلام وقد اوتى من الملك مالم يؤتى أحد من العالمين عندما يرى عرش بلقيس مستقرا عنده يقول (هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر ام اكفر)

فالمؤمن يرى كل شي ملكا لله تعالي وفضلا منه ومن منه تعالى على عبده من غير استحقاق منه بل صدقه تصدق الله بها على عبده وله تعالى ان لا يتصدق بها فلو شاء منعها عنه ولهذا يظل ثابتا راسخا شاكرا لنعمه الله فى السراء والضراء أما المنافق فإنه عندما يرزقه الله يري أنه استحق ما وصل إليه لانه صاحب علم واهلا ومستحقا له فهو إذا أنعم الله عليه بالمال فإنه يستغنى ويطغى ويتكبر فقال تعالى (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون)

فالمؤمن يثبت جدراته بحب الله واستحقاقه لنعيمه عندما يتقى الله حق تقاته

أما المنافق فليس اهلا ولا جدير بحب الله ولهذا قال تعالى (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون)

الأمر الثالث

تبين الايه أن اللازم على المسلم أن يكون الحلم والهدف الذى يسعى إلى الوصول إليه هو طاعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن تكون قضيه المسلم الاولى فى الحياه هى عباده الله بإصلاح أحوال الناس والأرض بأن تكون مطابقة لمنهج الله ومتوافقه مع مراد الله فهذه القضيه التى ينبغى أن يحرص المؤمن على القيام بها وأن ينشغل بها لاينظر إلى الماديات الا انها وسائل للقيام بالخلافه على الأرض وليست غايه ولهذا نجد الأحاديث النبوية الشريفة والقرآن يحذر من الطمع والحرص والبخل والشح فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (إنما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واستمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) فهذا التحذير من حب الأموال والأولاد الذى يبعد عن الله ويسوق إلى الضلال والهلاك يهدف إلى تربيه كل مسلم يجد فى نفسه رغبه جامحه للمال والحرص أن عليه أن ينظر الى ما أنعم الله عليه من النعم وبالتالى يقوم بأداء حقها من الشكر فهل تستطيع اداء حق نعم الله التى لاتعد ولاتحصى

من المؤكد أنك مهما فعلت فلن تستطيع اداء حقها فأراد بهذا تنميه الشعور باهميه تزكيه النفوس من الشح و البخل والحرص فإن هذه الغرائز إذا سيطرت على كيان الإنسان فإنها تنحرف به وتفسده وتضعف قوه الايمان ب الله تعالى وتودى إلى فشل العبد فى الامتحان لانه إذا انشغل بجمع المال وتكديسه والاحتفاظ به دون الانشغال بالمنعم وأداء حق النعمه بالشكر فإن الشح والحرص والبخل تصبح قيودا تمنع العبد من الانطلاق والارتقاء فكلما أراد الارتفاع تسحبه هذه القيود إلى أسفل السافلين تجعل العبد مادي يعيش بلا هدف وغايه نبيله

ولهذا يقول تعالى (إنما أموالكم واولادكم فتنة) اى أنهما اختبار ا لتقواكم بحبهما الشديد الذي يغرى على عصيان أوامره تعالى ثم يقول تعالى (والله عنده اجر عظيم)

نعيم لامثيل له وهذا فيه غرس الشوق فى النفس إلى ماعند الله وهو ما يولد الزهد عن الدنيا فالرسول صلي الله عليه وسلم كان فقيرا ولو أراد أن تسير الجبال معه ذهب وفضه لسارت لكنه كان ينظر للاخره فلم يكن المال هدف حياته وهكذا كان يربى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وهو ما يجب أن نربى عليه أنفسنا فعليك أن لا تجعل المال هدف لحياتك فإنما هو وسيله للقيام بالخلافه فى الارض يقول له انتبه من التعلق بالمال فإن ذلك يقطع عليك سفرك ويمعنك من الوصول إلى هدفك فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التحذير من التعلق ب الدنيا وزينتها أن يبين أن ما يجب التعلق به هو القيام بحمل تكاليف الخلافه وتبليغ الدعوه أن تكون رساله الاسلام هى قضيتك وشغلك الشاغل الذى تنشغل له فى كل اوقاتك فهذا هو الرصيد النافع ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه عندما جاء إليه كرسول من قريش يعرض عليه المال والذهب والفضة والملك ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال والله ياعماه لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في شمالي علي أن أترك هذا الأمر ماتركته حتي يظهره الله أو اهلك دونه)

فاللازم عليك ايه المسلم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم بأن تحمل الدعوه

الى الله وتري أنها هى القضيه التى ينبغى أن تحرص على القيام بها وليس جمع المال فهو مع منزلته عند الله فقير ماديا مع أنه لو دعا الله أن يجعل الجبال معه ذهب وفضه لاستجاب الله له لكنه لم يخلق للمال وانما خلق لعباده الله فهذه هى قضيتك ايه المسلم ولهذا فإن هذا الشعور ينبغى أن يجعل نظرتك للمال هو لاجل خدمه المشروع الإسلامي وتحرص على تزكيه نفسك من الشح والحرص والبخل وان تستخدم المال في تقويه الاسلام

احذر ان تصاب بداء المنافق الذى تحكى لنا الآيات حاله بأنه لما صار غنيا استغنى وأصيب بطغيان الاستغناء فتقاعس عن بذل ما رزقه الله من مال لخدمه الاسلام فى تجهيز جيش العسره لغزوه تبوك والقصه تتحدث عن ح اله عامه تدل سياق النصوص أنها حصلت من أناس كثيرون وليست من شخص واحد ولهذا يقول تعالى (فلم آتاهم الله من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون)

فقد جاءت بصيغه الجمع (آتاهم) فهى تتحدث روبما عن حالات بعض الفقراء الذين انتسبوا للإسلام فى بدايه الدعوه وقت الضعف من المنافقين أو من غيرهم الذين كانوا ضعاف ايمان ثم بعد أن صار لديهم مال نتيجه الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم لانه تعالى قال قبلها (وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله الخ

فدل أن حال هذه الفئه أنهم كانوا فقراء قبل الاسلام فحصل لهم بدخول الاسلام أن تحسنت أحوالهم واوصافهم الماديه المهم أن بعضا منهم كان فى فقره يقول لو رزقنى الله مالا كثيرا فسوف أنفق منه فى خدمه المشروع الإس لامي نظرا للحاجه للمال وغيره فعندما رزقه الله حجد العهد لان المال أصبح هو هدف حياته ولم يعد نشر الإسلام هو هدف وغايه له لقد أصبح عابدا للمال

المبحث الثانى

أن مجئ الايه بصيغه الجمع (آتاهم) تدل ان القصه حصلت من عده اشخاص كما أوضحنا سابقا وليست من

شخص واحد وقد ذهب بعض المفسرون للقول إن الآيات متعلقه بطائفه من المنافقين منعهم الله من التوبه مثلما منع ابليس منها والحقيقه انها فعلا تتحدث عن طائفة من المنافقين والغرض منها بيان خطوره مخالفه العهد مع الله وهذه مساله ينبغى أن تحذر منها اخى المسلم لأنها فى غابه الاهميه فلا بد أن يتعرض لها كل إنسان فأنت مثلا تمر بظروف معينه او ترى فقراء ومحتاجين فلابد أن تتحرك فيك الجوانب الإنسانية فتقول لو اعطنى الله مالا فسوف اقوم بازاله معاناه هؤلاء فإن هذا عهد قد قطعته مع الله فاللازم عليك

الأمر الأول

انتبه أن تنسى هذا العهد الذى كان بينك وبين ربك فأنت بهذه العبارات التى تحدثت بها روبما بينك وبين نفسك قد قطعت على نفسك عهدك الواجب عليك الوفاء به

أن هذا عهد بينك وبين الله انظر الى عظمه من عاهدت فالواجب عليك توفيره وتعظيمه

وبالتالي كيف لك أن تنسى عهدك معه فقد ورد فى الحديث (احفظ الله يحفظك)

الأمر الثانى

عليك أن تحرص على. أن لاتسقط من عين الله لانك لو سقطت من عين الله فقد خسرت الدنيا والاخره وحل بك الشقاء فى الدنيا والاخره ولهذا كيف لك أن تكذب على الله وتتراجع عن تنفيذ عهدك معه فأنت إذا قطعت عهدا لشخص له منزله في قلبك أن تنفذ أمرا ما فإنك تحرص على ذلك مهما كلفك الأمر لاجل أن تحافظ على العلاقه التى تربطك به تخاف أن تسقط من نظره إذا فشلت ولله المثل الأعلى فاللازم أن تحافظ على علاقتك بربك العظيم

المبحث الثالث

عليك أن تدرك أن التوفيق يعود إلى طاعه العبد لله وشكره على انعامه وصلاحيه المحل لاستقبال هذه النعمه وان الخذلان يكون بعدم صلاحية المحل والانشغال بالنعمه عن شكرها وإيثار الدنيا على الاخره فقال تعالى (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون)

الأمر الأول

عليك أن تدرك أنه ليس هناك شئ انفع للعبد من صدقه مع ربه فى جميع أموره فإن من صدق الله صنع الله له فوق مايصنع لغيره

الأمر الثاني

أنه لا أضر على العبد من كذبه على ربه فمن اخلف عهده مع ربه فإن ذلك من دواعى خذلان الرب لعبده فالكذب وخلف العهد من صفات المنافق المذمومه والمنافق ليس أهلا لقبول نعمه الايمان العظيمه والتوبه ولهذا يقول تعالى (فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون)

جعل النفاق راسخا ثابتا فى قلوبهم فهم مخذولون من التوبه ويظلوا على نفاقهم إلى يوم القيامه

وسبب هذا الخذلان هو أنهم عدم الوفاء بالعهد ولهذا جاء بالباء (بما اخلفوا الله ما وعده) وكذلك بسبب الكذب (وبما كانوا يكذبون)

المبحث الثالث

يقول الله ألم يعلم هؤلاء الذين يدعون أنهم مؤمنون أن الله مطلع على ما فى نفوسهم مما يظهروه أو يخفوه فهو تعالى مطلع على كل سى فاستعمل صيغه مبالغه (الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب)

فالاستفهام التوبيخ والتهديد ليقرر أنهم فى قبضه الله ولهذا ينبغى أن يتعاملوا مع الله على هذا الأساس فهم مكشوفون له تعالى فمن قطع عهد مع الله ولو حدث به نفسه حديثا فعليه أن يستحضر أن الله سبحانه وتعالى قد علم بذلك وبالتالي فإن هذا العلم يوجب الوفاء بالعهد فيجب على الوفاء الاحتراز من مخالفه عهده مع الله فاحذر ان يراك الله فيما يغضبه فهو علام العيوب جميع الغيب يعلمه الله ولهذا ينبغي عليك أن توطن نفسك على استحضار وجود الله عليك أن توطن نفسك على طاعه الله وتحاسب نفسك على الدوام من المخالفه عليك توطين نفسك على مخالفه الهوى فأنت مكشوف لله تعالي لايخفى من أمرك شي

المبحث الرابع

أن من اعظم الأخطاء التى وقع فيه الكثير من المفسرين والتى يجب إزالتها من كتب التفاسير لما فيها من اساءه ل لإسلام وللصحابى الجليل ثعلبه بن حاطب الأنصارى حيث أن هذه الرؤيه الباطله فى سندها ومتنها زعم فيه أن الا يه الكريمه نزلت فى ثعلبه بن حاطب الأنصارى وأنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ادعوا الله أن يرزقني مالا....الخ اخر القصه وزعم أن ثعلبه صار من أغنى الأغنياء وأنه بعد ذلك رفض تسليم الزكاه وقال لمن أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إليه أن هذه جزئه أنها اخت الجزية ورفض تسليم الزكاه وأنه لما جاء الرجلان اللذان ارسلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لجمع الصدقات وإبلاغه بما كان من ثعلبه كان هنالك أحد أقارب ثعلبه فسمع ذلك فخرج إلى ثعلبه وقال له ويحك ياثعلبه ماذا فعلت لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبه حتى أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله منعنى أن اقبل منك صدقتك) فجعل ثعلبه يحثوا على رأسه التراب فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى ثم بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ثعلبه إلى أبى بكر الصديق حين استخلف فقال قد علمتى منزلتى وموضعى من الأنصار فأقبل صدقتى فقال ابوبكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنى اقبلها فلم يقبلها الصديق وهكذا فعل عمر بن الخطاب

وكذلك فعل عثمان عليه السلام فهذه القصه غير صحيحة للاتى

الأمر الأول

أن ثعلبه بن حاطب الأنصارى ممن شهد بدر وأحد والرسول صلى الله عليه وسلم قال لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم)

وبالتالي فلا يمكن أن تكون الايه نزلت فى هذا الصحابى الجليل

الأمر الثاني

أن ثعلبه بن حاطب الأنصارى توفى فى السنه الثالثه للهجره والايه نزلت فى أثناء غزوه تبوك ثم ان القصه المفتراه تتحدث عن وفاه ثعلبه بن حاطب فى زمان عثمان وأنه كان يتردد على الخلفاء الثلاثه بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل أن يقبلوا زكاته وكلهم رفضوا فكيف هذا والثابت انه توفى فى السنه ٣هجريه فهذا يتعارض مع العقل والمنطق لان ثعلبه توفى في السنه الثالثه للهجره

الأمر الثالث

ان القصه ضعيفه من حيث إسنادها ومنكره من ناحيه متنها فهى وردت عن طريق علي بن زيد الالهانى عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابى أمامه الباهلى

وقد أجمع علماء الحديث والحفاظ على تضعيف علي بن زيد وكذلك فإن الرؤيه الاخرى لابن عباس هى عن على بن زيد أيضا

وكذلك فإن متنها منكر يتعارض مع القران الكريم الذى جعل باب التوبه مفتوح مالم يغرغر الإنسان وهذا ما أكدته ا لأحاديث النبوية الشريفة فالقران يرغب بالتوبه فاللّه سبحانه وتعالى يقول فى سوره النساء (أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا باللّه واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى اللّه المؤمنين اجرا عظيما)

الأمر الرابع

أن هذه القصه غير صحيحة وهى مفتراه وهذا ما ذكره علما الامه والائمه الكرام فقد أنكرها العلماء الاتيه أسماءهم

١/ الامام ابن حزم

٢/ الامام القرطبي

٣/ الحافظ العراقي

٤/ الحافظ الذهبي

٥/الحافظ ابن حجر

٦/الحافظ البيهقي

٧/ابن عمر

٨/العلامه المناوى

٩/العلامه الالباني

وآخرون وهو ما يجب الإنتباه له

ثالثا

(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر اللّه منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر اللّه لهم ذلك بأنهم كفروا باللّه ورسوله واللّه لايهدى القوم الفاسقين)

المبحث الأول

مأزالت الآيات تستعرض امراض المنافقين والمنافقات ودورهم السلبى فى المجتمع المسلم للتحذر من داء النفاق ومن أخلاقهم وسلوكهم القبيحه فقال تعال. (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر اللّه منهم ولهم عذاب اليم)

الايه تتحدث عن موقف المنافقين عندما شاهدوا المسلمين يتسابقون على المساهمه فى تجهيز جيش العسره حيث سارع كل واحد لتقديم مايقدر عليه فالاغنياء امثال عبد الرحمن بن عوف الذى جاء إلى الرسول صلى اللّه

عليه وسلم وقال يارسول الله أن ما املك هو ثمانية الف درهم اقرض الله اربعه الف درهم وابقى لاهلى اربعه الف فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اقرضت وفيما أبقيت ..

أما الفقراء من المسلمين امثال سالم بن عمر و الانصاري وغيره الذين لم يجدوا ماينفقوا للمساعده فى تجهيز الجيش لملاقاه الروم فقد عمدوا إلى مضاعفة عملهم من خلال استقاء الماء ليلا فحصل أحدهم على صاعين تمر فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لقد عملت وحصلت على صاعين تمر أبقيت لاهلى صاع وهذا صاع أقدمه كمساهمه فى إعداد الجيش

وعندما شاهد المنافقين ما بذله عبد الرحمن بن عوف واغنياء المسلمين قالوا باللسان طعنا فى عمل الأغنياء بأنهم يحبون الفخر بهذا الانفاق وأنهم إنما أنفقوا ذلك رياء أو أنهم استعملوا حركات العينين فيما بينهم أو غيرها فقال تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات) وكذلك لما شاهدوا ما قدمه الفقراء الذين لا يجدون إلا جهدهم مافائده هذا الشى اليسير الذى قدمه هؤلاء فأنزل الله الايه وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

تبين أن المجتمع المسلم لابد أن يكون فيه (المؤمن ..والمنافق) ولهذا فإنه عند الشده والحروب والأزمات تكشف معادن الرجال لان نظرتهم وتفسيرهم للاشياء مختلفه نظرا لأن منهج المؤمن يختلف عن منهج المنافق الذي أظهر الاسلام وهو يبطن الكفر ولهذا تختلف نظره المؤمن عن نظره المنافق

فالمؤمن يشعر أن تمكين دين الله واعلاء كلمه الله هى قضيته ولهذا فشغل المؤمن الشاغل هو حب الله ورسوله وهذا يبعث فى القلب حب البذل والعطاء والتضحيه والفداء ولهذا فالمسلم عندما يبذل المال فى سبيل الله لا يشعر أنه أعطى بل إحساسه أنه أخذ لأنه يجد فى ذلك تطهير نفسه من الشح ويصل به إلى الاطمئنان الذى ينزله الله فى قلب عبده بما يوجب له زياده الايمان وقوه اليقين

وهذا مالم يستوعبه المنافق الذى جعل المال شغله الشاغل ويرى أن بذل المال فيه خساره فهو يسلم الزكاة لان الدوله فرضتها عليه وهو يحاول أن يتملص من أداءها أو انقصها بأى شكل لانه ينظر أن أداءها ينقص من رأس م اله ولهذا لم يستوعب هؤلاء مشهد تنافس الأغنياء من المسلمين والفقراء فى بذل المال كلا بقدره فى تبوك تطوعا ولهذا قال تعالى (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات)

والمطوع هنا يفيد أن هذا المال المبذول ليس متعلق بفرض الزكاه الواجب على جميع المسلمين وهو يؤخذ ولو ب القوه إذا امتنع صاحبه فليس محل الايه متعلق بالزكاة بل هو الصدقه المقدمه طوعا اى اداءهم لفرض كالزكاه وزاد على ذلك الفرض تطوعا دون غصب او إكراه فمثلا المفروض على العبد صيام رمضان

فإذا أراد انسان صيام الاثنين والخميس من كل أسبوع فإن هذا الصيام من باب النوافل فهذا يطلق عليه مطوع ولهذا لم يدرك المنافقون الدوافع الباعثه والمقاصد العاليه من هذا التنافس ولهذا لجأوا إلى أسلوب اللمز بالطعن بمن أنفق ماله بأنه مغفل واهبل يبذل ماله برضاءه ويسخرون من الفقراء الذين لايجدون إلا جهدهم لان هذا المنافق لم يدرك الباعث وراء سلوك المؤمنين

وهو الايمان بالله ورسوله لم يفهموا أن المؤمنون يتنافسون على التقرب من الله لاجل نيل رضاء الله لاجل إثبات جدارتهم بحب الله تعالى فالنوافل هى وسيله العبد للتقرب من الله فقد ورد فى الحديث القدسي (مايزل عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها أن سلنى لاعطيه ولئن استعاذنى لاعيذنه ...الخ

الأمر الثانى

تبين الايه أن غياب حقيقه الايمان عن قلوب المنافقين وعدم تصديقهم بلقاء الله والحساب والعقاب كان سببا وراء ذلك الانتقاد بالاشاره بنظره أو حركه اوقول لما شاهدوا تنافس وتسابق المؤمنين فى المساهمه فى المشروع الإسلامي ودفع عجله التقدم كلا بقدر جهده فاللمز بالانتقاد منهم للمؤمنين والسخرية يعود إلى عدم إيمانهم حقيقه بأن كل عمل يعمله العبد فى سبيل الله سواء كان كثيرا أو قليل سوف يجده أمامه يوم القيامه ولهذا لم يستوعبوا ذلك التنافس بين فئات المؤمنين على دفع عجله التقدم والمساهمة فى تجهيز جيش العسره لان المنافقين ينظرون إلى الحياه نظره ماديه ولايؤمنون بالبعث والنشور أما المؤمنون فإنهم ينظرون أن المستقبل هو فى الدار الاخره فتلك الدار هى الحلم الذي يسعون للوصول والفوز بها فهم يعرفون ان جهدهم وعرقهم لن يضيع قل ام كثر لهذا فالمؤمن لاينظر إلى الدنيا فهدفه هو الوصول إلى الله والدار الاخره

الأمر الثالث

المؤمن ينطلق فى كل حركه من منهج الله (كتاب الله وسنة رسوله) وهدفه تطهير نفسه بطاعه الله وتزكيتها وتكبيرها ولهذا فهو مشغول بمعرفه عيوب نفسه وافاتها لايدعها تخدعه بالامانى الكاذبه فهو يحاسبها على الدوام ويراقبها يذكرها بضعفها وافتقارها لربها لاجل أن يوقظها من غفلتها فهو يعرفها بالاء الله ونعمه وما يجب عليها من شكر المنعم يخاف أن يظلم قلبه نتيجه طغيان الشهوات ولهذا فهو يفتش عن عيوب نفسه ليتمكن من علاجها وتداركه قبل فوات الاوان

أما المنافق فهو منشغل بتتبع عيوب الآخرين يبحث عن نقاط الضعف فى الطرف الآخر لا يسلم من طعنهم ونقدهم أحد فهم كانوا يعيبون على الأغنياء كثره الانفاق ويسخرون من قله انفاق الفقراء فقال تعالى (فيسخرون منهم)

اشاره الى استهزاءهم بالمؤمنين عندما يلبون دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للإنفاق فى سبيل الله وجاء عطف فيسخرون على يلمزون بالفاء للاشعار أنهم قوم يسارعون فى الاستهزاء بالمؤمنين بمجرد أن يصدر عن المؤمن اى عمل من الأعمال التى ترضى الله ورسوله

فهذه هى طبيعه النفوس الخبيثه المريضه يكرهون الخير ويثبطون ذويه ويسخرون من صناعة الخير فاصل هذه الخسه هى النفس الخبيثه التى تبحث عن عيوب الآخرين وتنسى ذاتها ولهذا فإن المنافق يتصرف بقله اداب لا يرعى مشاعر الآخرين أنه سئ الاداب مع خلقه ومع من حوله لان نفسه تافهه وخسيسه وحقيره تحوم فى كل أوقاتها حول القذروات

أما المؤمن فإنه متادب مع الله ومع بنى جنسه فالمؤمن ليس بلعان ولاعياب ولابذئيا المؤمن يقوم بتزكيه نفسه على الدوام فهو راقى فى تعامله نظيف فى علاقاته يراقب الله فى كل حركه فاثر الدين. والتدين يكون بالتحول من متوحش إلى انسان ثم من انسان إلى انسان أخلاقي ثم من انسان أخلاقي الي انسان رباني يتخلق بأخلاق الرب ومن هنا نجد الفارق بين نظره وحركه المؤمن وبين نظره وحركة المنافق فالمسلم مشغول بالارتقاء بنفسه وتكبيرها لعلوا وشرفها نفسه أما المنافق فإنه يحوم حول القذروات لخسه نفسه

الأمر الرابع

(اهميه تشجيع الأفراد داخل المجتمع على صناعه الخير)

تبين الايه اهميه مشاركه ومساهمه جميع أبناء المجتمع فى صناعه النصر وبناء الدوله كلا بقدر طاقاته ولهذا تنقل لنا الايه واقع انقسام المجتمع فى الاستجابه لدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين للتطوع بتقديم كل واحد مايقدر عليه لتجهيز جيش العسره لغزوه تبوك الذى صمم الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج لملا قتهم برغم الظروف الصعبه التى كانت دوله الاسلام تمر بها حيث يفهم من الايه أن أبناء المجتمع المسلم انقسموا

إلى فريقين مؤمنين ومنافقين وان المؤمنين كان منهم الأغنياء الذين ساهموا بتقديم المال الكثير ومنهم الفقراء الذين قدموا ما يقدرون عليه ولو صاع من تمر ترسم لنا الايه

وقد قبل منهم الرسول صلى الله عليه وسلم ماقدموه أغنياء وفقراء لم ينظر إلى صاع التمر أنه عديم الفائده كما هو حال المنافقين الذين سخروا منهم

فلماذا لم يرد ماقدمه هذا الفقير من صاع التمر ؟

الجواب

١

لانه عندما يعرف كل مواطن داخل المجتمع المسلم أنه بجهده وعرقه وتفوقه يمكن أن يحقق ذاته فى مجتمع يحترم المجتهد ويقدر المتفوق ويفسح المجال للمنافسه المشروعه بين أبناءه كى يتسابقوا فى دفع عجله التطور والتقدم في إطار طاعه الله تعالى ونشر الخير ومحاصره جوانب الشر وإزالتها فإن هذا يخفق ارتباط الجماهير بـ التنظيم الايمانى الذى ينبثق عن عقيده الايمان التى تجمعهم فالتشجيع أمرا مهم للابداع والتقدم وحجم العمل ليس بكثرته بل ببذل ما بوسع العبد فليست العبره بكثره المال بل بالنيه والمشاركة فى حمل المشروع

وتكامل القدرات بين المكونات لابد من اتاحه الفرصه للغنى والفقير لإبراز قدراته ومواهبه فى إطار الشعور بالا نتماء إلى جماعه الايمان ولهذا ترسم الايه

صوره هذا الشعور والإحساس بالواجب وخدمه الاسلام فى نفوس المؤمنين

نتيجه الشعور بالانتماء لتنظيم الايمان والذي يجب تشجيعهم على أعمال الخير

التى يتطوعون بالقيام بها والمطوع من اطاع الله وتطوع بخصله من خصال الخير والأصل وجوب إعانته وتنشيطه فى عمله هكذا هو منطق أهل العقول والنفوس الشريفه فليس المراد كثره العمل بل المراد أن يشارك كل واحد فى دفع عجله التقدم والتطور ولهذا يذم الله المنافقين فقال تعالى (والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم)

فالايه تبين خسه نفوس المنافقين فهم يكرهون الخير ويثبطون من يفعله من الأغنياء ويسخرون من جهود الفقراء فى الخير وهذا يعود الى خبث أنفسهم وحقارتهم وبسبب طمس معالم فطرتهم بالانغماس بالشهوات فهم ادوات هدم ولهذا نجد أنهم يحتقرون كل عمل مفيد يخدم المجتمع ويحاولون اجهاضه فالمنافقين اداه تثبيط للنشطاء فالمنافقون فى كل زمان لايرضيهم أن يروا المؤمنون يتنافسون فى إرضاء الله ورسوله وهذه هى طبيعه النفوس الخبيثه يكرهون الخير ويثبطون فاعله ويسخرون من صانع الخير ويعملون على تصغير اعمالهم اما بـ القول أو الغمز بالعين أو الابتسامه الساخره فدل هذا على خبث وقبح نفوس المنافقين وحقارتها ولهذا يتوعدهم الله بالاهانه والإذلال جزاء وفاقا فقال تعالى (سخر الله منهم ولهم عذاب اليم)

لأنهم سخروا من أمر طاعه المؤمن لربه فهم من جهه يحبون اشاعه الفاحشه فهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وهم ادوات تعيق التقدم ولهذا عوقبوا من جنس عملهم

/٢

لان الذى يساهم بايجابيه بقدر ما يستطيع فى دفع عجله التقدم فى سبيل الله

هو انسان يستحق أن يكرم ويقدر مهما كانت هذه المساهمه طالما أنه بذل الجهد الذى فى وسعه فهذا ينبغي

تشجيعه وتكريمه واحترامه فهذا هو الحكم المنطقى والسليم فى اداره شؤون الناس من قبل القياده لإبراز المواهب والقدرات وتنميتها وصقلها فهذه هى صفات الاداره الرشيده ولهذا تذكر الآيات فساد المنافقين وتعطينا صوره عن اختلال موازين النفاق وأهله فى الحكم على الأشياء بمنطق السخريه والتثبيط فقد كانوا يسخرون من الذى ينفق كثيرا فيقولون إبله ويسخرون من الذى ينفق قليل بالقول مافائده ماقدمه ولهذا جاءت الايه لتبين قبح وخسه نفوس المنافقين ولبيان منزله المؤمن عند ربه وغيرته تعالى على أولياءه ولهذا نجد الايه اختتمت (سخر الله منهم ولهم عذاب اليم)

فهو تعالى يتكفل برد عدوان المنافقين ومن يسخر من المؤمنين ولهذا يعلن أنه يتولى اهانه المنافقين واذلالهم على ماصدر منهم من اذيه ضد أولياءه ويتوعد المنافقين بعذاب موجع فأراد بهذا أن تشعر ايه المؤمن انك عملك محفوظ عند الله وان لك منزله إذا صدقت فى ايمانك

المبحث الثاني

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين)

الأمر الأول

الخطاب من موجه من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالا ستغفار لهم فهذا غير سليم لان النهى عن الشى لايدل على كون المنهى مقدما على الفعل لان المنافق كافر ولايجوز الاستغفار للكافر ولهذا يمكن القول أن الخطاب خرج مخرج الأمر ومعناه الخبر بدليل ورد بعد كشف وفضح المنافقين بذكر ما كانوا يتدولونه فى الخفاء من السخريه بالمؤمنين فى كل الأحوال وفضحت مواقفهم السلبيه المعارضه لكل أوجه الخير مبينه أن هدفهم هو الانتقاد واحتقار الاخرين وتصغير أعمالهم سواء كانت كثيره أو قليله فهذه طبيعه من يسعون إلى التخريب والنسف والهدم داخل الاوطان فكل مايشغلهم هو معارضه الحق فسواعدهم ليست سواعد بناء بل معول هدم لكل شىء جميل للاسف أن هذه النماذج كثيرا ما نشاهدها ونرى مواقفها تجاه كل خير ولهذا تتحدث الآيات لنا بهذا الأسلوب المفصل الذى بكشف طريقه تفكيرهم وانتقادتهم لكل مظاهر التعاون على الخير حتى نحذر سلوكهم وقد ختم الايه بذكر العاقبه التى تنتظر هؤلاء بالإهانة والإذلال و العذاب الموجع والشديد حيث يحتمل أن الرسول صلى الله عليه وسلم شق عليه ما توعد الله به المنافقين فاستغفار لهم الله وهذا قبل أن يخبر بأن الكافر لايغفر له أو قبل أن يمنع ويحتمل أنه من شده تضايق الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعالهم وقبل أن يعلم بكفرهم ونفاقهم سال الله لهم الهدايه والتوبه ويحتمل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم يرجوا أن يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلم بين الله له أنه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل أن يكون المنافقين لما انكشف أمرهم جاء يعتذرون للرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يستغفر الله لهم ويطلب العفو عنهم وان لايفضحهم وان يتوب عليهم فأنزل الله الايه (استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين)

اى أن استغفارك للمنافقين وعدمه لايجدى نفعا ولو استغفرت لهم سبعين مره للمبالغه فى بيان استوائهما مبينا أن السبب فى عدم قبول الشفاعه والاستغفار لهم لأنهم كفروا بالله ورسوله وخرجوا عن طاعه الله

الأمر الثانى

أن قوله تعالى (إن تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم)

لاتعنى أن هذا العدد والزياده عنه يعنى القبول للشفاعه فتخصيص العدد يراد به الحسم لماده الاستغفار أو لتأكيد

النفى فى قبول الشفاعه لان العرب كانت تستعمل هذا العدد كأسلوب مبالغه فى كلامها ولاتريد به التحديد فلا يدل على أن مازاد على هذا التحديد يعنى امكانيه قبول الاستغفار فهذا غير صحيح ولهذا ذكر العله بعدها فقال تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) فذكر العله أن الكفر بالله ورسوله لاينفع معها استغفار رسول الله لهم وأنه تعالى لايوفق الخارجين عن طاعته للهدايه (والله لا يهدى القوم الفاسقين)

فالايه معناها الخبر وليس أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتغل بالاستغفار لهم كما ذهب البعض فهذا هو الراجح والمراد بهذا الخبر بيان الاتى

المفهوم الاول

تهدف الايه إلى تعريف المؤمنين والمؤمنات بحقيقه الشفاعه وشروطها فيخبر الله عباده بهذا الخبر الذى خرج مخرج الأمر لبيان أن الشفاعه ليست لأحد حتى الرسل والملائكه والصالحين الا بإذن الله تعالى

قال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه)

فهذه الشفاعه المطلوبه وهى المقبوله أما الشفاعه المردوده فإن أحد لايريدها لا الشافع ولا المشفوع له ولا المشفوع إليه .ولهذا يخبر الله نبيه عندما جاء إليه المنافقون يطلبون أن يستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء غير صادقين فى طلب العفو والغفران لأنهم لم يريدوا ماطلبوا حقيقه والغرض من هذا الخبر بيان عدم جدوى شفاعه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لانه تعالى قد ذكر فى موضع آخر الحث على طلب المغفره فقال تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

فذكر أن المجئ للرسول صلى الله عليه وسلم والطلب منه أن يستغفر الله لهم يتطلب التوبه الصادقه اى أن اراده المشفوع له العفو بصدق وإخلاص هى التى تجعل الشفاعه مقبوله أما إذا كان الطلب خاليا من ذلك فإن الشفاعه مردوده ولهذا فانه لو علم الشافع والمشفوع له انها غير مقبوله لم يفعلوها فأراد بهذا أن يفهم الناس عدم جدوى الشفاعه بدون التوبه الصادقه ولهذا هنالك فرق بين تقول استغفر الله بفتح التاء والفاء فهذا الكلام والعياذ بالله معناها أن الله قد استغفر لك وهو ما لايجوز لان الا ستغفار تعنى طلب العفو والمغفره من الله وهو تعالى يقبل هذا الدعاء ام لا ولهذا تستعمل كلمه استغفر بفتح التاء وكسر إلقاء وضم الراء باعتبار أن الشخص يسأل الله على وجه الدعاء والتذلل والخضوع أن يعفو عنه

المفهوم الثاني

(عليك أن تدراك أن الشفاعه لاتكون الا للمؤمنين)

فالشفاعه والهدى والتعليم والانذار والتذكر لابد لها من قبول المشفوع له والمتعلم فإذا حصل ذلك حصل التعليم المقصود والا قيل علمته فلم يتعلم كما قال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)

فالشفاعه تتطلب قبول المشفوع له فهذه هى الشفاعه النافعه لقوله تعالى فى موضع آخر (لاتنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له) وقال تعالى فى موضع آخر أيضا (يؤمئذ لاتنفع الشفاعه الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا)

فالشفاعه لاتكون الا لمن أذن له الله ..وكذلك لاينتفع بالشفاعه الا من أذن له الرحمن فهو لم يقل (لاتنفع الا لمن أذن له) ولم يقل (لاتنفع الشفاعه الا لمن أذن له) بل قال (لاتنفع الشفاعه الا من أذن له)

اى لاينتفع بها الا المأذون لهم كما قال (لاتنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له)

والمراد به المشفوع له الذى تنفعه الشفاعه وقد ذهب العلماء فى تفسير (الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا)

إذن بأن يشفع له ورضى بقوله وهو كلمه التوحيد (لا اله الا الله) فدل هذا أن الشفاعه لاينتفع بها الا المؤمن ولهذا يخبر الله رسوله بالعله من عدم جدوى الاستغفار للمنافقين فقال تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله)

اشاره الى عله امتناع العفو والمغفره لهم هو كفرهم بالله ورسوله فسبب الشفاعه توحيد الله وإخلاص الدين و العباده لله تعالى بجميع انواعها والطاعه له تعالى فكلما كان الإنسان أعظم اخلاصا وطاعه لله كان أحق بالشفاعه واحق بسائر انواع الرحمه وكلما ابتعد عن الله كلما سلب هذا الحق ولهذا يقول تعالى(والله لايهدى القوم الفاسقين)

المفهوم الثالث

أن الشفاعه من مبدؤها وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه فهو تعالى يأذن للشافع وهو الذى يقبل شفاعته فى المشفوع له فالشفاعه سبب من الأسباب الرحمه الخاصة التى يرحم الله بها من يشاء من عباده ولهذا يقول تعالى أن أحق الناس برحمته هذه هم أهل التوحيد والمخلصين الذين يطيعون الله فمن كان اكمل فى تحقيق التوحيد علما وعملا وموالاه ومعاداه كان أحق برحمه الله تعالى وهذا ما أفصحت عنه النصوص فى أكثر من موضع ومن ذلك ماورد فى الأحاديث عن حال الموحدين الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم بأنهم يعذبون حتى لايبقى منهم غير موضع السجود فيخرجون من النار وبالشفاعه يدخلون الجنه وهو مايتبين منه أن أصل الأمر كله مرهون بتحقق كلمه التوحيد والإخلاص بما ينفى الشرك وهذا يقتضي الايمان بالله والاستعانه به والتوكل عليه فالإيمان بضع وسبعون شعبه أعلاها كلمه لا اله الا الله وادناها اماطاه الأذى عن الطريق وهذا الايمان يعنى اتباع منهج الله فى كل شأن فكلما تقربت من الله ورسوله كلما كنت اهلا للشفاعه وكلما ابتعدت فأنت غير ماؤذون لك بـ الشفاعه ولهذا يقول تعالى (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين) فالكفر والجحود منهم والخروج عن طاعه الله كفرا وجحودا مانع لهم من العفو وقبول الشفاعه فالله لايوفق للإيمان بالله ورسوله من أثر الكفر على الايمان وأثر الكفر والعصيان على الطاعه فهم لايفرقون بين الحق والباطل ولهذا فإن يغفر الله لهم ابدا لأنهم اختاروا الفسق والعصيان والفسق مانع من رحمه الله وبالرجوع إلى النصوص الوارده فى القرآن الكريم والتى نفت الهدايه عن الفاسقين نجد أنها فى خمس مواضع الاولى فى سوره المائده الايه

١٠٨قال تعالى(ذلك أدنى أن ياتوا بالشهادة على وجهها اويخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لايهدى القوم الفاسقين)

الثانيه فى سوره التوبه الايه(٢٤)قال تعالى (قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازوجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين)

الثالثه هى هذه الايه (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين)

والرابعه فى سوره الصف الايه(٥)قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين)

والخامسة فى سوره المنافقون الايه(٦)قال تعالى (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم أن الله لايهدى القوم الفاسقين)

وجميع هذه الآيات تتحدث عن المتمردين الخارجين عن طاعه الله الذين أثروا الكفر على الايمان فرفضوا الخضوع والتسليم لأمر الله تعالى ومنهم من عبد المجموع لانه أحب مع الله الأموال والأولاد ومنها أنهم لم يعظموا الله حق التعظيم ولهذا عاقبهم الله بالحرمان من الهدايه حيث أن المعاصى تجر لامثالها حتى إذا فقد الا حساس وصار القلب خاليا من حب الله ورسوله فإنه يتعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها والأهواء فيصير عابدا الأ هواء فاعظم عقوبه للعبد أن يموت الاحساس فى قلبه وان يضعف مقاومه الشهوات حتى ينقطع عن ربه كليه

نتيجه الكذب الذى يهدى صاحبه إلى الفجور والفجور يهديه إلى النار فمن كان هذا حاله فإنه يصعب تدراكه لانه استحب الكفر على الايمان فهو ليس قابلا لرحمه الله الخاصه وبالتالى كيف يهدى الله الفاسقين الذين رفضوا هدايه الله العامه وفضلوا الدنيا على الاخره والجهل على العلم والكفر على الايمان

رابعا

تستمر النصوص في الحديث عن المنافقين وتكشف قبائحهم وماهم عليه من الفسق والعصيان فقال تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون

وهذا فيه

المبحث الأول

لما اختتمت الايه السابقه بذكر أنه تعالى لايهدى القوم الفاسقين لأنهم كفروا بالله ورسوله تأتى الايه باستعراض نماذج لفسق المنافقين وتمردهم وخروجهم عن طاعه الله ورسوله فهم لا إيمان لهم ولا اراده الوصال بالله تعالى ولا السير فى طريق الله المستقيم ل ولهذا نجد الايه ابتدأت بذكر مشاعر المنافقين عندما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج لغزوه تبوك فقال تعالى (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون)

ابتدأت بذكر مشاعر المنافقين عندما تخلفوا عن الخروج للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوه تبوك بأنهم فرحوا بالقعود بالمدينه حيث الراحه لأنهم لايريدون المشقه وبذل الجهد فى القتال

فأراد بهذا بيان

الأمر الأول

بيان أن الاهتداء إلى السبيل المستقيم الذى يصل به العبد إلى الفوز بهدايه الله والاتصال به لايوهب من دون عمل فكل شى له سنن فالعالم الارضى عالم السنن والأسباب ولكل شى طريق لتحصيله ولهذا لما تحدثت الايه السابقه عن سنه الله بأنه لايهدى القوم الفاسقين كان استعراض أسباب حرمان هؤلاء عن عنايه الله تعالى التى يحتاجها الإ نسان للوصول إلى الروحانيه التى تجعله لايجد مشقه فى طاعه الله والتى أخبرنا أنه منعها عن المنافقين بقوله (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين)

فهم محرومون من العنايه الالهيه بسبب فسقهم فالانسان لايمكنه أن ينال طهاره حقيقية خالصه الا اذا اسعفته العنايه الالهيه فالله قد أخبرنا فى موضع آخر أنه تعالى يتولى رعايه أولياءه واعانتهم على طاعته كما يقول تعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وقال تعالى (حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم)

فهذه العنايه الالهيه والانوار التى يمنحها الله للمؤمنين تدفع فيهم الرغبه والشوق والسرور فى طاعه الله تعالى وبالتالى لايجدون مشقه ولاتعب فى طاعه الله تعالى لماذا لأنه تعالى قد امده بقوة ربانيه تجعله يضحى بنفسه وماله فى سبيل الله بفرح وسرور لانه قد أخرج من قلبه كل محبوب غير الله تعالى فلم يبقى فى قلبه محبوب يزاحم محبه الله تعالى لانه مؤمن حقيقى بالله تعالى ولذلك يتنافس المؤمنون على التضحيه بالنفس والمال وأما المنافق

فإنه متعلق بالدنيا وملذاتها يريد الراحه ويكره التعب والمشقه ولهذا يقول تعالى

(فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله)

والمخلفون اسم مفعول مأخوذ من قولهم خلف فلان فلانا وراءه إذا تركه خلفه

اشاره الى تخلف المنافقين عن الخروج للقتال فى غزوه تبوك فذكر أنهم فرحوا بالقعود فدل هذا على ضعف إيمانهم وسقوط همتهم وسوء نيتهم وأنهم لم يطلبوا طريق الهدايه فهم قد فرحوا بقعودهم وعدم خروجهم وكرهوا أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله لأن قلوبهم خلت من الايمان بالله واليوم الآخر ولهذا فضلوا الدنيا على الاخره وبالتالى حرموا الهدايه لان كل فعل يفعله الإنسان يقابل بفعل من جانب الله فمن عمل الأعمال الصالحه يقابله الله بتسهيل عليه مشقه الطاعه ويرزقه الانوار التى تجعله يرى طريق الله المستقيم وإذا فعل سوء قابله الله بفعل

المفهوم الثانى

تبين الايه أن السبيل للوصول إلى عنايه الله ورحمته تتطلب تحرى الوصال بالله تعالى وهذا يتطلب معرفه الطريق الموصل إلى ذلك ولاتوجد وسيله لمعرفه ذلك الا بالسير على الطريق المستقيم الذى جاء به الانبياء لأنهم الوحيدون الذين يمكن الثقه بهم فى الحديث عن الله فهم الوحيدون الذين يتصلون بالله عن طريق الوحى لان تحرى الوصال بالله لاتعتمد على قوه عقولنا كما قلنا

ولهذا جاء ذم المنافقين وسماهم الله بالمخلفون تحقيرا لهم وإهمال لشانهم حتى لكانهم شى من سقط المتاع الذى يخلف ويهمل لانه لاقيمه له أو لان ضرره أكثر من نفعه ولبيان أنهم لايستحقون رحمه الله وعنايته لان رحمه الله الخاصه إنما تكون للمؤمنين وهذا لايتحقق إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)

وهؤلاء تخلفوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلوا القعود والراحه بل فرحوا بالتخلف

المفهوم الثالث

تبين الايه أن الوصال بالله لايتحقق إلا عندما تكون حياتنا كلها وجميع قوانا فى سبيل الله ثم لانبرح أن ندعو الله أن يساعدنا وهذا أمر يتطلب أن نجاهد أنفسنا فى سبيل الله لان كل فعل من الإنسان يقابل من جانب الله بفعل فإذا فعل عملا صالحا قابله الله بنور يرشد الإنسان إلى طريق الصواب وكلما فعل عمل سوء قابله الله بحجب انوار البصيره عنه وجعله يتبخط فى الظلمات فالله يقول فى موضع آخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فهو تعالى يخبرنا أن الذين يبذلون الجهد كله فى ابتغاء مرضاة الله سوف يجزيهم الله مقابل ذلك هدايه الى سبيل الله المستقيم

وأما من فعل اعمال سئيه ولم يريد طريق الله المستقيم وسار بطريق معوج فإن الله يقابل فعله هذا باعوجاج قلبه كما قال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)

فالوصول إلى السعاده تتطلب مجاهده النفس وبذل الجهد ولهذا فإن بناء الايه فى النظم الكريمه (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا مع رسول الله ايذانا بأن الجهاد فى سبيل الله مع كونه من آجل الرغائب التى ينبغى أن يتنافس عليها المتنافسون قد كرهوه وقد فرحوا باقبح القبائح وهو القعود خلاف رسول الله وفى الكلام تعريض مدح بالمؤمنين الذين اتمروا وذم للمنافقين (المصدر الالوسى)

المفهوم الرابع :_

أن اللازم عليك أن تدرك أن الوصول إلى العالم الروحانى يتوقف على الاستقامه الكامله والمراد بها الصدق والوفاء فالذى يتمسك بالدين هو الذى يشعر أنه يحمل كلمه الحق هو الذى يريد أن تكون كلمه الحق هى العليا هو الذى يضحى بنفسه وماله وكل شىء لاجل أن يسود الحق فلا يرهبه الاعداء فالمستقيم على الطريق الصحيح لاينتقى من الدين ما يعجبه من المسائل التى فيها الراحه ويرفض ما فيها المشقه والتعب وبذل الجهد لانه لايحب ذلك فهذا ليس بمؤمن فى حقيقه

الأمر فالمؤمن الحقيقي هو الذى يبيع نفسه وماله وكل شي في سبيل الله يميل إلى الله بصدق وإخلاص بحيث لا يبقى له أحد سوى الله وكان الناس ومن حوله قد ماتوا فهذه الاستقامه التى تجعلك أمام أمور الله كانك خاضعا ومستسلما فى كل شىء من حياتك عندها يحدث انقلاب فى حياتك وتموت وتخمد الشهوات النفسانيه من حياتك وهذا لايكون الا عندما يبلغ الإنسان فى محبه الله درجه يصبح موته وحياته لله وليس لنفسه كما قال تعالى فى موضع آخر (قل إن صلاتي ونسكى ومحيايى ومماتى لله رب العالمين)

فإنه يرزق نور الهدايه التى يقذفها الله فى قلبه ولهذا يتنافس المؤمنون على التفانون فى ابتغاء مرضاة الله ويشترون رضوانه بنفوسهم وأموالهم لينالوا رحمه الله كما وصفهم الله فى موضع آخر فقال تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)

أما المنافق الذى لم يؤمن حقيقه فإنه فرح بالقعود والتخلف لانه يكرهه الخروج وبذل الجهد فقلبه خالى من الروحانيه لانقطع صلته بالله وعدم إيمانه بالله

ولهذا يخاف من مشقه حراره الشمس فيتعذر قائلا (وقالوا لاتنفروا فى الحر)

فنظرته ماديه فهو لم يكتفى بالتخلف المذموم والرضاء بالمعصيه بل تجده يتبجح ويسخر من من مسارعه المؤمنين بالخروج للجهاد فإنه يراهم حمقى لأنهم يتنافسون على الخروج للجهاد فى وقت الحر

ولهذا يامر الله نبيه أن يتوجه بالرد عليهم على سبيل التهكم لهم والتحقير من شأنهم فقال تعالى (قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون)

فما هى حراره الدنيا مقارنه بحراره الاخره التى لاوسيله للخلاص والنجاه منها ومن اهوالها إلا أن يبيع الإنسان نفسه وماله فى سبيل الله ونيل مرضاته ويثبت ببذل نفسه أنه لله تعالى خالصا وان تكون إرادته خاضعه لاراده الله اختياريا بحيث تصدر جميع الأعمال الصالحه منه على سبيل اللذه لا على سبيل المشقه

فهذا هو السعيد الذى يضحك فى النهايه أما الشقى الذى يسير بطريق معوج فإن حياته تكون ماديه خاليه من القيم الروحانيه لانه منقطع ولهذا فإنه يخاف من حراره الشمس لانه ليس مؤمن حقيقى مؤقن بالحساب والعقاب والدار الآخرة لقد خدعه عقله وإلا لم كان منه ايثار الحياه الدنيا على الاخره فهذا لايمكن أن يصدر عن عاقل ف العاقل هو الذى ينظر إلى الغايات والنهايات فالعبره فى العواقب فالناجح هو الذي يضحك اخيرا وليس من يضحك فى البداية ثم يبكى فى النهايه فالبدايه تكون شاقه وصعبه لكن بعدها نهايه مشرفه ولهذا فإن المؤمن يجد فى طاعه الله لذه وسرور لانه يثق بالله ويحبه ويتلذذ بطاعته ولهذا يدخل الجنه وهو فى الدنيا لانه مؤمن باليقين بالله واليوم الآخر ولهذا يقول تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون)

المبحث الثاني

تبين الآيات اهميه أن يفعل العبد المأمور به ويترك المنهى عنه عن رغبه وحب لله تعالى وخوف من غضب الله تعالى ولهذا يذم الله المنافقين لأنهم فرحوا بالقعود بالمدينه ولم يخرجوا للقتال مع الرسول وأنهم يكرهون الجهاد بالنفس والمال

ويثبطون غيرهم بأن الجو حار وهناك مشقه فدل هذا أنهم لم يصدقوا فى إيمانهم بلقاء الله والوقوف بين يديه وكذلك على خلو قلوبهم من الايمان ومحبه الله تعالى ولهذا يقول تعالى (قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون) فأراد بهذا أن يدريك المؤمنون اهميه أن يدريك المؤمنون الغايات والنهايات وفضائلها وهذا يحتاج إلى علم تدرك به ذلك لان كل ما فى النفس الانسانيه من المحبه و الكراهية انما تحصل بتصور جمال النهايه وقبحها بالنظر إلى الأسباب التى توصل إلى كل نهايه فعندما يتصور الإ نسان ما اعد الله للمؤمنين من جنات ونعيم عندما يطيع الله فإن هذا التصور الذى يحصل بالتخيل له يحرك المحبه إلى ذلك المحبوب العلوى ولهذا لايحس بالمشقه ويزهد عن الدنيا نتيجه الشوق والرغبه التى تولد النشاط والمحبه التامه ولهذا يبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ولهذا يرزق روحانيه الاطمئنان كما قال تعالى (حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) وكذلك فإن نظره العبد لنهايه العصيان يجعل العبد الصادق يشفق من أن يقذف به فى النار قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنه هى المأوى) وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أن يحب فى الله ويبغض فى الله وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار

ومن هنا تبرز اهميه أن تكون طاعه الله ورسوله تابعه عن مشاعر الحب الخالص لله وان يحزن العبد ويندم إذا ارتكب معصيه ولهذا يامر الله تعالى نبيه عند رجوعه الى المدينه عليه أن يقول للطائفه التى لم تخرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك للقتال ولم يحزنوا على التخلف إذا استذنوك للخروج فى غزوه أخرى فقل لهم عقوبه لاحاجه لى بكم فأنتم لن تشاركوا معى فى معركه أخرى جزاء وفاقا على فرحكم بالقعود فقال تعالى (فإن رجعك الله إلى طآئفة منهم فاستذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بـ القعود أول مره فاقعدوا مع الخالفين)

فاحذر اخى المسلم من هذا السلوك فلا تفرح بتقصيرك عن الطاعه فإن حصل هذا فاتهم قلبك وبادر إلى علاج نفسك وتربيتها قبل أن تحل عليك العقوبه التى حلت بالمنافقين

تمضى سياق النصوص فى ذكر القوانين التى يجب التعامل بها مع المنافقين الذين أظهروا التبجح وعدم الحزن على تخلفهم لترسم لنا طريق التعامل مع المنافقين فى كل زمان فقال تعالى (ولاتصلى على أحد منهم مات ابدا و لاتقم على قبره أنهم كفروا بـالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)

ذكر المفسرون إن الايه نزلت فى عبد الله بن أبي بن سلول حيث أنه لما مات جاء ابنه عبدالله بن عبد الله وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلى عليه ويدعوا له فأنزل الله الايه التى فيها الأمر للنبى أن يتبرأ من المنافقين

ولكن سياق النصوص تدل أنها لها دلاله أعم من الحوادث الخاصه كما يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله بأنها تقرر اصلا من اصوال التقدير فى نظام الجماعه الاسلاميه فى مكافحه المنافقين فلا يكون التسامح معهم بمنح مظاهر التكريم لمن يؤثرون الراحه المستريحه على الكفاح وتحمل المشاق

تبين الايه اهميه استعمال الحوافز فى محلها ولهذا لاينبغى المجامله فى تقدير منزله بعض الأفراد من هذه الصنف لان ذلك لايجعل هنالك فرق بين المحسن والمسئ فاللازم أن يكون معيار التكريم والتقدير هو قوه الصبر و التحمل والعزيمه والثبات فهؤلاء هم أهل التكريم ليكون من هذا التكريم باعثا مشجعا للآخرين على الاقتداء بهم والسير فى طريقهم ولهذا جاء تعليل الأمر بقوله ((أنهم كفروا بـالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون)

فالجماعه لاينبغى لها أن تبذل التكريم لمن يتخلف عن الصف فى ساعه الجهاد لتبقى لهذا التكريم بالصلاه والدعاء وغيره قيمته ودوره فى تحفيز المجتمع للاقتداء بهم وبشجاعتهم لتظل القيم الروحانيه هى المعيار للرجال

فتكون هى التى تحدد قيمه الرجال ومكانتهم لتغرس هذه الثقافه فى النفوس حتى لاتطغى القيم الماديه لان طغيان القيم الماديه تودى إلى انحطاط القيم الروحانيه وتنعكس المفاهيم والموزاين بين الناس كما نشاهد اليوم حيث أصبح اللص ذكى محنك والأمين اخبل واحمق عندما سيطرت على الحياه القيم الماديه وهذا ماحذر الله منه فقال تعالى (ولاتعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

فلا تغتر بما اعطاءهم الله من أموال واولاد فليس ذلك إكراما من الله لهم كما يظن المغفلون فلا تقيم لهذا وزنا فإنما هى استدراجا لهم ليعذبهم الله بها فى الدنيا والاخره حيث يبتلى الله المستكبرين من عباده (أهل الغنى والا قتدار) فى أنفسهم باوليائه المستضعفين فى أعينهم استدراجا لهم حتى تقبض أرواحهم وهم على الكفر بما يتوهمونه أنه قوه فهذا المال والقوه ليس دليل على رضا الله مثلما أن الفقر والضعف ليس دليل على سخط الله فالمؤمن لايستمد قوته من الجاه والمال والسلطان بل يستمد ذلك من الحق والايمان بالله فالله قد جعل رسله اولى قوه فى عزائمهم وضعف فيما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ القلوب والعيون غنى فهذه هى المقياس التى يكون بها تكريم الناس الايمان والثبات والعزيمه والصبر فى مواضع الرجوله والتضحيه والبذل و العطاء والتفانى

القسم السابع

اولا

مازال الحديث يدور حول المنافقين الذين اتخذوا من إعلان الاسلام وسيله امان تحصنوا بها وهم فى الحقيقه يبطنون الكفر الذين أخبرتنا الايه السابقه أن الله يستدرجهم بكثره الأموال والأولاد حتى تزهق أرواحهم وهم كافرون

فتذكر مواقفهم من الدعوه للإيمان والجهاد فى سبيل الله ومواقفهم القبيحه لبيان انحرافهم وعدم الفائده منهم فقال تعالى (وإذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون)

وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

تبين الآية الكريمة ان الظاهر لابد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فالانسان مخلوق من جسد وروح فالباطن للروح والظاهر للجسد ولهذا فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق الباطن فهو منافق ولهذا فإن الايمان بالله ليس مجرد كلمه تنقال باللسان فلا بد من ترجمه ذلك فى واقع الحياه ولهذا يقول تعالى (وإذا انزلت سورة أن آمنوا ب الله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا مع القاعدين)

يطلب منهم أن يصدقوا فى ادعاء الايمان بأن يجعلوا قلوبهم صادقه مع ألسنتهم بحيث يكون الظاهر مطابق للباطن فالإيمان له علامات بأن يصدقه القلب وتنطق به اللسان وعلامه هذا التطابق بين الظاهر والباطن هو حدوث التحول فى الواقع العملى فقال تعالى (وجاهدوا مع رسوله)

فالاستقامه الحقيقيه والعمل الصالح ومقاومه الباطل هى الدليل على صدق الباطن ولهذا تضمنت الايه أنه طلبا منهما أمرين الأول :

الايمان بالله اى الإذعان والخضوع لله تعالى وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له..والثانى الجهاد مع رسول الله اى بالجهاد بالدعوه لدين الله والجهاد بالدفاع والذود عن دين الله فهذا فيه العزه والكرامه والفلاح ورفع الحق وهزيمه الباطل

وبالتالى فإن التعلل وعدم تنفيذ أمر الله تعالى فى القرآن الكريم يدل أن هؤلاء يدعون الايمان وهم كاذبون

الأمر الثانى

تبين الايه أن المنافقين وما لديهم من أموال واولاد لاقيمه لها فلا تتصور أنها يمكن أن تخدم الاسلام وتسخر فى الدفاع عن الدين فلا تقربهم لاجل ذلك وتكرمهم ظنا منك أن مالديهم من قوه وجاه وسلطان ومال يمكن أن يخدم المجتمع المسلم فذلك استدراج من الله حتى تزهق أرواحهم وهم كافرون فلا فائده منهم ومن أموالهم بدليل أنه إذا انزل الله سوره تامر بترجمه دعوى الايمان إلى واقع حياه والجهاد فى سبيل الله سوف تجد أصحاب السعه و القدرة والغنى الذين يمتلكون كل مقومات القتال من الصحه والعافيه والمال والسلاح يسارعون إلى طلب العذر فقال تعالى(استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين)

يطلبون الاذن مع انهم قادرين ماليا وجسديا وماديا على الحضور والمشاركة على القتال وهم يطلبون أن يقعدوا مع الذين ليسوا مامورين بالقتال لان عملهم ليس للقتال مثل النساء والصبيان أو الشيوخ والعجزه والمرضى ومن لايجد المال والنفقه وبالتالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم

الأمر الثالث

تبين الايه أن فساد الظاهر يعود إلى فساد الباطن لان الجسد تابع للقلب فإذا صلح القلب ظهر صلاح الجسد فـ الباطن اصل الظاهر كما قال ابى هريره القلب ملك والاعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم (الا وان فى الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب)

وكذلك ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله (الاسلام علانيه والايمان فى القلب) ولهذا يقول الله لنا أن المنافقين قلوبهم فاسده ولهذا فهم لايتاثرون إذا أنزلت سوره تدعوهم إلى الايمان فقال تعالى (وإذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) لان بواطنهم كافره فا لإيمان الحقيقي يظهر عند سماع ايات الله تتلى يقول تعالى فى موضع آخر(,الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثأني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال تعالى أيضا فى موضع آخر (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زداتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون)

فهذه صفات المؤمنين عند سماع ايه من القران تدعوهم إلى الايمان تقشعر جلودهم وقلوبهم من شده الخضوع وا لاذعان وهم لايفزعون إذا دعوا للجهاد لأنهم على ربهم يتوكلون أما المنافقون فهم حتى إذا نزلت سوره كامله تدعوهم للإيمان بالله والجهاد مع رسوله فإنهم لايتاثرون بل إن شده الخوف الناتج من حب الدنيا وملذاتها تدفعهم إلى تقديم الأعذار مع أنهم يمتلكون المال وكل مقومات القتال فهم لايريدون أن يطهروا بواطنهم من النفاق والجبن والبخل

والكذب فاخبرنا الله عن جوانب فسادهم لتأكيد خبث بواطنهم

المساله الاولى

بيان دناءه وحقاره نفوس المنافقين وضعف الهمم لديهم فقال تعالى(استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين)

فخص بالذكر أصحاب القدره والسعه والطاقه فكلمه الطول تقال لمن كانت يده طولى يفعل ما يشاء فهم يطلبون ا لاذن لان غيرهم معذور أما هولاء فليس لهم عذر وهذا فيه فضح وكشف بواطن المنافقين فأنت تعرف قصد القلب وعزمه

من خلال حركه الشخص القادر على فعل ما يقدر عليه فكون الفعل فى مقدوره فإنه ينهض ويقوم للتحرك أما العاجز فإنه يقعد لان الفعل فوق طاقته ولهذا يخبرنا الله أنهم طلبوا أن يقعدوا مع القاعدين والقعود يعبر به عن الذى يعجز عن الحركه فيضطر إلى السكون والجلوس لعذر

المساله الثانيه

تبين الايه قبح النفاق وأهله فهم لايستحقون الاعجاب ولا التكريم بدليل أنهم اختاروا القعود مع العجزه والنساء و الاطفال مع انهم اهل سعه ومال وقوه فقد رضوا بما هو أدنى فضلوا الدنيا على الاخره فضلوا الجبن والذل و الهوان على السير فى طريق العزه والكرامه والفلاح كيف يقبل أن يقعد مع العجزه والنساء والاطفال

المساله الثالثه

اعلم أن النفاق يولد الجبن والجبن يولد الذل والكذب ومن كان كذابا يحرم التوفيق ويعاقب بالخذلان ويهديه الكذب إلى الفجور والفجور يهديه إلى النار

فمن اختار الباطل واستمراه فانه يفقد إحساسه وينسى علمه الفطرى بالله وحبه الفطرى حيث أنه كلما ارتكب ذنبا يحصل منه فقدان الإحساس حتى يصير الجبن والذل طبعا اصليا فيه فلا ينظر لأفعاله أنها قبائح بل يراها فطنه وذكاء

واستعمل الطبع لبيان انه يألف الباطل وينسى الحق المفطور عليه

فيصبح قلبه ملوث بالمعاصى كما قال تعالى(اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)

المساله الرابعه

عليك أن تدرك أن من يقعد مع الخوالف فى وقت يستدعى منه الوقوف والثبات والعزيمه والرجوله فإن هذا عديم الإدراك والوعى بعواقب الأمور وهذا يعود إلى فساد القلب وضعف صاحبه وعدم إدراكه لعواقب الاشياء أن السكوت عن الباطل والمنكر مع قدرتك على تغييره عواقبه وخيمه على الناس فمقاومه الباطل ودحره قبل أن يستفحل أمره يكون سهلا والثمن الذى تدفعه يكون يسيرا أما إذا استقوى نتيجه تقاعس الناس وجبنهم وحرصهم على الحياه فإن الخروج من الذل والهوان تكلفته عظيمه وتجارب الشعوب فى هذا الشأن كثيره وملئيه بالاحزان ولهذا يقول تعالى (فهم لايفقهون)

واستخدم الفاء فى العطف فى قوله (فهم) يعنى ترتيب ما بعدها على ماقبلها

لان طبع القلب على النفاق يفسد الفكر فالقلب هو محل الفهم للاشياء والعلوم

ولهذا فإن المطبوع قلبه على النفاق لاينظر إلى عواقب الأمور ولا ماتنتهى إليه فأراد بهذا تأكيد فساد البواطن وأنها كانت وراء فساد العزيمه ومواقف المنافقين المخزيه

ثانيا

تأتى الايه بذكر مواقف المؤمنين البطوليه التى تتطابق فيها بواطنهم مع ظاهرهم بعد ذكر مواقف المنافقين من الدعوه للإيمان والجهاد فى سبيل الله ت لتقارن بين مواقف المؤمنين الصادقين ومواقف المنافقين لتكشف قبح المنافقين وفسادهم وانحرافهم فقال تعالى

(لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم

الأمر الأول

فقد ابتدأت الايه بهذا الاستدراك (لكن) للانتقال من بيان موقف المنافقين وقبائحهم وعدم مطابقه الظاهر للباطن فيهم هؤلاء الذين ارتضوا بحياه الذل والهوان واختاروا الذله على العزه والكرامه والدنيا على الاخره فلم يريدوا العزه والكرامه تنتقل الايه إلى الذين امتلأ ت قلوبهم بالإيمان وحب الله والصدق فى الايمان من تطابقت بواطنهم مع ظواهرهم الذين صدقوا العزم مع الله فهذا الاستدراك لاظهار منزله الايمان ومن يشرح الله صدره للإسلام كما قال تعالى

(فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بكفرين)

هنا يقول أن استرخى المنافقون عن الجهاد فإن الله قد اعزه دينه بالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الصادقون

يقول لنا أن طبيعه الايمان تختلف عن النفاق فالمؤمن يجاهد فى سبيل الله ويبذل النفس والنفيس دون تردد هذا هو المؤمن الحقيقي فأراد بهذا بيان انحراف المنافقين ودناءتهم وحقارتهم

الأمر الثانى

تبين الايه أن الجهاد سواء كان جهاد النفس أو جهاد الدعوه أو جهاد البناء والتنمية أو جهاد السيف وقتال الاعداء أمر ملزم على كل مسلم فالله لم يجعل انبياءه أولو قوه ومال وضيم بل جعلهم فقراء من حيث المال وضعاف من حيث القوه وهو تعالى قادر أن يجعل الجبال تسير معهم ذهبا وان يحشر الوحوش تقتال معهم لكن الرساله تعنى أن يكون الرسول قدوه لابد أن يتحمل تكاليف ومشقه الدعوه لانه لو كان الانبياء أهل قوه لاترام وعزه لا تضام لخضع لهم الناس بحكم الاضطرار وعندها سوف يسقط البلاء ولن يكون تميز الخبيث من الطيب ولم يبقى محل الجزاء لان الايمان سوف يكون اضطراري فلا يكون للقابلين لدعوه الانبياء أجور المتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوه والخضوع بالرهبه لايمكن أن يسمى إيمانا لان الايمان يعنى أن يكون اذعان وتصديق عن رضاء واختيار فالرسل جعلهم الله اولى قوه فى عزائمهم يقول انظروا إلى حال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه الذين حملوا مشروع الدين والدعوه مع الرسول صلى الله عليه وسلم انظروا الى الحبال التى وصلتهم بالكرامه والعز ه لقد كان منهم الصبر على الأذى محبه لله والاحتمال للمكروه من خوف الله لقد بذلوا النفس والنفيس فى سبيل الله بهمه عاليه وعزيمه قويه فقال تعالى (جاهدوا بأموالهم وأنفسهم)

فذكر المال اولا لانه مقدمه الجهاد فى سبيل الله لتجهيز المقاتل نفسه للخروج

فمن كان عازما صادقا وجازما فى عزمه فإنه لابد أن يعد العده للخروج فى سبيل الله فتلك هى مقدمه بيع النفس فى سبيل الله لانه يدل على طرح الدنيا ومافيها فهو يريد الاخره فالشوق إلى ماعند الله دفعه إلى بذل النفس و النفيس ولهذا يذكر الله نهايه هذا الطريق البركات والخيرات فقال تعالى (اولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون)

فذكر أنه يعيطهم الخيرات وهى جمع خير للدلاله على كثرتها واستعمل ال التعريف هنا اشاره الى ما وعدهم كما ق ال تعالى فى موضع آخر (وعد الله الذين آمنوا منكم .....ليستخلفنهم فى الارض ....الخ

اى بدل الذل عز وبدل الضعف قوه والأمن بدل الخوف أنها بركات لمن للذين لم يتخلفوا عن الجهاد ولهذا استعمل اسم الاشاره (اولئك لهم الخيرات)

وقصر عليهم الفلاح والسعاده والنجاح والفوز فقال تعالى (واولئك هم المفلحون)

اى المتصفون بهذه الأوصاف الذين يتحملون مشقه التكاليف ويلتزمون منهج الله هؤلاء هم الذين يقتصر عليهم الفلاح والسعاده والنجاح فى الدنيا والاخره

ولهذا تأتى الايه بعدها مبينه هذا الفلاح فقال تعالى (اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خلدين فيها ذلك الفوز العظيم)

ثالثا

بعد أن تحدثت الايتان السابقتين عن حال المنافقين من اهل المدينه الذين فضلوا القعود والراحه والتمتع عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الصادقون للقتال فى تبوك وحال المؤمنون وما أعد الله لهم تذكر الآيات حال أهل البادية كيف كان موقفهم عندما استنفر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس للقتال فلم تذكر الايه ماكان من المؤمنين من أهل البادية لان الايه السابقه شملت جميع المؤمنون فهم داخلون فيها فدلت أنهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع رسول الله ولأن الحديث يدور عن المنافقين واعذارهم الباطله الواهيه لهذا تذكر الا يه اصناف الناس من أهل البادية وفقا للمعاذير التى منعت بعضهم من الخروج مع رسول الله للقتال فى غزوه تبوك فقال تعالى (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم)

بالوقوف على الايه نجد فيها الاتى

المبحث الاول

قرأ الأعرج والضحاك (المعذرون) بالتخفيف وهذه قراءه رواها ابو كريب عن ابى بكر عن عاصم وقد رواها بعض القراء عن ابن عباس يعنى أعذر وهم أهل عذر وذكر أن الذين تخلفوا بعذر هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله لو غزوانا معك اغارت اعراب طئ على حلائلنا ومواشينا فاعذارهم الرسول صلى الله عليه وسلم

وأما القراءه الثانيه بالتشديد وهى من أعذر وفيه قد أعذر من أنذر اى أن هؤلاء قد بالغوا تكلفا فى اصطناع الأ عذار والمبررات للتخلف وذكر أصحاب هذا الرأي أن الايه نزلت فى قوم من عفار اعتذروا للرسول صلى الله عليه وسلم وهم غير محقين وأصحاب هذا الرأى ذهبوا إلى القول إن اهل الباديه فريقين فريق جاء يعتذر ويبالغ بالا عذار الكاذبة وفريق قعد اجتراء على الله ورسوله دون اعتذار

لكن المتأمل للنصوص يجد أنها ذكرت نوعين من اهل الباديه فى إطار الحديث عن اقسام الناس فى اعذارهم من الخروج للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم عندما استنفر الناس للقتال فى غزوه تبوك حيث أن الآيات السابقه تحدثت عن موقف المنافقين فى المدينه الذين فضلوا الداعه والراحة والقعود رغم انهم قادرون على القتال ومع ذلك جاء القادرون منهم طالبين الاذن وذكر بعدها حال المؤمنون بأنهم استجابوا لدعوه الرسول فطبيعه المؤمنين هو الجهاد بالنفس والنفيس فى سبيل الله وذكرت الآيات ما اعد الله للمؤمنين من جنات ثم ذكرت النصوص حال اهل الباديه وموقفهم من دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تذكر موقف المؤمنون لأ نهم داخلون فى الايه قبلها فقد شملتهم فقد فهم السامع أن جميع المؤمنون يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولأن الحديث يدور حول الأعذار والمبررات للتخلف التى منعت الناس وتقسيم الناس وتصنيفهم وفقا لذلك فهنالك اعذار صادقه مقبوله وهنالك اعذار كاذبه ولهذا فإن الايه تتحدث عن نوعين من الأعذار ١/ المعذرون أصحاب الأعذار الحقيقيه الصادقون فى ذلك ٢/الكاذبون فى اعذارهم وهم الذين قعدوا مع كذبهم فى الأعذار التى اصطنعوها

المبحث الثاني

تبين الايه أن فريضه الجهاد قد قسمت المخلفين عن البذل والتضحية والفداء داخل المجتمع المسلم فى الباديه مثل الحضر إلى قسمين الأول معذور لانه أما عاجز اوضعيف أو مريض أو لايملك الزاد والراحله

والثانى : كاذب اختلق الأعذار والمبررات كذبا لاجل أن يقعد ولا يخرج للقتال

ولهذا جاء بالعطف فى قوله (وقعد)

حيث أن الكلام فيه قياسا لأحدى الطائفتين بالاخرى ليظهر لؤم المنافقين وخستهم وفساد قلوبهم وشقاء نفوسهم فقد استغلوا الأعذار والمبررات للتخلف عن الواجب مع قدرتهم لم يريدوا المشاركه فى الجهاد فهذه هى طبيعه المنافق يريد من الدخول فى الاسلام المغانم والمكاسب لايريد المغارم والمتاعب لهذا انظر إلى حال الناس أثناء المهرجانات والاحتفالات وقارن ذلك فى حال الناس عند الجهاد والذود عن الدين والوطن بالمال والنفس لترى الفارق ستجد أثناء الاحتفالات والمهرجانات أن الكاذبون أصحاب المصالح الماديون الذين لامبادي لهم يجلسون فى الصفوف الأولى ينظرون لأنفسهم أنهم وجاهه المجتمع فهم يختارون الاماكن البارزه لاجل أن تلتقط لهم صور

لكن فى مواقف الدفاع عن الدين والوطن لاتجد ايان من هؤلاء لأهم ولا أبناءهم

رغم انهم قادرون فمن ترى تشاهد الضعفاء والفقراء أصحاب القيم والمبادئ الذين غابوا فى المهرجانات والاحتفالا ت هم الذين يقفون فى مواقف الرجوله والتضحيه والبذل والعطاء للدفاع عن الدين والوطن ترى المؤمنون الصادقون أغنياء وفقراء هم الذين يتواجدون فى مواقف البذل والتضحية والفداء ولهذا فهم من العطف أن الأ ولون صادقون فى اعذارهم وأما الآخرون فهم كاذبون فى اعذارهم

المبحث الثالث

تبين الايه أن أصحاب الأعذار لديهم عزم على القتال ولو تمكنوا لما قعدوا ولاتخلفوا وانما اقعدهم العذر وان القسم الثانى فإن قلوبهم لم تقصد الفعل ولم تعزم عليه وهؤلاء هم الكاذبون فى اعذار هم ولهذا جاء العطف (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فدل هذا أن الفريق الأول صادقون فى اعتذارهم أما الفريق الثاني فإنهم كاذبون وقد تخلفوا بدون عذر ولهذا وصفهم الله بأنهم كذبوا الله ورسوله لأنهم افتعلوا اعذار كاذبه ادعوا المرض وهم اصحاء ادعوا العجز وهم أقوياء ولهذا يقول تعالى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن الفريق الأول الصادق فى عذره رغم أنه تخلف عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم إلا أنهم كانوا منشغلين بالتفكير بالرسول الكريم وبجيش المسلمين مشاعرهم مع المسلمين كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (أن بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينه حبسهم العذر)

ولهذا اعتبرهم غير قاعدين بينما عبر عن الكاذبين فى اعذار هم بالقعود فقال (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)

اشاره الى أنهم كانوا فى فرح لأنهم تخلفوا رغم انهم قادرون على القتال

الأمر الثانى

تبين الايه فساد قلوب المنافقين ولهذا عبر عنهم بأنهم القاعدون الذين كذبوا الله ورسوله لأنهم اختلقوا اعذار

كاذبه من اجل القعود فقلوبهم لم تقصد الفعل ولم تعزم عليه لأنها لو كانت صادقه لما لجاءت إلى الأعذار و المبررات الكاذبه

لان المؤمن لايكذب كيف له أن يدعى الايمان بالله والتصديق برسوله وأنه من أهل الإيمان ويكذب ؟

لانه لو كان مؤمنا لما تجرأ على الكذب بادعاء عدم القدره على الخروج لان المؤمن يراقب الله ومن مقتضى الا يمان أن يدريك ويعلم أن الله يعلم السر وأخفى وبالتالى كيف لمؤمن أن يكذب على الله وهو يعلم أن الله يعلم أنه قادر وان ادعاءته كاذبه

أن علاقه العبد مع ربه دقيقه لايستطيع العبد أن يكذب فيها على ربه فهو تعالى يقول (يعلم السر وأخفى)

فكيف لمؤمن أن يفكر أنه بمقدوره أن يكذب على الله بادعاء الأعذار الا اذا كان يجهل معرفة ربه كيف لك أن تتخيل انك تقدر أن تخدع من خلقك من العدم وهو أقرب إليك من نفسك التى بين جنبيك

ثم إن القلب الصحيح لايقبل أن يكذب اصلا لان الفطره التى خلق بها الإنسان تجعل الإنسان يشمئز من الكذب وينفر من الكذابين وتجد من يكذب على الآخرين لايرتاح إذا كذب عليهم ويخاف من انكشاف أمره فهذه حاله طبيعيه من حالات الفطره تجعل الإنسان يتوخى الكذب فى تعاملاته مع بنى جنسه فكيف يرتاح من يكذب على ربه أليس هذا دليل على فساد الفطره ثم إن هذا القعود والارتياح بالتنصل عن الواجب بوسيله الكذب ليدل على كذب هؤلاء فى ادعاء هم الايمان بالله ورسوله لان الإيمان يجعل من حاله حب الصدق المفطور عليها الناس فوق معنى الحاله الطبيعيه وتحولها إلى خلق يتصف بها الإنسان حيث تجعل المسلم يبتعد كليه عن الدوافع النفسانيه التى تدفع الإنسان إلى الكذب وتصده عن قول الحق فالمسلم لايكذب ولو كان يترتب على قول الصدق ضررا يلحق به فهو يتمسك بالصدق فهذا الخلق يميز المؤمن عن الأطفال الذين يتحدثون بالصدق طالما ليس هنالك ضررا يلحق بهم فسلوك الاطفال يعود إلى حالات الفطره الطبيعية أما المؤمن فإن التزمه بالمنهج الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه قد رسم صوره الصدق الحقيقي بأن الصادق المؤمن بالله ورسوله هو الذى يقول الحق والصدق فى تلك اللحظه التى يهدد فيها قول الحق نفسه أو ماله أو عرضه

فما بالك فى تعامله مع ربه فكيف لمؤمن أن يكذب على ربه إذا كان مؤمنا أن ربه مطلع على حقيقه الامر فدل هذا أن قعودهم ناتج عن عدم عزم قلوبهم على الخروج مع الرسول للقتال فهم غير مؤمنين وانما يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ولهذا سماهم الله كفار فقال تعالى (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم)

الأمر الثالث

والتهديد بالعذاب فى المستقبل بالدنيا والاخره لان السين للاستقبال خصص بالذين كفروا من الفريقين فقال تعالى (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم)

وهذا أما أنه لبيان انه سوف يتوب منهم البعض فى المستقبل عن النفاق باعتبار أن أهل البادية متأثرين بطبيعة تلك البيئه التى يسودها الجهل ولهذا يلجأون إلى الكذب لأنهم لم يستوعبوا حقيقه المنهج الإسلامي نتيجه الجهل ولهذا فقد كذب هذا البعض باختلاق الأعذار طلبا للراحه وفرارا من مشقه الجهاد مع أنه مؤمن ظاهرا وباطنا وان كان ايمان ضعيف ولهذا فقد ندم وحزن لانه تخلف ولم يخرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا من المؤكد أنه ليس بدرجه المؤمنين إلا أنه يمكن إصلاحه بالتعليم والتثقيف ونقله من عقليه البدو إلى التحضر فإذا تعلم فانه سوف يتخلص من ثقافه الباديه عندها سوف يدريك أن السلامه والسعاده هى باتباع منهج الله

وهناك فريق اختلق الأعذار مع إنكار ه فهو كافر بالباطن وان أظهر الايمان

فهذا هو الذي توعده الله بالايه وهو الفريق الذى يصر على النفاق ولايترجع عنه حتى تزهق أرواحهم وهم كافرون

فالايه ابتدأت بتقسيم المعتذرين إلى قسمين قسم صادق فى اعتذاره وقسم كاذب فى اعتذاره ثم قسمت مستقبل الكاذبين فى اعتذارهم إلى فريقين قسم كذب طلبا للراحه ولكنه حزن وندم بعد ذلك أو أنه متعلق بعلم الله أنه سوف يتوب منهم البعض وقسم كذب كفرا وجحودا وهؤلاء هم الذين قال عنهم المولى سبحانه وتعالى فى موضع آخر (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)

فالذين يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالقلب ويبغضوه ويحسدوه ومن يستكبرون عن متابعته أعظم كفرا من أعمال الظاهر الذين يرتكبون المعاصى

فهؤلاء قلوبهم غير صالحه للهدايه فلهم العذاب فى الدنيا والاخره

أما الذى كان منه عدم القيام بالفعل طلبا للراحه ولكنه لايكذب الله ورسوله فى قلبه ويحب الله ورسوله ولم يكن عدم الخروج استكبارا عن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن هذا مريض القلب لكنه لم يموت بعد ويمكن مداواته من مرضه ويمكن أن يتوب ويصلح شأنه

المقطع السادس

ج

لايخفى على القارئ الذى يعيش مع الآيات اللحظات التى نزلت فيها الالم والمشقة التى كان يعانى منها الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقوم باعاده تشكيل العقول والمدراك والارادت والقلوب فى المجتمع المسلم الذى كانت مكوناته ولبنته الاولى من قبائل عربيه لم تكن تعرف الانظمه والقوانين والانضباط فالعربى لم يكن ليخضع الا لشيخ القبيله فهذا هو ولاءئه لم يكن القوانين التى تنظم العلاقه بين الحاكم والمحكوم ولهذا كان العربى يجد صعوبه بالغه فى التحول الجديد الذى أحدثته رساله الاسلام لقد كانت عقيده العربى العسكريه والقتاليه له دوافع ضيقه من حمايه القبيله والغنائم التى سوف يحصل عليها من الحرب فعندما جاء الإسلام يدعوهم للجهاد من أجل رفع الظلم عن المظلومين بهدف إرضاء الله ليس للانتقام ولا لمصلحه ماليه وجد مقاومه عنيفه من أفكار الجاهليه كان من الصعوبة أيضا غرس فكره الانتماء للدين بدل القبيله والوطن خاصه فى قلوب اولئك الذين تخلفوا بخلق المصلحه التى مثلت عقيده يؤمنون بها ويتحركون فى نطاقها واطارها فهؤلاء لم يكونوا ينظرون لمعركه الاسلام فى قتال الروم انها قضيتهم فلم يجدوا فيها مصلحه ماديه ومكسب مالى ينتفعون به بل العكس أنها تمثل لهم معاناه ومشقه وايضا كانوا يخافون من القتل نظرا لما تمثله الروم من قوه وكابوس يخافون الوقوف بمواجهته اضافه الى الجفاوه والقسوه التى اتصفت بها الباديه والتى لابد أن يكون لها تأثير سلبى على سلوك أهلها الذين يعانون الجهل وغلظه الطباع والبلاده والمرواغه والخداع ولهذا لما استنفر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس للخروج للقتال تبيانت رود الفعل تبعا لذلك لان فقدان البواعث للقتال لدى المنافقين والجهلاء من أهل البادية كانت غائبه حيث غياب العزم والقصد لدى البعض للخروج جعله يقف فى موقف صعب لايدرى ما الذى يفعله وعندما شاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عذر العاجزين عن القتال لأسباب افقدتهم القدره فقد وجد المنافقون والجهلاء طريقه للتنصل عن المشاركة فى المعركه من خلال اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف عن الجهاد فى غزوه تبوك وهم الذين اختتمت الايه السابقه بتهديدهم بالعذاب الموجع

ولأن الدوله لم يكن لديها جيش ولامال لانفاقه فى تجهيز الجيش وانما كان الاعتماد على أبناء الدين كلهم فهم مكلفون بالقتال فالمؤمن يجب أن يضع نفسه وماله تحت تصرف القياده عند الحاجه لان الجهاد لايشارك فيه غير المؤمنين ولهذا تم إعفاء الذمى من القتال وفرض عليه الجزيه مقابل ذلك أما المنافق فقد أظهر الاسلام لاجل أن يامن ماله ونفسه وهو فى الحقيقه كافر ولهذا فهو لم يعزم على القتال ولم يقصده فلجأ إلى اختلاق الأعذار مع أنه قادر وفى مقدوره القتال فأراد أن يتم إعفاءه من فرض الجهاد الذى فرضه عليه ادعاءه الايمان تحت ذريعة أنه من أصحاب الأعذار الذين اعفاءهم الاسلام عن هذا الواجب لعجزهم لهذا كان لابد من قانون واضح ومحدد يحدد الذين يسقط عنهم واجب القتال فى سبيل الله فقال تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ماينفقون)

الأمر الأول

تبين الايه أن جميع المسلمين مكلفون بالجهاد فى سبيل الله فلا عذر لأى واحد غير من سوف تبينه الآيات من التنصل عن واجب الجهاد عند الحاجه فكل من يقدر على حمل السلاح مكلف بالالتحاق بميادين القتال فهذا الأمر كان فى بدايه تاسيس الدوله لانه لم يكن هنالك جيش نظامى فى بدايه الامر بل كان كل المسلمين مكلفون بالقتال ثم بعد ذلك كان توزيع المهام عند نزول قوله (فلولا نفرت من كل فرقه منهم طائفه)

وهذا لا يعنى أن المسلمين ليسوا مكلفين بالقتال عند وجود الجيش فليس هذا صحيح بل هم جيش احتياطى يجب عليهم اجابه القياده عند الاستنفار ولهذا يقول تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل

فالجميع مكلف بالقتال

الأمر الثانى

(تحدد الايه الأعذار التى تسقط فريضه الجهاد عن من توفرت فيهم تلك المبررات ومن لايقبل منهم الأعذار)

الايه تنفى الحرج فما هو الحرج هذه الكلمه ماخؤذه من حاله اجتماع الناس فى مكان يلازم مركزها الضيق لذلك المكان مما يحدث انزعاج وضيق ولهذا استعملت هذه الكلمه فى كل معنى الضيق والازعاج ومسئوليه والتكليف التى يترتب عليها المشقه و المؤاخذه ولهذا نفهم أن الايه تسقط التكليف والمسؤولية عن أربع فئات من المسلمين على وجه التحديد هم الضعفاء العاجزون عن القتال لعله فى ابدانهم كالاعمى والاعراج والمعاق ومن فى حكمهم أو لشيخوخه أو لأنهم اطفال غير قادرين على القتال ..المرضى بشكل عام وهو العارض الذى أصاب الشخص فمنعه عن الحركه وسلبه القدره لان المعاق قد دخل ضمن الضعفاء فالمراد بالمرض هو كل عارض منع صاحبه من الحركه ..وكذلك المعدومين الذين لايجدون ما يأكلون ولايجدون ما ينفقون على ذويهم فالمقاتل عندما يخرج للقتال لابد أن يكون لاطفال ما يكفيهم من الطعام والشراب ..

وكذلك الذى لايجد الدابه التى تحمله إلى مكان القتال فهؤلاء هم الذين اعفاءهم الله بحكمه من القتال على وجه التحديد لفك ارتباط المجتمع بالماضى الجاهلى

الذى ظهر من خلال قيام البعض باستغلال إعفاء البعض من القتال لاعذار تمنعهم من المشاركه بالقتال لعجزهم ونحوه بالتعلل بذلك مع انهم ليسوا عاجزين والدافع لذلك هو النفاق وتأثير البئيه وبقايا ركام الفكر الجاهلى التى تتطلب إزالتها وفك ارتباطهم بها ولهذا كان صدور هذا التشريع مناسبا لفك ارتباط المجتمع بالماضى الجاهلى ومن ثم ربط المجتمع بمستقبله من خلال اعاده تشكيل العقول والمدراك والارادت والقلوب واعاده ترتيب أوضاعه وفقا لقواعد الإسلام وأحكامه فجاء حصر أسباب العذر وإسقاط المسؤوليه عن هذه الفئات فقط لاغير والتأكيد على المؤخذه للبقيه ليفهم الجميع أنه مكلف بالمشاركة فى الدفاع عن الدين ونشر الخير وازاله الشر

الأمر الثالث

أن هذا التشريع الذى فيه قانون الإعفاء من تكليف القتال لفئات معينه يتطابق مع العقل والمنطق وهو ما اخذت به جميع القوانين الارضيه فى الوقت المعاصر فدل هذا على عظمه الاسلام وتشريعاته

الأمر الرابع

تبين النصوص أن عدم المؤاخذه ورفع التكليف والمسؤولية عن الذين توفرت فيهم اي أن من تلك الاوصاف داله على العجز مقيد بشرط أن توجد لدي الشخص المعذور عزم فيما لو تمكن من الفعل فإنه لن يقعد ولن يتخلف ولهذا نجد الايه تذكر القيد فى الفئات الثلاثه الاولى فقال تعالى (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم)

الشرط هو اخلاصهم وحبهم لله والرسول :

فهم إذا كانوا غير قادرين على حمل السلاح فإنهم يقدرون على حمل كلمه الحق بتقديم النصيحه لغيرهم ممن يملك القدره على الخروج للقتال ويحرس المدينه ويقف بوجه المنافقين ويرفع المعنويات وينشر ثقافه الجهاد وتهئيه المجال لهزيمه العدو فالنصيحه اول مراتب مسؤوليه المسلم نحو غيره من المسلمين أو أى أمر من أمورهم وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بأن النصيحه هى الدين فقال (الدين النصيحه) اى أن المسلم الذى لاينصح غيره دينه غير مكتمل مهما كان التزامه بالواجبات فالمسلم لايقف على الحياد فلابد أن يقدم النصيحه لغيره فأنت إذا كنت محاسب فعليك أن تعلم غيرك وان تقدم لهم النصائح المفيده فى هذا المجال وكذلك

الطبيب ينصح المتدربين فلا يحتكر الخبره ويمنعها عن الآخرين والنصيحة تعنى تقديم الناصح افضل ما عنده وهى ليست مجرد قول أو ابدا رأى وانما هى فعل أيضا فمن النصيحه القيام بالأعمال التى توكل للإنسان على أكمل وجه يستطيعه ويبذل أقصى جهده ليؤديها بطريقه ناصحه ولهذا يقول تعالى بعدها (ماعلى المحسنين من سبيل)

فمن اخلص النصيحه والعمل لله واتقن عمله بأقصى ما عنده فهذا ليس عليه لؤم ولاعقاب ولامؤخذه فالله غفور يستر الذنوب وهو رحيم بعباده لم يكلفهم فوق طاقتهم

وكذلك ذكر حال فريق جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يريدون الخروج معه للقتال وطلبوا من الرسول أن يوفر لهم دابه تحملهم إلى مكان القتال فأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لايوجد لديه راحله تحملهم فرجعوا واعينهم تفيض من الدمع مع أن قوله (ولايجدون ماينفقون) تشملهم والسؤال لماذا تم ذكرهم مره اخرى :ـ

١/ترسم لنا الايه مشاعر المؤمنين الاوائل الذين تم فتح البلدان ونشر الإسلام بهم كنموذج لك لتقتدى بهم إذا أردت أن تستعيد الامه عزتها ومكانتها فأنت بحاجه الى شباب مثل هؤلاء الذين استشعرت نفوسهم قيمه الجهاد وان العزه والكرامه مرهونه بوصول الامه الى هذه المشاعر

/٢

تبين الايه أن قصد القلب وعزمه للفعل ضرورى ويلزم أن يوجد عند كل مسلم فمن لم يعزم ولم يقصد أن يقاتل فى سبيل الله وان كان معذور شرعا فإنه يصبح مثل المنافق فالإسلام يريد أن يتخلص المسلم من القعود وحب الراحه لما لها من آثار سلبيه خطيره فلا بد أن يتخلص القلب من افات النفاق فتخلف العاجز مقرون بالهمه و العزيمه على الفعل فالذى منعهم ليس عدم اردتهم لفعله بل لعدم قدرتهم عليه ولهذا إذا حصل القصد الحازم مع القدره وجب وجود المقدور فإذا لم يفعل العبد مقدروه دل أنه لم يقصد فعله وقد يحصل قصد جازم مع العجز عن المقدور فدل هذا على وجود الاراده ولكن العجز عن المقدور يتطلب أن يحصل معه مقدمات تفصح عن اراده القتال ببذل الجهد وهذه بالنسبه لمن كان المانع له عارض من فقر ونحوه لان هؤلاء الصنف كانوا يملكون نفقه أهليهم وما يأكلون لكن لايجدون ما يحملهم ولهذا تظهر الايه هذه المقدمات الداله على سلامه قلوبهم ورغبتهم فى الرغبه لديهم عظيمه للقتال فى سبيل الله فهم صادقون بنوياهم ومشاعرهم واحاسيسهم فقد عز عليهم القعود وعدم الخروج للقتال فهم باذلون لأنفسهم فى سبيل الله ولهذا عندما أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا يجد ما يحملهم إلى ارض المعركه فاضت أعينهم من الدمع حزنا والافاضه تعنى أن االعيون امتلت بالدمع ثم فاضت وكان انسكاب الدموع فالتعبير الدقيق هنا يهدف إلى إبراز صوره نقاء قلوبهم وطهارتها ليكونوا نموذجا لك اخى المسلم تقتدى بهم

ثانيا

بعد أن بينت الايه السابقه عدم مؤاخذه الذين يتخلفون عن الجهاد بسبب الضعف والمرض والمعدمين الذين لا يجدون ما ياكلون ولانفقه اهلهم ولا عن الذين لم يجدوا دابه تحملهم تبين الايه الأشخاص المؤاخذون بتخلفهم عن الخروج للقتال والذين طلبوا من النبى الاذن بالقعود فقال تعالى على سبيل الحصر (إنما السبيل على الذين يستئذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون)

وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

(اهميه أن يكون تعامل المؤمن مع الاخرين له غرض تربوى وتاديبى)

حيث نجد الايه تبين أنه يجب مؤخذه المتخلفين عن القتال فى تبوك ولهذا تحدد للمؤمنين منهم الذين يستحقون العقاب واللؤم من المتخلفين فذكرت أن الضعفاء والمرضى والمعدمين الذين لايجدون ما ينفقون والذين لايجدون ما يحملهم إلى ارض المعركه فهؤلاء لايؤخذون ويجب التعامل عليهم بالاحترام واكرامهم لانه منعهم العجز وعدم القدره ثم تبين الايه على سبيل الحصر منهم الأشخاص المستحقين للعقاب واللؤم وعدم التعامل معهم باحترام كعقوبه لهم على تخلفهم فقال تعالى (إنما السبيل على الذين يستئذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون)

أي المؤاخذون بتخلفهم عن الخروج للقتال هم الذين طلبوا الاذن بالقعود وهم أغنياء اعطاءهم الله الصحه والمال ولم ينهضوا للقتال فى سبيل الله

الأمر الثانى

(اهميه تربيه الاجيال على الشعور والإحساس بالمسؤولية عن واجباته تجاه حق ربه عليه وواجباته تجاه حق دينه وواجباته تجاه حق المجتمع وما يجب عليه من التزامات فى تحقيق أهداف الجماعه والدفاع عنها و التضحيه بالنفس والمال)

ولهذا فإن أداء الحقوق والقيام بالواجبات يتطلب أن يشعر بأن ماهو فيه من الصحه والغنى والاقتدار هى نعمه من نعم الله عليها واجبات وأنه بقدر ما ينعم به يكون الواجب عليه اكبر فواجباته ليست مثل من حرم منها فالضعيف فى بدنه أو فى عقله لايمكن أن يكون مثل الصحيح بدنيا وعقليا وكذلك فإن المريض لايمكن أن يكلف بأعمال مثل المتمتع بالعافيه ولا الفقير كالغنى

لان هؤلاء عاجزون غير مقتدرون على الكثير من الأعمال وبالتالى كيف لك أن ترضى بالقعود مع الخوالف امثال هؤلاء الذين لهم عذرهم أو النساء والصبيان الذين لم يكلفوا بالقتال ؟

كما أن اللازم على المسلم أن ينظر إلى أهداف الجماعه التى تجمع حولها المسلمين أنها هدف له ويعزم على تحقيقه بما اوتى من قوه وجهد فوجود الاراده والهمه العاليه من خلال بذل الجهد فإذا حصل العجز فإنه معذور لا ن الله لايكلف نفسا إلا وسعها لكن بذل الجهد والمحاوله يدل على. الاراده القويه فتلك المقدمات يحصل منها عدم القبول بالقعود فهذا نفسه شريفه ولهذا لامؤخذه عليهم أما اولئك الذين جاوا يعتذرون للرسول صلى الله عليه وسلم وهم من أهل الصحه والغنى والاقتدار فهؤلاء نفوسهم خاليه من الاراده لديهم ندره اراده فلم يستقبلوا الأمر بالقبول ولم ينظروا إلى الهدف الذى خرج المؤمنون لأجله أنه هدف لهم لقد كانت لهم اهداف خاصه لهذا لم يعقدوا العزم للفعل فكان اعتذرهم لامبرر له لأن الدفاع والذود عن الدين فى مقدروهم فقد اعطاءهم الله الصحه والمال فلماذا لم يخرجوا لأنهم لم ينظروا إلى الخطر الذى يهدد اهداف الامه أنه خطر يهددهم ولهذا لم ينهض لمقاومه هذا الخطر ودفعه

فهؤلاء لم يشعروا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم رغم انتفاء العجز عنهم لأن نفوسهم فارغه من اراده طاعه الله فارغه من اراده نصره دين الله لأن ارادتهم متعلقه بالدنيا وشهواتها فهم لم يصدقوا ربهم فى دعوى الايمان ولم يتلقوا العهد بقوه وقبول عزم جازم على تنفيذ مافيه ولهذا رضوا لأنفسهم القعود مع العجزه والسبب أنهم لم يدخلوا الاسلام حقيقه فلم يقبلوا العهد لان القبول يعنى أن يتدبر ما فى الأمر ويفهم ما يجب عليه والله يقول (وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيره من أمره ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

فهؤلاء لم يحدثوا أنفسهم بفهم العهد وتدبره والعمل بما فيه وتنفيذ وصايا ربهم فلم ياخذوه بقوه ولاعزيمه ولهذا

رضوا بأن يكونوا مع الخوالف العاجزين فهم لم يصدقوا فى طلب التوحيد ولم يريدوا ذلك فاردتهم خاليه من طلب الاخره ولهذا لم يحصل منهم الانقياد لأمر الله

الأمر الثالث

تبين الايه خطوره مرض القلب إذا لم يتم تعهده بالعلاج قبل أن يغلق ويطبع

فاللازم على العبد أن يتعهد نفسه بالتزكيه والتطهير من الدنس والاوساخ وتكبيرها بالهمه العاليه والعزيمه القويه و اليقين والبصيرة لان الرهبه والرغبة تعود الى النفس وشرفها وعلوها فمن كانت نفسه شريفه فإنها تطلب الاتصال بربها بهمه عاليه وعزيمه نتيجه الايمان باليقين ولهذا فإن هذا القلب يكون محلا صالحا لاستقبال انوار الله التى يجعل القلب صاحب بصيره فقوه البصيره مهم

لترى الحق من الباطل وهذه انور يرزقها الله من اطاعه وانقاد لأمره من كانت نفسه شريفه ولهذا يخبرنا الله مهانه ودناءه نفوس هؤلاء وعدم صدق إيمانهم هو الباعث وراء اختيار ماهو أدنى اي القعود مع الخوالف فالنفس الشريفه لاتقبل ذلك فلم يقوم بتزكيه نفسه وتخليصها من القذروات ولهذا فإن هذا الزيغ منهم والانحراف نتيجة إصرارهم على العصيان وعدم تزكيه نفوسهم فإن ذلك يودي الى قساوه قلوبهم ويشتد مرضهم حتى تغلف وتطمس ويقفل ويطبع على هذه القلوب ويزيغ عن الحق فقال تعالى (طبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون) عقوبه من الله على ما كان منهم من عدم الانقياد لأمر الله فقد اغلق الله منافذ التصور والعلم عنهم وعطل اجهزه الا ستقبال والإدراك لأنهم رضوا لأنفسهم البلاده والخمول والقعود فهذه النفوس تجعل صاحبها يتشبث بالسفليات وتكون ارداته فارغه مبطله خاليه من بواعث التطلع والتذوق والتجربه والمعرفة خاليه من دوافع الوجود والشهود والتأثر والتأثير فى واقع الحياه عاجزه عن الحركه الايجابيه لأنها تعيش فى ظلمات عمى القلب الذى يفقد البصيره عقوبه على ما حصل منه من زيغ ولهذا فهو يتخبط فى كل اتجاه ويقع فى كل هاويه ويصطدم بكل ما يعترض طريقه فهو فى زيغ دائم وقلبه مقفل مختوم عقوبه من الله على ما كان منهم

ثانيا

تبين الايه أن من لم يصدق الله فى طلبه ولم يصدق العزيمه ومن كان خسيس النفس ومن طبع الله على قلبه ومن كان لا اراده ولا همه ولاعزيمه لديه على الكفاح وتحمل المسؤولية والوفاء بالتزاماته فمن كان هذا حاله فإنه لايصلح للمناصب ولا التكريم لانه يمكن أن يبيع وطنه ودينه مقابل عرض قليل أنهم وكر الرذيله والخيانه فإن هؤ لاء لاعهود لهم وهم يحاولون جنى ثمرات اعمال غيرهم الشجعان الذين خاضوا المعارك ببساله فياتى هؤلاء الجبناء لاجل قطف الثمار ولهذا يخبرنا الله امثال هؤلاء ماذا سيكون رده فعلهم بعد أن يعود المسلمين الى المدينه منتصرين من تبوك فقال تعالى (يعتذرون اليكم إذا رجعنا إليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

الأمر الأول

تبين الايه أن المنافقين فى كل زمان بعد الانتصار يلجأون إلى اختلاق الأعذار والمبررات الكاذبه لعدم مشاركتهم فى القتال ضد الاعداء لاخفاء اسبابهم الحقيقيه من التخلف وهى ضعف الايمان وعدم الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم وعدم الشعور بقوميه الخطر وعدم نظرهم إلى أن أهداف الجماعه والتحرر ونشر الخير هى اهداف لهم ان هؤلاء لهم اهداف خاصه وتفكيرهم مختلف ومتباين مع أهداف الجماعه وتفكيرها فهم لايؤمنون حقيقه أنهم كاذبون ولا اعذار لديهم بل كان قعودهم ايثار للسلامه وحب الدنيا والداعه والزهد عن الاخره لكنهم يخافون أن ينكشف كذبهم

الأمر الثاني

تبين الايه أن المنافقين سوف يلجأون إلى اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف لاجل أن يحافظوا على مكانتهم عند المسلمين فيقدمون اعذار كاذبه ولهذا يخبر الله عباده فقال تعالى (قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم)

يقول الله أ خبروا هؤلاء أن هذه الأعذار والمبررات الكاذبه لاتنطوى على المؤمنين بعد اليوم لان الله قد أخبرهم بحقيقه المنافقين وكذبهم ولهذا فاالمؤمنون لايصدقون المنافقين فى اعتذارهم فأمرهم الله أن يقولوا لهم (لن نؤمن لكم)

وكلمه نؤمن لها عده معانى فمنها اعتقد وصدق مثل قول (آمن بالله) ويقال أمن بالشى أو صدقه وأمن بكذا اى صدقه كما قال تعالى (فما أمن لموسى) وكما قال اخوه يوسف (وما أنت بمؤمن لنا واو كنا صادقين) اى لن تصدقنا وقد ذهب العلماء إلى القول إنه إذا تعدت بالباء فمعناها الاعتقاد وإذا تعدت باللام فمعناها التصديق وإذا تعدت بغير الباء واللام فمعناها اعطاء الامان كما قال تعالي (الذى اطعمهم من جوع وأمنهم من خوف) هنا تعدت بنفسها وتجى بمعنى الائتمان (قال هل ائمنكم عليه إلا كما امنتكم) وان تعدت بالمفعول فمعناها القدره على اداء ا لامانه (ومنهم من أن تامنة ..الخ ومعناها هنا التصديق لن نصدقكم فى اعتذراكم الكاذب وهذا فيه

الاتى

المفهوم الاول

أن اللازم على المؤمن أن لايركن إلى من لاعهد له لأنهم يفتقدون صفات الرجوله والشجاعه ولهذا ينقضون عهودهم ولا تجدهم وقت الحاجه ويلجاون إلى تبرير عدم الوفاء بالعهد بالعجز وهذه ليست من صفات الرجال أهل النجده الذين يوفون بالعهود

المفهوم الثاني

أن الكاذب لديه الف مخرج طورئ لعدم وفاءه بالتزاماته فلا تثق فيه ولاتركن عليه ولايصلح للمناصب ولا يستحق الاحترام لانه معول هدم لامعول بناء ولابد أن يصطدم بطاقات التطور المتاحه والمحدوده يسعى على الدوام إلى أبطأ سرعه تحريك الطاقات بالتثبيط وتمزيق القدرات ومنع تجمعها أو تشيت اتجاه العمل فى اتجاهات متعدده بما لافائده منها ولهذا فإن التقليل من مكانه المنافق وعدم اظهار الاحترام له والاعراض عنه من الأسباب التى تحد من اخطاره

المفهوم الثالث

المؤمن ينتفع بقراءه القران الكريم ويستفيد من آياته ومن الاحداث التى تتحدث عنها النصوص فإذا جاء اليك شخص يريد أن يناقش فى ايات الله وأحكامه كما هو حال بعض المستعربين الذين ينتقدون حكم قطع يد السارق أو اولئك الذين يحاولون تفسير القران وفقا لاهواء الغرب إرضاء لهم فإن عليك أن تقطع النقاش معهم وترد عليهم جازما انكم كاذبون ولن نصدقكم فيما تقولون لان الله قد أخبرنا أن هذا الحكم فيه النفع والفائدة والصلاح للإ نسان وهو تعالى الصادق فيما أخبر فطالما قال تعالى هذا فهذا الأمر هو الحق فالله خالق الإنسان ويعلم مايصلح له وما ينفعه وهو الذى يملك أن يحدد ما يفعل الإنسان وما لايفعل فقد كرم الله الإنسان بهذا المنهج الذى يعرف الا نسان بربه وما يجب عليه أن يفعله وعرفه باعداءه واساليبهم فمن التزم كتاب الله وسنة رسوله فقد سلك طريق الهديه والسلامه ومن انحرف عنه فقد ضل الطريق بتأمل كلام الله فالمؤمن لايناقش فى ايه قرانيه ولايعترض على كلام الله فالحكم الالهى غير قابل للنقاش

المفهوم الثالث

ان الذى لايتامل ايات الله تعالى هو الذى تنطوى عليه اكاذيب المنافقين

الأمر الثالث

تبين الايه أن اللازم أن يعرف هؤلاء أن المسؤوليه الملقاة على عاتقهم وعاتق الجميع هى أن يحرص الإنسان على الصدق مع ربه فى جميع أموره على الدوام مع صدق العزيمه فذلك هو أساس السعاده بأداء واجبك فى صدق العزيمه وصدق الفعل فصدق العزيمه جمعها وجزمها وعدم التردد والانقياد الكامل لله فهذه هى العبره بالالتزام وليس علاقتنا الشخصيه وامزجتنا البشريه المتقلبه فعليك أن تصدق مع الله إن اردت السعاده وهذا ما أخبر الله به عباده أن يردوا على المنافقين فقال تعالى (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) إذا صدقت فى عزيمتك فإن دليل ذلك هو صدق الفعل فالعمل هو الذى يميز صدق العزيمه من كذبها فلايكفى مجرد القول فلا دلاله ولاقيمه للاقوال ما لم يصدق ذلك الفعل الصادق وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه وأن لايتخلف عنه بشى من ظاهره وباطنه فمن قصد الفعل جازم وهو قادر عليه فإن هذا يستلزم وجود المقدور لان القصد الحازم للفعل يمنع ضعف الاراده والهمه وصدق الفعل يمنعه من الكسل والخمول والقعود والفتور لانه قد يجمع العازم على أمر فإذا نام وقام وجد انحلال فى عزيمته أو قد يغلبه النوم عن امضاء عزيمته ولهذا لابد من صدق الفعل ولا معنى من ادعاء الايمان بدون عمل وصدق العمل من صحه الاخلاص وصدق التوكل بالشعور برقابه الله واطلاعه على أعمالك فهو تعالى (عالم الغيب والشهادة) والغيب ما غاب عن الناس والشهاده مايشهده الناس ويعرفونه فهو تعالى يعلم مافى هذا العالم وماغاب عنهم وماوراء ذلك من العوالم الغيبيه والإنسان فى قبضه الله وسوف يحاسب على أعماله فقال تعالي (فينبئكم بما كنتم تعملون) وفى هذا تهديد المنافقين بأن أعمالهم محسوبه عليهم ولايخفى على الله منهم شئ وسوف يجازيهم على أعمالهم يوم القيامه فاولياء الله زهدوا عن الدنيا طلبا للاخره طلبا للعاقبه الحميده فالدنيا مزرعه العمل الذى يحصده العبد ف المؤمن منشغل بما بعد الدنيا ولهذا لايتاثر بظاهر الدنيا وشهواتها لان نفسه شريفه ولهذا هانت عليه الشهوات ولهذا اماتوا قوه الشهوه التى تزين لهم الشهوات والملذات فتركوا الملذات بذكر انقطاع ملذاتها وبقاء التبعات فالمؤمن يشعر بوجود الله ولهذا يستحى أن يراه الله فى موطن معصيه

ثالثا

تبين الايه أن المنافقين وكل عديمى المسؤوليه فى كل زمان يلجأون للحفاظ على مكانتهم والتنصل عن مسؤولياتهم باختلاق الأعذار (يعتذرون اليكم إذا) ثم حين انكشاف أمرهم يظهر الندم كذبا ويطلب الصفح وهو مخادع ثم يلجأ إلى حلف العهود طلبا لرضاءكم فهذا هى طبيعه عديمى المسؤوليه فقال تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم أنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين)

الأمر الأول

يخبر الله عن مأسوف يقع فى المستقبل عند وصول المسلمين إلى المدينه فالايات نزلت فى الطريق للمدينه فقال تعالى (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم)

وهذا فيه اعجاز يدل على صدق نبو ه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه فعلا عندما رجع المسلمون إلى المدينه وتم رفض قبول اعتذار المنافقين واخبرهم المؤمنون بما قص الله عليهم من كذب المنافقين وبينوا لهم الطريق للخلاص من العقاب هو العمل بإخلاص لله تعالى فقد لجأوا إلى الحلف بالله لإسقاط تهمه النفاق عن أنفسهم لا جل أن يتوقف المسلمين عن وصفهم بالنفاق لاجل أن يتركوا توبيخهم وفضحهم فدل هذا أن تفاعل هؤلاء سلبى

فهم غير قابلين للتطور والتجاوب مع القياده لان تفاعلهم يشغله الخوف من كشف المجهول الذى يفضحهم وهذا التفاعل لاقيمه له لأنه سرعان ما يصير رماد تذره الرياح ولهذا يقول تعالى (فاعرضوا عنهم أنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون)

اتركوهم فهم لايستحقون الاهتمام فهم رجس اى أرواحهم وأعمالهم قاذره فهم عين النجاسة ودنس يوذى المشاعر وهذه الأفعال القبيحه سوف يحاسبون عليها وتكون سببا بدخولهم واستقرارهم فى جهنم خالدين

الأمر الثانى

تبين الايه أن تفاعلهم هؤلاء كما قلنا سلبى لان التفاعل الايجابى مع جهود القياده فى تحريكها يولد بالاقتناع الذى يدفعهم بالرجوع إلى الحق تكون البدايه التى ينطلقون منها مسيره الحياه صحيحه أنها التوبه النصوحا التى تبدأ بالاعتراف بالخطاء بالندم على مامضى والتصميم على عدم العوده إليه ابدا ثم ينمو بتحمل المسؤولية وعلامه ذلك ان يؤثر الصدق حيث يضر ه على الكذب حيث ينفعه وعدم الافتراء فى حديثه فى طلب إرضاء الله واجتناب سخط الله أما هؤلاء فهم يلجأون إلى الحلف كذبا لاجل إرضاء المؤمنين بعد انكشاف أمرهم فهذا تفاعل سلبى فقال تعالى (يحلفون لكم لترضوا عنهم)

فهم يلتمسون رضاء الناس بسخط الله لايطلبون رضاء الله وبالتالى فهذا التفاعل منهم سلبى لاينبغى التعويل عليه بل ينبغى الحذر منه لأن هؤلاء يطلبون أن يعاملهم المسلمون لظاهر إسلامهم كما كانوا يعاملونهم فى الماضى فهؤ لاء لم يفهموا ما العبره من المسؤوليه والالتزام أنها مرهونه بطاعه الله والانقياد الكامل لله وليس علاقتنا الشخصيه وامزجتنا البشريه المتقلبه التى تتغير من ظرف لآخر فالعبد يجب أن يحرص على رضاء الله وان يطلب رضاء الله وطريق ذلك هو الاستسلام والخضوع والخشوع والانقياد لأمر الله اما العصاه المتمردون عن طاعه الله الخارجون عن أمره فهؤلاء لايرضى الله عنهم ولهذا يختم الله بقوله

(فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين)

المقطع السابع

بمناسبة اختتام الآيات ماسيكون من المنافقين فى المدينه عند رجوع المسلمين إلى المدينه المنوره من اختلاق الأعذار لتخلفهم عن الجهاد وتأكيد ذلك بالعهود لاجل أرضاء المؤمنين وحرصهم على إرضاء الناس فهم لايطلبون رضاء الله فذكر تعالى أنه لايرضى عن القوم الفاسقين تنقل لنا الآيات اقسام أهل البادية بأنهم ينقسمون الى كفار ومؤمنين ومنافقين

فقال تعالي (الاعراب اشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود مآأنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الا عراب من يتخذ ماينفق مغرما ويتربص بكم الدوآئر عليهم دآئرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته أن الله غفور رحيم)

اولا

تتحدث ايات هذا المقطع عن تقسيم فئات المجتمع المسلم وطبقاته فابتدات بذكر الاعراب فقال تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر الا يعلموا حدود مآأنزل الله على رسوله والله عليم حكيم)

ولابد أن نقف على الاتى

الأمر الأول

منهم الاعراب :ـ

انهم اهل الباديه وسكناها وهؤلاء كانوا الى ماقبل فتح مكه يحاربون دوله الاسلام مع مشركى قريش وعندما تم فتح مكه دخلت القبائل العربيه فى دين الله أفواجا

ولابد أن المجتمع العربى فى تركيبه العضوى قد جمع بين أهل الباديه وأهل الحضر

ودوله الاسلام قد جمعت داخل كيانها المجتمع المدنى (المهاجرون والأنصار وهم المسلمون الأوائل ...ومنافقون وكفار) وهناك مجتمع البادية هم أيضا كما نفهم من الايه (كفار ومنافقين ومؤمنين)

وهؤلاء أهل البادية كان التحاقهم بدوله الاسلام مؤخرا بعد فتح مكه ومما لاشك فيه أن

ثقافه المجتمع العربى قبل الاسلام كانت بينهم عموميات يتصف بها اغلب سكان الجزيره العربيه حيث كانت معتقداتهم واحده وهى الوثنيه والأنظمة السائده هى حكم القبيله فالعربى لايخضع الا لشيخ القبيله واللغه العربيه هى لغتهم وطرق التخاطب والتباهى بالشعر وإكرام الضيف كانت صفات عموميه يتسم بها المجموع

لكن هنالك خصوصيات فى أساليب المعيشه وأنماط السلوك متفاوته بينهم نتيجه عوامل البئيه جعلت هنالك تفاوت فى قبول التحول للإسلام بين سكان الحضر وسكان البادية وكان هنالك تفاوت فى الكفر والعصيان و التمرد والنفاق بين سكان الحضر وسكان البادية وقد ظهر هذا بعد فتح مكه ولهذا جاء الإسلام يستعرض هذا التفاوت بين طبقات المجتمع المسلم بعد غزوه تبوك والسؤال هنا لماذا جاء الحديث عن تقسيم فئات المجتمع المسلم وطبقاته فى هذا التاريخ بالذات بعد غزوه تبوك ؟

الجواب :

أن توسع دوله الاسلام أفقيا باتجاه الشام بعد فتح مكه وخضوع الجزيرة العربية للإسلام فيه بدايه نفوذ دوله ا لاسلام وامتددها إلى طبقات اجتماعيه جديده فكان لابد من الاهتمام بالبناء الداخلى للدوله حتى لايكون التوسع أفقيا سببا فى انهيار الدوله من الداخل إذا تم إهمال البناء الداخلى نتيجه التوسع أفقيا دون استعياب واحتواء الداخل كما حدث أثناء الفتوحات الإسلامية فى عهد الأمويين حيث أدى التوسع أفقيا إلى ذوبان ثقافه الاسلام بثقافه الفرس وغيرها من الامم على حساب القيم والمبادئ التى حرص الإسلام على إنشاء الدوله الاسلا ميه على أساسها

ولهذا فإن الحديث عن تقسيم فئات المجتمع فى هذا الوقت بالذات لاجل تربيه المسلمين فى زمان وتعريفهم بدورهم فى نشر ثقافه الاسلام وبناء المجتمع على ثقافه الاسلام التى توجه الأفراد والجماعات فى تصرفاتهم وسلوكهم وأنماط معيشتهم ولهذا فأن ترتكز الثقافه الاسلاميه على دعامتين

الاولى

طاردة اى رافضه للقيم والمبادئ الجاهليه كالعصبيه القبليه والعرفيه وعدم الانضباط الا لسلطه القبيله وثقافه النظر للحرب بأنها لاجل الغنائم والأموال والتفاخر بالاموال والتميز بين الناس على أساس العرق واللون و الجنس وغيرها من القيم والعادات التى هى مرفوضه من وجهه نظر الإسلام

الثانيه

يدعمها الاسلام وهى القيم والمبادئ التى جاء بها الانبياء واكدها الاسلام فى القرآن من العدل والمساواة و الحرية والايمان والتعاون والتكافل والايثار والصدق والعمل والاخو ه وسياده القانون وسياده الامه وتقديم مصلحه الجماعه على المصلحه الشخصيه والتضحيه والبذل والعطاء بالنفس والمال

فقد نجح الاسلام فى بنا ء المجتمع المسلم وإقامته على أساس هذه القيم التى يرتفع بها الإنسان فى علمه وعمله وسلوكه

الأمر الثاني

إن الداعيه مطلوب منه أن يدرس أحوال المجتمع داخل الدوله وتشخيص افات المجتمع والعوامل المؤثره فى حركه طبقات المجتمع والعوائق التى تعيق تحريك تفاعل الجماهير مع قيادتها وبواعثها ولهذا ابتدأت الايه عند تناول مشكله الاعراب بذكر القاعده العامه الثابته فى وصف أهل الباديه فقال تعالى (الاعراب اشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود مآأنزل الله على رسوله والله عليم حكيم)

يصف الاعراب اى أهل البادية بأنهم أكثر وأشد وأعظم نفاقا وكفرا من أهل الحضر بعد أن بينت الايه السابقه الا وصاف العموميه للنفاق وكشفت المنافقين فى إطار الحديث عن مكونات ثقافه المنافقين بشكل عام فأخبر الله أن طبيعه المنافقين واحده وهى أنهم يلجأون إلى اختلاق الأعذار والمبررات للتخلف فإذا فضح وكشف أمره سوف يلجأ إلى إظهار الندم كذبا ويطلب الصفح عنه وهو مخادع فهو حريص على رضاء المؤمنين خوفا من فقدان مكانته ولهذا فإنه سوف يلجأ للقسم بالله لاجل إرضاء الناس بأنه لن يعود لذلك مره اخرى فهذه صفات عامه لكل المنافقين ثم ذكرت الاية خصوصيه أهل الباديه لتبين أن هنالك فرق بين سكان البادية وسكان الحضر فأهل الباديه أشد وأعظم كفرا ونفاقا من سكان الحضر لعده اسباب

المساله الاولى

تبين الايه أن البئيه لها تأثير فى سلوك الإنسان وأفعاله فالانسان يأخذ من صفات الأرض التى يعيش فيها ومن الناس فعندما تكون الأرض زراعيه وخصبه فإن ذلك ينعكس على سلوك أهلها وكذلك فإن الأرض الجدباء القاحله

تنعكس على سلوك أهلها وكذلك فإن المناخ يؤثر على امزاجه الناس فأهل المناطق الحاره يختلفون عن أهل المناطق الباردة وأهل المناطق الجباليه يختلفون فى سلوكهم عن أهل المناطق الساحليه ولهذا تجد أن أهل البادية ذو طباع غلظه وقلوب قاسيه وهذا ما يجعلهم قابلين للكفر والنفاق أكثر من أهل الحضر

المساله الثانيه

أن الجهل والغفله اصل الشر فالهوى وحده لا يستقل بفعل السئيات إلا مع الجهل لانه لايفعل الإنسان ما يضره الا اذا كان جاهلا أو غير عاقل ولهذا يقول الحق لنا أن أهل البادية أكثر كفرا ونفاقا فهم أحق الا يعلموا أوامر الله ونواهيه لأنهم محرومون من وسائل العلم فلا توجد لديهم مدراس ولا مراكز تعليم فلا يوجد لديهم لا جامعات ولامشايخ علم فقال تعالى (أجدر الا يعلموا حدود ماأنزل الله على رسوله)

فهم احرى وأولى أن يجهلوا الاحكام الشرعيه واصوال الدين فهم لايجلسون أهل العلم

فالكفر والنفاق يدور بحسب أحوال الناس من الجهل والغلظه

الأمر الثالث

تبين الايه أن معرفه احوال الناس وتأثير البئيه على الناس لايعنى أن الداعيه فى المجتمع المسلم يكتفى بمعرفه ذلك فليس المراد أن يذم أهل هذه البيئه بل المراد هو توجيه الفكر والسلوك إلى ترك هذه العادات القبيحه فتكون شخصيه المسلم رافضه لتلك العادات وكذلك تغيير البئيه ولهذا فالمراد بهذه الايه

المفهوم الاول

توجيه الامه الاسلاميه إلى نبذ حياه البداوه فهى من دعائم الجهل والبعد عن الدين

المفهوم الثاني

تدعو المسلمين إلى حياة الاستقرار عن طريق تشجيع الزراعه والصناعه والتجاره فالإسلام يدعوهم إلى ترك حياه البدواه والانتقال إلى حياه الحضر فكان مناسبا مجئ الآيات بعد العوده من تبوك وفى هذه السوره التى هى الاعلان الاخير للبشريه فالرسول صلي الله عليه وسلم يدعوهم إلى اتخاذ نمط المجتمع المدنى الذى شكله المهاجرين والأنصار فى يثرب نموذجا ونمط حياه بديل عن حياه التنقل البدوية التى كان يعيشها الاعراب فقد أراد بهذا خدمه اهداف الاسلام فى تنظيم المجتمع المسلم ونشر التعليم بين أبناءه فقد ورد عن ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (من سكن البادية جفاء ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن)

المفهوم الثالث

تحث الايه المؤمن على العلم النافع ولهذا تخبر السامع بأن فاقد العلم اقرب إلى الشر

فالمسلم بحاجه العلم النافع الذى يدله على المعروف والمنكر لان الله أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن لايعرف المعروف كيف له أن يأمر به ومن لايعرف المنكر كيف له أن ينهى عنه وكذلك أوجب علينا أن نفعل المعروف ونترك المنكر وهذا يتطلب العلم بهما حتى يكون حب المعروف وقصد فعله وبغض المنكر وقصد تركه لانه من لم يعلم الشي لايمكن أن يتصور منه حب او بغض ولافغل ولاترك ولهذا فاللازم أن يعرف المسلم اصوال الدين وأحكامه حتى ينهض للجهاد فى سبيل الله لانه يتطلب بغض الكفر وأهله ومحبه المؤمنين ولهذا فإن المؤمن بحاجه الى العلم النافع ومجالسه العلماء والدعاة الذين يساعدونك على التخلص من الجهل والشهوات وشررهما

المفهوم الرابع

تبين الآيات أن هذا التفاوت فى المواهب والاستعداد ت والشعوب والأجناس التى خلق الله الناس عليها فهذا لا ن الله عليم بما يصلح احوال الناس ومن يستحق من عباده الهدايه وحكيم فيما شرع لعباده

ثانيا

بعد ذكر أوصاف الاعراب تأتى الآيات بتصنيف مجتمع الباديه إلى قسمين (المنافق الكافر ...المؤمن الصادق) فقال تعالى (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما ويتربص بكم الدوآئر عليهم دآئرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته أن الله غفور رحيم)

وبالوقوف على الايه نجد الاتى

المبحث الأول

ابتدأت الايه بذكر المنافقين قبل ذكر المؤمنين وهذا لأن الايات فى المقطع السابق قد تحدثت عن المنافقين واختتمت بقوله تعالى (فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين)

بعد أن ذكر أن المنافقين يحرصون على إرضاء الناس ولو بسخط الله ولهذا كان مناسبا أن ينتقل إلى ذكر حال منافقين الباديه ليتصل الحديث بما قبله وقد ابتدأت الايه بأسلوب الموضوعيه فى الحديث بعيدا عن التعميم فقال تعالى (ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرما ويتربص بكم الدوآئر)

الأمر الأول

ترسم الايه لنا سيطرة الجشع والطمع على نفوس المنافقين من اهل الباديه نظرا لأن الأوضاع الاقتصادية لها تأثير عميق على الناس ولأن معركه الإنسان الاولى هو مع الطمع ونوزاع النفس المتعلقه بحب المال والانانيه فإذا انتصر على نفسه استطاع الانتصار على غيره فالحب هو العطاء والحب هو قمه هرم العباده ومن كان لا يعرف ولايعلم قيمه الاشياء فانه لايقدر على الحب لان المعرفه هى قاعده الهرم فلا يصح أن تضع القمه على ما لا قاعده له لأن حب المعروف لايكون بدون معرفته ولايمكن إنكار المنكر وبغضه بدون معرفته ولهذا فإن المنافق من هؤلاء ينظر إلى انفاق المال على الفقراء أو فى الجهاد بأنه مغرم وخساره وضياع المال لانه انانى فهو عندما ينفق يريد أن يحصل من وراء ذلك مصالح ومكاسب من جاه وسلطان فهو لاينظر أنه بذلك هو الذى يأخذ عندما ينفق لانه يتقرب إلى الله فهو لم يؤمن حقيقه فقد اختل لديه قوه الحب التى لايصل إليها إلا من يري نفسه عندما ينفق المال أنه يأخذ وليس يعطى بانفاقه

الأمر الثانى

تبين الايه اختلال قوه الغضب والنفور لدى هؤلاء وخبث نفوسهم فقال تعالى (ويتربص بكم الدوآئر)

التربص تعنى الانتظار فهم ينتظرون أن يحل بالمسلمين المصائب والدواهى والكوارث وان لايعودوا سالمين من معركتهم مع الروم والايه تذكر المنافقين باقوالهم وأفعالهم على سبيل الذم لها والنهى عنها وبيان مافيها من فساد فالله يريد أن تنكر قلوب المؤمنين هذه الأفعال وان تشهد روايتها على سبيل البغض لهم ولافعالهم فأنت عندما ترى نفسك ترتاح إذا ألمت لأخيك المسلم مصيبه فاعلم أن فيك صفات نفاق فعليك أن تتعهد قلبك بـ التزكية من هذه الأمراض لان المسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه

ولايتنظر ان يحل بالآخرين المصائب الا المنافقين ولهذا يقول تعالى (عليهم دآئرة السوء)

يدعو عليهم بالهلاك وان تحل عليهم المصائب من جميع الجهات تحيط بهم كأنها دائره مغلقه عليهم من جميع الجهات فلا يستطيعون الخروج منها فأراد بهذا التجسيم أن يشاهد المسلم صوره المنافق فى تلك الدائره فيكون مشاهدته للمنافق وأفعاله على وجه البغض والكراهية والنفور

الأمر الثالث

تدعوا الآيات المؤمنين إلى اجتناب سلوك المنافقين وان يطهر المؤمن نفسه من أفعاله وان يحاسب نفسه على الدوام فلا يسمح للخواطر والهواجس الشريره أن تتسلل إلى أعماق نفسه فإذا حدثتك نفسك باى شىء من بغض اخيك المؤمن فعليك أن تذكر أن الله يسمع اقوالك ويعلم ما تحدث به نفسك وهو تعالى مطلع على كل شى فعليك استحضار وجود الله واطلاعه على كل مافى الصدور فقال تعالى تعقيبا على ماسبق (والله سميع عليم)

المبحث الثاني

تنقل لنا الايه حال الصنف المؤمن من أهل البادية فقال تعالى

(ومن الاعراب من يتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته أن الله غفور رحيم)

الأمر الأول

أن الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر يولد الشعور والإحساس بالمسؤولية فى أداء حقوق الله عليه وحقوق بنى جنسه ولهذا فهو ينظر أن تجاوز حدود الله بالتقصير أو التهاون بما يجب عليه القيام به سوف يؤدى به إلى الهلاك فهو سوف يحاسب على أفعاله وسوف يقف بين يدي الله وهذا يكون باعثا على معرفه ما يجب عليه من واجبات واستعداد لقبول الحقيقه ولهذا فإن ذلك يكون باعثا للبحث عن واجباته ومعرفه حقوق الآخرين الذى يجب عليه أداءها لانه يؤمن بالله ويستحضر وجوده ويؤمن أنه سوف يعاقب على مخالفه احكام الله ولهذا فإنه يتخلص من الجهل ومن قساوه القلوب

الأمر الثانى

أن المؤمن عندما ينفق يطلب رضاء الله والقرب منه تعالى وليس كحال المنافقين الذين يطلبون رضاء الناس فقال تعالى(ومن الاعراب من يتخذ ماينفق قربات عند الله)

ووسيله للنيل رضاء الرسول (وصلوات الرسول) ليدعوا الرسول لهم الله أن يغفر لهم

ولهذا يقول تعالى (الا إنها قربة لهم) اى إلا أن ذلك حاصل لهم فهم ينتفعون باخلاصهم فى الانفاق ابتغاء مرضاة الله فإن الله بقربهم منه ولهذا يبشرهم بحسن العاقبه فقال تعالى (سيدخلهم الله فى رحمته) الرحمه هى التوفيق للهدايه والفوز بجنته وقد جسم الرحمه وكأنها دار يدخلون فيها وهذا مقابل ماذكر من تجسيم دائره السوء لمن اتخذ ما ينفق مغرما وختم الايه بقوله (أن الله غفور رحيم)

لبيان أنه تعالى يعفو عنهم ويستر ذنوبهم برحمته فهو غفور رحيم

القسم الثاني

اولا

لما كانت الآيات السابقه قد تحدثت ارتباط التقدم والتطور والتخلف بنظره المجتمع ومكوناته التى تسبغ النظره العامه لهذا المجتمع فالبعض يؤثر الراحه والبعض يبذل أقصى جهده وصولا إلى الاكثر فمسيره التقدم مرتبطه بحال المجتمع وامراضه واخبرنا الله أن البئيه لها دور فى عمليه التقدم والتطور أو التخلف ولما كان المجتمع المسلم بعد الفتح قد دخلت مكونات جديده للمجتمع المدنى الذى كان مجموع من المهاجرين والأنصار ومن المنافقين فقد كان الفتح العظيم لمكه دخول مكونات جديده فى تركيبه المجتمع المسلم وهذا التغيير يستلزم معرفه امراض المكونات الجديده واعداد العلاج المناسب فذكرت الايه العوامل المؤثرة فى زياده الأمراض لبيان أن الأمر يستلزم الدراسه والابحاث الميدانيه المستمرة بلا انقطاع يجب على القياده المراجعه المتواصلة بلا توقف لاجل دفع المجتمع إلى التطور والتقدم وآثاره غرائز أفراده إلى التطلع إلى الرقى مع تنظيم هذا التطلع بما يخدم مصلحه المجموع بالانتقال بالجماعة من مرحله الفلسفه إلى الحركه والعمل المعبر عن التقدم الذى نصل فيه إلى رضاء الله الذى أخبرنا أنه لايرضى عن الفاسقين المتمردين عن أوامره فالتقدم والتطور الذى ينشده المؤمنون هو طلب إرضاء الله تعالى من خلال اتحاد عناصر المجتمع المسلم واتحاد اردات هذه العناصر بحيث تنصهر فى اراده واحدة تجاهد فى سبيل الله لإنشاء نظام سياسي واقتصادي واجتماعي تسوده الإخوة و العداله وتكافؤ الفرص تنشد ابتغاء مرضاة الله

والتى استمرت كلما تقدمت الدوله واتسعت كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوا المؤمنين للمساهمة فى تأسيس دوله الاسلام وكان آخر ذلك دعوته لهم للمساهمه فى القضاء على نظام الروم الظالم ولهذا يخبرنا الله با لاتى

الأمر الأول

عن اصناف الناس داخل كيان الدوله الاسلاميه من دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم للمساهمه فى القضاء على نظام الروم الظالم

الصنف الاول

هم الذين استجابو ا لدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للخروج فى تبوك وهؤلاء من ثلاثه انواع هم المهاجرون ..ومكون الأنصار وسماهم (السابقون الاوائل من المهاجرين والأنصار) .والمكون الثالث وهم التابعون الذين أسلموا بعد بدر أو بعد الفتح وسلكوا طريق المهاجرين والأنصار

الصنف الثانى

هم المتخلفين عن الاستجابه للرسول صلى الله عليه وسلم للخروج فى تبوك من دون مبرر ولاعذر شرعى وهم ثلاث فئات

الفئه الاولى

هى فئه المنافقين من اهل الباديه حول المدينه ومن اهل المدينه فهؤلاء ذوى مهاره وفن بارع فى النفاق لدرجه انه يخفى على الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان خطورتهم وقدرتهم على إخفاء نفاقهم ويطمئن الله الرسول الكريم والمؤمنين بأن كيد هؤلاء سوف يتكفل الله برده وأنه سوف يعذبهم فى الدنيا بالقلق والخوف من انكشاف أمرهم وكذلك عند الموت وفى الاخره

الفئه الثانيه

هم اولئك الذين اعترفوا بذنبهم وربطوا أنفسهم إلى ساريه المسجد حتى قبل الله توبتهم وصدقتهم وفك الرسول رباطهم وأخذ صدقتهم

الفئه الثالثه

هم الثلاثه المخلفون الذين ترك أمرهم لحكم الله وتم مقاطعتهم خمسين يوما حتى قبل الله توبتهم

الأمر الثانى

من هم السابقون المذكورون فى الايه ومن التابعون بإحسان وما خصائص كل فريق وما علاقه ذلك بالدعوه لقتال الروم ؟

الايه تتحدث عن مواقف الناس من دعوه الاسلام الناس إلى الاتحاد والجهاد فى سبيل الله بالتضحية بالنفس و المال للوصول إلى وعد الله لهم بالاستخلاف فى الارض حيث كانت الدعوه فى العهد المكى تدعوا الى التوحيد واستمرت ثلاثه عشر عام وقد كانت بدايه الدعوه المساهمه فى تأسيس دوله العدل والمساواة وتكافؤ الفرص بعد الهجره وانتقال المسلمون إلى المدينه المنوره حيث أن الهجره مثلت نقطه تحول عظيمه فى حياه الامه حيث أصبح للإسلام دوله ونظام سياسي أقيم على مبدأ الاخوه دعا فيه الاسلام جميع مكوناته إلى الاتحاد و الجهاد والاشتراك فى تأسيس دوله العدل والمساواة وتكافؤ الفرص فهذه هى البدايه وقد كانت القاعده الاولى التى تم تكوين بها دوله الاسلام هى المهاجرين والأنصار فالمهاجرين عناصر تحملت الضغوطات والأذى فى سبيل الله فى مكه تحملت العذاب المادى والمعنوى والجوع وقد تركوا الأموال والأهل وكل شىء فى سبيل الله بالهجره إلى المدينه تنفيذا لأمر الله وكذلك فإن الأنصار قد ناصروا دين الله وتقاسموا مع المهاجرين اللقمه الواحده فهؤلاء هم القاعده الاساسيه التى كان مكوناتها من جميع الفئات الفقراء والاغنياء العرب والعجم نساء ورجال فهؤلاء هم النموذج المختار النخبه هم القاعده الصلبه الذين حملوا مشروع الدين والدعوه كل واحد منهم ساهم حمل امانه الخلافه وبذلوا الجهود البناءه المنسجمه مع الهدف تنافسوا على خدمه الاسلام وخدمه الناس فى إطار الاخاء والتراحم فهذه القاعده كانت متماسكه صلبه تحمى الدين وكانت نموذجا ونمط يقتدى به من الذين التحقوا بالإسلام بعدهم وهم المكون الثالث فقال تعالى (والذين اتبعوهم بإحسان)

وهم الذين اقتدوا بالمهاجرين والأنصار وساروا على نهجهم بالاعتقاد والقول والعمل فهؤلاء الذين استجابوا لدعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لماذا لأنهم يبتغون رضوان الله لان هؤلاء كانت لديهم الرؤيه واضحه تفهم ماذا يعنى الانتماء للإسلام ولجماعه المؤمنين فقد تخلصت من المصالح الشخصية وتخلصت من العصبيات لديها مناعه فكريه من سموم المنافقين فتنافس هؤلاء هو فى طاعه الله تنافس المواهب والكفاءات والمثابرة وا لاجتهاد فى إطار التاخى والتراحم بين أفراد المجتمع فهذه الفئات الثلاث

هى التى شكلت قاعده الاسلام الصلبه التى يعتمد عليها فى بناء دوله الاسلام لأنها انصهرت واتحدت تحت اراده ابتغاء مرضاة الله فالتزمت منهج الله فقد صدقت فى إيمانها ونجحت فى امتحان إخضاع شهوه الحب لتكون لله تعالى ولهذا باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى فقد اتصفوا بالاخلاص فالله يقول فى موضع آخر (الفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوان وينصرون الله ورسوله) فمن صفاتهم الاخلاص فى ابتغاء مرضاة الله لم يخرجوا لاجل مصلحه ولا سمعه ولاشهره فهم يطلبون رضوان الله ورضوان الله أعظم من الثواب

ولهذا يقول تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه)

ويذكر الله ما اعد لهم من جنات وبساتين وانهار خالدين فيها بلا انقطاع فهذا هو الفوز العظيم الذي لا مثيل له

وهذا فيه الاتى

المفهوم الاول

أن اللازم على المسلم حب الصحابه رضوان الله عليهم فقد كان لهم أولوية السبق فى الدخول بالإسلام فهم النموذج المثالى الذى حمل المشروع الإسلامي وقدم التضحيات فى سبيل نشر دين الله فيجب أن ننظر إليهم و الى أفعالهم بالاحترام والحب والتعظيم وان نقتدى بهم بأفعالهم ولهذا فإن الذى يسب الصحابه أو يقدح بهم فإنه قد ضل الطريق لان الله قد جعل المسير فى طريقهم هو سبيل النجاه والسلامه وقد وصى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه عندما حضره الموت بالاقتداء بهم كما ورد في حديث عبدالرحمن بن عوف أن الناس قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم عندما حضره الموت اوصينا قال عليكم باصحابى من المهاجرين والأنصار...الخ وا لايات هنا تبين لنا مكانتهم ومركزهم فى القرآن الكريم بما يوجب الاقتداء بهم رضوان الله عليهم

المفهوم الثانى

تبين الايه اهميه أن يكون التسابق والتنافس على السير نحو الخير بأن يبذل كل واحد جهوده ومهاراته فى البناء بحيث تكون اتحاد الجهود فى قالب واحد بالتعاون والتنسيق والتجميع للطاقات بحيث يكون الاجتهاد و المثابرة على خدمه الاسلام وخدمه الناس لاجل الوصول إلى رضوان الله فالمسلم يجد اللذه والسرور عندما يتفانى فى خدمه الاخرين لانه يجد فى ذلك غذاء روحاني يتصل بالله من خلال تلك الطاعه ولهذا فإن رضاء أعظم من الثواب واكبر من نعيم الجنة لان الانسان يدخل الجنه وهو فى الدنيا فالطاعات تقرب العبد من الله حتى يصل إلى اعلى مراتب الكمال وهوالنفس المطمئنه

وهذا هو رضاءهم عنه بالاطمئنان والثقه بالله فمن رضى الله عنه قذف فى قلبه انوار تحدث انقلابا عظيما فى حياته تجعله يرى بنور الله فهذا اكرم وأعظم من النعيم بالجنه وهذا فيه أعظم مراتب الرقى فى سلم درجات الا حسان أنها نعمه الاتصال بالله أنها علاقه ارتباط الانسان بربه وطاعته لربه

المفهوم الثالث

أن السبق وفقا لمفهوم الاسلام هو بمواقف الفضيله وماتقدم من أعمال فى خدمه الدين والتفانى فى خدمه الناس بحيث تنصهر ارادت جميع أبناء المجتمع باختلاف شرائحهم من فقراء واغنياء مستضعفين واقوياء فى اراده واحده تجاهد فى سبيل الله وابتغاء مرضاته فهذا هو مجال التنافس الذى يمنح فيه الجميع فرص متكافئة كى يظهر كل واحد مواهبه وجهوده فالدوله الاسلاميه تحتاج إلى جميع الكفاءات والى جهود بناءه متناسقه ومتعاونه ومنسجمه ومتكامله

المفهوم الرابع

السبق قد يكون فى الزمان أو الايمان أو المكان لكن سبق الايمان هو المعتبر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون فنحن بعدهم واوتوا الكتاب من قبلنا

واوتيناه من بعدهم فهذا البوم الذى اختلفوا فيه ..فغدا يوم اليهود وبعده النصارى) اشاره الى اننا سبقنهم باختيار الجمعه فحق السبق هو فى الايمان والعمل وان تكون بواعث ودوافع السابقين للمبادراه هى إرضاء مرضاه الله تعالى فهكذا كان حال السابقون من المهاجرين والأنصار الذين شرح الله صدروهم للإسلام لقد تسابقوا على تحمل مشقه الطاعه تسابقوا على الصبر فى سبيل الله تسابقوا على الموت فى سبيل الله تسابقوا على التضحيه بالنفس والنفيس لإرضاء الله فهذا هو التنافس الحق الذى ينبغى التنافس والتسابق عليه قال تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

فالحمقى هم الذين يتنافسون على الدنيا وملذاتها أما المؤمنون فإنهم يتنافسون على الفوز برضا الله والقرب منه وهذا أعظم تكريم يصلون اليه ولهذا نجد أن الحق يذكر ما اعد من جنات فقال تعالى (لهم جنات تجري تحتها الأنهار خلدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)

حيث يلاحظ تفرد هذه الايه عن سائر نظائرها فى القرآن الكريم بأنها جاءت خاليه (من) فى قوله تعالى (تجرى تحتها الأنهار) بعكس بقيه المواضع مذكور فيها ما نصه (تجرى من تحتها الأنهار)

وهذا لأن من تستخدم لمعنى الابتداء والانتهاء والغايه التى تبدأ الأنهار ولهذا فإن الجنات التى تبدأ بها الأنهار من تحت أشجارها اشرف من غيرها

ثانيا

تبين الآيات اهميه دراسه الحاضر الذى يمهد لمستقبلنا ونحن نفعل ذلك لابد نخلق الظروف الاكثر صلاحيه لمستقبلنا والاكثر ملائمه لتحقيق الأهداف ولهذا نجد أن الآيات تذكر لنا فئات الذين تخلفوا عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لقتال الروم

وذكر حكم كل فئه وقد ابتدات الآيات بذكر الصنف الأول وهم الذين تخلفوا بدون عذر واختلفوا اعذار كاذبه فهم لم يؤمنوا حقيقه فقال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)

وبالوقوف على الايه نجد الاتى

الأمر الأول

ابتدأت الايه بذكر أنهم منافقون من الاعراب اى من اهل الباديه المقيمين حول المدينه اضافه الى المنافقون داخل المدينه نفسها ٢/وأنهم ماهرون وحاذقون فى النفاق ومتمكنون منه ٣/ وأنهم قادرون على إخفاء نفاقهم ومشاعرهم الخبيثه لدرجه ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلمهم و جاء ذكر هذه الأوصاف لهذا الصنف بعد ذكر أوصاف القاعده الصلبه التى قامت عليها دوله الاسلام وهم المهاجرون والأنصار والذين ساروا على طريقهم فأراد بهذا

المفهوم الاول

دعوه المؤمنين إلى تأمين المجتمع من الداخل والمحيط الذى يحيط بالمدينه مركز الدوله لما لها من اهميه فقوله (وممن حولكم من الاعراب) يراد بهذه الكلمه الإنتباه لقبائل الطوق اشاره الى انها لاتدين للدوله بالولاء الكامل وكذلك هنالك منافقون داخل المدينه وبالتالى يمكن لهؤلاء أن يشكلوا ثوره مضاده من الداخل فالعدو الخارجى يمكنه استغلال هؤلاء للنفوذ إلى داخل الكيان الاسلامى وهدمه من الداخل فيجب أن تظل العيون ساهره لسد الثغرات التي قد يستغلها الاعداء من جهه ومن جهه اخرى يجب الاهتمام بالبناء الداخلى القوى المتماسك وتنشيط الطاقات والقوى الوطنية لتكون مستعده لمواجهة أى احتمالات

المفهوم الثانى

من الأخطار التى تواجه اى ثوره بعد القضاء على الانظمه الظالمه هو اصطدامها بأناس يستغلون الاسلام شعارا للانقضاض على ثمرات الثوره ولهذا تبين الآيات أوصاف المنافقين فقال تعالى (مردوا على النفاق لاتعلمهم)

اى تمرنوا عليه وتدربوا على فنون النفاق وأساليبه من الخداع والمكر والتضليل لاجل النفوذ إلى مركز القرار

وبالتالى إسقاط الثوره لدرجه ان الرسول صلى الله عليه وسلم لايعلمهم نتيجه مهاراتهم فى التخفى فأراد بهذا اظهار سلبيات المنافقين أمام العناصر الشابه المخلصه والمتطلعه للتطور والتى تشعر بالحيره وهى تبحث عن اول الطريق الصحيح من بين الطرق التى تتزدحم بالشعارات والمزايدات بعد اظهار إيجابيات السابقون الاوائل من المهاجرين والأنصار والذين ساروا فى طريقهم وعلى نهجهم ليفهم الجميع أن أول الطريق الصحيح الذى تبحث عنه هو الطريق الذى سار عليه المهاجرين والأنصار والسلف الصالح فلاتنظروا للشعارات والمزايدات بل انظروا الى الأفعال و اعرضوها على كتاب الله وسنة رسوله وعلى سنه الصحابه رضوان الله عليهم فإذا وافقت ذلك فأنتم على المحجبه البيضاء لايزوغ عنها إلا هالك فلاتنخدعوا بالشعارات المجرده عن الأفعال فمسألة علم حقيقه مافى القلوب لايعلمها الا الله تعالى فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعلم مافى القلوب فكيف بنا نحن لكن هذا لاينافى قوله تعالى (ولو نشاء لاريناكهم فلتعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم من لحن القول)

فدل هذا أن معرفه المنافقين إنما يكون من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن بعض من يخالطه من أهل المدينه منافق وان كان يراه صباحا ومساء وقد ذكر الإمام أحمد فى مسنده عن جبير بن مطعم قال قلنا يارسول الله يزعمون أننا امه ليس لنا اجر بمكه فقال لتاتينكم أجوركم ولو كنتم فى جحر ثعلب) واصغى الى رسول الله براسه فقال إن فى اصحابى منافقين والمعنى أنه قد يبوح بعض المنافقين بذلك ..وكذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما علم ببعض المنافقين أخبر بذلك حذيفه بمناسبه تواجد ه بجوراه اثنا غزوه تبوك فالايه تبين أن معرفه المنافقين باعيانهم على وجه التحديد قد يخفى لكن يجب اخذ الحيطه والحذر من أن يصل امثال هؤلاء إلى مركز القرار فى الدوله

وان الحكم على الشخص من خلال النظر لأفعاله وقت الازمات والتحديات لا مجرد الشعارات حيث أن التجربه تمحص معادن الرجال وتظهر لك حقائقهم لان الأحوال العادية يخفى عليك حقائقهم فهم قد تمرنوا جيدا على النفاق والمرواغه فقال تعالى (مردوا) واصل الكلمه من اللين والملاسه والتجرد فكأنهم تجردوا للنفاق فاظهروا الايمان وهم يبطنون الكفر فهم موجات تدفع إلى البعد عن الدين دون أن يشعر المرء لأنهم يحاولون التستر بشعارات العداله والحريه والإنسانية لغرض تجريد الشعب من مقوماته المعنويه الايمان وما يتفرع عنها من اخلا ق كريمه كالتعاون والمحبه والإخاء والتسامح والبر والاتحاد واستبدالها بعلاقات ماديه تتسع للغدر والخيانه و الخداع والصدقات المرحليه ولهذا فإن المسلم يواجه هذه الموجات بالتمسك بدينه ومقوماته المعنويه وبكتاب الله وسنه رسوله والاقتداء بالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ويتوكل على الله فهو تعالى بحمى دينه فهذه هى بدايه الطريق الصحيح من بين الطرق التى تتزدحم بالشعارات والمزايدات

الأمر الثانى

تبين الايه أن المنافقين عامل اضطراب فى المجتمع وعدم الاستقرار ولهذا فاللازم الانتبا ه من اخلاق المنافقين واللازم مواجهه ذلك بالاتحاد والإحساس بالخطر الذى يهدد الوطن أنه خطر يهدد الجميع واهميه وجود قياده رشيده وتغليب المصلحه العامه على المصلحه الخاصة فاللازم تنشيط الطاقات وتجميع القدرات والابتعاد عن مظاهر الاختلاف حتى لايستغل امثال هؤلاء ذلك فرصه لبث سمومهم وكذلك يجب أن تكون أهدافنا ورؤيتنا واضحه حتى لايستفيد امثال هؤلاء من حاله الغموض للقيام بزعزعه الاستقرار وهذا لايتحقق إلا بعد أن تمتنع قاعده البناء الصلبه فى الدوله الاسلاميه عن محاربه بعضها عندما ترتفع الامه فوق خلافاتها وصراعاتها حتى لا يتعرض اساس وجودها ذاته لأى خطر وكم نحن بحاجة اليوم إلى فهم هذه المعانى لانه لاتطور بدون استقرار ف الوحده هى هى المدخل الرئيسي للاستقرار ثم التطور فالتطور لابد أن يسبقه استقرار فإذا أخذ جنين الاراده للقاعده الاسلاميه الاساسيه ينمو فى انطلاقه فإنه يصبح عملاقا من لحظه ولادته فبرغم الازمات والتجارب الصعبه التى مر بها المهاجرون والأنصار إلا أنها عمقت مشاعر الاخوه بينهم والتماسك وكانت التجارب مثل أحد وحنين دروس يستفاد منها فشكلوا نموذج يعبر عن اراده الامه وتستلهم منهم الثبات والصمود فسار التابعين

على ماساروا عليه بالإيمان والعزيمه والصبر والثبات والتوكل على الله فإذا حصل هذا مع الأخذ بالاسباب فلا تخشى خيانه وفساد المنافقين لان الله يتولى رعايه أولياءه واعانتهم وحمايتهم من شر المنافقين ولهذا يطمئن الله المؤمنين فقال تعالى (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)

يقول الحق لعباده لاتقلقوا من فساد هؤلاء اذا انتم تمسكتم بكتاب الله وسنة رسوله مثلما فعل المهاجرين والأ نصار والذين ساروا على طريقهم واخذتم بالاسباب لتجنب خطر المنافقين فالله متكفل برد شر هؤلاء عنكم بعد ذلك فسوف يعذبهم الله فى الدنيا بالقلق والخوف من انكشاف أمرهم فهم يحسبون كل صيحه عليهم يخافون من انكشاف أمرهم وكذلك يعذبهم عند الموت ثم يردون بعد ذلك إلى عذاب عظيم فى نار جهنم

ثالثا

تذكر الايه فئه من فئات المتخلفين عن تلبيه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم لقتال الروم فقد تأخر هؤلاء عن الاستجابه ليس نفاقا وانما تكاسلا وطلبا للراحه فقال تعالى

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم

المبحث الأول

ابتدأت الايه بذكر حال هذا الفريق بأنهم تأخروا عن الجهاد تكاسلا وطلبا للراحه مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا)

الأمر الأول

مناسبه نزول الايه نزلت فى ابى لبابه وأصحابه حيث أنهم لما تأخروا عن الخروج وبعد مغادره الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك شعروا بالندم لما كان منهم فربطوا أنفسهم إلى ساريه المسجد وقالوا لن نفك الرباط الا بعد أن يعفوا عنا الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا هو الرأى الصائب وليس كما ذهب البعض للقول أنها نزلت فى ابى لبابه عندما قال لبنى قريظه الذبح وأشار بيده لحلقه فهذا القول غير صحيح لأن من ارتكب الأخطاء آنذاك هو ابى لبابه وقد ربط نفسه فى ساريه المسجد آنذاك وتلك الواقعه اقتصرت عليه وحده أما فى هذه الواقعه فقد قام جماعه بربط أنفسهم إلى ساريه المسجد فهناك آخرون كما ورد فى الايه اضافه الى ابى لبابه ومجى لفظ الجماعه يدل أن الواقعه غير ما حدث فى واقعه بنى قريظه من ابى لبابه

الأمر الثانى

تخبرنا الايه أنهم قد اعترفوا فيما بينهم البين وكذلك أمام الناس بما كان منهم من مخالفه فدل هذا

المفهوم الاول

أن استعاده الامه لفاعليتها تبدأ من الاعتراف بالخطاء يعود إلى الشجاعه والقدره على الاعتراف بالذنب فمن الأ خطاء التى نشاهدها فى مسرح الحياه اليوم هو انتشار ثقافه الجبن عن الاعتراف بالذنب ومحاوله إلقاء التبعيه عن الأخطاء على الآخرين وسياسيه التبرير فهذا الأمر من أهم معوقات عدم الاستقرار فى المجتمعات الإسلاميه اليوم ومن أهم الأسباب التى افقدت الامه فاعليتها حيث انك تشاهد الجماعات الإسلامية كلا منها تلقى اللؤم عن التخلف على الأخرى ومن هنا نفهم أسباب مانحن عليه لماذا نعيش فى تخلف لان مجتمعنا يفتقد إلى أسباب الاستقرار ولايمكن أن يوجد تطور بدون أن يسبقه استقرار

المفهوم الثانى

اللازم أن توطن نفسك على الشجاعه فى قول الحق والاعتراف بالذنب دون الحاجه الى التبرير أو إلقاء اللوم على الآخرين فقال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفورا رحيم)

فالايه عامه فى كل المؤمنين وان كانت قد نزلت بخصوص واقعه ماكان من بعض الصحابه لان العبره بعموم الأ مر لا بخصوص السبب

الأمر الثالث

تبين الايه أن هؤلاء لم يكونوا منافقين وأنهم كانوا على عقيده التوحيد قلوبهم خاليه من الشرك والكفر لانه تعالى قال (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا)

فلا يكون عملا صالحا الا اذا كان فاعله مؤمنا فشرط قبول العمل الصالح التوحيد والإيمان فدل هذا على نفى الشرك والكفر عنهم

والسؤال هنا ماهو المراد بقوله (خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا)

الجواب:ـ

خلطوا الأعمال الصالحه بالأعمال السيئه من التجرى على بعض المحرمات والتقصير فى بعض الواجبات مع الا عتراف بذلك ورجاء أن يغفر الله لهم ولهذا يقول تعالى بعدها (عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم) وهذا فيه الاتى

المساله الاولى

التوبه من الله عبده تكون :-

١/ توبه تغيير الاتجاه وهذا هى توبه الكافر بترك الكفر والشرك والاتجاه نحو طريق الاسلام

/٢

توبه التوفيق وهذه خاصه يمنحها الله عباده المخلصين فيسهل لهم الطريق كما قال تعالى(فسنيسره للحسنى)

/٣

توبه تصحيح المسار لمن انحراف فعاد إلى الله تائبا وهذا يعنى قبول توبه العبد بعد وقوع الذنب

المساله الثانيه

أن المخالط المعترف النادم الذى يثبت توبه نصوحا هو تحت الخوف والرجاء وهو أقرب إلى السلامه أما المخالط الغير معترف ولانادم على مافعل فإنه يقع فى الهلاك لقوله تعالى (عسى الله أن يتوب عليهم أن الله غفور رحيم)

وعسى فى حقه تعالى واجب فهو رجاءممن يملك اجابه الرجاء ذلك أن الاعتراف بالذنب يدل على أن القلب مازال يحس بالألم فلم يظلم ولم يموت ولهذا فتوبته مرجوه

المساله الثالثه

أن اللازم على المسلم أن يدعوا الله قبوله توبته وان يكون بين الخوف والرجاء وان لاياس من مغفره الله لعبده مهما كانت أفعاله فهو تعالى يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به فهو يمحو الذنوب ورحيم بعباده فيقبل توبه التائب

المبحث الثاني

يامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ الصدقات والزكاه من هؤلاء المخلفين الذين ربطوا أنفسهم إلى ساريه المسجد فقالوا إن نغادر موقعنا هذا حتى يطلقنا الرسول صلى الله عليه وسلم فلما اطلقهم الرسول صلى الله عليه وسلم انطلق ابولبابه وأصحابه بأموالهم فاتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل لنا أي استغفر لنا وطهرنا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا آخذ منها شئيا حتى اومر فأنزل الله الايه (خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم)

وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

أن التوبه المقبوله هى التوبه النصوحا للمعترف المخالط النادم على ماكان منه إنما تكون بالندم والعزم على عدم العود إليه ابدا وان يودى حقوق الناس وأن يعمد إلى تأديب نفسه ويطهرها من الاوساخ التى ترتبت على ماكان منه فالمعصيه لابد أن تترك أثرا سلبيا على القلب ولهذا فأنت بحاجه الى تنظيفه من هذا الأثر فلا بد أن تذيق الحسم والروح الم الطاعه كما اذقته حلاوه المعصيه ولهذا يقول تعالى (خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم)

الأمر الثانى

الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بأخذ الصدقه منهم وهو أمر لمن يقوم مقامه فى حكم المسلمين وليس كما ذهب مانعى الزكاه من التعلل بأن موت الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل الزكاه غير واجبه فى حقهم نتيجه فساد تأويل هذه الايه وهم الذين قال ابوبكر والله لو منعونى عقال بعير كانوا يودنه لرسول الله لقاتلتهم عليه

الأمر الثالث

تبين الايه أن المتخلفين من هذه الفئه كانوا يشعرون أنهم ليسوا أعضاء كاملين العضويه لأنهم تخلفوا عن الخروج للجهاد فالايه تدل على إحساسيس هؤلاء الصحابه وشعورهم بالمسؤولية وما يجب عليهم من واجب ينهضون للقيام به ولهذا فقد ادراكوا أنهم غير كاملين العضويه نتيجه التقصير الحاصل منهم ولهذا بادروا ط البين أن يأخذ منهم الصدقه ولهذا يامر الله نبيه أن يأخذ منهم الصدقه لتطهيرهم من الشح والحرص ولتنميه نفوسهم وتكبيرها بتزكيتها ويامرهم أن يستغفر لهم لأن قلوبهم كانت شاعره بالم المعصيه فهى بحاجه للا طمئنان فقال تعالى (وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم)وهذا فيه

المفهوم الاول

أن الصدقه تطهير للنفس من الشح والحرص على الدنيا وملذاتها وشهواتها وطهاره للمال من دنسه وتنميته له ف الزكاه تخليه للنفس من الرذائل وتخليه لها بالفضائل

المفهوم الثانى

ينبغى ادخال السرور فى قلب المؤمن بالكلام اللين والدعاء له بالبركه

المفهوم الثالث

يجب على الامام أن يتعامل مع الرعيه باللين ويستحب أن يدعوا لهم ولاموالهم بالبركه

المفهوم الرابع

على العبد أن يعلم أن الله يسمع أقواله ويعلم نواياه وهو تعالى يجازى على عمل الإنسان وصدق نواياه فيقبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذا كان عمل العبد طاهرا وصادقا يبتغى به وجه الله

المبحث الثالث

يريد الحق أن يغزو التوحيد أعماق النفس الداخلية للإنسان وان يبتغى العبد بعمله إرضاء الله تعالى ولهذا يقول تعالى (الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبه عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم)

وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

تبين الايه أن الوصول إلى رضاء الله يتطلب العلم والايمان الصادق باليقين والثبات على الحق ولهذا ابتدأ بالا ستفهام التقرير ى (الم يعلموا) إذا أردت أن تصل إلى رضاء الله فعليك أن تعلم من هو الله وأنه وحده الذى يقبل التوبه ووحده الذى يأخذ الصدقات فإذا كنت تريد القرب منه ونيل مرضاته فعليك أن تطلبها منه تعالى لا من أحد سواه

الأمر الثانى

تبين الايه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينفذ أمر الله تعالى فهو عبد لله مثل بقيه البشر فشرف العبد هو عبوديته لله تعالى ولهذا يقول لهم أن عدم اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم صدقه ابى لبابه وأصحابه يعود لمساله أنه لم يكن الله قد أمره بذلك ولهذا لما أمره الله أن يأخذ منهم الصدقه قبلها منهم مثلما أنه لم يفك رباطهم الا بعد أن أمره الله وأخبره أنه قبل توبتهم وبالتالى فاللازم أن يكون طلب التوبه من الله لانه تعالى هو الذى بيده قبولها أو رفضها وكذلك الصدقات عليك أن تخلص النيه وتتوجه بها إلى الله

الأمر الثالث

الايه فيها تهيج للتوبه والصدقه فهو تعالى الذى يحط الذنوب ويمحوها ولهذا يذكرهم بسعه رحمته وعموم كرمه بأنه يقبل التوبه إذا تاب العبد فهو تعالى يقبل التوبه مهما عظمت الذنوب فهو التواب الرحيم

المبحث الرابع

يتوجه السياق لهؤلاء المتخلفين بان الميدان العملى أمامهم فهو الذى يخبر بصدق توبتهم من عدمه فالانتساب للجماعه وحمل شرف الخلافه ليست مجرد احساس عاطفى يثير ذكرى أو مجرد شعارات ترفع بل ينبغى أن يترجم هذا الطموح والتطلع إلى مستقبل أفضل الى لغه حقائق فى الميدان العملى فليس من المقبول أن يقال عن هذا الجيل أنه تشبث ببدايه التجربه ولم يستفيد من نهايتها ولهذا فعليكم اللحاق بركب المؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين ساروا على طريقهم لاترجع إلى الخلف ولاعوده إلى الوراء بل التقدم إلى الأمام حتى يكون الالتحام بالموكب فيكون مشاهده اعمالكم لله ورسوله والمؤمنون فقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى

الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

والمؤمن يستحضر وجود الله وبهذا يتصل الفكر بالعمل وتكون الفاعلية ايجابيه فلا تفعل ما يسخط الله لانك تؤمن أن الله يعلم ما تفعله فيما ظهر للناس وما خفى وعلمه هذا يوجب عدله فى حسابه واقامه العقوبه وانتم فى قبضته فسوف يكون بعد الحياه موت وبهذا تحقق شرطى العقوبه القدره والعلم

رابعا

هذا الفريق لم يبت فى أمرهم وقد وكل أمره إلى ربه فقال تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم)

نزلت هذه الايه فى الثلاثه الذين تخلفوا ولم يتم البت فى أمرهم وهم هلال بن اميه وكعب بن مالك ومراره بن الربيع الذين قعدوا عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى تبوك تكاسلا وطلبا للراحه حيث قبل الله توبه ابولبابه وأصحابه الذين وثقوا أنفسهم لساريه المسجد واخذ صدقتهم وبقى هؤلاء الثلاثه لم ينزل عذرهم ولم ينزل الحكم فيهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وعندما نزلت الايه (وآخرون مرجون لأمر الله....الخ

جعل الناس يقولون هلكوا إذا لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون عسى الله يتوب عليهم حتى نزلت الايه لا حقا (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار ....إلى قوله تعالى (وعلى الثلاثه الذين خلفوا)

فكان هذا تاديبا لهم بالمقاطعة ومن هنا نفهم أن الحبس للمذنب مما جاءت به الشريعه تاديبا له حتى لايعود لفعله

القسم الثالث

بعد أن عرضت الآيات السابقه ألوانا من نفاق المنافقين تعرض الايه لونا اخر من نفاقهم وحيلهم ومؤامرتهم الخبيثة ضد الإسلام ودولته فقال تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلاالحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين افمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم و الله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

اولا

تنقل لنا الآيات صور للثورات المضاده التى تهدف إلى زعزعه الاستقرار داخل الدوله الاسلاميه بعدما يفشل الا عداء بالقضاء على الاسلام ودولته فإنهم يلجأون إلى الاستعانه بالعملاء لاثاره الفوضى من الداخل وهذا ما أشارت إليه الايه السابقه (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) ولهذا تعرض الآيات الأفعال العمليه الخبيثة التى تهدف إلى ضرب الاسلام ودولته من الداخل لبيان خطر هؤلاء فقال تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل)

الأمر الأول

فمن ادوات الثوره المضاده ؟

انهم المنتفعون من الماضى ماقبل الثورة أصحاب الامتيازات التى سلبتهم الثوره تلك الامتيازات والاحترام و

التقدير والسياده التى كانوا يحظون بها فى ظل الانظمه الفاسده المنحرفه امثال عبد الله بن أبي بن سلول الذى يرى ان الاسلام سلبه ملكه الذى كان يحلم به وابو عامر الراهب اضافه الى كل من يكره العدل والمساواة والانضباط فى حركتهم نظرا لأن الإسلام جاء بقيود على الحركه لغرض ضبط الحياة واعاده كرامه الانسان التى تميزه عن سائر المخلوقات وهذا ما أدى إلى ظهور ظاهره النفاق من هؤلاء المشدودين للماضى ويحلمون بعودته ولهذا تبين الايه أن المنافقين ضاقوا ذرعا باصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يطيقوا مشاهده اجتماع المسلمين واتحاد كلمتهم ولهذا اردوا بناء مسجد خاص بهم لاجل أن ينطلقوا من هذا المسجد للقضاء على الاسلام ودولته والعودة إلى ما كانوا عليه قبل الاسلام فقد ذكر المفسرون أن الايه نزلت بشأن ما كان من نفر من المنافقين الذين حصل التواصل بينهم وبين ابو عامر الراهب الذى كان قد تنصر قبل قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث كان يحظى باحترام وتقدير الأنصار وقومه الخزرج فكان صاحب منزله كبيره وقد دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم للدخول فى الاسلام فأبى ورفض القبول بالإسلام وأظهر معاداه الاسلام عند ما بدا الرسول صلى الله عليه وسلم بناء الدوله بعد الهجره وزاد حقده على الاسلام بعدما شاهد اسلام قومه وشاهد احترامهم للرسول صلى الله عليه وسلم وكان كلما رأى ارتفاع الاسلام ازداد عدواه للإسلام ولهذا لجاء الى التواصل مع مشركى مكه وتحزيب الأحزاب لقتال المسلمين وقد كان منه حفر حفائر فى أحد كان من شأن ذلك سقوط الرسول صلى الله عليه وسلم فيها وإصابته بجرح وكسر رباعته وشج رأسه ....وقد تقدم ابو عامر فى أول المبارزه ينادى الأنصار ويستمالهم وموافقته فلما عرفوا كلامه ردوا عليه فقالوا لا أنعم الله عليك ياعدوا الله وسبوه فقال والله لقد أصاب قومى بعدى شر وقد دعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يموت طريدا وبعد ذلك لجأ عدو الله إلى هرقل ملك الروم يطلب منه أن ينصره ضد الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم وقد وعده هرقل بذلك وبعد ذلك تواصل مع المنافقين وطلب منهم أن بجهزوا مكان لاجل أن يجمع فيه كل من يشاركهم العدواه للإسلام فقال تعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل)

وكلمه ارصاد من الانتظار وتغنى الرصد والتتبع لكل من يتفق معهم بالراى وانتظار مجى من يبغض الاسلام يريدون تجميع كل من كان على شاكلتهم فالمسجد تم بناءه إذا لاجل أن يكون مكانا يجمع فيه كل من له انتقاد سلبى ضد الإسلام كل من له موقف سلبى ويريد هدم دوله الاسلام فهم ينتظرونهم بفارغ الصبر لاجل تأسيس كيان معارض للإسلام والنظام الاسلام يريدون تجميع كل من يحارب الاسلام ويرغب فى تفكيك دوله الاسلام من الداخل من يريد تمزيق الطاقات واقامه حواجز تمنع اتحاد المسلمين تجمع يشمل اولئك الذين كانوا مستفيدين من الوضع قبل مجى الاسلام ومن الذين يريدون الفوضى ومنزعجون من الانضباط لأحكام الشرع ومن الذين لم يدركوا سبب وجودهم والغايه من الوجود لغياب المنهج الفكرى عنهم لأنهم لم يؤمنوا حقيقه فهم يحضرون مجالس الرسول ولايفهمون شيئا كما قال تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ق الوا .....ماذا قال آنفا)

من مرضى القلوب الذين لم يقبلوا بشريعه الاسلام ولاينظرون إلى الخطر الذى يهدد الامه بانه خطر مشترك يهدد كل واحد من ابناء الامه ولهذا فهم لايكتفون بعدم مواجهه هذا الخطر بل يعملون على توفير المناخ و الظروف التى تزيد من حدته ولهذا الغرض قاموا ببناء مسجد ضرار

الأمر الثانى

(المنافقون يسعون لهدم الدين من داخله)

يخبرنا الحق سبحانه وتعالى أن هنالك لون خطير من المنافقين أنهم يسعون لهدم الدين من الداخل يرفعون لا

افتات نبيله لاجل أن تنطوى على المسلمين من اقامه مشاريع تنموية دينيه خيريه تحت عنوان الخير تمجد الاس لام بينما هى فى الحقيقه مشاريع تخدم الاستعمار والأعداء لأنها تهدف إلى ضرب الدين من داخله وإضعاف اسس العقيده من داخله أنها محاولات خصوم الاسلام تخريب الثقافه الاسلاميه من داخلها وإيقاف تأثيرها وإضعاف التزام المسلم بالقيم الاسلام وإحلال ثقافه وقيم بديله كما هو حال الكثير من المراكز الدينيه اليوم التى تخدم المشروع الشيطانى والامبرالى والصهيوني فلا غرابة أن تسمع اليوم من على منابر المساجد والعلم من يتناول المقاومه الفلسطينيه بالذم والسب والشتم خدمه لأمريكا وإسرائيل والأنظمة الفاسده لقد تحولت رساله مراكز العلم الاسلاميه إلى مايشبه حال مسجد ضرار حيث أن بعض هذه المراكز أصبحت تصدر الفتاوى لاستباحه دماء العلماء والمجاهدين كما هو من أصدر الفتاوى باستباحه علماء ليبيا للاسف الشديد ومن اصدار الفتاوى باستباحه خطباء المساجد والدعاه فى عدن اليس هذه المنابر اشد خطوره من مسجد ضرار

ثم أليس مانراه من المراكز التى انشاءتها الحكومات باسم الدين لترويض الناس على القبول بالذل والهوان باسم الدين تضر بالدين ومبادئ الاسلام لاتقل خطرا عن مسجد ضرار

ثم أليس ما تفعله بعض الجماعات المتشددة من أفعال تسئ للإسلام وتشوه صورته وتحجب الاسلام عن الشعوب النصرانيه يجعل من هذه المراكز مساجد ضرارا

فاللازم أن تعلم أن المنافقون هم ادوات الكفار داخل المجتمع المسلم لضرب الدين من داخله من خلال نشر الشر باسم الدين ونشر الفوضى وتمزيق كيان الامه باسم الدين ومعاونه أعداء الله ورسوله من خلال اقامه المشاريع الخيريه مثل بناء المساجد التى تكون اداه تفكيك المجتمع واشاعه الفوضى والعصبية بين مكونات العمل الإسلا مي وتشويه صورة الإسلام فهذا هو دور المنافقين فعليكم الحذر من ذلك فلا تنطوى عليكم خداعهم فالمشاريع التى تسعى لهدم الاسلام باسم الخير ليست جديده فقد كان وجودها بالمدينه والرسول صلى الله عليه وسلم فيهم فلا تستغرب أن ترى العديد من منابر يسيطر عليها المنافقون البوم باسم الدين وهى تسعى لهدم الدين و التفريق بين المؤمنين ومعاونه من يحارب دين الله فهذه هى اهداف المنافقين فى كل زمان

فمشاريع ضرار مستمره إلى قيام الساعه يتوارثها المنافقون من جيل لآخر وهم يطورون أساليبهم ووسائلهم مواكبه لتطور البشريه فكم من وسائل إعلام ومواقع تواصل تمارس نشر الشبهات باسم الدين وتفرق الامه وتمزق كيانها باسم الدين وهو ما يجب الإنتباه له فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول ليس منا من دعا الى عصبيه)

الأمر الثالث

تبين الايه أن المنافقين يسعون إلى إضفاء المشروعيه الدينيه على أعمالهم الخبيثه ولهذا فانهم يرفعون لافتات مشاريع خير وهى فى الحقيقه شر محض فكم من المشاريع الخيريه التابعه لمنظمات دوليه تم اكتشاف قيامها بـ التواصل مع أعداء الإسلام لتضرب الاسلام من الداخل أنها تسعى من خلال الاعمال الخيريه إلى نشر الرذيلة وتعمل ضد الإسلام وكم من مدارس دينيه تسعى لشق الصف المسلم باسم الدين وتجذب إليها كل من يحقد على الاسلام وحركه العمل الإسلامي باثاره المسائل الخلافية التى تهدم وحده الامه فالاصل أن المسجد يتم بناءه من أجل ازاله الفوراق والطبقات بين أبناء المجتمع من أجل ازاله الحواجز بينهم من أجل تربيه المؤمنين على الطاعه والانضباط من أجل التمرين على الانتظام فى الصفوف وطاعه الامام والاقتداء به فى صلاه الجماعه فإذا صلى الامام جالسا لمرض ونحوه واجب على الجميع أن يصلوا جلوسا من اجل جمع إرادتهم فيحدث وحده الاراده ووحده الفكر ووحده الشعور بالخطر المشترك ولهذا فإن اثاره المسائل الخلافية انطلاقا من المسجد يعنى تمزيق الارادت وتمزيق الفكر الاسلامى وتمزيق إدراك الخطر المشترك فهذا من عمل المنافقين الذين اتخذوا من المساجد وسيله لتمزيق كلمه المسلمين تسعى لهدم الاسلام بغطاء شرعى وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

لاتنخدع بالمشاريع التى يقوم ببناءها المنافقون فانظر إلى أهداف هذه المشاريع هل تحقق الخير فعلا ام مجرد شعارات ظاهره وهى فى الباطن ضاره

المفهوم الثانى

النيه اساس قيمه العمل فالله يخبرنا أن المنافقين قاموا ببناء مسجد لكنهم لم يقصدوا بذلك أن يكون مركزا للخير بل اردوا تجميع الكفار والاضرار بالمسلمين

فالنيه الخبيثه تفسد العمل الصالح مثلما أن النيه الصالحه لاتصلح العمل الخبيث فالنوايا الخبيثه والمقاصد السئيه لاقيمه لها ولو كانت فى شكل اعمال صالحه

المفهوم الثالث

كل مشروع فيه عمل يودى إلى تفريق كلمه الامه من القبائح ومساجد ضرارا التى يجب إزالتها

ثانيا

ان قيام هؤلاء ببناء مسجد لاجل جذب كل من ينتقد الاسلام والمؤمنون وتجميع كل من يحارب الاسلام يدل على حقاره المنافقين وخبثهم وضعفهم لان النقد والسب والشتم والتخريب أمر سهل يمكن لأى انسان أن يقوم به لكن الصعب هو البناء الصعب أن تخلق قاعده فكريه يجتمع الناس حولها الصعب أن تخلق عمل بناء تلتف حوله الطاقات ولهذا تبين لنا الايه ضعف وحقاره المنافقين فقال تعالى (وليحلفن إن أردنا إلاالحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون)

فلا يبادر بالحلف الكاذب الا الضعيف العاجز عن المواجهة ولهذا يحاول هذا المنافق أن يبرر عمله بحلف اليمين الكاذبة أن غرضه هو الرفق بالمسلمين والتوسعه عليهم مع أهل الضعف والعله والمريض ومن عجز من السير إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لأداء الصلاه فالدين اهون شى على المنافق ولهذا لاتعجب أن باعه بارخص الأثمان فشعار المنافق الخير فى كل زمان والمنافق يحاول اظهار الخير وهو كاذب ولهذا

ثالثا

بعد ذلك يقول تعالى لنبيه (لاتقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)

وبالوقوف على الآية نجد الاتى

الأمر الأول

لزوم الوقوف أمام مراكز الأضرار تحت شعار الدين أو العلم التى تستغل هذا الشعار لتقويه أهل الكفر وتفريق وحده الامه وتجميع لأعداء الدين فيجب الوقوف لها بحزم لأنها تشكل خطراً على الامه ودولته لأنها تستهدف السيطره على مصدر قرار الامه السلطه الدينيه تستهدف دور المسجد الايجابى وتحويله إلى معول هدم ولهذا تنهى الايه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلى فى هذا المسجد حيث جاء إليه المنافقون قبل أن يخرج لتبوك وطلبوا منه أن يصلى فى مسجدهم فوعدهم أنه سوف يفعل ذلك عندما يعود من تبوك وقبل أن يصل إلى المدينه انزل الله الوحى الذى ينهاه أن يصلى فى هذا المسجد وقد أمر الله نبيه أن يهدمه فقال تعالى (لاتقم فيه أبدا)

الأمر الثانى

تبين النصوص أن مثل هذه المشاريع يجب هدمها وكشفها وفضح عدواتها للإسلام والانتباه من إضفاء المشروعيه عليها لما لها من دور سلبى نظرا لأن بناءها يهدف إلى محاربه الاسلام فلا تغتر بكلام المنافقين المعسول لان نواياهم خبيثه ولهذا يقسم المولى سبحانه وتعالى فقال (لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)

اى أن المسجد الذى يحقق الغرض من بناءه له أوصاف معينه

**

أن تكون اساسه التى ينبنى عليها البناء واصواله التى تتفرع عنه قائمه على أساس متين هو مراقبه الله فى كل حركه بالشعور بوجود الله فتكون العقيده أثرها وفاعليتها فى حركه المؤمنين بالاستقامه لله بطاعته طاعه من يخشى الله فى سره وعلانيته لا مرواغه الثعالب فقد استقامت نيه من بناءه لطاعه الله من اول لحظه فى بناءه باتباع كتاب الله وسنة رسوله ولزوم الجماعه فكان اساس بناءه على أساس أن الدنيا مزرعه عمل الاخره

**

أن الغرض من بناء المسجد هو أن يتطهر الإنسان من الاوساخ بتزكيه نفسه وتخليصها من التعلق بالدنيا واهلها يريد الاتصال بالله وتحرير قلبه من أسر هواه بتخليصه من الاخلاط الردئيه فقلوبهم متعلقه بالله ومحبته ولهذا يجاهدون أنفسهم لقطع المسافه الفاضله بين قلوبهم والوصول إلى ربهم والقرب منه تعالى من خلال تزكيه نفوسهم لانه النجاه للعبد ولاسلامه له من أمراض النفس وافاتها الا بأن يجعل هوى نفسه تبعا لأوامر ربه ليحظى بجنته ورضوانه فالله سبحانه وتعالى يقول (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنه هى المأوى)

ولهذا فإن هذا هو أساس بنا المساجد لاجل تزكيه النفوس وتطهيرها من الاوساخ حتى تصل النفس الى الا طمئنان بطاعته تعالى من خلال تزكيه النفس بعمل الطاعات فتتذوق حلاوه الايمان بتزكيه النفس ولهذا يقول تعالى أن الوصول لمحبته يكون بتزكيه النفس فقال تعالى (والله يحب المطهرين)

ثالثا

(افمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

الأمر الأول

تبين الايه أن طلب البر فى التقوى وأخذ العلم يكون من أهل الخشيه ولهذا فهنالك فرق بين المشاريع و المؤسسات التى يقطع بها العبد الطريق المستقيم الموصل إلى الله والدار الاخره وبين المشاريع والمؤسسات التى يرغب صاحبها نشر الرذيلة ومحاربه الدين وتقويه الكفر فاساس كلا منهما يختلف عن الآخر لأن الاولى يقوم اساس بناءها على تقوى الله والرجال الذين بداخلها يطلبون رضوان الله بامتثال أمر الله واجتناب نواهيه ولهذا فاساس هذه المؤسسه يمكن أن يطلب منها البر ويتوقع من أهلها الخير أما الفريق الثانى فليست مكانا يطلب منها البر لأنها بلا اساس ومن فيها يستبعد منهم القيام بأى خير بل يستحيل حصول ذلك منهم فقال تعالى (افمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم

حكيم)

الأمر الثانى

أن المسجد مؤسسه ينطلق منها المسلم فى حمل امانه الخلافه ينطلق منها فى مسيره حياته وسفره إلى الله و الدار الآخرة التى فيها السعاده الابدايه فالذى يريد الوصول عليه أن يعتمد على الاصوال الثابته فى اقامه دينيه يؤسس بنيانه على الاصوال الثابته أما الذين يحدثوا اصوالا مبتدعه وجعلوها قواعد وأسس دينهم فإن هؤلاء قد بنوا بناءهم على أساس خبيث وهش لان البناء يعتمد على الأساس فكلما كان الأساس قويا كان البناء اقوى وكلما كان البناء بلا اساس فإن هذا البناء معرض للسقوط لان علو البنيان على قدر توثيق الأساس وأحكامه لا ن البناء إذا تهدم يسهل تدراكه طالما أن الأساس سليم وقوى أما إذا كان الأساس غير وثيق فان البناء لايرتفع و لايثبت واذا تهدم شى من الأساس تهدم البناء كله فما هو أساس البناء ؛ أنه قوه الايمان بمعرفه الله واسماءه وصفاته أنها كلمه التوحيد الجازمه الثابته فى القلب بالتجرد الكامل والانقياد التام لله ورسوله فاصل اصوال الا يمان له أساس قوى يمكن تشيد فوقه البناء فاالعلم يوجب الخشيه من الله ومراقبته تعالى فالبناء لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الخضوع والاذعان والانقياد لله والشعور بوجود الله يريد أن يقطع المسافه التى تفصل بينه وبين ربه وهذا إنما يكون بالسير إلى الله بقلبه وبهمته يقطعها بصحه العزيمه وعلو الهمه وتجريد القصد وصحه النيه مع العمل فهذا هو احكام الأساس ثم إن اللازم شده الاعتناء به بحفظ القوه بتزكيه النفس واستفراغ الاخلاط الردئيه للوصول إلى كمالات النفس بحب تزكيه النفس والتطهير من تلك الاخ لاط ولهذا يختم الحق سبحانه وتعالى بقوله (والله يحب المطهرين)

فهؤلاء هم الذين يمكن الثقه والاطمئنان إليهم لأنهم حريصون على تحصين أنفسهم من الهوان والضعف يريدون القرب من الله انهم يعملون عن علم وكلما ازدادوا علما ازدادوا خوفا من الله وكلما ازدادوا عملا ازدادوا تواضعا و الأسس الذى أقام عليه بناءهم لزوم أمر الله واجتناب نواهيه بالصدق والاستغناء بالله عن خلقه

الأمر الثالث

تبين الايه أن الذين يسعون إلى التخريب والنسف والهدم فانه يستبعد الثقه بهم ويستحيل التعاون معهم حتى فى الأعمال الخيرية لانه لاخير فيه فقال تعالى (ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين)

يرسم مشهد لدعوه الباطل ومؤسساتها بأنها مثل من يبنى مبنى على حافه جرف اى هواه أو المكان الذى يمكن أن يجرفه الماء ويذهب به وينهار المبنى ويسقط فالايه تكشف نهايه كلا من المتقين ونهايه المنافقين الخادعين الذين يخفون وراء أعمالهم المقاصد الخبيثة بأن مؤسساتهم رخوه وهشه تزوال وتنهار لأنها بلا اساس لترى ح ال الانظمه عندما تقع فى يد امثال هؤلاء فإنهم يقودون الشعوب الى الهاوية لأنها تولد حاله عدم الاستقرار داخل المجتمع وتعيق التقدم وتشتت العقل وتحطم الاراده فيعيش أهلها فى حيره لاتعرف بدايه الطريق الذى تخرج بها من النفق المظلم والمتاهه التى داخلتها فقال تعالى (ولايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

انهم يرثون سلبيات الحيره والقلق والتوتر والريبه وعدم الاستقرار حتى يصبحون ضمن مكونات هذا الداء العضويه وظروفه الموضوعيه تتحكم فى قرارته يدور حول نفسه داخل حلقه مفرغه فى محاوله بائسه للخروج من القلق والتوتر والشك ولكن محاولات المنافق كلها باءت بالفشل بسبب عجزه أن يكون صادقا وخوفه من انكشاف أمره وافتضح خبثه ونفاقه فيتوه فى هذا القلق والحيره ولايجد مخرجا فالايه تبين نهايه طريق الخارجين عن منهج الله وترسم الطريق المستقيم والحركى للمؤمنين ونهايه طريق حركه المنافقين فوالله لو وقفنا مع أنفسنا اليوم ونظرنا إلى الانظمه فى المجتمعات الإسلامية نجد أنها قد تاهت فى طريق الحيره والقلق

تتخبط وهى تبحث عن من ينقذها ولهذا نرى وسائل الإعلام التابعه لها تستجدى الشرق والغرب طلبا للرفاهيه لها ولشعوبها ولاتجده لأنها تركت منهج الله

المقطع الثامن

بعد أن بينت النصوص السابقه اهميه التزكيه للقلوب وتطهيرها من الاخلاط الردئيه وصولا إلى الكمالات التى تجعلها اهلا لنيل رضوان الله و السعاده الابدايه فى جنه عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فالمتقون هم الذين ينتفعون بالمنهج الربانى ويحصل لهم تزكيه النفوس وتطهيرها وهذا يتطلب العلم والمعرفة بالله وغناءه وعظمته وأنه الخالق وبره وإحسانه وتعرف نفسك وافتقارك لله تعالى فإن هذا يجعلك تصدق فى الطلب رضوان الله تعالى الذى فيه السعاده ودخول الجنه وهنا قد يقول قائل كيف يكون الوصول إلى رضوان الله ..وكيف يكون الصدق فى الطلب ماهى الاوصاف التى تجعل المؤمن صادقا فى طلبه فقال تعالى

اولا

(أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراه و الانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)

الدرس الاول

تبين الايه المنهج الحركى للتنظيم الايمانى وشروط العضويه والانتساب لهذا التنظيم ليكون عضوا كامل العضويه فى جماعه المؤمنين الذين تربطهم بالله رابطه الايمان التى تنبثق عن عقد الايمان وعقد البيعه بين العبد وربه عند دخوله الاسلام ولهذا ابتدأت الايه بذكر أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مع أن الا شتراء حقيقه لايجوز على الله تعالى لان المشترى إنما يشترى ما لايملكه بينما الإنسان وماله هو ملك لله تعالى فجاء ذكر البيع والشراء مجازا هنا لتأكيد الجزاء ولأنه تعالى قد ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بصيغه الا شتراء وجعل الثواب مقابل الطاعه ثمنا لذلك فأخبر أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم على أن يكون مقابل ذلك الجنه فذكر اركان العقد كامله فالبائع المؤمن ...٢ والمشترى هو الله تعالى ٣/والمتاع محل البيع هو النفس والمال

٤/والثمن هو الجنه ٥/ طريقه التسليم للبضاعه أن تجاهد فى سبيل الله تبذل جهدك فأنت قد بعت النفس والمال وبالتالى فعليك أن تقاتل الكفار فتقتلهم وقد يقتلوك فأنت بذلك قد قمت بما عليك وان الوعد سوف يتحقق لا محاله ٦/ أن توثيق المعامله ثابته فى الكتب السماويه السابقه وهذا فيه الاتى

الأمر الأول

يريد منك أن تدرك حقيقه العلاقه التى تربطك بربك أنها رابطه الايمان ولهذا عليك أن تدرك أن الإيمان ليس مجرده كلمه تنقال بالافواه وليس مجرده عاطفه تحس بها القلوب بل هو أعلى من ذلك أنه يتطلب منك أن تسلم البضاعه للمشترى فلا تسبقى شئيا من السلعه يتطلب منك أن تحرق حياتك السفليه وتحرق الاصنام الباطله ثم تضع نفسك نفائسك وحياتك وملكاتك وكل قواك فى سبيل الله وتتصل بالله تعالى ولهذا يقول تعالى

(يقاتلون فى سبيل الله)

بيانا للغرض الذى لأجله اشتراهم (فيقتلون ويقتلون) فالثمن الجنه سواء قتلوا المشركين أو استشهدوا

الأمر الثانى

يريد منك الحق أن تستشعر اللحظه بانك تتعاقد مع الله تعالى فالعقد عظيم ولهذا فإن عليك أن تنهض لمقاومه

الطاغوت والتضحيه والبذل للنفس والمال فى سبيل الله وهذا يتطلب منك أن تعرف طريق الله المستقيم الذى يصل بك الى الله تعالى والى جنته وهذا إنما يكون من خلال العلم الصحيح والمعرفة بالله تعالى وغناءه وعظمته وكماله ومعرفه نفسك بضعفك وافتقارك وحاجتك إلى الله لتصدق فى طلب رضوان الله الذى فيه السعاده الابدايه لان قدر السلعه تعرف بقدر مشتريها فمن عرف أن المشترى عظيم وهذا يتطلب منك الايمان بـ اليقين فالعلم الصحيح والايمان باليقين هما أساس النهوض الحركى فى سبيل الله لأن من لايعرف الطريق المستقيم الذى يضحى بنفسه وماله فيه فإنه يضل الطريق وكذلك فإن الذى لايوقن بالحساب والعقاب ويشك فى الجزاء مقابل التضحيه بالنفس والمال فان الشك يجعل قلبه فى ريبه ولهذا من الصعب على سكن الشك و الريبة قلبه البذل والتضحية ولهذا جاء بهذه الايه بعد أن اختتمت الايه السابقه (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

فمن بنى عقيدته على الشك فإن بناءه هش ولايصلح لصفقه البيع والشراء مع الله ولهذا ابتدأ بهذه الايه بعد بيان حال المنافقين ومعاناتهم من الشك والقلق والريبه لبيان السبيل للخروج من الالم والمعاناه بأنه يكون يبيع الإنسان نفسه وماله فى سبيل الله ونيل مرضاته سبحانه وتعالى فهذا هو طريق الاستقامه الصادقه فطريق النجاه من ذلك هو بالصدق مع الله وهذا لايناله الا من صح علمه وثبت يقينه ولهذا فهذا ينهض للاستعداد لدار الخلود من لحظه أن سمع أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه....الخ

فقد علموا بعد الجهل وكان لهم الانس بعد الوحشه والقرب من الله بعد البعد ولهذا فشعارهم الثقه بوعد الله و التوكل عليه فهو اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه ولهذا يضحى بنفسه وماله فى سبيل الله

الدرس الثانى

تهدف الآيات إلى تربيه المؤمنين على الانقياد التام والكامل لله فهذه هى اساس العلاقه بين العبد وربه ولهذا تخاطب الايه الكريمه وجدان المؤمن وقلبه وعقله تقول له من اشترى منك نفسك وماتملك من أموال أليس الله تعالى وماهو الثمن أنه الجنه فإذا كان المشترى عظيم والثمن للسلعه عظيم فإن اللازم عليك أن تجد اللذه و السرور بطاعه الله والانقياد لأمره وبذل نفسك وما تملك فى سبيل الله فأنت فى الأصل لاتملك شيئا فنفسك التى تصحى بها هى ملك الله وهى امانه عندك وكذلك فإن المال هو ملك الله وسلم لك على سبيل الإعارة فهل انت تعطى شيئا فى الحقيقه انك لاتعطى شي وانما هذه الصفقه من لطف الله ورحمته بعباده أن يأمرهم برد ما إعطاءهم مقابل الجنه

فاذا كان الحب هو العطاء فإن الله هو المحب لنا حقيقه ولهذا فإن علاقه العبد مع ربه متوقف على الوعى بربه ومحبته لربه والوعى متوقف على قدر تأثير عقل الإنسان على هواه وحظوظ نفسه بالاستغناء بالله عن جميع خلقه وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان ربه ومحبته وعبادته وحده لا شريك له وتعرف نفسك بضعفك وافتقارك وانك مخلوق كرمه الله تعالى بأن اختارك لتكون خليفه فى الارض وبتزكيه النفس من الشهوات والملذات فـ النفس تحتاج إلى التمرين والمجاهده لتنظيفها من الاوساخ ولهذا يقول تعالى لك انت ايه المؤمن إذا كنت صادقا فى هذه الدعوى فإن المؤمن يختبر صدقه عن كل حال يمتحن فى بذله نفسه وماله فى سبيل الله لان المؤمن باليقين يدريك أنه مخلوق اصطفاءه الله واختاره ليكون خليفه فى الارض وأنه مخلوق لله وحده حياته وماله ومماته ونسكه وصلاته خالصا لله تعالى فهذه هى اساس العلاقه بين المخلوق والخالق وانك سوف تحاسب على أعمالك وهذا الايمان باليقين يعنى أن تدرك أن هنالك السعاده الابدايه أو الشقاء الابدى ولهذا يرغب الله عباده بالجهاد وبذل المال فى سبيل الله فيقول تعالى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

يقول الحق أن هذا هو طريق الصادقين فى طلب السير إلى الله والدار الآخرة منهم هم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله تعالى ولهذا فأنت بحاجة إلى تنظيف السلعه من الاوساخ لتصلح سلعتك لعقد الصفقه فلا بد أن

تخرجها من طبعها الذى يتعلق بالدنيا فيجب تسليم السلعه قبل أن تتلف فى يدك فلا يقبلها المشترى وهذا يكون بتزكيه النفس وتنظيفها من الاوساخ بأن تحرق حياتك السفليه وتحرق الاصنام الباطله بداخلك فلا يبقي بداخلك الا الله وحده لا شريك له

الدرس الثالث

تهدف الايه إلى تربيه المؤمنين على الصدق والاخلاص فى طاعه الله ليكون التنافس والتسابق داخل المجتمع المسلم هو فى حب البذل والتضحية والفداء ابتغاء مرضاة الله

وهذا فعلا ما كان يتسابق عليه المؤمنون الاوائل الذين سمعوا هذه الايه فعرفوا ما تعنى الايه وصدقوا الله بـ الصفقه حيث أن المتأمل للشواهد فى التاريخ الاسلامي والسيره النبويه يجد الامثله الكثيره على ذلك فقد كان من آثار تزكيه النفوس وصدق الايمان هو دخول الجنه وهم مازالوا فى الدنيا ولهذا كانوا يتنافسون على التضحيه كان أحدهم ينظر الى الجنه أمامه فلا يسعه الا بلوغها فهذا عمرو بن الجموح لايبالى بعرج رجله ويدخل أتون المعركه قائلا لأولاده هيهات هيهات تمنعوننى الجنه ببدر وتمنعوننى إياها بأحد ...وهاهو سعد بن خشيمه ينافس والده ليكون اسبق منه إلى الجنه قائلا ياابتاه أنها الجنه لوكان غيرها اثرتك به)

والأمثلة كثيره ولاشك أن المرء قد يتظاهر بالشجاعه والبذل والتضحيه والفداء لكن سرعان ماينكشف ساعه الجد ذلك التظاهر فيعرف من تزكت نفسه ممن تعلقت بالدنيا لان الصفقه تقتضى أن لاتسبقى شئيا من المتاع الذى تم بيعه فـالله يختبر صدق عباده بمواطن القتال ليعرف الصادق من الكاذب فى ادعاءه فلا يمكن أن يظهر ذلك فى الصلاه والصيام ولهذا جعل الطريق لذلك هو الجهاد والقتل والقتال نصره لدين الله ولهذا نجد أن هذه ا لايه هى الوحيده فى القرآن التى ورد فيها تقديم الجود بالنفس على المال من (١٨)موضع تكرر فيها ذكر المال قبل النفس الا هذه الايه لان إزهاق النفس أعلى مراتب الجود ولهذا جعل الشهداء فى اعلى المراتب وهذا التقديم ليشعر المؤمن بأن البيع قطعى فأنت بعت والله اشترى وبالتالى فلا تستبقى شئيا من المبيع

ثانيا

تستمر الايه فى خطاب المؤمنين وترغيبهم بالصفقه فقال تعالى (وعدا عليه حقا فى التوراه و الانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم

وهذا فيه

الأمر الأول

تغزو الآيات أعماق النفس الداخلية تهز كيانها لتحدث رجه عنيفه تدفع صاحبها إلى الحركه بالبذل والعطاء فعندما يسمع المؤمن الحقيقي الايه يشعر أنه يناجى ربه وهو يقول له أليس الوعد بالجنه من الله أليس المشترى فى هذه الصفقه هو الله فما الذى يجعل المسلم يتثاقل عن التضحيه بالنفس والمال فى سبيل الله لابد أن المؤمن الحقيقي ينهض للقتال والجهاد فى سبيل الله واعلاء كلمه الله لانه واثق من وعد الله فـالله لايخلف وعده

الأمر الثانى

تبين الايه أن الجهاد ومقاومه الفاسدين والطاغوت ونصره دين الله هى سنه الله فأهل جميع الملل والأمم السابقه من أهل الإيمان أمروا بالقتال لان الجهاد هو الوسيله لعزه المؤمنين ونصره دين الله وان الصفقه لمن يبيع نفسه وماله فى سبيل مقابل الجنه قديمه

وسنه معروفه عند جميع أهل الكتب السماويه فعليك ايه المسلم أن تنطلق فى طريق المؤمنين من ادم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فى مقاومه الباطل وتقديم النفس والمال لتحرير البشريه من عباده الطاغوت ولأجل إقرار منهج الله فى الارض

الأمر الثالث

تدعوا الايه المؤمنين إلى الثقه بالله ووعده فكيف لايثق العبد بخالقه وهو سبحانه لايخلف وعده وزوال الكون أهون عند الله من أن يخلف وعده وإذا قال الله أن الثمن الجنه فعليك الثقه لانه لايوجد اصدق من الله حديثا ف لا شك في تحقيق الله لوعده

الأمر الرابع

اللازم على العبد أن يخلص فى الصفقه بأن يكون بذله لنفسه وماله ابتغاء مرضاة الله فأنت تتعامل مع الله ومارروع هذه الصفقه التى من لطف الله ورحمته بعباده المالك لكل شىء وكل موجود ملكه ومع ذلك يدعو عباده لعقد صفقه معه بأن تبيع نفسك وامولك التى هى ملكه تعالى فى سبيل الله الجهاد الذى هو سبب عزه الإنسان ف الفائده تعود على الإنسان نفسه ولهذا يقول تعالى (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وهذا فيه الاتى

/١

على المسلم أن يكون متفائلا انك تتعاقد مع خالق الكون فلا تقلق فالصفقه فيها النجاح

ولهذا استبشروا بالثقه بالله ونصره فهو تعالى يقول (ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلان إن كنتم مؤمنين) وبسبب هذه الصفقه تظفرون بالنصر والكبير الذى لايقارن فى الدنيا والاخره

/٢

تهدف الايه إلى غرس قوه الشوق إلى ماعند الله من الجنه ونعيمها ليسهل على العبد الطاعه بالزهد عن الدنيا ولهذا يقول لهم استبشروا بالاخلاص وخذوا الجنه عوضا عن النفس والمال فهذا هو النجاح والفوز العظيم الذى لامثيل له

ثالثا

تبين الآيات أوصاف هؤلاء المؤمنون الفائزون بالصفقه فقال تعالى

(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)

الأمر الأول

تبين الايه أوصاف من باعوا أنفسهم وأموالهم لله مقابل الجنه بأنهم

١/التائبون

٢/العابدون

٣/الحامدون

٤/السائحون

٥الراكعون

٦/الساجدون

٧الامرون بالمعروف

٨الناهون عن المنكر

٩/الحافظون لحدود الله

الأمر الثانى

أن ذكر أوصاف الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله مقابل الجنه تهدف الايه إلى. أن تفهم أن الجهاد مقصوده أن تكون كلمه الله هى العليا وان يكون الدين كله لله فمقصوده اقامه دين الله لا استيفاء الرجل حظه ولهذا فان كل مايصاب به المجاهد فى نفسه وماله اجره فيه على الله فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه فليس الجهاد اندفاع للقتال حتى أن الكفار إذا أسلموا وعاهدوا لم يضمنوا ما اتلفوا للمسلمين من الدماء والأموال بل لو أسلموا وبايدهم ماغنموه من أموال المسلمين كان ملكا لهم

ولهذا تبين الايه أن الوصول إلى هذه الصفقه تتطلب الصدق والإخلاص وصحه العلم وثبته باليقين ولايصل لهذه المرتبه الا

/١

من جاهد لله تعالى نفسه واستقامت نيته وخشى الله فى سر وعلانيته فسارع إلى التوبه والانابه إلى الله تعالى ولهذا قال تعالى (التائبون) اى هم الراجعون إلى الله بالطاعه والاستغفار والندم على مامضى والتائبون من كل تقصير وهذا هو الصادق فى طلب رضوان الله فهو يعلم أنه لاينجيه الا الصدق مع ربه ولهذا يسعى فى طلبه بتزكيه نفسه وتخليصها من الاوساخ لتصلح للاتصال بالله والقرب منه

/٢

العابدون المخلصون لله فى جميع اعمالهم فهم يعتزون بالعبوديه لله تعالى ويتلذذون بطاعته تعالى ومناجاته

/٣

من استغناء بالله عن جميع خلقه فحصل له الانس بعد الوحشه فقال تعالى (الحامدون)الذاكرون الله فى السراء والضراء فهم يشعرون بما أنعم الله عليهم فى السراء ويودون حق ذلك بالشكر ويصبرون على ما أصابهم فلا يصيبهم الجزع والفزع لأنهم يستعينون بالله ويحمدون الله على كل حال شعاره الثقه

/٤

تبين الايه أن من صفات هذا هو أنه فى جميع أحواله ومسيرته يجرى باستمرار إلى ما يرضى الله تعالى فاتت تراه فى كل مكان فيه طاعه الله وجهاد فى سبيل الله فهو إذا نظر اعتبر وإذا صمت تفكر وإذا تكلم ذكر وإذا منع صبر وإذا أعطى شكر وإذا جهل عليه حلم كل موقف يقطع قلبه فيه سيره إلى الله تعالى فقال تعالى (و السائحون) وكلمه سائح ماخوذه من سيح وسياحه والتى تعرف بالجريان والاستمرار فاى نوع من الجريان والا

استمرار ذهب البعض للقول أنه الذهاب للمساجد لقوله سياحه امتى فى المساجد وبعضهم ذهب للقول إنه بخصوص الصيام والبعض الآخر فى التفكير فى الكون مشاهده عجائب قدرته تعالى وآثار الامم السابقه ومنهم من قال إنهم سائحون فى طلب العلم والرزق الحلال والايه تجمع تلك المعانى كلها

٥

حالهم مراقبه الله وعبادته فهم منقادون لأمر الله بالخضوع والاذعان الكامل مع محبتهم لله تعالى فقال تعالى

(الراكعون)

٦

أن هؤلاء واثقون بالله ولهذا فهم يطلبون العون والمساعدة من الله فقال تعالى (الساجدون)

٨+٧

أن يكون همه هو نشر دين الله وتنميه جوانب الخير ومحاصره الشر وازالته ولهذا يقول تعالي (الامرون بـ المعروف والناهون عن المنكر

الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فهذا واجب الجماعه لان النفس قد تكره المنكر وتحب المعروف لكن الأ مر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر شاق ويحتاج إلى مجاهده النفس

/٩

الاهتمام بأحكام الله ومراقبته لأى خروج عنها فهم ملتزمون بعدم التعدى على شرع الله ولهذا جاء التعبير عن ذلك بالحفظ لحدود الله فقال تعالى (والحافظون لحدود الله) اي لايخالفون أحكامه مهما كانت وهم يقيمون بطاعته

الأمر الثالث

تبين الايه عناصر تكوين وبناء الشخصية المؤمنه والجماعه والدوله التى ينبغى أن يبيع عناصرها أنفسهم وأموالهم لله مقابل الجنه فذكرت انه لصحه الصفقه ينبغى أن تتصف هذه الشخصيه بالإيمان الثابت باليقين الجازم أنه باع نفسه وماله لله مقابل الجنه فهذا الإيمان يستلزم من كل واحد

المفهوم الاول

(مراقبه الذات)

أن يقف مع نفسه وتسأل نفسك هل انت ملتزم بما أمر الله وتقوم بأداء ذلك على أكمل وجه ام انك مقصر ؟

فالمؤمن الصادق فى إيمانه يعلم أنه لاينجيه من الله الا الصدق فهو يستحضر على الدوام قول الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)

فلا يغفل عن مراقبه الله فى السر والعلن فهو يحاول أن يكون محسنا على الدوام بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يراك ..

ولهذا فهو يبادر إلى التوبه على الدوام والانابه من كل تقصير يبادر إلى التطهير من الاوساخ فالله يحب

التوابين ويحب المطهرين

فمن كان صادق فى طلب رضوان الله لابد أن يورث البصيره التى يري بها الطريق ويفهم الأمور ولهذا يامر الله نبيه أن يبشر المؤمنين المتصفون بهذه الأوصاف بثمرات صدق الطلب بالتوفيق لهم إلى الغايه التى يريدونها رضوان الله

المفهوم الثانى

(الشخصيه العابده)

تطبيع الفرد والمجتمع ومؤسساته بطابع الصله بالله بحيث يكون المسلم عابدا لله فى كل أوقاته فالمهندس يعبد الله من موقعه والطبيب يخدم الناس فى مجاله عباده لله وهكذا بحيث تكون كل اعمال المجتمع ولقاءتهم عباده لله تعالى بعيده عن المصالح يشعر بالصله التى تربطه بالله فهو يستحضر مراقبه الله له فى كل أوقاته لا سيما فى أوقات عمله وممارسته أمور الدنيا من أعمال التجاره أو المهن والحرف أو غير ذلك من التعاملات سواء كان جسديا أو فكريا لايكاد يغفل عن ربه والا وترده الصلاه بما فيها من خشوع وانابه لله تعالى وتطهره الزكاه عن الشح والحرص يكثر من أعمال الخير فالشعائر التعبيديه إنما العبره منها بما تسكب فى ضمير العبد اثار تدفعه إلى طاعه الله فى كل أمر والتواضع والتعزز بأنه عبد لله فمقام العبوديه والخضوع لله هو الذى يستعلى به العبد

المفهوم الثالث

(الاستعلاء بالحق والاستهانة بالمظاهر الخادعه للعظمه)

ولهذا فإن المؤمن عليه أن يسأل نفسه هل هو عابد لله بالاستسلام والخضوع هل هو حامد بالسراء والضراء فعندما يستمد العبد عزته من عبوديته لله تعالى التى حررته من الطمع عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا لاتذله الأحداث ولاتحنى جبهته الازمات لان قلبه عامر بالإيمان فهو أن اصابه خير شكر وان إصابته ضراء صبر نتيجه الاطمئنان بالصله بربه والانس بجوراه والأمن فى حماه فقلوبهم تطمئن بذكر الله وتشعر بالأمان بالقرب منه فهو يستند إلى. اقوى الاقوياء

المفهوم الرابع

(الشخصيه العلميه)

ولهذا فهو يحرص على طلب العلم يقيم عقيدته على التدقيق والتحقق من الاخبار والمعلومات فلا يبنى عقيدته على التقليد وانما يبحث فى كتاب الله وسنه رسوله عن الدليل فإذا وجد ذلك خضع له بالانحناء والتعظيم لأمر الله والتسليم له بالركوع والسجود

المفهوم الخامس

الشخصيه المسؤوله والمبادئه والجهاديه

ولهذا فإن المسلم يعرف أن عليه واجب نشر الخير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمسلم لايقف على الحياد من الأحداث ولايقف موقف سلبى لكنه إذا رأى انصراف الناس عن المعروف فإن هذا يدفعه إلى حث الناس على فعل المعروف وإذا رأى انتشار المنكر فإنه يتحمل تبعات ذلك بالنهى عن المنكر فالمسلم يدريك أنه مسؤول عن إصلاح اى خلل فى المجتمع وأنه يجب عليه الحفاظ على قيم الإسلام ومبادئه ومنع اى مساس

بهذه القيم والمبادئ وان عليه أن يبذل الجهود لاعلاء كلمه الله والدفاع عن الدين وصيانته من اى اعتداء وهكذا كان جميع المسلمين حتى النساء مشاركين فى تحمل أعباء الجهاد لا ن تعطيل الجهاد يعنى الذل والهوان للامه فالمحافظه على العز والتمكين والكرامه هو بالجهاد حيث يشعر المسلم بالعز بالانتماء لهذا الدين ولهذا يختم الحق الايه بقوله (وبشر المؤمنين) بعد أن ذكر التوبه والعباده والحمد والسياحه والركوع والسجود وهذه الأمور متعلقه بتربيه الفرد ثم ذكر حاله إيمانهم وهو مجتمعين بأن الواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يكون اجتماعهم على حفظ حدود الله فجاء التبشير بالعز والتمكين فى الدنيا وبتحقيق الله وعده لهم بالا خره بأن لهم الجنه

القسم الثاني

لما بينت الايه السابقه نوعين من ضمانات تحقق الالتزام بالقيم والمبادئ من خلال نوعان من الإلزام الأول هو محاسبه النفس ومراقبه الله ومحاسبه الذات والثانى حراسه المجتمع من خلال تطبيق أحكام الله ومحاسبه كل من يخالفها فقال تعالى (والحافظون لحدود الله) وهذا يقتضى وجود الدوله والسلطه التى تنفذ الأحكام وتحرسها ولهذا يقول تعالى بعدها (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم

ابتدأت الايه بصيغه (ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)

حيث أن هذا النفى بقوله ماكان) اشد صيغ النفى فالايه تنفى ضمير الشأن وهو نفى بمعنى النهى وهو أسلوب يدعوا المؤمن إلى استحضار حقيقه الايمان وماهو شأن المؤمن فليس من شأنه ولايصح منه ولايليق به أن يستغفر للمشركين لان هذا الفعل يتعارض مع حقيقه الايمان وعقيده الاسلام فجاء بهذا النفى الشديد يريد أن يكون منهم اليقظة نظرا لأهمية هذا الموضوع فى هذه المرحله تحديدا حيث أن انتهاء المعركه مع المشركين وحصول فتح مكه جعل البعض يتذكر الاحبه والأهل والاقارب الذين كانوا يرتبطون به يتذكر قرابه الدم و النسب باسلافه الذين قد ماتوا على الشرك فربما حصل من البعض تمنى دخول أسلافه الجنه على سبيل التمنى أو أنه دعاء الله لهم بالمغفرة

حيث ذهب البعض للقول إن الايه نزلت بمناسبه ماكان من النبى صلى الله عليه وسلم وأبو طالب عندما حضره الموت فقال له ياعماه قل لا إله إلا الله ...وهذا القول غير سديد لان الايه مدنيه باتفاق ومن جهه اخرى فان الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم ولايمكن أن يصدر عنه مساله الاستغفار لمن مات على الشرك وأما ذكره فى الايه فهذا لان الله يامر المؤمنين بما يأمر به المرسلين فأراد بهذا أن يشعر المؤمنون بخطوره الموقف فلم يسمح للرسول بالشفاعه لمن مات على الكفر فكيف يسمح للمؤمنين

ولهذا فإن هذا التوجيه شديد اللهجه بقوله (ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)

يهدف إلى تحسم شأن علاقات المؤمن مع الاخرين من بنى جنسه تبين لهم أن الولاء والبراء يكون فى الله ف النسب الذى ينتسب إليه المؤمنون هو مدرسه الايمان التى تقوم على نسب أبواه المنهج وصله العمل الصالح كما قال تعالى (لنوح أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح)

فهذا هو الأساس الذى تقوم عليه علاقات المؤمنين فهم ينتسبون لاهل الايمان من ادم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فابواه المنهج هى التى تجمع المؤمنين ويكون بها التسلسل وصولا إلى آدم أنها مدرسه الهدايه التى دعاء اليها الانبياء كلهم بمعنى أن أسلافنا هم الحوريوان الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله أسلافنا هم موسي و المؤمنون معه أسلافنا هم الاسباط ويعقوب واسحاق وإسماعيل وإبراهيم وصالح وهو د ونوح عليهم السلام هذا هو تسلسل نسب أهل الإيمان

ولهذا لما جاء البعض للرسول صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يدعوا الله لاباءهم الذين ماتوا على الشرك جاء التوجيه لهم بأسلوب (ماكان) لنفى الشان أي ليس من شأن المؤمن ولايصح منه ولايليق به ذلك ومن هنا نفهم الفرق بين النفى العادى وهذا النفى فأنت لوسالك شخص هل حضرت الدرس فإنك تجيب بقولك لم احضر فهذا نفى عادى لكن اذا وقعت سرقه فى مكان وكان سؤال المجاورين فإن الشريف المعروف بنزهته سوف يكون الرد منه أو من الأهالى بنفى الشأن فيقال ما يمكن أن يسرق فلان أي يستحيل أن يفعل ذلك لكن اذا كان هذا الشخص مشهور بالسرقه وعرف أنه برئ فإن النفى يكون بالقول لم يسرق فهذا نفى الحدث وليس نفى الشأن ولهذا جاء نفى الشأن هنا بأنه لايصح ولايليق بالمؤمن أن يطلب المغفره للمشركين الذين ماتوا على الشرك

لان الاصل أن تنقطع العلاقه بين المؤمن وبين المشرك حتى ولو كان من أولى القربى لان المشرك يتبع مدرسه الفسق ومؤسسها ابليس اللعين يتبع مدرسه الشر ولهذا فإن نسب المشرك هو لإبليس والكفر والفسوق والعصيان وهو يختلف عن نسب المؤمنين الذين ينتسبون الى مدرسه الايمان وبالتالى فلا علاقه ولاوشيجه معهم ولا أواصر قرابه ترابطك بالمشركين الذين انقطع رجاء إيمانهم لان الرابطه الحقيقه المعتبرة هى رابطه الايمان وليست رابطه النسب والدم فالاستغفار لهم غلط وفى غير محله ولايحق للمؤمن فعله لان طريق المؤمن تختلف عن المشرك ومنهج المؤمن ونهايته مختلفه فالمؤمنين باعوا أموالهم وأنفسهم مقابل الجنه بينما المشركون هم أصحاب الجحيم

الأمر الثانى

لما بينت الايه أن الابواه والنسب هى أبواه المنهج ونسب العمل الصالح فكل من كان مؤمنا وعمل صالحا فهو ينتسب الى مدرسه الخير وكل من كان كان كافرا ويعمل الأعمال القبيحه فهو ينتسب الى مدرسه الشر والفسق والعصيان لان الحق جعل للخير اهلا وأنصار مثلما جعل للشر اهلا وانصارا منذو فجر البشريه حيث جعل كل من يخرج عن طاعه الله ورسله ويرفض القبول بمنهج الله من الانس والجن ينتسبون الى مدرسه الشر ومؤسسها ابليس اللعين وان كل من يلتزم منهج الله ويتبع الهدى الذى ياتى به الانبياء والرسل من ادم إلى محمد صلى الله عليه وسلم تابعين لمدرسه الايمان والخير والهدايه

سواء كانوا من بنى ادم أو من الجن فالإيمان والعمل الصالح يجمعهم فهو النسب الذي ينتسبون إليه وليس علا قه القرابه والدم ولهذا فإن اللازم قطع العلاقات مع الكفار حتى الموتى منهم لأنهم قد ماتوا على الكفر

ثانيا

لما نزلت الايه تنهاهم عن الاستغفار لاباءهم وأقاربهم تسال البعض كيف هذا والله قد أخبرنا أن إبراهيم استغفر لابيه المشرك ازر ولهذا نزلت الايه (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها إياه فلم تبين له أنه عدوا لله تبرأ منه أن إبراهيم لاواه حليم)

الأمر الأول

(اهميه غلق ايه ثغره تودى إلى عدم وضوح الرؤيه)

اللازم على المسلم فى خطابه أن يحذر فتح ثغره تودى إلى الغموض وعدم وضوح الرؤيه

لان ذلك من أسباب التخلف فى المجتمع ولهذا نجد أن القرآن لما جاء بنفى الشأن عن المؤمنين والنبى أن يستغفروا للمشركين يذكر موضوع استغفار ابراهيم لابيه ازر لازاله اللبس الذى قد يقع فيه البعض حيث أنه عند سماع هذا الأمر لابد أن يتبادر إلى الذهن سؤالا كيف هذا والله قد أخبرنا أن إبراهيم عليه السلام قال لابيه ساستغفر لك ربى أنه كان بى حفيا) وهو تعالى قد أمرنا بالاقتداء بالانبياء فى مساله الولاء والبراء والدعوه الى الله باعتبار أن هؤلاء الانبياء هم أسلافنا فهم النسب الذى ينتسب له المؤمنون كلهم ويجب الاقتداء بهم ف الله يقول فى موضع آخر (لقد كان لكم اسواه حسنه فى ابراهيم والذين معه

ونحن نعلم أن ازر كان مشركا فكيف يكون هذا من ابراهيم الذى أمرنا الله بالاقتداء به ولهذا يقول الله تعالى (وماكان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعده وعدها إياه فلم تبين له أنه عدو لله تبرئ منه أن إبراهيم لاواه حليم)

أن العبد مأمور بالاقتداء بالاسواه الحسنه ابراهيم ومن معه فى الولاء والبراء والارتباط بالإيمان لكنه لا اسواه بابراهيم فى استغفاره لابيه كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها فقد قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برءوا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شى)

الأمر الثانى

(لزوم البراءه من كل قريب يتبين أنه عدو لله)

أن قول ابراهيم لابيه بسبب وعده وعد اباه إياه فقال لابيه (سلام عليك ساستغفر لك) فقد وعد اباه أنه سوف يستغفر وهذا قبل أن يعلم بعاقبه أبيه فقد كان أبيه مازال على قيد الحياة فلما مات أبوه على الشرك تبرأ منه فقد كان إبراهيم يرجوا أن يؤمن والده لان دائره العبد تبدأ بالاهتمام باقاربه ثم تتسع إلى الانسانيه كلها ف الله يقول (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين)

وإبراهيم كان متصف بالرحمه والشفقه يرجع إلى ربه بالاستغفار فى كل أمر ولهذا لما تبين له أن والده عدو لله ودينه وأنه لايرجئ إيمانه (تبرأ منه) تادبا منه مع ربه فابراهيم كان كثير التضرع والمناجاه لربه يحلم عمن يضره فابوه كان يرحمه بالاحجار وهو لايقابل الاساءه الا بالحسنى فيقول له ساستغفر لك ربى

ثالثا

انظر كيف كان يستقبل الصحابه الايه القرانيه التى كانت ماده تربيتهم واداه التغيير التى قاد بها الصحابه مشروع الحضاره الاسلاميه للعالم أجمع أن المتأمل لرده فعل الصحابه بعدما نزلت الآيات السابقه يجد صوره متحركه تجسد مشاعر المؤمنين فقد كان كل واحد يشعر أنه يوحى إليه فتقشعر ابدانهم منها ولهذا خشى المسلمون الذين كانوا يستغفرون لاباءهم لما نزلت الايه السابقه أن يكونوا قد ضلوا لقد كان الصحابه حريصون على الاستمرار فى الطريق المستقيم طريق الهدايه ولهذا خافوا أن يكون مخالفتهم تلك قد اوقعتهم فى الضلال ولهذا انزل الله الايه الاتيه لتطمئن المؤمنين فقال تعالى (وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون أن الله بكل شي عليم)

تبين الايه لهم الاتى

القاعده الاولى

أنه لاعقوبه إلا بنص فمن كمال رحمته تعالى انه لايعاقب أحد إلا بعد أن يقيم الحجه ببيان ما يجب عليهم فعله وما يجب عليهم تركه واجتنابه فلا عقوبه إلا بنص

القاعده الثانيه

أن الهدايه والرحمه والتوفيق من صفات العطاء وان الخذلان والضلال من صفات المنع

وأنه تعالى عندما يهدى قوم فإنه لايسلبهم هذه النعمه الا اذا هم لم يقبلوا الهدايه بعد أن يبين لهم ما يجب أن يحذروا الوقوع فيه فإذا خالفوا بعد ذلك كان معاقبتهم بالضلال والخذلان كما حل بقوم ثمود كما قال تعالي (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)

فهم هداهم الله ولكن لم يقبلوا هدايتهم فحق عليهم العقاب لأنهم استحبوا العمى على الهدى

القاعده الثالثه

أن العقوبه لاتسرى بأثر رجعي وانما يبدأ سريانها من تاريخ بيانها وصدورها ولهذا يقول الحق لعباده أنه لا يؤاخذهم على ما كان منهم قبل النهى عن الاستغفار لاباءهم وأقاربهم الذين ماتوا على الشرك وانما يبدأ سريانها من تاريخ نزول الايه

ولهذا ياتى التعقيب (أن الله بكل شي عليم)

يعلم بأحوال العباد ومافيهم من ضعف وجهل وغرائز ولهذا لايعاقب أحد إلا بعد أن يبين له أمره ونهيه بيانا واضحا لالبس فيه ولاغموض

رابعا

تبين الايه أن المنهج الربانى هو الذى يجتمع حوله المؤمنون وبه يهتدون إلى معرفه طريق الهدايه للتعامل مع ربهم وهم يحتاجون إلى الاهتداء إلى طرق التعامل مع بنى جنسهم ومع غيرهم يحتاجون أن تكون حركتهم منسجمة مع حركه الكون والله عندما أمر عباده بالجهاد فى سبيله وإنفاق أموالهم فلم يستنصرهم من قل ولم يطلب منهم الانفاق من حاجه فهو تعالى له ملك السموات والأرض وله خزائن السموات والأرض ولهذا يقول تعالى (أن الله له ملك السموات والأرض يحى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولانصير)

فقاعده الحركه تكون انطلاقا من قاعده الايمان ومن منهج الله تعالى فأنت مخلوق من مخلوقات الله الذى يملك كل ما فى السموات والأرض فهو وحده الذى يملك حق التشريع الذى يحدد. لك ما نفعل وما لاتفعل فهو تعالى الذى بيده الاحياء والاماته وهو الذى يتولى تدبير أموركم ورعايتكم فينبغى أن تخضعوا لله تعالى وحده لا شريك له

القسم الثالث

لما بينت الآيات أن أبواه المنهج هى الرابطه الحقيقيه التى يتصل بها المؤمنون مع ربهم وهو الذى يدلهم على الطريق المستقيم الحق الذى يصلهم بالله فالعلم الصحيح اساس العمل لتكون حركتك منسجمه مع حركه الكون لتصل إلى وعد الله ولهذا فلا تردد ولاتخلف عن الجهاد فى سبيل الله فالمسلم قد باع نفسه وماله لله مقابل الجنه وهذا الأمر يحتاج إلى شد المئزر يحتاج إلى تجديد التوبه فى كل وقت يحتاج إلى. الصدق فهو الطريق للنجاه والسلامه ولهذا يقول تعالى (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العشرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى

إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجا من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

اولا

أن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن السياق ابتدأ بذكر قبول الله لتوبه النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما قد يجعل القارئ يتصور أن ثمه ذنب ارتكب لان البعض يظن أن التوبه إنما تكون من ذنب صدر من العبد فكيف يكون ذلك ونحن نعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم وكافه الانبياء معصومون فكيف ياتى الخبر هنا بقبول توبه النبى

أن هذا الخبر عن توبه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم يستوجب علينا أن نفهم الاتى

الأمر الأول

تشير الايه الى رعايه الله وعنايته باولياءه بأن يؤهلهم إلى احتمال العناء فى الله ولهذا فانهم يتحملون مشقه التكاليف والاصطفاء والإختيار لهم ليكونوا الطليعه والنموذج ولهذا يقدمون التضحيات العظيمه ويتحملون الأ ذى فى سبيل الله فالافضيليه التى يصطفى الله بها من يشاء من عباده لابد لها من ثمن يتم دفعه كلا بحسب المستوى الذى هو فيه فالناس فى الجنه أنبياء وصدقين وشهداء وصالحين وهذا التفاوت يجعل الأنبياء فى المستوى الاول فمن رحمه الله أنه أرسل الرسل لاجل أن يقوموا بتصحيح صوره الخلق عن الخالق والرجوع بالإ نسان إلى منابع الايمان الصحيح كلما زحزحته عنها ظروف الحياه أو بواعث الهوى أو ضغوط المصالح فإذا كنا فى العلوم البشريه لاناخذ الا عن مصادر محترمه يعول عليها ففى عالم الغيب لاينبغى أن نأخذ الا عن الرسل فهم وحدهم الذين يحق لهم التكلم والحديث عن الله لأن مصدر علمهم الوحى فهم الوحيدون الذين يستطيعون أن يقولوا لنا مراد الله بينما علم البشر اداته العقل

فمنبع علم الانبياء هو الوحى واصل حركتهم هو الاختيار والاصطفاء الالهى وأما سر اختيارهم هو علمه سبحانه وتعالى بحقيقتهم فهو تعالى يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته) ويقول (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)

وبالتالى فإن علم الله بهم واختياره سبحانه يكفى للرد على بيان نقاء قلوبهم وطهاره نفوسهم وذكاء عقولهم وقدرتهم على الاحتمال فى الله فطالما أن الله اختارهم فهو يؤهلهم للسياده على الأرض فهم أفضل البشر ولهذا فإن الاختيار يزيد الانبياء كمالا ويحدث تغيير فى حياته مع بدايه المرحله الجديده من حياتهم بعد البعثه يزيده قدره على احتمال العناء فى الله ثمن اختيار الحق تعالى له ولهذا فهم يكافحون ويقدمون التضحيات العظيمه يتحملون الأذى فى سبيل الله وهؤلاء يتمتعون بالفضل البشرى والعصمه الالهيه قبل البعثه وبعدها من الخطاء البشرى والقصور الانسانى فالعصمه فى اللغه الحبس وفى القاموس المحيط ذكر أنها بمعنى اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصيه ولهذا فالمعنى اصطلاحا هى أن لايخلق الله فى المكلف الذنب مع بقاء قدرته واختياره ولهذا فإن المراد بالتوبه هنا هى الرعايه التى جعلت النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرج للقتال فى تبوك رغم الظروف الصعبه من الحر والقحط والجوع فلم يتقاعس أو يتردد عن الخروج فالتوبه هنا يراد بها ابانه فضل التوبه ودوامها فذكر بعدها لطفه تعالى بالمهاجرين والأنصار حيث حملهم لطفه ورعايته علىفعل الخير فقد دفعهم اختيار الله واصطفاءه لهذه النخبه لتكون القاعده الصلبه كما أشار فى الآيات السابقه إلى الثبات و الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاتبعوه فى ساعه الشده التى أحاطت بواقعه تبوك فمن الذى حملهم على الخروج وزجرهم عن الشر وعن الانحراف أنه لطف الله الذى عصمهم عن التخلف والتثاقل عن الخروج فلم يفعلوا ذلك بل خروجوا من غير تلعثم لان الله ادام التوبه عليهم فمنع الزيغ الذى كاد فريق من المهاجرين والأ نصار أن يقع فيه والزيغ يستخدم للتعبير عن الانحراف عن الصراط المستقيم بالميل إلى طريق الانحراف و

المراد به هنا الميل إلى التخلف لاعن الميل عن الطريق المستقيم وقد ذكر الكلبى أنهم أناس تخلفوا ثم لحقوا بـ الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا يقول تعالى (ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم)

فجاء تكرار ذكر التوبه مره اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا أنه تعالى تولى رعايتهم وحمايتهم من الانحراف فقبل توبتهم ولهذا قال بعدها (أنه بهم رؤوف رحيم)

فالرافه تستخدم للسعى فى ازاله الضرر ...والرحمه تستعمل للتعبير عن السعى فى إيصال النفع فمن لطف الله بهم ورحمته أنه تعالى ازاله عنهم الضرر بدفع عنهم الميل إلى الشر الذى كان متوقعا نتيجه ملابسات الغزوه ولكن الله زجرهم عنه وحملهم على فعل الخير فهذه عنايه الله لهم ورعايته

الأمر الثانى

أذا كان الانبياء يتمتعون بفضل بشرى وعصمه الهيه وهم أفضل البشر ويحتلون المستوى الاول فإنهم معصومون عن الكبائر مطلقا عن الصغائر عمدا لعده وجوه

/١

لو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم وأتباعهم واجب فكيف يتركهم الله يرتكبون كبيرة ولو سهوا ثم يأمر الناس باتباعهم أليس الله يقول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لان المخاطب يتبع الرسول فى قوله وفعله ولهذا فانه يستحيل على الأنبياء ارتكاب الذنب ولو سهوا إلا أن ينبه الله الأنبياء فى الحال وهم ينبهون ا لإتباع والمخاطبين

/٢

انهم لو اذنبوا لردت شهادتهم ولما وجب طاعتهم ولما نالوا عهد النبوه لانه تعالى يقول (لاينال عهدى الظالمين) ولهذا يستبعد أن يرتكب الانبياء الكبائر مطلقا ولايرتكبون الصغائر عمدا لانه لو ارتكبوا ذلك لوجب زجرهم والله يحرم ايذاءهم لقوله تعالى (أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخره)

ولهذا عندما يخطى الانبياء فإن الله يعاتبه لماذا لأن خطاء النبى يختلف عن خطاء الإنسان العادى ينطبق عليه قانون النسبيه وقانون اختلاف المستويات لان حسنات الابرار سيئات المقربين وحسنات المقربين يعاتب عليه ا لانبياء

فالمسألة أمر نسبى فعندما يعاتب الله أو يتحدث عن توبته على نبى من ألاتبياء فإن ذلك متعلق بهذا النسبه اى أن مقامه الشريف يتطلب التنزيه من هذا الأمر وأن كان الأمر حائز لكنه لأحد ان يقوله لكنه غير لائق بالنبى على حد حسنات الابرار سيئات المقربين فنبى الله يونس أخطأ حين غضب من قومه وتركهم لأنهم لم يهتدوا الى الله وعاقبه الله بأن جعل الحوت يلتقمه مع أن هذا الخطاء لو ارتكبه فرد بشرى لكان حسنه يجازى عليها فالله يامر عباده ان يعتزلوا الخاطئين لكن النبى هو اب البشر ومن تعليم الله له أن لا يترك الاب أبناءه لتبقى منزله الابواه ل لانبياء أعلى أفقا من أن تغضب وارفع مقاما من أن تهجر

كذلك فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا يتحدث مع وجهاء قريش يريد أن يدعوهم إلى دين الله وجاء ابن ام مكتوم الاعمى يريد أن يسأله عن الإسلام ويتزكى فى دينه فتضايق الرسول صلى الله عليه وسلم منه لأنه اختار وقتا غير مناسبا نظرا لانشغال الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوه مع وجهاء قريش فعمله لحساب الدعوه ليس لأغراض شخصية أن الدافع له هو حرصه على نشر الاسلام ومع ذلك عاتبه الله لانه قطب

جبينه وأدار وجهه عن ابن ام مكتوم فأنزل الله (عبسى وتولى) يعاتب نبيه على ذلك ليعرف نبيه أن قانون الأ ولويات سائد فى حق الخلق جميعا وليس سائد فى حقه صلى الله عليه وسلم يقول له عليك أن تدعوا الساده و الاكابر وبنفس الوقت تفتح قلبك للاعمى ولاتدير بصرك عنه عليه أن يفهم أن وقته وجهده كله لله للفقراء وغيرهم هذه هى أخطاء الانبياء وهى حسنات بأى مقياس بشرى تقيسها به لكنها فى مقياس الله تأخذ شكلا اخر ويعاتب عليها سبحانه وتعالى ولهذا يقول تعالى عليك أن تفهم قانون النسبيه وقانون اختلاف المستويات ولهذا تشير الايه إلى توبه الله على النبى صلى الله عليه وسلم لانه قبل اعذار المنافقين للتخلف كما قال تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم ...الخ

والمسألة متعلقه بالامور التى تخضع لاجتهاد النبى فى أمور السياسيه حيث ترك له الاجتهاد ليبين لهم ان ادراه الدوله تتطلب الاجتهاد فى استعمال الاساليب المناسبه التى تمنع فوات المصلحه فالخطاء ليس متعلق بارتكاب فعل ضار وانما بفوات المصلحه

ولهذا قال تعالى (لقد تاب على النبى) للتنبيه أن الأنبياء لايقرون على خطاء ولهذا فإن اخبار الله عن الانبياء من التوبه يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فالله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبه نقصا بل هى افضل الكمالات وهى تتنوع وفقا لاختلاف المستويات كما يقال حسنات الابرار سيئات المقربين

ثانيا

فالايه تناقش القانون المطبق فى التوبه عن الأخطاء أنه قانون النسبيه وقانون

اختلاف المستويات وعلى هذا الأساس يبتلى الله عباده بما يتوبوا منه ليحصل لهم بذلك تكميل العبوديه و الخضوع والخشوع والانقياد والتضرع والانقياد لله الكامل والانابه إليه وليحصل كمال الحذر فى المستقبل والا جتهاد بالعباده وهذا لن يحصل بدون التوبه ولهذا نجد أن الايه الكريمه تذكر بعدها التوبه على الثلاثه المخلفين كعب بن مالك ومراره بن الربيع الذين تأخر قبول توبتهم فقال تعالى (وآخرون مرجون لأمر الله...الخ

فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس بعدم الحديث معهم لقد كان مقاطعتهم خمسين يوما لماذا تاخر قبول توبتهم لماذا تم مقاطعتهم خمسين يوما مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اعذار المخلفين والذين تجاوز عددهم ثمانين شخصا برغم أن اعذار المنافقين علم أنها كاذبه لان المنافقين خارج نطاق التربيه والرعايه الالهيه وقد أخبرنا المولى فى الايات السابقه انه تعالىله ملك السموات والأرض وأنه يحى ويميت وأنه هو الولى الذى يتولى تربيتهم ورعايتهم ولهذا فإن مقاطعه الثلاثه المخالفين تربيه من الله حاسمه لهم لماذا لأنهم صدقوا الله ورسوله فلم يختلقوا الأعذار والمبررات الكاذبه للتخلف فأراد بهذا الارتقاء بهم فمن يكون صادقا فإن الله يريد أن يطهره ويتولى تربيته ومن يتولى الله تربيته فقد أنعم عليه بنعمه عظيمه فهذا دليل على رعايه الله وعنايته باولياءه

فالتوبه تعنى الندم وعدم العوده تعنى التطهر من الاوساخ وازاله اثار المخالفه فالتوبه لابد منها لكل مؤمن ولا يكمل أحد ويحصل له كمال القرب من الله ويزول عنه كل ما يكره الابها الاترى قصه الثلاثه المخلفين لقد كان مقاطعتهم حتى أصبحت الأرض بنظرهم غير الأرض التى يعرفونها أصبحت أنفسهم كأنها غريبه عليهم لقد تغير كل شى كما يحكى كعب بن مالك هذا الصحابى الذى لم يتخلف ولا فى غزوه مع الرسول صلى الله عليه وسلم غير تبوك لأنها كانت فى وقت شده وضيق ووقت جنى الثمار وأما بدر فلم يخرج لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدعوا الجميع للخروج وأما صاحبيه فقد كانا ممن شهد بدر فكان تخلفهم انقاص للمستوى الذى هم فيه ولهذا تم معاقبتهم بهذه العقوبه الخاصه لأنهم صادقون فهم عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم المخلفون يعتذرون وكانوا كما يقول كعب بضعا وثمانين رجلا فقبل منهم الرسول صلى الله عليه وسلم علا نيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله حتى إذ جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال

تعالي فحئت امشى حتى جلست بين يديه فقال لى ماخلفك الم تكن قد اشتريت ظهرك فقلت يارسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عنى به ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك بحديث صدق تجد علي فيه وانى لارجوا فيه عقبى من الله والله ماكان لى عذر

وكذلك قال مراره بن الربيع وهلال بن اميه

فمرتبه الصدق هذه عاليه ولهذا كان لابد من تربيتهم وتاديبهم ولهذا تم مقاطعتهم وبعد أربعين يوما زاد التأديب لهم فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم كعب وأصحابه بأن يعتزلوا زوجاتهم وكان فى هذا زياده مشقه

وكذلك فإن الله ابتلى كعب بن مالك اثناء فتره التأديب ابتلاء آخر لقد وصل إليه كتاب من من ملك الغساسنه يطلب منه أن يلتحق به هكذا هى عاده الاعداء أنهم يسعون إلى استغلال الصراع لصالحهم لكن كعب رفض ذلك وأدرك أن هذا ابتلى من الله

وقد تولى الله تربيه أولياءه فقال تعالى(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجا من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)

ليعلمنا كيف أن الله رؤوف بعباده ورحيم بهم فقد سمعوا مناديا ينادى أن الله قد قبل توبتهم فكان هذا الوقت اعادتهم إلى المستوى الذى كانوا فيه بعد علاجهم لانه لايعرف قيمه الصحه الا المريض ولا يعرف قيمه الطعام ا لا من اصابه الجوع فإن من ذاق الجوع والعطش والمرض والفقر والخوف ثم ذاق الشبع والرى والعافيه والغنى والأمن فإنه يحصل له من المحبه لذلك وحلاوته ولذته والرغبه فيه والشكر لنعمه الله عليه والحذر أن يقع فيما حصل او مالم يحصل بدون ذلك

ثالثا

(يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

الأمر الاول

(الصدق اساس النجاه والسلامه والفوز والنجاح)

مما يجب عليك أن تدركه أن الأعمال لها اصل ظاهر و اصل باطن الظاهر يترجمه العمل الذى يراه الناس اى عمل الجوارح أما الباطن فهو يعود إلى القلب اي عمل القلوب اى النوايا ولهذا فإن اصل اى عمل هو الصدق وا لإخلاص فاصل عمل القلوب هو الصدق صدق القلب بالإيمان تحقيقا وصدق نيه العمل وصدق اللفظ فى الكلام اى عمل القلب ولهذا كان الرسول يتعامل مع المنافقين المتخلفين على أساس الظاهر يقبل باعذارهم مع أنه يعلم أنهم كاذبون لكنه لايؤخذهم الا على الظاهر أما الباطن فهو يعود إلى مراقبه الإنسان لنفسه ليسأل نفسه ثلا ثه اسئله ليبتعد عن الكذب هل هو صادق فى اخلاص نيه العمل لله أم أنه يريد به مكاسب دنيونيه هل هو صادق فى طلب رضوان الله تحقيقا للإيمان الذى يدعى الانتساب إليه وهل هو صادق فى لفظ الكلام الذى يتحدث به لان الكذب يبدأ سريانه من اللسان إلى القلب حتى يكتب الرجل كذابا فلا يكون صدق الإنسان إلا بهذه الثلاثه الاشياء ولهذا جاء الأمر الالهى للمؤمنين بتقوى الله والصدق والتزام جماعه الصادقين (يابها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين)

بعد أن تناولت الايه السابقه توبه الله على الثلاثه المخلفين كعب بن مالك ومراره بن الربيع وهلال بن اميه الذين فهمنا من قصتهم أنهم كانوا صادقين مع الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكذبوا فى تبرير تخلفهم عندما

سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن سبب تخلفهم وأنهم كانوا يراقبون الله ويخشونه تعالى كما يتضح من القصه فى جواب كعب على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم له عن سبب تخلفه

فقال كعب يارسول الله والله لو جلست عند غير ك من أهل الدنيا لرأيت انى ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عنى به ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك بحديث صدق تجد فيه علي فيه وانى لارجوا فيه عقيبى من الله والله ماكان لى عذر والله ماكنت قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق ...الخ فبينت الايه أن الخوف من الله وخشيته يدل على المحبه وسلامه القلب فتحقق بذلك الشعور تحقق ايمان قلوبهم بالله ومراقبته وصدقوا فى كلامهم ولهذا فقد تولى الله تربيتهم وتاديبهم وهذه نعمه عظيمه لان فيها إحسانه وعطفه سبحانه وتعالى عليهم

لما فيه مصالح دينهم ودنياهم بعكس الكاذبين فقد تركهم ولم يطهرهم لانه تعالى يعاقب الكاذب بأن يقعده ويتبطه عن مصالحه ومنافعه ولهذا جاء التوجيه الالهى للمؤمنين بقوله تعالى (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

تبين الايه اهميه وجود التنظيم الايمانى الصادق فى إيمانه وتحقيقه على الواقع هذا التنظيم الذى يجاهد فى سبيل الله تعالى وتبليغ دعوته فالمؤمنون يتجمعون ويتعانون على البر والتقوى لايتثاقلون عن الانتظام فى صفوف الجهاد فى سبيل الله يتنافسون على طاعه الله واعلاء كلمته

المفهوم الثانى

أن الواجب على المسلم الانتظام فى صفوف جماعه المؤمنين الصادقين فى إيمانهم فلابد أن تنتظم فى الصف الصادق الذى تشاركه هم الدعوه لله تعالى. وان تسخر كل إمكانيات لجماعه المؤمنين الصادقين التى تسعى لا قامه دين الله واعلاء كلمته سبحانه وتعالى

الأمر الثانى

تبين الايه أن الواجب على المسلم الانتظام فى صفوف التنظيم الايمانى وان يراقب الله فى ذلك بالتخلص من الكبر. والعناد والحسد والحقد وكل الموانع التى تمنع العبد من الالتحاق بالصف المؤمن لكن ينبغى عليك أن تبحث عن الصادقين لانه سوف يكون هنالك من يحاول اختراق الصفوف من خلال رفع شعارات الايمان وهم كاذبون لهم اهداف ماديه من الحصول على مكاسب دنيونيه مثل الوصول إلى السلطه والتسلط على رقاب الناس لهذا فإن عليك أن تبحث عن الصادقين المخلصين الذين تثق بهم وبنصائحهم ولأجل أن تضم جهودك إلى جهودهم لخدمه الاسلام والمسلمين

انتبه أن تنخدع بما يرفعه المنافقون من لافتات حزبيه تدعى أنها تحمل رايه الاسلام وهم كاذبون لان اول صفه يجب عليك أن تنظر إليها لتعرف هل هذه الجماعه صادقه ام كاذبه أن تنظر إلى اغراضها هل تهدف للحصول على مكاسب دنيونيه ماديه ام معنويه من وراء الدعوه ؟

لان الداعيه الصادق يدعوا الناس متجردا من كل الاغراض الدنيونيه فجميع الرسل قالوا لاقوامهم (لا اسالكم عليه اجرا)

وقال تعالى (قال باقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسالكم اجرا)

فمن الصدق يتشعب الزهد الذى يتصف به الانبياء فهم كانوا زاهدون عن الدنيا لايطلبون مقابل خدمه الاخرين لأنهم يبتغون رضوان الله تعالى

وكذلك من علامات الصادقين الصبر لانه مما يتشعب منه الصدق لان الصادق لابد يصبر على اتباع أمر الله ويتحمل الأذى عندما يامر بالمعروف وينهى عن المنكر من أعداء الدين فالصادق لابد أن يتحمل كل ذلك لأنه باع نفسه وماله ووقته لله تعالى ولهذا فهو لايحقد على من يؤذيه لان مقصوده اقامه دين الله لا استيفاء الرجل حظه ولهذا إذا تاب المأمور المنهى وقبل الحق فلا ينبغى أن يفتص منه ولايجوز أن يعاقبه على أذاه لان المجاهد قد باع نفسه وماله لله مقابل الجنه ولهذا يقول تعالى (وجعلنا منهم ائمه لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون)

من علامات الصادقين القناعه عما فى ايدي الناس لايعترض على عطاء الله ومنعه ويتوكل على الله بالإيمان و العزم والقبول باختيار الله والانس بذكر الله فى كل حال مع العلم والفهم الصحيح بالطريق الموصل إلى الله منقادا لأمر الله محبا لله وخائفا من الله ولايخشى فى الله لومه لائم واستقبال أمر الله بالاجلال والتعظيم فهو لاء هم الصادقين

رابعا

بعد أن بينت الآية السابقه اهميه وجود التنظيم الايمانى الذى يقع عليه تحمل أعباء حمايه الدين ونشر الدعوه و القيام بالجهاد لاعلاء كلمه الله وان اساس ذلك هو الصدق الذى يتحقق معه انطابق العلم مع العمل والإخلاص أن تبتغى بذلك وجه الله ولهذا يقول تعالى (ماكان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصه فى سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا الا كتب لهم عمل صالح أن الله لايضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولايقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون)

الامر الاول

فخص بالذكر أهل المدينة وهم المهاجرون والأنصار القاعده الصلبه التى هى اساس التنظيم الايمانى الذى أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك التابعين الذين أسلموا من القبائل العربيه حول المدينه وحسن إسلامهم ولهذا قال تعالي. أنه لايليق ولا يصح عن الصادقين المخلصين الذين هم نواه والقاعده الصلبه فى البناء و التنظيم الايمانى

التخلف عن اتباع القائد بالبقاء فى منازلهم وإيثار الراحه وعدم الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال فهم الموصفون بالصدق والإخلاص

الأمر الثانى

عليك أن تدرك أن الصدق والإخلاص أصل كل حال فمن الصدق يتشعب الصبر والقناعه والزهد والانس والرضا ومن الاخلاص يتشعب اليقين والخوف والمحبه والاجلال والتعظيم والحياء ولكل مؤمن من هذه المقامات موطن يعرف به من حاله فيقال له خائف وفيه رجاء وراح وفيه خوف وصابر وفيه الرضاء ومحب وفيه الحياء وقوه كل حال وضعفه بحسب إيمان العبد ومعرفته ولهذا تبين الايه

المفهوم الاول

ان المؤمن الصادق لايتخلف عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم مهما كانت الشده لان المؤمن لايكون مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما اى احب إليه من نفسه ولايسمى العبد محبا لله الا اذا كان منه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه علامه محبه الله لقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ولهذا فكيف يكون التخلف وعدم الخروج مع الرسول عندما استنفر هم للقتال ؟

المفهوم الثانى

علامه حب الله اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا تستنكر الايه تخلف البعض عن اجابه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما استنفر هم للخروج لتبوك فقال تعالى(ولايرغبون بأنفسهم عن نفسه)

كيف لمؤمن أن يرغب بنفسه بالراحه فى حين يتحمل الرسول صلى الله عليه وسلم المشقه والتعب كيف له أن لايشارك الرسول المشقه والتعب فالمسلم الحقيقي يحب الله ورسوله أكثر من نفسه

المفهوم الثالث

أن طريق الدعوى يتطلب أن تكون صاحب عزيمه وان تتحمل مشقه الطريق اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فهذا فيه توجيه لك انت ايه المسلم فى كل زمان كيف لك أن تدعى انك داعيه وانت لاتطيق تحمل تكاليف الدعوه كيف لك أن تلتحق بالصف وانت لاتريد أن تتحمل المتاعب التى تحملها الرسول صلى الله عليه وسلم فاللازم أن تقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثالث

تبين الايه اهميه تعظيم الله واجلاله وتعظيم أمره وتعظيم رسوله الكريم ولهذا نجد الايه تخاطب المشاعر وتغوص فى أعماق نفوس النخبه من خلال هذا الاستنكار

بأنه لايليق بالمؤمن الصادق المخلص ا ن يطلب راحه نفسه وسكونها عن نفس الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفه الكريمه اشاره الى اهميه تعظيم أمر الله اولا وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم فاللازم أن يلبوا النداء لان اتباع الرسول علامه محبه الله واجلاله وتعظيم أمره فمحبه الله تقتضى ايثار الطاعه على المعصيه والاجلال والتعظيم من الحياء بمنزله الرأس من الجسد الذى لاغنى لأحدهما عن صاحبه وإذا استحياء العبد من ربه أجله

ولهذا جاء التعبير (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه)

المفهوم الاول

فهذا يهدف إلى لفت الإنتباه إلى اهميه الاستحياء من الله ومن رسوله فكيف تدعى انك صاحب لرسول الله وترغب أن تكون فى البيت حيث الراحه والزوجه ورسول الله الذى ينبغى تعظيمه يعانى المشقه ويتحمل المتاعب الا تستحى من رسول الله كيف تراه يعانى وانت تتهرب من المعاناه فاللازم عليك أن تشاركه المتاعب وتحمل الأعباء معه

ثم إن تعظيم الله واجلاله يتطلب منك أن تستحيا من الله كيف تتخلف عن الخروج للقتال فى سبيل الله ف المؤمن باليقين لابد أن يراقب الله و يخاف الله كيف تطلب جنته وانت تخالف أمره فمن عرف الله عليه أن

يستحى من الله وافضل الحياء مراقبه الله والمراقبة فى طاعته بالعمل وترك المعصيه ومراقبه الله فى الهم و الخواطر بأن تعبد الله كأنك تراه

المفهوم الثانى

أن على المسلم أن يفهم أن العباد ه ليست مقصوره على الصلاه والصيام والحج والزكاة فهذا فهم خاطى لان العباده تعنى أن تكون حياتك كلها لله فى نومك وقيامك وسفرك وأثناء عملك ينبغى أن تكون حركه المسلم كلها عباده لله تعالى تنطلق من منهج الله لتصل إلى الله والدار الاخره ولهذا ينبغى أن تكون حركاتك كلها عباده الله برغبه ونشاط ومحبه أساسها معرفه القلب ولهذا يقول تعالى حثا لهم على الجهاد (ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصه فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل ص الح أن الله لايضيع اجر المحسنين ولا ينفقون صغيرة ولا كبيرة ولايقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون)

فاستخدم اسم الاشاره (ذلك) للترغيب بالجهاد عليكم أن تنظروا إلى ما يمنح الله المجاهد من ثواب وأجر عظيم وجزيل فما يتعرض له المجاهد من (ظمأ) عطش (ولا نصب) ولا تعب ومشقه (ولا مخمصه فى سبيل) الجوع والمجاعه الشديده وسميت مخمصه لانه تظهر خمص البطن وظهوره (ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار) اى ولايدخلون بلد من بلاد الكفار ولاينالون من الاعداء من غنائم وأموال وظفر كل ذلك لهم فيه اجر فالله لا يضيع اجر المحسنين اى الذين راقبوا الله بأن عبدوه كأنهم يرونه فإذا كانوا لايرونه فإنه يراهم اى يراقبون الله ويخشونه فكل شى محسوب عند الله لايضيع

فقال تعالى (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) مهما كانت فهى محفوظه (ولا يقطعون ودايا) حتى الخطوات التي يخطوها كل واحد فهى محسوبه ومكتوبه اذا اخلصوا فقال تعالى (الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون)

فكل ما يلاقونه من متاعب فى الجهاد يجدون اجره ولهذا فكيف لهم أن يتخلفوا عن اتباع رسول الله

خامسا

(وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)

الايه فيها تحديد حدود النفير العام نظرا لأن الناس بعد التنديد بالمتخلفين الذين تخلفوا عن اجابه دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم للنفير العام فى تبوك صاروا يتزاحمون فى المدينة ليكونوا رهن إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا كان لابد من تحديد حدود النفير العام فنزلت الايه الكريمه لتبين

الأمر الأول

أن النفير العام حاله خاصه تقررها القياده عندما ترى وجود ضروره لمشاركه المسلمين كلهم فى القتال حيث يكون الجهاد فرض عين على كل مسلم قادر على حمل السلاح

وهذه استثنائية أما الأصل فإن الجهاد بالسيف فرض كفايه إذا قامت به طائفه سقط الواجب والاثم عن البقيه ولهذا قال تعالى بعدها (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة)

معطوف على كلام محذوف ولولا حرف تخصيص بمعنى هلا اى فحين لم يكن هنالك موجب لنفير الكافة فهلا نفرت من كل فرقه من المؤمنين طائفه للجهاد وتبقى طائفه

للبناء والإعمار وتعلم العلم وتعليمه

الأمر الثانى

فالايه تبين اهميه التخصيص وتقسيم الأعمال فالدوله تحتاج إلى المتعلم والطبيب والمهندس والمقاتل والعالم الذرى وعالم الدين والحديث والفقه تحتاج الى كافه مشاركة الجميع فى تشيد وبناء الدوله تحتاج الى كافه المبدعين لابد من وجود التخصصات المتنوعه يدعوا إلى التكامل الناشئ عن التخصصات المتنوعه بين أبناءه ليخوض كل واحد منهم معركته فى مجاله ليبرز إبداعه فى خدمه الاسلام وخدمه المجتمع المسلم بمعنى يد تحمى ويد تبنى فالطبيب يجاهد في موقعه والمهندس من موقعه والمدرس من مدرسته كلنا نساهم فى بناء الوطن فليس اقامه الدوله وبناءها يكون بحمل الجميع السلاح للقتال الا اذا ستدعت الحاجه مشاركه الجميع فى الدفاع الدين والوطن ومنجزاته فإن الجميع يلبى النداء للنفير العام أما فى الأحوال العاديه فإن اللازم أن ينهض كل واحد من موقعه وهذه حاله استثنائية فليس التدين والايمان الحقيقي أن يحمل الناس كلهم السلاح للقتال ولا أن يكون المسلمين كلهم متفرغين للصلاه والصيام والقعود فى المسجد ولا أن يصبح الجميع علماء الحديث او علماء فى الأوامر والنواهى كما توهم البعض لمدلول الايه فهذا الفهم الخاطى لمعنى التدين والا يمان هو سبب التخلف والخبال الذى تعيشه الامه اليوم أنه ناتج عن الفهم الخاطئ لمعنى العباده وحركه المسلم بالاعتقاد أن الله خلق الانسان للعباده بمفهومها الضيق والحسير جدا اى الصلاه والصيام وتعلم التفسير واصوال الحديث وترك الاخرين من أهل الكفار القيام بعمران الأرض وتدبر أمور الصناعات وبلوغ علومها وإتقان تدابير الحياه ليكونوا فى خدمه عباد الله الصالحين المؤمنين به ليتفرغوا لعباده الله فى حين يقوم الكفار بعماره الأ رض نيابه عنهم أن هذا الفهم الخاطئ للنصوص والتدين المغشوش قد أدى إلى ظهور صور المروق من الدين أو الانسحاب من الحياه و دخلت الامه فى نفق التييه نتيجه الفهم المحزن لقيم معرفه الوحى وقد فقدت الامه فاعليتها ودورها فى قياده العالم وحمل امانه الخلافه بعباده الله والقيام بعمران الأرض وفق منهج الله ولهذا فإن استرداد الامه فاعليتها مرهون باستدعاء معرفه الوحى باتخاذها سبيل الهدايه والقرب من الله واستصحابها كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه وابصار سننها وايقاظ الوعى واستنفار العقل وتوفير التخصصات المطلوبه لبناء العقل الناضج ليقوم بدوره ووظيفته فى تنزيل معرفه الوحى على واقع الناس ونوازلهم من خلال المنهج الارشادى ومن خلال المنهج السننى فقد جعل الله معرفه الوحى سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم ورتب على ذلك مسؤوليه الإنسان فى القيام بالخلافه على الأرض فالانسان المسلم بحاجه الى تعلم العلم الشرعى وتعلم العلوم الأخرى وان ينطلق فى ذلك من الوحى فالدين الاسلامى يقوم على منهج ذو طبيعه حركيه فيه أمور ثابته وأمور متغيره وهذه الأمور المتغيره تخضع للتحولات ولهذا فإن من الأخطاء الشائعة التى وقع فيها الكثيرون أنهم اعتبروا العلم النافع مقصور على معرفه الأمور الثابته

(الاسلام والإيمان والإحسان) ولم ينظروا إلى العلوم المتعلقه بالبناء للدوله والتحولات التى تطرا فى الامه و التى يترتب عليها أما نقص أو قبض أو صلاح أو فساد أو بشارات وهذا واضح فى حديث جبريل الذى سال الرسول عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم سأله عن امارات الساعه ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم أتدرون من السائل قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل اتاكم بعلمكم دينكم) نقلا من كتاب الأسس و المنطلقات بتصريف

ولهذا فإن الفقه فى اللغه الفهم وفى الاصطلاح إدراك المقصود المترتب على نوع العلم المقرر لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خير يفقهه فى الدين)

يقول ابوبكر بن مشهور (فالفقه هنا لاينحصر على فقه العبادات وفقه المعاملات وفقه الجنايات أو غيرها من الفقه المذهبى المتدرج تحت علم الاصول وانما يفهم الفقه فى تأصيل فقه التحولات بأن كلمه الدين فى

الحديث تدل على كافه علوم الدين والتدين المنطويه تحت مفهوم أركان الدين الاربعه وفى ذلك قوله تعالى (أن الدين عند الله الاسلام)

والإسلام أوسع من مفهوم أركان الإسلام الخمسه لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخره من الخاسرين) اي. نظام الحياه

فالدين له معانى عديده فهو يطلق على الحكم والسياسية لقوله تعالى (ماكان ليأخذ أخاه فى دين الملك) اى فى سلطان الملك وقال تعالى (أن الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ويطلق أيضا على القانون

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلدة ولاتاخذكم بهما رافه فى دين الله)

ويطلق على الفكر والمذهب لقوله تعالى (ليظهره على الدين كله)

ويعنى الشرع لقوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين) ويعنى الجماعه لحديث لايحل دم امرء مسلم ا لا بأحد ثلاث ..المارق من الدين التارك للجماعه) ويعنى النصيحه لحديث (الدين النصيحه)

فكلمه الدين تجمع جميع تلك المعانى لتدل على أن الدين هو الحياه كلها سواء الحياه الدنيا أو الحياه الاخره وان البشر لايمكن أن يقيموا أمرهم على السواء والاستقامة وعلى مايليق ومقام البشريه وعلى مايوافق القيم الإ نسانية الا بالتزام الدين كله بجميع معانيه وشمول مراميه ومطلوباته ولهذا كان حقا على العاملين للإسلام أن ينظروا إلى الدين بعين الشمول لايجهلون منه جانبا ولايبخسون منه معنى ولايهملون أمرا أو يحقرون منه شيئا البتة

ولهذا فإن المسلم بحاجه الى العلم بجميع ما يحتاج إليه سواء فيما هو متعلق بعلاقته بربه أو فيما يحتاجه للقيام بالخلافه أو العلم بفهم التحولات وما يترتب على ذلك تغييرات ايجابيه أو سلبيه تقتضي أتخاذ اجراءت تمنع حدوث مايكون فيه تغيرا سلبيا أو اتخاذ إجراء ت تدفع إلى التغيير الإيجابي فالمسلم لابد أن يتحرك لتقرير الواهيه الله فى الارض والقيام بعمران الأرض وفق منهج الله وهذا يتطلب حركه لان القاعد لايفقه شئيا فالفقه إنما يكون بعد الحركه لان التطور والتقدم يعنى الحركه وتحويل النظريات إلى واقع حياه فانشاء الدوله والمجتمع المسلم يتطلب وجود حركه لاحداث التقدم والتطور يتطلب توفر التخصصات المتنوعه المطلوبة لا حداث التطور والخروج من التخلف يتطلب أن توجد حركه نحو مستويات متعدده نظرا لأن الظاهره تكون محكومه بظروف اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية ولهذا لايمكن عزل هذه الظروف عن بعضها الا باستبدالها بظروف جديده ولهذا فإن

التقسيم للأعمال. والتخصصات رعايه لمصلحه الامه فيكون حدوث التغيير من خلال هذا التكامل فى حركه المجتمع المسلم فى إطار الدين الإسلامي الذى يجمع هذه الطاقات وهذا يتطلب وجود تنسيق بين الجهود المبذولة وان يصدق كل واحد فى رجاء حذر انحراف الامه وابتعادها عن المسار رجاء حصول التغيير المطلوب والثبات على الطريق وعلامه صدق الرجاء شده الطلب والجد والاجتهاد لاجل ادراك ما رجاءه فهذا هو الجهاد المثمر الذى يفتح البصائر ويمكن من التفقه فى الدين التى تحدد لهم الطريق المستقيم الذى يحقق لهم مصالح دينهم ودنياهم

سادسا

بعد أن بينت النصوص السابقه الإرشاد إلى دور كل فرد من أفراد المجتمع المسلم فى الجهاد والبناء والعمران بما يمكن الامه من قياده العالم تأتى الآيات مبينه الإرشاد إلى تحديد مسؤوليه الامه عن قياده العالم ورفع الالم

والمعاناه عن البشريه بحمل السيف ضد الطاغوت والظالمون باعتبار المسلم خليفه لله فى أرضه ولهذا تحدد الا يه المدى الذى تتحرك الامه الاسلاميه فيه للقتال فى سبيل ذلك وأسلوب التعامل مع الكفار فى ساحة القتال فقال تعالى

(يايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)

الأمر الأول

اول ما يلفت الإنتباه أن الأمر بالقتال للكفار فى الايه للذين هم اقرب للمسلمين لايشير إلى مساله أن هذا القتال لرد عدوان محدق وحال على الدوله الاسلاميه كما كانت الآيات السابقه تتحدث عن موضوع القتال وهذا الأمر محل جدل بين من يريد أن يحصر القتال فى رد العدوان على دوله الاسلام ..وبين من يريد أن يجعل الجهاد فكره تهدف إلى إرغام الناس على الدخول فى الاسلام

والحقيقه ان كلا الفريقين قد أخطأ فى فهم النصوص حيث وان الاسلام أمر بالجهاد عندما انتقل المسلمون إلى المدينه وتكونت لهم دوله لرد العدوان وهذا ماكان فى بدايه الامر فى مرحله الانتقال من عصابه إلى دوله لم تكن اركان الدوله الاسلاميه قد اكتمل بناءها فهذه المرحله يكون المسلم مسؤلا عن نفسه وإخوانه المسلمين داخل الدوله الاسلاميه فقط اى أنه لايكون مسؤولا عن نصره أخيه المسلم يعيش فى دوله اخرى لاتدين بالإسلا م لماذا ؟

لان الدوله فى بدايه بناءها فالمرحله مرحله عبور من عصابه إلى دوله تحتاج إلى بناء المؤسسات ولهذا فإن حدود مسؤوليه الدوله ومكوناتها لاتتجاوز أفرادها الذين يقطنون داخل الدوله الاسلاميه ولهذا أمر المؤمنين بقطع اى ولاء مع اى مسلم لم يهاجر الى المدينه

اما بعد الحديبيه وبعد أن صارت الدوله تحظى باعتراف المجاورين وقبائل الجزيره العربيه وأصبحت قوه معترف بها وبعد انضمت الى قوه المسلمين قبائل دخلت فى حلف المسلمين فقد كان اتساع دائرة مسؤوليه الى حمايه من دخل فى حلف الدوله الاسلاميه ولهذا عندما تم الاعتداء على خزاعه كان نصرتها وحصل فتح مكه و الذى شكلت بدايه مرحله جديده بالنسبه للدوله الاسلاميه انتقل فيها المسلم إلى مرحله جديده ولهذا فقد زادت مسؤوليته باعتباره خليفه لله فى أرضه فهو يشعر أنه مسؤول عن رفع المعاناه والظلم والاستبداد عن البشريه كلها حتى عن الكفار الذين لم يدخلوا فى الاسلام فالإسلام رساله للعالم أجمع ولهذا لابد من تحرير عقل الإنسان من كل القيود التى وضعها الطواغيت لتعطيل الوعى ومنعه من التفكير الذى يوصله إلى معرفه الغايه من وجوده وتحريره من الاغلال التى وضعها الظالمون على اراده الإنسان ومصادره حريته التى هى اصل إنسانيته التى ميزه الله بها على سائر المخلوقات (العقل ..وحريه الاختيار) والتى رتب عليها مسؤوليه الإنسان

ولهذا فإن المسلم مسؤول عن معاناه البشريه فعليه واجب تحطيم هذه القيود التى وضعها الظالمون لمنع الناس من الدخول فى الاسلام ظلما وعدوانا ولهذا فإن مسؤوليه المسلم باعتباره خليفه لله فى أرضه هو تحطيم هذه القيود واعاده للإنسان كرامته وانسانيته ومن ثم يترك له حريه اختيار الدين الذى يريد ولايرغم على اعتناق الإ سلام وانما المراد من قتال الكفار هو تطبيق أحكام الدين فى الارض بأن تسود قيم الإسلام ومبادئه من الشورى والحريه والعداله وتكافؤ الفرص والمساواة الحياه وتحكم البشريه كلها لينعم البشر بعدالة الاسلام وليعيشوا فى حريه دون أن يستبعد هم أحد فالناس سواسيه فلا يجوز اضطهاد الإنسان واستغلاله أو مصادره حريته واردته أو فرض حاكم عليه فهنالك فرق بين الدين كنظام يحكم البشريه وبين الدين كفكر ومعتقد فالاخير هو الذى لا إكراه فيه أما الدين كنظام يحكم حياه البشريه فهذا أمر يجب على المسلم أن يسعى ليكون هو المهيمن على الأ رض كلها فهذا هو واجبه باعتباره خليفه لله فى أرضه

الأمر الثانى

تعلمنا النصوص فقه الأولويات فى حركه المسلم فى الجهاد ولهذا تبين الايه أن مسؤوليه المسلم فى رفع الظلم والاستبداد والمعاناة عن البشريه وتحرير الإنسان من الحكام الظالمون والطواغيت ليس أمرا عشوائيا بأن يتحرك المسلم لذلك بدون خطه

فاللازم قبل كل شى تأمين الداخل واحتواءه من التفكيك بسد الثغرات فلا يتركوا وراءهم جيوب يمكن أن تشكل خطراً يهدد كيان الدوله فاللازم تأمين الظهر ولهذا فعليك أن تبدأ بالاقرب فالاقرب حتى تكون قادرا على استعياب شعب تلك الجغرافيا فلا يكون التوسع سببا فى سقوط الدوله فلا بد أن تكون الأطراف متماسكه ثم يكون التقدم ودمجهم فى إطار المجتمع المسلم وازاله كل عوامل الانقسام ولهذا ابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر الاسلام فى الجزيره العربيه ولم تم تطهير الجزيرة من الشرك انطلق نحو الأقرب لهم هو الشام

لم يتسارع فى التوسع نحو فارس أو غيرها نظرا لزياده تكلفه الحرب من جهه ومن جهه اخرى لان التوسع الغير محسوب قد يشكل خطراً على كيان الدوله إذ أن أخطر ما وجهته الدوله الاسلاميه بعد ذلك هو التوسع الأفقي دون استيعاب الأعداد الكبيرة التى دخلت فى الاسلام بعد فتح فارس إذا أدى ذلك الى التأثير السلبى على دوله الاسلام حيث حصل التوسع على حساب التفريط بالقيم والمبادئ وهذا نتيجه عدم استعياب المسلمين فى العهد الاموى وما بعده مفهوم هذه الايه

الأمر الثالث

أن اللازم مقابله الطغاه والظالمون المحاربين للإسلام والمسلمين والذين يقفون أمام انتشار دعوه الاسلام بالقوه يجب أن يقابل بالغلظه والشده فإذا تم مواجهتهم فى المعركه فيجب أن تقاتلهم بشده وحزم لاهواده فيه اى القسوه فى محاربتهم ليجدوا فيكم قوه تحمل فالرفق إنما يكون بالمؤمنين

الأمر الرابع

على المسلم التسلح بالإيمان والتقوى بمراقبه الله فى كل حركه فالمسلم عندما يقاتل لايهدف من القتال الانتقام أو الغنائم وانما اعلاء كلمه الله فهو قد باع نفسه وماله لله مقابل الجنه ولهذا فلايجوز للمسلم أن يقتل الأسرى و لا أن يقتل النساء والصبيان ولا الذين لايحاربون فاللازم احترام انسانيه الإنسان وكرامته ومراقبته الله فى ذلك فليس للمسلم رغبه فى القتل والتعذيب والتنكيل ولكن يفعل ذلك بالمقاتلين لنصره دين الله ولهذا لايتعرض لمن ليسوا محاربين فالمحارب الذى يريد الظفر والنصر والتأييد والتوفيق والحفظ عليه أن يراقب الله وان يتقى الله فالله مع المتقين

القسم الثالث

ابتدأت ايات هذا القسم بالحديث عن المنافقين الذين تكلمت السورة عنهم مطولا نظرا لخطورة النفاق على المجتمع المسلم ودولته لأنهم يظهرون الايمان ويبطنون الكفر ظاهرهم مع المسلمين وباطنهم مع أهل الكفر هم غالبا ما يظهرون فى مرحله القوه والتمكين ولهذا فإن المعركه بين الايمان والنفاق لاتتوقف ولاتنتهى بانتهاء المعركه مع أهل الكفر وانتصار الاسلام وسقوط انظمه الكفر بل إنها تبدأ من لحظه هزيمه الكفر ودولته معركه الا يمان مع المنافقين فقال تعالى (واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون

اولا

ابتدأت الايه بنقل طريقه تلقى المنافق للسور القرانيه واستقباله التكاليف القرانيه إلى جانب نقل طريقه تلقى

المؤمنين الآيات وتكاليف العقيده فى ختام ما تكلمت السوره به من حديث مطولا عن المنافقين واساليبهم الا ان الملفت للنظر أن هذه الآيات وردت بعد بيان فضل العلم وأهميته وبعد التوجيه للمؤمنين بقتال الكفار الأقرب لبلا المسلمين فكان الرجوع للحديث عن المنافقين الذين تكلمت السورة عنهم مطولا ذو دلاله مرتبطه بعمليه التوسع فى الفتوحات وحث المؤمنين على العلم والعمران الايتان السابقتين عن هذه الآيات خاصه أن الآيات قد ذكرت صورتان متقابلتان لاستقبال المنافقين للوحى واستقبال المؤمنين حيث أن ذلك يهدف إلى تنبيه المؤمنين من المنافقين وخطرهم الشديد على دوله الاسلام ذلك أن توقيت ظهور المنافقين يكون فى زمن التمكين وقيام الدوله وعزها اى بعد انتهاء المعركه مع الكفر وسقوط دوله الكفر وإعلان انتصار المسلمين وهزيمه الكفار وسقوط انظمه الكفار فى هذه اللحظه التى تنتهى دوله الكفر وتنتهى المعركه مع الكفار تبدأ معركه الايمان ودولته مع النفاق والمنافقين اى من لحظه هزيمه الكفر ودولته لان فلول النظام السابق يضطرون إلى تغيير أسلوب حر بهم ضد الإسلام من خلال التظاهر بالإسلام وهم يبطنون الكفر وهنا تكمن الخطورة لانك أمام عدو لاتعرفه يصلى كما تصلى ويصوم كما تصوم ولهذا فإن المسلم بحاجه الى اليقظه من هذا العدو فمعركتك معه فكريه ولايمكن الركون إليه فنقتال الاعداء لان قلبه متعلق بالشهوات ولايتطابق باطنه مع ظاهره ولهذا ترسم لنا السوره صوره كامله عن المنافقين فاخبرنا الله تعالى أن هنالك فرق بين تلقى المؤمن وتلقى المنافق للايات لماذا ؟

لان المنافق لايريد معرفه الله ولايحب ذلك فقلبه منشغل بالباطل ولهذا يقول تعالى.

(وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا)

فالسؤال يدل أن قلبه غير مستشعر لوقع الآيات المنزله إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو أن قلوبهم لم تكن حاضره وهى غائبه عن تعقل وتدبر مايقال له والنظر فيه وتامله فالمؤثر موجود وهو القرآن المنزل وآياته لكن الانتفاع به يتطلب وجود المحل القابل (القلب الحى) الواعى ووجود الشرط وهو الاصغاء الذى ينفى انشغال القلب عن معنى الخطاب وانصرافه إلى شى اخر فإنه يحصل له الأثر وهو الانتفاع والتذكر ولهذا فإن المؤمنون باليقين فقد كانت قلوبهم حيه لديها استعداد للفهم فقد تلقت الآيات بالتعظيم والاجلال والخضوع و الخشوع والانقياد الكامل لأنها فقد شعرت بنعمه الله تعاملوا مع القران كأنه وحيا منزل على كل واحد منهم ف القلب واعى تام الفطره ولهذا فقد كان تفكيره وتامله بما يتلو عليه سببا باناره قلبه فحصل عمران القلب بالله بعد الخراب وأضاء له ربه الطريق فوصل الى الايمان باليقين ولهذا زادته الآيات إيمانا بصحه المعرفه والارداه فقد إفراغ سمعه للكلام وقلبه للتأمل والتفكير فيه وتعقل معانيه ولهذا ترقى قلبه من علم اليقين إلى منزله عين اليقين والى مقام الاحسان فهو يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فهو يوقن أن الله يراه ولهذا فهو يجد اللذه والسرور بطاعه الله ورسوله فعباده الله تصير غذاء روحانى له ولهذا يستبشر المؤمن بطاعه الله لأن الله يرزقه انشراح الصدر وحب طاعه الله حيث تصل النفس الى الاطمئنان اعلى مراتب الكمال الإنساني

أما المنافق فإن هذا السؤال منه يعود إلى أن محل استقبال انوار الله غير صالح لان قلبه مريض مظلم لايريد الوصول إلى الله والدار الآخرة فقد جمع بين الجهل والظلم

ذلك أن قلوبهم مريضه بالشك والشبهات والشهوات والنفاق ومن كان مريضا فانه يجد طعم الطعام على خلاف ماهو عليه فيطعم الحلو مر والمر حلو وكذلك فإن المنافقين يرون الحق باطلا والباطل حقا فلابد أن يسبق النفاق المرض فقلب المنافق تعرض لداء الشبهات بالشك والنفاق وحب الشهوات أخرجت هذا القلب عن صحته نتيجه الشبهات الباطله والشهوات ولهذا يقول تعالى. (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)

فقلب المنافق منشغلا منصرفا عن سماع القران الكريم بالشهوات والكفر والنفاق والبدع وهذه من الشبهات ولهذا قال على سبيل التهكم (أيكم زادته هذه إيمانا) فقد ازداد كفرا ونفاقا وجحودا ولهذا يقول تعالى (واما الذين

فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)

للتحذير من المعاصى والذنوب فإنها تجلب زياده البعد عن الله وعدم الانتفاع بآيات الله توقعه فى الغفله ف الزياده عقوبه لهم على ماكان منهم من المعاصى مثلما أن الله يزيد الذين اهتدوا هدى فعليك أن تعلم أن صلاح المحل لاستقبال انوار الله مهم وان المعاصى والفسوق والعصيان يزداد مثلما أن الإيمان يزداد بالطاعات وينقص بالمعاصى

ثانيا

تبين الآيات أن الله تعالى قد أنعم على الإنسان بالهدايه العامه بأن خلقهم على الفطره التى يعرفون بها ربهم عندما تزول عنها الاغطيه وجعل لهم السمع والبصر والفؤاد وأرسل إليهم الرسل لتبليغهم واقامه الحجه عليهم ولهذا فإن الذين ينتفعون بالعلم والخير هم الذين يعلمون أن اصل الشر من ذنوبهم فيكون منهم الاستغفار و التوبة فيزول عنهم الشر فالشكر والاستغفار والتوبه يزيد الخير للعبد ويدفع عنه الشر فالعلم والتجارب الحياتية توجب الخشيه من الله فتحمل العبد على فعل الحسنات وترك السئيات ولهذا تأتى يستنكر الله على المنافقين عدم انتفاعهم بالتجارب التى يعيشونها حيث يتعرضون للمصائب والشدائد ونزول الآيات التى تفضحهم يتعرضون لالم مشاهدتهم انتصار المسلمين فى كل سنه مره او مرتين ومع ذلك لايتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ماهو معلوم لفطرتهم فقال تعالى (أو لايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولا هم يذكرون)

فالايه فيها اخبار عن المنافقين لمن قرأ بالياء (اولايرون) وهناك من قرأها بالتاء على أنها اخبار عن المنافقين وخطاب للمؤمنين ليحذروا ما وقع فيه المنافقين فاللازم على المؤمن أن يتفقد إيمانه على الدوام لاجل أن يجدد توبته

أن اللازم على المؤمن قراءه المصائب والدواهى أنها رسائل من الله يريد منك أن ترجع إلى جاده الصواب أن تتوب إلى الله

على المؤمن أن يتعظ ويأخذ العبر والدروس من كل التجارب التى تمر بحياته فمن لم تصقله التجارب فاى علم يمكن أن ينتفع به

ثالثا

تستمر الآيات بتوبيخ المنافقين وبيان رسوخهم فى الجهل والكفر والفسوق والعصيان وعدم اراده المعرفه الصحيحه والعلم النافع الذى يطهرهم من الاوساخ فقال تعالى.

(وإذا انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون)

أن كمال الإنسان موقف بمعرفه الله واسماءه وصفاته وأفعاله وأمره ونواهيه معرفه ما يحب ويرضى ...وان تحب الله وتحب ما يحب الله ويرضاه ولذلك فاردتك وهمتك منشغله بالوصول إلى الله وابتغاء مرضاته

فالإيمان والعلم لايتم الا بالمعرفه الصحيحه وصحه القصد والاراده الجازمه الثابته

ولهذا فإن السلامه تكون بتلقى العلم من مشكاه النبوه وتجريد الاراده من شوائب الهوى واراده الخلق ولهذا فالا صل أن يجد العبد لذه للجلوس فى مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم مجالس الحديث واستماع ايات الله وشوق إلى استماع كلام الله فلا يجد فى ذلك مشقه ولهذا ترسم لنا الايه مشهد المنافقين فقال تعالى (وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض)

لبيان اهميه الإقبال على الله بالشوق والرغبه لاستماع كلامه حتى تجد الفائده فاحذر استطاله الطريق لان من كان هذا حاله صعب عليه مشيه ولهذا ترسم لنا الايه مشهد استطاله المنافقين القبيح للجلوس فى مجالس العلم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يتلوا ايات الله بأنهم ينظرون لبعضهم البعض نظره ريبة أنهم يغامزون بأعينهم يريدون الفرار من مجلس العلم ينتظرون أن يجدوا الفرصه بانشغال المؤمنين للفرار من مجلسه فقال تعالى للتعبير عن ذلك المشهد (هل يراكم من أحد)

للاشاره إلى أن ضمائرهم خاليه من الشعور والإحساس بوجود الله فكل ما يشغلهم هو البحث عن فرصه للفرار عند انشغال المؤمنين ولهذا يلجأون إلى التسلل والفرار بعدما يتأكدوا أن الفرصه سانحه فقال تعالى(ثم انصرفوا)

اى لاذوا بالفرار خوفا من الوحى أن يفضحهم أو لأنهم لايريدون الانتفاع بالعلم النافع كما قال تعالى (فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)

ولهذا يبين الحق عقوبه ذلك فقال تعالى(صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون)

بأن يصرفهم عن الهدايه وما فيه الخير لهم والسبب فى ذلك يعود لهم لأنهم أغلقوا منافذ الهدايه فكيف لمن وصد على نفسه ابواب الحجره ونوافذها أن يدخل إليه الانوار ولهذا فمن لم يقصد فهم ما أنزل الله وتدبر مافيه وقبوله لاينتفع ولايتاثر بآيات الله ولهذا يشغله الله بالضلال عن العلم النافع عقوبه له لأنه لم يريد الحق ولم يطلبه

القسم الأخير من هذه السوره

اختتم بايتين الاولى تتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقربه من الناس ومحبته لهم وحرصه على صلا حهم وسعادتهم وازاله الشر عنهم وإيصال الخير إليهم

فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم)

لبيان أن التكاليف التى جاء بها من الجهاد وغيرها من التكاليف التى وجدوا فيها المشقه لم يراد بهم ارهاقهم با لأعمال الشاقه فإن ذلك رحمه بهم لان فى القيام بالتكاليف السعاده الابدايه فقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)

فهذه الكلمه قادره على الوصول إلى أعماق النفس الداخلية واستجاشه مشاعر الوشيجه التى تربطهم به فلم يقل لقد جاءكم رسول منكم بل قال من أنفسكم

اى أن الرابطه بينكم وبين مثل رابطه النفس بالإنسان

وايضا فإن هذا فيه امتنان من الله بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم من جنسهم كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم)

فالايه تهدف إلى تحفيز مافيهم من مشاعر الشرف ليدركوا أن الإيمان بالإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه شرف لهم فهو منهم يعرفون نسبه وصدقه وأمانته فاللازم أن يؤمنوا بما جاء به فقد شهد وا بصدقه وأمانته فهو كان فيهم الصادق الامين ونزل القران الكريم بلغتهم

وايضا الاشاره الى عموم جنس البشر للاشاره أن ارسال الرسول من البشر أزال اى حجه أو تعلل منهم فيما لو ارسل ملك فإنهم سوف يتعللون أنهم لم يفهموا ما جاءهم به لانه يختلف عنهم فى الطباع ولم ينظر إلى ثقل

التكاليف التى جاء بها بعكس لما يكون الرسول بشر مثلهم فإنه يعانى الالم والمشقة مثلهم تماما ويكون قادرا على إيصال الرساله اليهم بسهوله فعلى قدر واقعيه الدعوه يكون نجاحها فالايه ترسم لنا صوره عن شخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الذى يقتدى به المسلمين بأنه شخصية واقعيه مثاليتها ممكنه وقابله للوجود فهو من أنفسكم ليس من الملائكه

فحياته ونشاطه الانسانى منذو بعثته إلى أن التحق بالرفيق الاعلى تمثل نموذج واقعى للبشريه نموذج متكامل للاقتداء فالايه تنقل لنا جوانب من شخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم من إنسانيته ورحمته بأنها عامه للعالمين ولهذا بعد أن ذكرت أنه من جنس نفس الإنسان تبين الايه بعدها مشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان بشريته وحبه لهم فقال تعالى (عزيز عليه ما عنتم)

اى أنه عليه الصلاة والسلام يتالم ويشق عليه معاناه البشريه ومشقتهم

فهو يحزن ويتالم ويتحسر عندما يرى الناس يرفضون ما أنزل الله عليه من هدايه للبشر وخلاص لهم ولهذا فإن أمرهم بالتكاليف من حرصه عليهم لما فيه سلامتهم وسعادتهم فقال تعالى (حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم)

فقد كان عظيم الرحمه بالمؤمنين يسعى لازاله كل شقاء عنهم حريص على أن يوصل الخير للبشريه كلها رحمه بهم يسعى جاهدا إلى أن يغرس فيهم حب الخير وبغض الشر فقياده الرسول صلى الله عليه وسلم للبشريه فى السلم والحرب فى حالات الضعف والقوه تتميز بالحكمه وبعد النظر والصبر والقدرة على فهم النفس البشرية واكتساب ثقه الناس ومحبتهم باخلاصه وتواضعه وعدله وشده تحمله على نفسه فقد كان يجمع بين الحزم واللين والقوه والرحمه والرافه و بما رباه الله كان يقوم بتربيه المؤمنين ولهذا ياتى بعد هذه الايه هذا التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم من ربه فقال تعالى (فإن تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

لتبين لنا الآيات سبب رحمه الرسول صلى الله عليه وسلم وانسانيته وشجاعه الرسول وثباته وقوته فقليل من الناس من يجمع بين الرحمه والشجاعه ولهذا تنقل لنا الآيات سبب هذه الشجاعه التى كان يتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل الأوقات لقد تحدى قريش والعرب والعجم ففى غزوه تبوك التى تتحدث عنها السوره كانت العرب تخاف من مجرد سماع اسم كلمه جيش الروم هذه الإمبراطورية التى كانت أقوى قوه على وجه الارض ومع ذلك أصر الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج لقتال الروم فى تبوك رغم تخلف الكثيرون ورغم الحر وقله المؤنه والعتاد وما صاحب هذه الغزوه من الشده لدرجه انه تعالى وصفها بالعسره لشدتها

فشجاعه الرسول ورحمته وقيادته وعبادته وعبوديته تعود الى اعتماده على الله فقل حسبى الله ..اى يكفينا الله فهو تعالى حسب من لاذا إليه فهو تعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له أن مصدر هذه القوه هو الا ستغناء بالله عن خلقه فالمتوكل على الله يكتفى بعلمه بالله عن الانشغال بغيره لانه علم ان الذى يوصل إليه المنافع هو الله وحده لا شريك له

وايضا فإن من سكن قلبه إلى الله لايخاف غيره لان الله حسب من توكل عليه فإذا خرج للجهاد لم يخش غير الله لأن رجاءه من الله أكثر من خوف من توعد المخلوقين لان المتوكل على الله أخرج من قلبه كل مخوف ومحذور ومحزن دون الله حتى اتصل خوفه ورجاؤه بالله فاستغناء بالله لأنه يعلم أنه لا مانع ولامعطى ولا صار ولانافع الا الله وحده

ولهذا فمن عرف الله بعظمته وقدرته وان جميع المخلوقات بقبضته وملكه لهذا فإن هذا العلم يجعل العبد يقطع

كل مؤمل دون الله يقطع كل علاقه من قلبه ليفرغ قلبه للاقبال على الله وصدق التوكل عليه والله حسب من توكل عليه فمعرفته لعظمته يلزم قلبه الثقه بالله لان الملك لله دون خلقه ولهذا لايحرص المؤمن على الدنيا لثقته بربه

انتهيت من سوره التوبه يومنا هذا السبت ٢٧جمادى الاخره ١٤٤٦هجريه الموافق ٢٨ديسمبر ٢٠٢٤م اسال الله ان ينفع بها المسلمين وأن يجعل ذلك فى ميزان حسناتنا وان ينفعنا بها اللهم امين

الحقير لله تعالى المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى